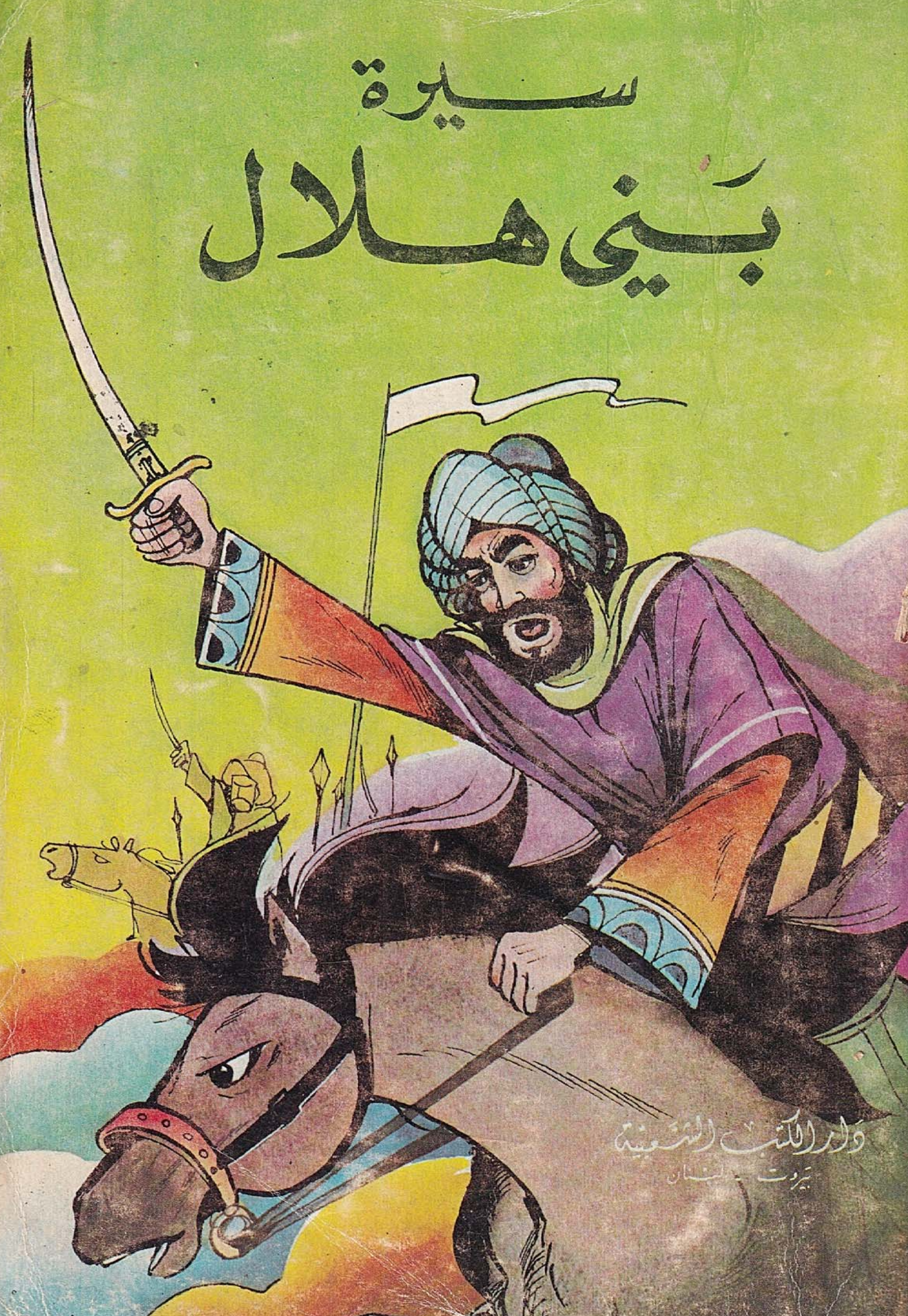
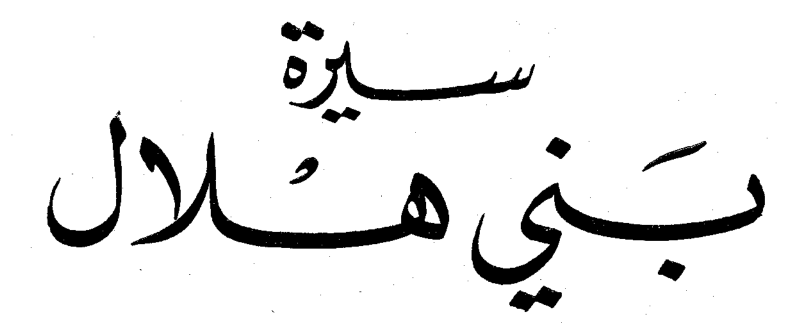

سيرة
بني هلال
دار الكتب الشعبية
بيروت - لبنان



تحتوي على :

قصة جابر وجبير
وقصة الخضرا أم أبو زيد
وقصة شما وزهر البان

دار الكتب الشعبية
بيروت - لبنان
ص.ب : ٣٨٧٤

الطبعة الاولى
١٩٨١

سيرة بني هلال

بسم الله الرحمن الرحيم

حمدا لمن جعل سير الاولين عبرة للآخرين (اما بعد) فهذه سيرة بني هلال التي يشتاق لقراءتها الكبار والصغار على مر الاجيال .

قال الراوي بعد وفاة الزير ابي ليلى المهلهل وضعت امراة الأوس غلاما سموه عامرا وعندما بلغ سن الرجولة تزوج بامرأة من أشراف العرب فولدت له غلاما في نفس الليلة التي ماتت فيها جده الجرو فسماه هلالا وهو جد بني هلال وكان متصفا بالفضل والادب ولما كبر الامير هلال تزوج بامرأة بديعة في الجمال فولدت غلاما سماه المنذر واتفق ان هلالا زار مكة في اربعمائة فارس وطافوا حول البيت وتشرف بمقابلة النبي المختار فأمره النبي صلى الله عليه وسلم ان ينزل في وادي العباس وكان النبي يحارب بعض العشائر المعادية له فعاونه الامير هلال ومده بالعساكر وكانت فاطمة الزهراء راكبة على جمل في الهودج فلما رات هول القتال ومصارعة الابطال حولت راحلتها لتبتعد عن القتال فشرد بها الجمل في البر فدعت على الذي كان السبب بالبلاء والشتات فقال لها ابوها ادعي لهم بالانتصار فهم بنو هلال الاخيار وهم لنا من جملة الاحباب والإنصار فدعت لهم بالنصر فنفذ فيهم دعاؤها بالتشتيت والنصر ثم رحل الامير هلال الى وادي العباس وعسكر في تلك النواحي ولما سمعت به العربان تواردت اليه من جميع الجهات فكثرت عند الاصحاب والانصار وكان له ولد حلو الشمائل وكان فارسا مشهورا وبطلا عنيدا اسمه المنذر .

قال الراوي بينما كان المنذر جالسا في نافذة قصره راى ابنة قاهر الرجال تخطر امامه وهي تميس حسنا ودلالا فعشقها وحكى لوالده عن حسنها وجمالها ثم قال له اريد ان تخطبها من ابيها فقال له انا لا اريدها لك لان حسبها ونسبها

دون حسبنا ونسبنا فهي تنسب الى عشيرة جساس بن مرة وهي من الاوباش فتكدر المنذر من جواب ابيه وقال له انا لا اريد غيرها فشتمه والده وطرده من امامه فاغتاظ المنذر وتكدر وترك أباه وجعل ينهب الناس ويقطع الطرق ويؤذي كل من يراه من عشيرة والده ويعتدي على النساء فقال لهم اميرهم قوموا بنا نذهب الى ابيه ونشكي له حالنا فان ردع ابنه عن غيه وطيشه عفونا عنه اكراما لابيه وإلا فنأخذ بثأرنا من المنذر ثم انهم ساروا الى الامير هلال وسلموا عليه وقبلوا يديه وشكوا له افعال ابنه المنذر وأشار كبيرهم نصار يقول وعمر السامعين يطول:

قال الفتى نصار اسمع يا هـلال ... انت امير ومـن قوم اصـال
انتـم اهل الكرم وجدودكـم ... من خيار الناس ومن خاص العيال
كم بكم من كل قوم غشمشـم ... يدعي الفوارس تحت تلال الرمال
نحنا ترى من تحت يـدك يا ملك ... نرسل لكم عشر المراعي والموال
ابنك قد أذانـا وهان نسانـا ... ولا احـد منا جرد عليـه نصال
كنا قتلنـاه من دون إمهـال ... ولو كان غـير ابنك يا ملـك

قال الراوي فلما سمع الامير هلال من نصار عن اعمال ولده المنذر تأثر جدا وقال لنصار طيب خاطرك فسوف أرد لكم ما فقد من أموالكم وأشار يكتب الى ولده المنذر بهذا القصيد :

يقول الامير هـلال عما جرى له ... ولي قلب زاد اليـوم بالاوجـاع
لنا ذكر بين الناس كالمسك فايـح ... شجعان وذكرنا بالعوالم شـاع
ولا طلـع منا جبـان ولا ردي ... وكـل عاصي عـاد لحكمي طاع
يـا غاديا منـي على متن ضامر ... جد السرى فـي سهلها وقلاع
اذا جيت للمنذر اعطيـه رسالتي ... وقـول لـه يأتـي الي سراع
اتوا بنـو سليم الينا واشتكـوا ... وصار لهم ضجـات وسط القاع
وجـاء الامير نصار وقومـه ... ومعهـم حريم لابسات قنـاع
وقالوا ان منـذر دهانـا بشره ... نهب خيلنـا وحريمنا ومتـاع
هتكت لعرضي يـا ردي بفعالك ... ترى بوشنا مـد الفلا والقـاع
فارجع لاهـل سليم بالحال بوشهم ... وعـد الينا وكـون مطـاع
وان لم ترد البوش لأهله بسرعـة ... اجيـك انا مـع جموع سبـاع
واقتلك بالحال وارميـك على الثرى ... وتأكل عظامك وحشها وضبـاع

ثم انه طوى الكتاب وسلمه الى عبده بلال وقال له دور على المنذر واعطـه الكتاب وهات منه الجواب فأخذ العبد الكتاب وذهب يفتش على المنذر ويسأل عنه فوجده مقيما بواد يأكل الطعام ويشرب المدام فدخل عليه وسلم عليه ثم اعطاه الكتاب فلما قرأه مزقه ورماه ثم كتب جوابه وهو يقول :

قـال المنذر قصيـدا معتبر ... النار فـي قلبي يزيد لها شرر
يا غاديا مني على متن ضامـر ... تسبق هبوب الريـح بيوم السفر

ان جيت لعند الهلالي والدي / لوادي العباس وادي الزهر
قد جاءني منكم يا ابي كتاب / من اجل نصار اتى لك مع نفر
وتقول لي رد الموال لاهلها / واذا لم ترد المال شفت العبر
شوري عليك اترك لزعمك يا ابي / فمن يعصي ما يخاف من البشر

قال الراوي فلما فرغ المنذر من كلامه اعطى الكتاب للعبد فأخذه وعاد الى الامير هلال وأعطاه الجواب فلما قرأه زاد غيظه وصاح بالعساكر واراد ان يركب ويحارب ابنه المنذر فأشار عليه اصحابه ان يسمح للامير نصار بأن يركب هو وقومه ويخلصوا أموالهم بأنفسهم لانهم خمسة آلاف والكثرة تغلب الشجاعة . فلما سمع الامير هلال هذا الراي والشعور اعجبه فاستدعى الامير نصار وقال له خذ رجالك وحارب ابني واجتهد في أسره وإلا فاقتله وخذ جميع ما ترى عنده من الاموال عند ذلك ركب نصار بقومه وسار الى الوادي المقيم فيه منذر فلما راوه أطلقوا الغارة عليه فصاح المنذر برجاله شدوا على السروج فأسرعت الرجال الى الخيل وارتفع الصياح والتحمت الرجال بالرجال وتغلب نصار على رجال المنذر فولوا هاربين فأخذ نصار ما وجد من المال والنساء وعاد مع اصحابه الى الاطلال أما المنذر ورجاله فقلت عليهم الاموال والارزاق وتغيرت عليهم الاحوال فأشاروا عليه ان يكتب لوالده بأن يعفو عنه ويسامحه على طيشه فكتب الى والده يستعطفه وارسل الكتاب صحبة نجاب فلما وصل اليه اعطاه الكتاب فقرأه فما لان قلبه على المنذر وأشار يقول :

يقول الامير هلال انا ولد عامر / ونيران قلبي زايدات وقود
أيا منذر روح بحالك وارتدع / واحذر الى عندي بقيت تعود
غدرت بقومك نحو نصار وهنته / نهبت ماله وعصيت إله معبود
أرسلت لك مكتوب في رد مالهم / خالفت امري وانت رجل عنود
قد خلصوا مالهم منك بغارة / ومالوا عليكم ميلة النمرود
ورحتوا حيارى خائفين من العدا / كما اخبرنا العبد مسعود
وان كنت تعود الينا نقتلك / ونجعلك بين الناس مفقود

فلما فرغ الامير هلال من كلامه اعطى الكتاب للرسول فأخذه وسار لعند المنذر وأعطاه الكتاب فلما قراه بكى وندم حيث لا ينفعه الندم ثم كتب لابيه يقول :

يقول المنذر على ما جرى له / بدمع جرى فوق الخدود سجام
يا غاديا مني على متن ضامر / تسبق لذز المرهف الصمصام
اذا جيت عند الهلالي والدي / اقريه مني الف الف سلام
وقل له أدعو لمنذر الله يصلحه / لعله يهتدي عا مدى الايام

قال الراوي ثم اعطى الكتاب للرسول فأخذه وسار الى ان وصل لعند الامير هلال واعطاه الكتاب فلما قراه حن قلبه على المنذر وندم على فراقه ثم قال لوزيره

اركب واذهب الى المنذر واحضره حالا فليس لي ولد سواه فركب الوزير وسار الى المكان الذي كان المنذر مقيما فيه فلم يجده لانه ركب هو وجماعته وساروا الى دمشق الشام وبعدها الى حمص وحماه وحلب وكان يمكث في كل بلد اياما قليلة ثم سار من حلب الى بغداد مع جماعته فسأل عن ملك عظيم فقيل له يوجد امير يحكم على مائة وثمانين الف بطل وهو الحاكم على بلاد الشيخ وهو الامير مهذب فقصده وسار لعنده فلما وصل الخبر بقدومه امر الامير مهذب عسكره بالركوب لاستقبال المنذر فركب نحو عشرين الفا ليستقبلوه ولما اجتمعوا به نزلوا عن خيولهم وسلموا على بعضهم فأشار الامير مهذب يترحب بهم ويقول :

يقـــول الفتى الامـــــير مهـذب	يـــا مرحبا بالقادمين جميـــع
يا مرحبا فيكم ويا الف مرحبـــا	بمنذر امـير جاء الينا سريـــع
لك عندنا الاكرام يا مير منـــذر	فأمـــر وانه فـــوق تخت رفيع
وان كنت مديون وفينا لدينـــك	ولو كان ملكي يذهب جميـــع
وبنتي هذبـــا تكون لـــك حليلة	وتبقى بلادي لـــك دوم تطيـــع

فلما فرغ الامير مهذب من كلامه شكره المنذر على اهتمامه وساروا الى المنازل فأكرمهم غاية الاكرام وفرح فيهم وبعد ايام جعله المنذر وزيره وقلده امور المملكة فحكم وشاع ذكره في تلك البلاد فلما رات الست هذبا حسنه وجماله ولطفـــه وكماله مال قلبها اليه وحكت لأمها انها احبته وتريده زوجا لها فلما علمت امها بذلك اخبرت الامير مهذب فلم يمانع لانه يحب المنذر فكان قد رأى هذبا فأحبها وهام بحسنها وجمالها وتمنى ان تكون زوجة له وقال لا اظن ان أباها يغضب اذا طلبتها منه ولما رأى منه هذا الاستقبال الفخم والاكرام العظيم الذي قام به تجرأ على طلب هذبا منه فأجابه الى طلبه واحضر بعض العلماء والاكابر وكتب كتاب المنذر على الست هذبا واقاموا الافراح والليالي الملاح وعملوا عرسا يليـــق بالعروسين وعاشوا بسرور وهناء وبعد مضي سنوات جمع الامير مهذب وزراء الدولة وقال لهم اني اشعر بدنو أجلي والموت لا بد منه وأريد ان أجعل صهري المنذر مكاني فقالوا افعل ما تريد ايها الامير فأحضر صهره المنذر وامر ان يلبسوه بدلة الامارة فألبسوه اياها ثم سلمه خاتمه وجميع ملكه واجلسه واشار يوصيه بالحكم :

قال الفتى المسمى الامـــير مهذب	العمر منـــي يا ربـــع قد ولـــى
اليوم المنذر عـاد فيكم حاكـــم	ولا رجل منكـــم عنه يتخلـــى
منـــذر امير ابن امير مسمـــى	ابن اكابر مـــا يشوف المـــذلا
وانت يا منذر احكـــم بشرع الله	يـــا ويل مـــن في حكمه يـــزلا

قال الراوي فلما فرغ الامير مهذب من كلامه قالوا له انه اميرنا وسيدنـــا ما دام يحكم بما انزل الله ثم ان المنذر اخذ يحكم بعدل وانصاف فلما توفي الامير مهذب حزنوا عليه واحتفلوا بدفنه احتفالا عظيما أما المنذر فانه انفق وتصـــدق

واكرم العرب فانقادت له العباد واتته الهدايا من جميع البلاد وقد مضى مدة طويلة ولم يمن الله على المنذر بولد فقال لزوجته انك الى الان لم تحملي وانا اريد الاولاد فقالت له اظن انك تريد ان تتزوج بغيري وتتركني فقال معاذ الله ان اتركك لاني احبك ولا استطيع البعد عنك ولكني اريد ان اتزوج رغبة في ولد ذكر يتولى الاحكام فقالت له شأنك وما تريد عند ذلك توجه المنذر الى الديوان وحكي لوزيره عن رغبته في الزواج وقال له اريد ان تخطب لي ابنة شريفة لاني ارغب في انجاب الاولاد فقال الوزير اعلم يا ملك الزمان انه يوجد في بلاد السرو ملك عظيم الشان اسمه الملك الصالح له بنت من افضل البنات اسمها عذبا فالراي عندي ان تقصده وتطلب منه ابنته حليلة لك فأمر الامير منذر الفرسان بالركوب فركبوا قاصدين بلاد السرو فلما علم الملك الصالح بقدومهم استقبلهم بالعساكر استقبالا عظيما ثم دخلوا الى البلد فأنزلهم الملك الصالح بأعز مقام واكرمهم وأشار يترحب بهم ويقول:

قال الملك صالح وعني الهم زال	بقدومكم يا اهل المروة والكمال
قد سرني يا امير وقت قدومكم	بالله اعلمني وجد لي بالمقال
فان كان لك حاجة تراها عندنا	نقضي لك الحاجات في اقرب مجال
وان كان قد جاء عدو يكيدك	ندعي عداك تحت تلال ورمال

قال له المنذر بارك الله فيك انا قصدي اطلب ابنتك زوجة لي ولك ما تريد من النوق والجمال والعبيد والمال فقال الملك الصالح مرحبا بك ايها الامير ان ابنتي عذبا لك بدون مهر ولا صداق ثم انه استدعى بالقاضي والشهود وعقدوا للمنذر على عذبا ثم جهز ابنته جهاز بنات الملوك واركبها بالهودج مزينة بالحلي والحلل وقدم لها مالا كثيرا ونوقا وجمالا وعبيدا وجوارا وركب معهم نصف نهار فحلف عليه المنذر ان يرجع مع قومه وشكره على نخوته وكرمه فتقدم الملك الصالح من ابنته وأنشد يوصيها بهذه الابيات :

أوصيك يا ابنتي بالعقل والادب	تري منذر بين الملوك جليل
ابوه هلال حاكم في بلاده	وليس له بين الملوك مثيل
فلا تعبسي قط في وجه منذر	تنالي عنده رفعة وتبجيل
واقضي له الحاجات في كل سرعة	ولا تكثري من القال والقيل

واراد ان يودعها فقالت له اريد منك يا ابي ان تزورني دائما لاني خائفة ان يحصل لي هم وكدر لان لي ضرة لا أعلم خيرها من شرها فوعدها وطيب خاطرها ثم ودعوا بعضهم وعاد الملك الصالح الى بلاده وسار المنذر بأبطاله ورجاله الى بلاده فقامت الافراح مدة شهر فدخل على عذبا وصار ينام ليلة عندها وليلة عند هذبا ومضى عليهم مدة ولم تحبل عذبا ولا هذبا فدعا ربه ان يرزقه ذرية صالحة ثم رفع يديه وبسطهما واشار يدعو الله تعالى بهذه الابيات :

يقول المنذر على ما جرى لـــــه　　دمعي جرى فوق الخدود نهـور
سألتك يا رحمن يا سامـــع الدعا　　يا من تجبر خاطـــر المكســـور
بأيـــوب بابراهيـم واسحاق بعده　　بيعقوب بيوســـف نجلــه المبرور
بحرمة رجب مـــع شعبان المبارك　　في رمضان شهر الصوم ثم الحور
اقبل دعائي يا الهـي واهدنـــي　　واجعـل قلبي بين الملا مجبـــور
وارزقني أولادا يكونـــوا صالحين　　وتجعـل عيشنــا في هنا وسرور

فلما فرغ من الدعاء استجاب الله دعاءه فحبلت عذبا وحبلت هذبا ففرحـوا فرحا عظيما لا يوصف وقد زادت الافراح عندما ولدتا ذكرين جميلين فذبحـوا الاغنام وأكثروا الولائم وفرقوا الاموال وسموا ولد هذبا جابرا وولد عذبا جبيرا ولما كبرا خصص لهما المعلمين فدرسا جميع العلوم ثم تعلما ابواب الحرب والكفاح والركوب على الخيل وكان جابر يكره اخاه جبير وكان المنذر يحب جابرا اكثر من جبير اما الملك الصالح فانه انتقل الى رحمة الله فحكم ابنه مفلح مكانه ثم خطر بباله ان يزور صهره المنذر ويرى اخته عذبا فركب بألف فارس ولما وصل الـــى الديار خرج المنذر واستقبله احسن استقبال وسلم مفلح على اخته عذبا وقبل ولدها جبير وبقي عندهم مدة من الزمان ثم ركب وودعهم وعاد الى بلاده أمـــا المنذر فانه بقي يقدم جابرا على جبير في كل الامور فيذهب جبير الى أمه ويشكو لها معاملة ابيه له وكانت عذبا تلوم المنذر وتوصيه ان يعامل جبيرا كما يعامل جابرا فمل منها ومن نصائحها وهجرها فأخذت على خاطرها وقالت لابنها ماذا عملنا مع ابيك حتى يعاملنا هذه المعاملة السيئة وقد زوجني ابي منه بلا مهر ولا كلفه بشيء فاذهب اليه يا ولدي وقل له ان والدتي تريد ان تأتي اليها الان لامر ضروري فذهب جبير وقال لابيه ان والدتي تريدك فقطب وجهه وذهب الى قصر عذبا وسألها عما تريد قالت له ألست انا زوجتك وجبير ابنك قال نعم قالت لماذا لا تساوي بيننا وبين جابر وأمه فاما ان تنصفنا او تطردنا ثم انها بكت وأنشدت تقول :

تقول فتاة الحي مظلومة النســـا　　بدمع جرى فوق الخدود حـدور
يا مير منذر كيف حالـــك تغير　　ومالي أشوفـــك دوم مقهـــور
أمـــا جابر فدوم تجبر بخاطـــره　　وجبير تدعـــي قلبـــه مكســـور
ومالك ورزقـــك كله لاجل جابر　　وهذبا بنت مهذب عليك بتشـــور
وأنت تهجرني وتترك صداقتـــي　　وتدعي همومـــي بالصدور تنـور

فلما فرغت من كلامها قال لها القصر قصرك فان شئت البقاء فيه فما احـد يهينك وان شئت ان تذهبي لاهلك فمع السلامة فتأثرت منه وشدت الاحمال على ظهور الجمال عند ذلك أمر المنذر وزيره ان يركب بعشرة أبطال ويوصلها الى اهلها فركبوا وذهبوا معها فقالت للوزير اذا قصدنا اخي مفلح على هذا الحال فيفتكر اني خائنة فيأمر بقتلي فقال الوزير الاوفق ان نذهب الى الامير مرزوق حاكـــم الاراضي التي بين حكم المنذر وحكم مفلح فوافقته على رأيه وساروا قاصدين تلك

الاطلال ولما وصلوا دخلوا بلاده ونصبوا الصيوان بجانب قصر الامير .

وبعد ذلك ودعها الوزير وعاد الى بلاده ودخل على الامير منذر واخبره بأنه ارسلها لبلاد اخيها اما الامير مرزوق فنزل ليستقصي الخبر وسأل عذبا عن سبب قدومها فحكت له ما جرى عليها بالتمام فحن قلبه عليها وترحب بها فشكرته على حسن استقباله ثم انه اعطاها قصرا وعبيدا وجوارا وكان جبير يرافقه في غالب الاوقات ويدخل على الامراء والسادات الى ان بلغ العشرين عاما فكان شجاعا هماما وأسدا درغاما وصار له تبع واعوان يزيدون عن الخمسمائة بطل ففي احد الايام قدم عليهم ثلاثة ضيوف من بلاد المنذر فلما راى الضيوف جبيرا وما يتمتع به من العز والجاه عمدوا الى الرجوع للاوطان فلما وصلوا دخلوا على المنذر وسلموا عليه واخبروه ان جبيرا نازل عند الامير مرزوق مع امه عذبا واخبروه عن أتباعه وعزه وافتخاره وجوده وكرمه فقال المنذر لوزيره كيف قلت لي انك اوصلت عذبا الى بلاد اخيها بينما هي في بلاد الامير مرزوق مع ولدها جبير وهما مقيمان عنده الى الان فأجاب انني أوصلتها الى نصف الطريق ورجعت ولا أعلم اين سارت وماذا يهمك من امرها وقد طلقتها اما الامير جابر فقال لابيه دعني أنتقم من جبير قبل ان يستفحل امره ويحاربنا فسمح له ابوه بهذا الامر وجمع أرباب الحكام وخلع امامهم ثياب الملك والبسها لولده جابر وبايعه الملك والحكم فجلس جابر على الكرسي وصار يأمر وينهي ثم كتب الى الامير مرزوق عن لسان ابيه الامير منذر يقول :

قال الملك منذر جد السفر … يا غاديا من عندنا مع لمح البصر
ان جيت الى مرزوق امير منتخب … اعطيه مكتوبي ولا تبدي خبر
وقل له يا مرزوق اقرأ كتابي … واطرد جبير وانجو من الضرر
وان كان ما تطرد جبير من عندكم … نفعل بكم أفعالا تبقى تنذكر

ثم انه طوى الكتاب وأعطاه للعبد بلال قال المنذر لابنه ما كتبت يا جابر قال كتبت لمرزوق ان يطرد جبيرا قبل ان تكثر عصبته فيأتي ويأخذ منا بالثأر لانك طردته مع أمه فلما وصل بلال رآه جبير فأخذ منه الكتاب وقراه فتكدر جبير وكتب الجواب :

يقول الفتى المسمى جبير بن منذر … حزين وما غدر الزمان سواه
ابوي جفاني وقد أمر بفراقنا … وطردني انا وامي في سهل وفلاه
يا غاديا مني على متن ضامر … جد السرى في صبحها ومساء
اذا جيت للمنذر واخي جابر … سلم عليهم سلام يطول مداه
وقل للمنذر يا ابي انا ذهبنا … عنكم وتركنا الفخر والجاه
وجينا الى مرزوق سكنا بحيه … امير الملا زاد الإله غناه
فأكرمنا وأعطانا الابل والغنم … فماذا السبب حتى تزيد جفاه
واليوم قاصد تفرق بيننا … وتطردنا من ديرته وحماه
ومرزوق لو وصل الكتاب ليده … يأمر بحربك ولا يخون نزلاه
ولكن اردنا نكسر الشر بمهده … وهذا ما جرى واللي كتبناه

فلما فرغ جبير من كلامه اعطى الكتاب الى العبد بلال فأخذه وسار ، اما جبير فأمر عبيده بحمل الامتعة على ظهور الجمال واركب امه عذبا بهودج وركب جواده وسار قاصدا ديار خاله الامير مفلح بن الملك الصالح للالتجاء به من هذا الامر العسير .

(قال الراوي) ولما وصل العبد دخل على الامير جابر واعطاه الكتاب فلما قراه فرح واخبر والده عن رحيل اخيه من ذلك المكان فتأثر المنذر على فراق ابنه اما جابر فقال لابيه يلزم ان نكتب الى خاله الامير مفلح اذ قصده جبير لا يحميه ثم نرسل المكاتيب الى جميع الامراء الذين في تلك الجهات ونعلمهم بأن لا يدعوه يدخل بلادهم فسيضطر ان يرجع الينا ذليلا مهانا ونرتاح من شره فقال له ابوه اكتب لهم كما تريد فكتب الى الامير مفلح يقول :

يقول الفتى المنذر وفي القلب علة ... يا ابن عمي انت امير مهاب
اطرد جبير ابني اذا جاء بلادكم ... ولا تتركه ينصب الاطناب
ولا تقبله عندك ولا ليلة ... حتى ولا أمه ولا الاصحاب
وان كنت يا مير تخالف أوامري ... فاعلم بأنك تخسر الاحباب
وتغدو قتيلا في الديار مجندلا ... وتبقى ديارك والبلاد خراب

فلما انتهى من تحرير الكتاب ارسله الى الامير مفلح فلما قراه امر الخدم ان يأخذوا النجاب لدار الضيافة وتعجب الامير مفلح من هذا الطلب وقال مع اننا لم نر عذبا ولا ابنها من مدة طويلة وفي اليوم الثاني دخل عليه رسول واخبره بقدوم عذبا مع ولدها الامير جبير ورجاله فركب مفلح وبصحبته نجاب الامير المنذر واستقبل اخته وابنها جبيرا وسلموا على بعضهم وقبل الامير جبير يد خاله ثم ان الامير مفلح اعطى جبيرا الكتاب الذي اتاه من عند المنذر فلما قراه جبير كبر الامر لديه وهطلت الدموع من عينيه واشار يعاتب خاله :

يقول الفتى المضنى جبير الجابر ... اتيت ديارك يا امير دخيل
ابوي طردني يا امير من ارضه ... فسرنا الى مرزوق امير جليل
ترحب بنا واعطانا المال والرضا ... وكان لنا من دون الانام خليل
فأرسل له المنذر علم بطردنا ... وأمره برحيلنا من عنده ونشيل
اخذت المكتوب وعلمت محتواه ... ومرزوق لم يعلم بهذا النزيل
أمرت في نقل الخيام وجيتكم ... وقلت خالي عاد نعم الكفيل
والله لو مرزوق علم بما جرى ... لجرد على المنذر بلا تمهيل

فقال له خاله لو كنت قادرا على حرب ابيك لأقمتك عندي على الرحب والسعة ولكن ابوك هددنا بالقتل والخراب واذا شئت النزول عندنا فانزل ولا عاش من يجرد بوجهك سلاحا قال جبير يا خال الف اهانة منا ولا اهانة فيك ولنا رب لا يتخلى عنا وسأكتب لوالدي الومه على هذه الاعمال وما سبب طردنا ثم كتب له هذا الكتاب :

يقول الحزين جبير عما جرى له ... ودمعي على الخدين دوم قاطر
يا غاديا مني على متن ضامر ... تسبق مسير الطير ثم النواظر
سلم على المنذر واعطيه رسالتي ... وسلم على اخي الامير جابر
وقل لأبي ماذا عملنا تجاهه ... فان كنا مخطئين فالله حاضر
طردتونا والحق عليكم بلا خفا ... فرحنا الى المرزوق نلنا المفاخر
فأرسلت مكتوبا لمرزوق تهدده ... وتوصيه بطردنا من الصبح باكر
وحلت من عند مرزوق بالدجا ... قاصد بلاد السرو والعشائر
قاصد الى خالي لننزل بأرضه ... فأخبرته اطرد جبير لا تساير
فلما وصلت لعند خالي قال لي ... ارحل عنا يا فتى لا تكابر
فقلت يا خالي ترى ما هي عوايدك ... تطرد اختك يا كبير العشاير
فقال أبوك ارسل لي كتابا ... يقول اطرد جبير خليه داير
فحطيت مكتوبك على الراس ... وانا رايح عنه بلا معاير
واترك ارضك وارضه جميعا ... واترك بساتينك وكل الذخاير
ولا بد من يوم أفرق شملكم ... وافيكم بالماضيات البواتر
انا فارس الفرسان في يوم الوغى ... وجدي هلال من قوم أكابر

فلما فرغ من كلامه ارسل الكتاب الى ابيه ثم أمر جماعته بالركوب فركبوا ووقفت عذبا تودع اخاها مفلحا وتعاتبه بهذه الابيات :

تقول عذبا من فؤاد موجع ... والدمع من فوق الخدود سكابها
منذر طردنا يا مفلح وهاننا ... جينا لعندك نلتجي برحابها
طردتنا يا مير مفلح من بلادك ... وزدت في قلبي نارها ولهابها
الله لنا يا مير خير منك ... الحق ينصرنا على عدانا وقرابها
فان رحلنا نحن عن ارضكم ... ننزل عند قوم عالي انسابها
قول الحزينة من فؤاد موجع ... عذبا جفتها اهلها وأحبابها

فلما فرغت من كلامها قال لها اخوها ما هذا التوبيخ يا عذبا اقيمي عندنا وان سمع المنذر وقاتلنا فنكون فداك فقالت لا يا اخي نحن لا نسبب لك الضرر ولا نريد لك الا الخير ثم انها ركبت في هودجها وسارت مع ابنها من بلاد السرو وهم لا يعرفون الى اي بلاد يقصدون .

(قال الراوي) فلما وصل الخبر الى المنذر بأن مفلحا طرد جبيرا وأمه بكى بكاء شديدا حتى ابكى الحاضرين فقال الوزير منصور والله لقد اخطأتم في عملكم مع جبير وأمه فقال جابر سوف أترقب اخبار جبير اين ينزل حتى أطرده الى اخر الدنيا اما جبير وأمه ومن معه فساروا في البر سبعة ايام على غير هدى فقال احد جماعته سمعت ان ملكا في بلاد نجد العدية يقال له النعمان بن حنظل من اجود ملوك العرب وكل من ينزل في ارضه يعيش سعيدا مكرما فقال جبير سيروا بنا نحو نجد فساروا الى ان بقي بينهم وبين نجد مسافة يومين فنزلوا بواد ليأخذوا لانفسهم الراحة نصبوا خيامهم ثم جلسوا وأكلوا وبينما هم جالسون رأوا فرسانا تقترب منهم فركب جبير وتقدم اليهم وسألهم من انتم وما شأنكم فتقدم اميرهم

رحال وقال نحن من أعيان نجد وقد ركب علينا عدو اسمه الجليلي بن سالم حاكم سنبس فقام بيننا الحرب وانتصر علينا وأخذ مالنا وخيلنا فرحت انا وعيالـــي ورجالي ولم نعرف ما صار بين الجليلي وبين ابن عمي الملك النعمان فقال له جبير ليس من المروءة ان تترك ابن عمك بالحصار وتهرب فبع روحك مع ابن عمك وحارب معه في هذه الشدة وأنا ابيع روحي معكم وسوف ترى ما يحل بالاعداء من الدمار فقال رحال كم معك من الرجال فأجاب معي ثلاث مائة فارس فضحك رحال وقال ان قومنا مائة الف وما استطعنا ان نقف امام العدو وأنت تريد ان تحارب بثلاثمائة فارس فاغتاظ جبير من كلام رحال وقال له اذهب لا أصلح الله شأن الجبان ثم ان جبير امر جماعته فركبوا وسار قاصدا الملك النعمان اما الامير رحال فقال لقومه لنسر خلف الامير جبير ونتفرج على حربه مع الجليلي فان انتصر عليه نهجم على الاعداء فان غلبناهم ننسب الفوز والنصر لنا واذا لم ننتصر نرجع على الاعقاب ثم انهم تبعوا الامير جبير من غير طريق ونزلوا بواد أما جبير وقومه لما وصلوا الى نجد رأوا النعمان وعسكره في أشد الضيق فانقض الامير جبـــير وأتباعه وهم مجردون السيوف وصاحوا على الاعداء وضربوهم بالسيوف فقلبوا الميامن على المياسر وخففوا الشدة عن النعمان فاغتم الجليلي من هذه المفاجـــأة وتقدم من الامير جبير وقال له من انت يا مهان وهل لك عندنا ثأر حتى تقاتلنا فقال جبير انا ولد المنذر من نسل الملوك ثم التقوا البطلين كأنهم جبلين وحان عليهـــم الحين وزعق فوق رؤوسهم غراب البين وظل الحرب الى اخر النهار دقت طبول الانفصال فرجع كل واحد لقومه فقالوا للجليلي كيف رأيت خصمك قال انه بطل صنديد فكيف يمكننا ان نقضي عليه ونكتفي شره فقالوا له ارسل له كتابا ورغبه ان يساعدك على حرب النعمان فتزوجه ابنتك وان لم تفعل ذلـــــك فأنت خسران فاستصوب الجليلي هذا الكلام وكتب يقول :

قال الفتى المسمى الجليـــل صادق	الحـــرب عندي تزيـــد وقـــود
يـــا غاديا مني على متن ضامـــر	يسبـــــق لــــدز المرهف المبرود
أن جيت يـــم جبير نيخ ركابـــك	واعطيـــه مكتوبـــي تنال سعـــود
واخبره عني فـــي كـــلام صادق	تعال الى عندي فالخـــير موجود
اعطيك نصف الملك منـــي وهبة	مع مدنهـــا وبلادهـــا وحدود
وتأخــذ بنتـــي لـــك حليلـــة	بنتـــا جميلة وأصلهـــا محمـــود
نعمان ضدنـــا يا فتـــى وعدونـــا	هذي العداوة عـــن أبا وجـــدود

ثم انه أرسل الكتاب الى الامير جبير مع عبده اما الامير جبير فانه نزل في صيوان الملك النعمان فحضنه النعمان وأثنى عليه وأجلسه في أحسن مكان وضربت له النوبات وزلغطت النساء والبنات مع سماع الانغام وتناول الشراب والطعام ثم عاد الامير جبير الى صيوان أمه وقومه وحكى لهم عن كرم النعمان ففرحوا به غاية الفرح أما العبد فأوصل الكتاب الى النعمان فلما قراه تغير منه الحال وخاف

ان ينضم جبير الى الجليلي فتسوء الحال فراته ابنته حسنا متحيرا في اسره فسألته عما اصابه فأعطاها الكتاب فلما قراته انشدت تقول :

تقول حسنا من فؤاد انكوى — والقلب فيه صاعد الدخان
اياك يا ابي يرحل جبير من هنا — ان راح تنظروا بعده الخذلان
كنا بأكبر ضيق من نحو العدا — جاءنا الفرج من ربنا الرحمان
كان الجليلي غالبا لرجالنا — لو طال الحرب كنا في اكفان
لما اتانا جبير قهار العدا — صارت عساكرنا تقهر العدوان
لولا جبير بطل الخيل في الوغا — كنا أسارى عند العدو نهان
فاذهب يا ابي الى جبير وارضيه — واعطيه حسنا واجعله سلطان

فلما فرغت حسنا من كلامها قال لها ابوها اظن انك تحبينه فخجلت وقالت نعم لقد احببته لانه كان السبب في انتصارنا على الجليلي وهو بطل وشجاع ولم اجد افضل منه .

(قال الراوي) لقد استشار النعمان قومه في هذا الامر فوافقوا عليه ثم توجهوا الى صيوان الامير جبير فاستقبلهم بالترحاب وجلسوا للمحادثة قال النعمان للامير جبير انا صرت كبير السن فأريد منك ان تقتل الجليلي وبعد ان تقتله اجعلك مكاني تحكم على البلاد ولقد عزمت على ان ازوجك ابنتي حسنا فهي تصلح لك وانت تصلح لها فقال جبير لقد غمرتني بفضلك وانا طوع امرك فافعل ما تريد عند ذلك أمر النعمان ان يلبسوه بدلة الملك فلبسوه البدلة وجعلوه ملكا وشهد عليه الوزراء والنواب ثم قالوا له انت حاكم بلاد نجد فخلصها من الاعداء ثم أحضروا القاضي وعقدوا عقد الامير جبير على حسنا بنت الملك النعمان وباتوا في طرب وانشراح الى الصباح أخبر النعمان صهره بمكتوب الجليلي فكتب جبير مكتوبا يهدد الجليلي فيه بتسليم نفسه ورجاله ثم أرسل له الكتاب مع العبد فلما قراه ارغى وازبد وأمر بدق الطبول وبالهجوم على الاعداء فركب الجيشان واستعدوا للحرب والطعان فنزل جبير للميدان وطلب الجليلي فنزل اليه وصار بينهما طعن يقصف الاعمار الى ان قوي الامير جبير على الجليلي وضايقه ولاصقه وسد عليه طرقه وضربه بالسيف على هامه اطاح راسه قدامه ثم هجموا على جيشه وكسروا عساكره وفرسانه فقتلوا من قوم الجليلي عشرة الاف فارس والباقي ولوا هاربين وما زالوا خلفهم حتى قطعوهم بلادهم وعادوا بجميع الاسلاب والغنائم وردوا السبايا والحريم وجلس جبير على كرسي الملك وحوله الامراء والوزراء وقال الملك النعمان يهنئه ويثني عليه :

قول النعمان ابن حنظل — الهم عنا قد زالا — بهمتك يا جبير
ليت عمرك دوم طالا — ضدنا كان الجليلي — ولى منك بأسوأ حالا
فرقت جيش الجليلي — بالحسام والنصالا — كل مالي لك وهبة
من يمكن ومن شمالا — حكم نجد صار بيدك — بعدلك تحسين حوالا
قول نعمان ابن حنظل — من صبر نال المنالا

فتقدم جبير من النعمان وقبل يديه وقال له اني خادمك المطيع فشكره النعمان وقبله وقال انت الان ولدي وقد وهبتك ما تملك يدي ثم ان الملك النعمان دخل على ابيه حنظل وأخبره بما جرى فتكدر حنظل ولام ابنه على ما فعل ووبخه في الكلام فقال النعمان لو لم يأت جبير ويساعدنا كنا قتلنا وراحت بلادنا فكم قتل الجليلي منا وما قدرنا نثبت امامه وأخذ الاموال وسبى النساء فجبير له الفضل الاكبر علينا .

(قال الراوي) أما جبير فانه صار ملك نجد يحكم على مائة الف قرية فشاع خبره في جميع البلاد وتزوج اربع نساء وهن بنت النعمان وبنت الوزير وبنت صخر وبنت صافي وصار يطعم الجائع ويكسو العريان ويكرم الضيف وجاءه بنات وبنون وفي بعض الايام دخل عليه ثلاثة شعراء فترحب بهم وأحضر لهم الطعام فأكلوا وانسروا من كرمه وجوده فأشار احدهم يمدحه بهذه الابيات :

يقول الفتى فلاح ابن راشد ... ومن صفر سني أقصد الأمار
أتينا لعندك يا مير جميعنا ... نريد العطا منك بلا انكار
سمعنا بجودك يا ملك ببلادنا ... وصيتك وصل لربنا والدار
جينا لعندك نقصد مكارمك ... يا برمكي يا مكرم الخطار
يا امير امنحنا واجزل العطا ... يا ريت عمرك أطول الاعمار
يا فارس الفرسان في حومة الوغا ... يا من دعيت الضد يموت دمار

فلما فرغ الشاعر من كلامه قال له جبير ابشروا بالغنيمة بعد اتمام الضيافة ولما انتهت الضيافة وهي اربعون يوما طلبوا من الامير جبير ان يسمح لهم بالذهاب الى بلادهم فأمر لهم بثلاثمائة جمل وثلاث مئة رأس خيل وثلاث خلع فقبلوا يديه وذهبوا وهم رافعون له الرايات البيض فلما وصلوا الى بلادهم سمعوا بصيت المنذر وابنه جابر فركبوا خيولهم وساروا قاصدين المنذر وابنه جابر فلما وصلوا دخلوا عليهم وقبلوا اياديهم فترحبوا بهم وأجلسوهم وقدموا لهم الطعام فلما اكلوا وانبسطوا دقوا على الرباب ساعة من الزمان فأشار عمار يمدح المنذر وابنه جابر بهذا القصيد :

قال الفتى عمار والقول صادق ... من طول عمري في الكرام اقول
نحنا سمعنا يا ملك بجودك ... وجود جابر في الفلا منقول
شعرا يا ملك جينا لعندكم ... نرجو العطا منكم بغير مهول
يا امير دلونا على احسانكم ... انا ورفقتي بلا مجهول
قالوا رح للأمير منذر ... حاكم بلاد الشيخ عرض وطول
وابنه جابر أصيل ومنتخب ... كفه على طول المدى بيطول

فقال لهم جابر ابشروا بالعطاء وامر لهم جابر بثلاثين جملا وثلاث مائة دينار فقالوا هذا ليس عطاء ملوك بلاد الشيخ فاغتاظ جابر وقال هل اعطاكم احد بمثلي هذا المقدار فقالوا نعم وأضعاف هذا العطاء وتقدم الشاعر فراج وأنشد يقول :

يقول الفتى فراج والقول صادق
انا أعلمك يا مير كل العلايم
على امير حاكم نجد جينا محله
اسمه جبير وحول منه عوالم
كريم عفيف الذيل راعي مروءة
يعطي العطايا مثل بحر عايم
اكرم علينا في عطايا كثيرة
وقال اعذروني يا خيار الأكارم
ثلاثماية من الجمال اعطانا
وعشرين عند من شداد العزايم
واعطانا أموال لا يحصى عددها
وسبق بالجود جودات حاتم
ما شفت انا بالشجاعة يامير مثله
ولا له مشابه بالعطا والمكارم

فلما انتهى الشاعر من كلامه غضب جابر غضبا شديدا وقال لابيه انا ما عندي جوائز لهؤلاء الشعراء الا القتل فمنعه ابوه وقال له مرادك ان تفضحنا وتحط من قدرنا عند الملوك والرعايا في سائر الدنيا لان اهانة الشعراء عيب وعار عند الاجاويد والاكارم فقال جابر لا بد من قتلهم ولكن بعد ان اثبت كذبهم واني مرسل اربعين شاعرا لعند جبير حاكم نجد فان كساهم ووهبهم كما وهب هؤلاء الشعراء فأصدق كلامهم وأعفو عنهم واكرمهم فحبس الشعراء الثلاثة وأرسل اربعين صعلوكا من صعاليك العرب بينهم ثلاثة شعراء الى نجد ليمدحوا الامير جبير وينالوا منه الجوائز ولما وصلوا دخلوا عليه فاستقبلهم بالبشاشة وترحب بهم وأضافهم عدة ايام وفي احد الليالي اشار احدهم يمدح جبيرا ويشكره على كرمه وجوده بهذا القصيد :

يقول المسمى سليم ابن راشد
فقلبي اليوم بالافراح عايم
الا يا مليكا في نجد العدية
يا ريت عمرك مدى الايام سالم
سمعنا عنك تكسي العرايا
وطعامك للجياع حاضر دايم
اتينا من بلاد الشيخ نحوك
وكنا عند منذر في الولايم
له بطل يسمى الليث جابر
شديد البطش ممدوح العزايم
اتينا نحوهم قصد العطايا
فاعطونا خيولا مع دراهم
أضافونا من الايام عدة
بعيش رغيد والصفو الملايم
اتينا اليوم قاصدين فضلك
نريد الجود منكم والمكارم

فلما فرغ الشاعر سليم من كلامه شكره جبير وقال له ابشر بالعطا الزايد انت ومن معك وأمر ان يعطوهم ثلاثة الاف جمل والف ناقة ومائة حصان ومائة فرس والفين من رؤوس الغنم وعشرين الف دينار فأعطوهم ما ذكر فتعجبوا من عطائه وكرمه وودعوه وساروا الى ان وصلوا الى بلاد الشيخ ودخلوا على المنذر وولده بخيرات لا تحصى وسلموا عليهما وشرحوا لهما عن كرم الامير جبير ملك نجد وكم اعطاهم من الخيول والاموال والجواري وقال سليم الشاعر اظن ان جبيرا هو ولدك فعند ذلك أطلق جابر الشعراء الثلاثة المسجونين واكرمهم اما المنذر فحن قلبه على ولده جبير واشتاق لرؤياه وانشد يقول :

يقول الفتى المنذر قد هام قلبي
ودمعي جرى فوق الخدود غزير
لو كان لي جنحان طير بالفلا
كنت أغدي نحو الحبيب وسير

شدوا معي يـــا قوم خيولكــم عسى الاله يسهـــل المســير
شوقي الى نجـــد العدية ومن بها شوقي لجبير صار شـــوق كثـير

عند ذلك انتخى الشباب وقالوا لقد اشرت بالصواب ونحن نذهب معك امــا جابر فقال لا تتعب سرك يا ابي لان جبيرا عبد يرعى بوش احد الملوك فقال له ابوه اسكت فسوف ترى صدق الشعراء ثم ان المنذر ركب وركب معه مائتان مــن الابطال وساروا الى بلاد نجد ولما قربوا منها ارسل المنذر اربعة فوارس يخبرون الملك جبير بقدوم ضيوف فأمر بدخولهم الى الصيوان فدخلوا وسلموا عليه وسلم عليهم فجلسوا وأخبروه بقدوم المنذر عليه فقال مرحبا به وامر العساكــــر ان تستقبله فركب الف فارس على اصايل سروجها من جلود السباع مطرزة بالذهب الابريز وضربت الطبول ونفخت الزمور واعتلى الامير جبير جواده ومعه اكابر دولته وساروا لاستقبال الضيوف ولما التقوا بهم نزلوا عن الخيول وسلموا على بعضهم وتعانقوا وانسكبت العبرات وندم المنذر على ما فات وساروا بهم الى الخيام فدخل المنذر الى صيوان ولده ومعه الوزراء والاعيان فعند ذلك اخـــذ جبير يترحب بوالده وينشد :

مقــال الفتى المسمــــى جبـيرا فقلبي ذاب مـــن كثر اشتياقـــي
الا يا مرحبا فيكــم جميعـــا لقد ضاءت بكـــم كل الآفـــاق
اخي جابـــر اليه القلب طائـــر لـــه حب بقلبي للدهـــر باقـي
فأهـــلا يا ابي شرفت قومـــا بقدومكـــم صرنا بأعلـــى طباق

فلما انتهى جبير من كلامه ضمه ابوه الى صدره وقبله واعتذر اليه وعند ذلك أحضر جبير والدته وأصلح شأنها مع والده ونسوا ما مضى ومرت الايام وهم في بسط وأفراح ثم اراد المنذر العودة الى بلاده فألح عليه جبير بالبقاء فأبى وقال سأزورك كل عام ان شاء الله فقدم له هدية عظيمة وهدية ثمينة الى اخيه جابر ثم ركبوا معهم وودعوهم وما زال المنذر سائرا الى ان وصل الى بلاده فدخل صيوانه واجتمع بأحبائه وأعوانه وسلم على ولده جابر وقدم له الهدية التي ارسلها له اخوه فكاد يتميز غيظا من الحسد فسأله ابوه عن السبب فقال لا بد من قتل جبير ولو صار فوق السبع طبقات فقال له ابوه اذهب عني يا اخس الرجال فتوارى جبير من أمامــه .

(قال الراوي) لقد امحلت بلاد الشيخ بعد مدة من الزمن فرحل الملك المنذر مع ابنه وقومه ونزلوا عند الامير مفلح في بلاد السرو وهناك توفي المنذر وتوفـــي بعده المفلح .

قصة الخضراء

قال الراوي اما جابر فرزقه الله اربعة اولاد ذكور وهم عامر وتامر وهشام وحازم ومن حازم اتى جامون ومن جامون حازم ومن حازم سرحان . وأتى من تامر ثابت ومنه دريد ونايل وأتى منه رزق ابو زيد . وهشام اتى منه مالك ومنه طوى ومنه مالك وأتى من عامر قان ومن قان فائد وهذا الفرع يكون بجملتهم خطابا فهذا ما تسلسل لجابر . أما الامير جبير حاكم بلاد نجد فله ثلاثة اولاد الاول رياح من ابنة الملك النعمان ومن رياح اتى خمير ومنه رياح ومنه غانم ابو دياب . والثاني حنظل من زوجته الثانية بنت الوزير ومن حنظل زهانة ومنه العقيلي حنظل الثالث النعمان من زوجته الثالثة بنت صخر ومن النعمان منيف ومن منيف مناف ومن مناف مقرب ومنه الماضي وكان الماضي يحكم على ثلاثين الف قرية من بلاد نجد لانه عصبة الجدين وكان اصل البلاد لجده النعمان عم جبير وباقي السبع سلاطين يحكمون على ثلثي البلاد ومعينة عليهم لانها واسعة الجنبات كثيرة الخيرات وماؤها غزير وهي مائة وعشرون الف قرية فكل سلطان اخذ لنفسه قسما من تلك البلاد فهذا ما كان من سلسلة اجداد بني هلال . أما الامير جابر فانه قبل موته ولى ابنه الامير حازم ابو السلطان سرحان ونادى المنادي باسمه في كل البلاد فأقام حازم في بلاد السرو مدة من الزمان وراقت له الاحوال وبينما هو في رغد وانشراح وعز وأفراح اتاه كتاب من حاكم مكة المكرمة وهو الامير قرضاب الشريف ابن هاشم من نسل بني هلال قال في كتابه لقد بلغنا ان الابشع ملك الروم قادم علينا في جيوش كثيرة يريد خراب البلاد ونهب الاموال وسبي الحريم والعيال .

(قال الراوي) وكان السبب في قدوم هذا الملك الجبار بجيوشه وعساكره

هو انه لما جلس على تخت الملك سأل أرباب دولته عن احوال ابائه واجداده وما لهم من الوقائع فقالوا له كان جدك هرقل من اشهر الملوك فقصده النبي صلى الله عليه وسلم بالعساكر والابطال وكان صحبته قوم بني هلال فهدموا بيوتنا وقتلوا هرقل وسبوا الحريم ورتبوا علينا الجزية فقال الابشع من هو الحاكم على مكة في هذه الايام قالوا له قرضاب الشريف بن هاشم وهو من بني هلال الذين يسكنون بأرض السرو فقال لا بد ان أقصده وآخذ منه الثأر وأكشف عنا العار ، ثم انه زحف بجيوشه من انطاكية الى حلب فملكها ونهب أموالها وأقام فيها نائبا من وزرائه ثم ملك حمص وحماه وملك طرابلس والبترون وجبيل وبيروت وصيدا وامتد حكمه الى نابلس والقدس وغزة والرملة واتخذ صيدا مركزا له ثم قصد الامير قرضاب الشريف فلما بلغ الامير قرضاب خبره اضطرب وخاف وقد رأى مناما افزعه وهو اسود وذئاب ونار وشرار وغبار ونزلت الثيران من السماء فأحرقت تلك الوحوش فاستيقظ من منامه خائفا وحكى منامه لامين الدين مفسر الاحلام وأنشد يقول :

يقول قرضاب الشريف بن هاشم	ولي قلب من جور الزمان ارتاع
ألا يا امين الدين اسمع قصتي	وافهم معانيها وكن لي مطاع
رأيت مناما هد حيلي وقوتي	ورماني بهمٍ وبلا وانزاع
رأيت سباعا مع ذئاب وبعدها	نمورا ووحوشا يملؤون القاع
الا يا امير الدين فسر لحلمنا	واشرح لنا ما خفي من الاوضاع

عند ذلك اخذ الرمال الرمل وفرده وتفرس فيه ثم انشد يقول :

يقول امين الدين عما جرى له	انا في كتابي رأيت الاهوال
ألا يا ملك قد بان بالرمل عندي	سيأتي الى مكة كثير من الابطال
وبعلى عجاج الخيل في ساحة الوغا	وتجري أمور مع حروب طوال
وأما الذئاب يجي عدو لأرضنا	ويلحقنا منه عنا وانكال
وأما السباع فهم رجال يجونهم	ويدعونهم بالمرهفات شلال
فتأتيك نجدة يا شريف تنصرك	ابطال تجيك من رجال هلال

فلما فرغ الرمال من تفسير المنام سريعا فركب العبد ناقة وسار الى صيدا فوجد عسكرا كعدد الرمل فسأل عنهم فقيل له ان الملك الابشع قاصد بلاد العرب ليأخذ بثأر جده فرجع العبد الى مولاه الشريف وانشد يقول :

يقول سعيد العبد والقول صادق	يا فارس الفرسان يا صنديد
أنا سرت نحو الشام وكل بلادها	وبأرض صيدا رأيت الابشع اكيد
قاصد اليك يا مير يا فخر الملا	وطاعت له الفرسان وصاروا لهعبيد
يا مير جهز لجيشك واحذر البطا	واطلب الفرسان من هلال الاجاويد

عند ذلك خاف الشريف وكتب الى بني هلال يستنجدهم ويقول :

يقول الفتى قرضاب عما جرى له | بدمع جرى فوق الخدود بـــداد
يا غاديا مني علــى متن ضامـــر | يسابق حــد المرهف البـــولاد
ان اتيت حي بني هلال وعامـــر | تلاقي بهـــا مــن الخيرين اجواد
فمنهم كبير القوم حازم اميرهـــم | وكل البوادي نحـــوه تنقـــاد
فاقريـــه مني الف الف تحيـــة | تحيـــة مشتاق الى الاسيـــاد
وسلم على سرحان والاهـــل كلهـم | ورزق البـــدر والامير طـــراد
قل لهم قلل الشريف بن هاشـم | الا فانجدونا يـــا عمام انجـــاد
اتى الملك الابشـــع الينا قاصـــد | ومعه قروما يا امـــير شـــداد
الينا الينا يـــا هلال جميعكـــم | يـــا قاتلين الضـــد والاعنـــاد

فلما انتهى القرضاب من كلامه اعطاه لعبده راشد وامره بالسير الى بني هلال فسار العبد بسرعة فلما وصل دخل على السلطان حازم وسلمه الكتاب فلما قراه غضب غضبا شديدا على الملك الابشع ومسيره الى مكة المكرمة ثم اعلم الحاضرين بما فيه فقر رأيهم على ارسال النجدات الى الشريف قرضاب فكتب الجواب الى قرضاب الشريف وختمه بهذه الابيات :

يقول الامير حازم ابشر يا قرضاب | بالنصر والفرج من رب الاربـــاب
واترك الخوف والفزع وياك تهاب | وانتظرنا اسبوعـــا ولا ترتـــاب
وخذ جيوشا عد الحصى وتـــراب | وأؤمرها بما شهت يا عالي الجناب
ابطال مسلحة بسيوف وحـــراب | تدحر العدوان وتفتت الاعصـــاب
وخيلا أصايل تسبق الريح وهباب | تقفز على الصور من فوق البواب
اهجم على الابشع هجمة ديـــاب | وارمي جثته للبـــوم وغـــراب
وادحر رجاله وردهـــم على العقاب | وشتتوا شملهم بين الهضـــاب
وافني عساكره بضرب الرقـــاب | واهدم بـــلاده اجعلهـــا خراب
وعد الى مكة وراية النصر تنساب | تخفق بالعلا مـــن ايدي الشباب
واعمل فرح وادع جملة الاصحاب | وعش بالمسره مدى العمر واحقاب

وبعد ان ارسل الكتاب الى الشريف قرضاب صاح على الابطال والفرسان ان يستعدوا للحرب والقتال وأشار يقول :

يا قوم اصغوا الى كلامي واسمعوا | وافهموا قولي يا جميـــع هـــلال
اعلموا ان الشريـــف قرضـــاب | هاجم عليه الابشع في الوف رجال
قاصد الى مكة يخـــرب بلادهـــا | ويقتل اهاليها ويشرد الاطفـــال
فانجدوا قرضاب يـــا اهل الوغا | واقتلوا الابشع ورجالـــه بالحال

ثم نهض الامير رزق يحرض على الجهاد ويقول :

يقول الامير رزق يا رجال اركبـــوا | على خيـــل كالطيور الطائـــرات
واجعلوا الاعداء طعامـــا للوحوش | واتركوا فرسانهـــم تغدو شتات

جند لو هم عالثرى بسيوفكم — واثبتوا في الوغى اعظم ثبات
يا كرام القوم هبوا بالعجل — انصروا قرضاب بسيوف مرهفات

عند ذلك ركبت الفرسان ظهور الاصايل وهم متسلحون بكامل الاسلحة وساروا الى مكة المكرمة فبلغ قرضاب الشريف خبرهم فخرج للقائهم مع السادات والابطال واستقبلوهم اعظم استقبال ولما دخلوا مكة ذبح لهم النوق والاغنام وانشد يقول:

قال الفتى قرضاب قولا صادقا — يا مرحبا بالاهل والاعمام
يا مرحبا بقدوم سرحان الفتى — يا مرحبا يا رزق يا ضرغام
يا مرحبا في قايد مع فايد — اولاد عمي القروم اللزام
يا مرحبا فيكم جميعا كلكم — فالهم عنا زال والاوهام

ثم خلع عليهم الخلع الفاخرة واثنى عليهم فأنشأ رزق يقول :

قال ابن نابل والقول صادق — يا امير اسمع لكلام اعمامك
جينا لعندك يا شريف بجمعنا — بأرواحنا نفديك مع خدامك
لازم بعون الله نهفى لك الابشع — ونقتل كل قومه قدامك

فشكره قرضاب الشريف شكرا جزيلا فقال له رزق ارسل لنا من يأتينا بأخبار الابشع فأرسل الشريف الجواسيس ولما عادوا قالوا ان العساكر نازلون على ارض تبوك فقال سرحان الرأي ان نهجم عليهم بالعساكر ولا نتركهم يصلون لهذه الديار فساروا جميعا بالجنود والابطال ولما تقابلوا نزل لساحة الميدان النعمان بن جابر وزير الابشع فجال بين الصفين وصاح هل من مبارز فبرز اليه سرحان فأنشأ النعمان يقول :

يقول الفتى النعمان عما جرى له — جينا اليكم طالبين الثار
اتينا اليكم في خيول كثيرة — ومعنا رجال تخطف الاعمار
وعددنا ميتين الف ومثلها — وميتين الف من مدافع نار
فأين تروحوا يا عرب وتهربوا — وانتم لنا كالزبد فوق بحار

فلما انتهى النعمان من كلامه اجابه سرحان على نظامه :

يقول الفتى سرحان يا نعمان اسمع — اتاك القضا يقصف لك الاعمار
ولا بد من تشتيتكم وتقطيعكم — واخذ حلايلكم مع الابكار
ونقتل الابشع وكل قرومه — وندعيكم فوق الثرى دمار
وكل فارس منا بجمعكم — يمحي جيشكم بالصارم البتار

(قال الراوي) فلما فرغ سرحان من كلامه التقى البطلان كأنهما جبلان وحان

عليهما الحين وما زالا في قتال الى وقت الزوال فقوي سرحان على الوزير وضربه بالسيف على هامه القى راسه قدامه فعند ذلك دقت طبول الانفصال وبات الفريقان الى الصباح ركبوا خيولهم واصطفوا للقتال فنزل سراج اخوه فقتله ولم يزل يقتل فارسا بعد فارس حتى قتل عشرين فارسا فانحمق الابشع ونزل الى الميدان وحمل على قرضاب فانحدر الامير قايد وانطبق على الابشع الوزير الى الميدان فانحدر له الامير قايد وتطاعنا بالرماح وتضاربا بالسيوف الى ان تعب سراج واراد الهرب فضربه قائد على هامه والقى رأسه قدامه فعند ذلك حملت قوم الابشع على بني هلال والتقت الرجال بالرجال وجرى الدم وسال الى وقت الزوال دقت طبول الانفصال فقتل من قوم الابشع خمسة الاف فارس وخمسمائة من بني هلال وفي الصباح برز فارس من قوم الابشع يقال له العملاق فبرز له قرضاب وضربه بالسيف قطع رأسه فبرز اليه اخر فتلقاه الابشع بالحسام وتضاربا وتطاعنا بالرماح فظهر القائد ان خصمه شديد فخاف على نفسه وولى هاربا فنزل الامير سرور فقتله الابشع فنزل اخر فقتله ولم يزل يجندل الفرسان حتى قتل ثلاثين فارسا وعند المساء رجع الابشع من الميدان وهو متكبر متجبر وفي الصباح نزل الى الميدان وطلب مبارزة الفرسان فبرز اليه سرحان وأنشد :

على ما قال سرحان بن حازم	كلامي جد ما فيه مزاح
أيا أبشع انا سلطان عامر	ابن حازم شديد في الكفاح
فلا تحسب بأني مثل غيري	انا قوم اللقا عند النطاح
فاثبت للقا ان كنت فارس	لخلي دمك على الثرى سياح

فحمل الابشع على سرحان حملة قوية فالتقاه سرحان بحملة اقوى وتجاولا وتضاربا ساعة من الزمان فرجع الابشع على سرحان فخاف سرحان على روحه وانسحب من الميدان بخفة الغزلان فنزل قرضاب الشريف فلم يثبت امامه الا ساعة من الزمان ثم ولى هاربا فنزل الوزير وتعارك معه قليلا ثم ولى هاربا وصارت تنزل اليه الفرسان فمنهم من يهرب ومنهم من يقتل حتى قتل اربعين فارسا فدقت طبول الانفصال ورجع الابشع الى قومه مرفوع الراس اما قرضاب الشريف فأعلن بين قومه ان من يقتل الابشع يزوجه بنتا من بناته فطمع الامير رزق ببنت الشريف ونزل في الصباح الى الميدان فنزل اليه الابشع فصدمه رزق صدمة قوية فقال له إرجع الى اهلك قبل ان تهلك فقال الامير رزق خسئت ايها النذل فانحمق منه الابشع وانشد :

قال الفتى الابشع على ما جرى	ونيران قلبي زايدات لهيف
انا فارس الهيجا اذا قام سوقها	أخلي الدما من حسامي نزيف
انا ملكت الروم يا مير والعجم	والهند والسند وارض الريف
من انطاكية وحلب لديرة حما	للشام الى غزة وكنت مخيف
الى مصر وارض الصعيد ملكتها	أمري بها سالك بلا توقيف

واليــوم جيت اليكم اورمكـــــم ... وأجنف عليكـــم يا عرب تجنيف
انا راعــي الناموس والعز والشرف ... ومدعي الفوارس بالحروب تليــف

فلما فرغ الابشع من كلامه اجابه الامير رزق على نظامه :

ايا ملك الابشع عرفنـــا خصايلك ... وسمعنا مضارك بالمدن والريـــف
اتيت الينـــا قاصـــد لقتالنـــا ... تخرب اراضينا يـا نذل يا سخيف
خاب ظنك والذي انت طالبـــه ... وجاك القضا ومنا تروح تليـــف
كم رميت مثلك ملـــوك بسيفـي ... وراحوا مـــن ضربتي تناتيـــف
ولا بد ما أقطع راســك بصارمي ... وخليكم بالوغـــى ترجفوا رجيـف
انا حامي الزينات بكـــل غـــارة ... ومطلـــع هوادجكـــم بيوم مخيف

ثم التقى البطلان كأنهما جبلان وعلا بينهما الصياح وهانت عندهمـــا الارواح وخطرت في بال رزق بنت الملك قرضاب الشريف فقوي على الابشع وطعنه فـي صدره اراحه من عمره فدب الرعب في قلوب قومه ورجعوا الى الوراء فهجم عليهم بنو هلال وشتتوهم في البراري والتلال وتقدم قرضاب الشريف وقبل الامير رزق بين عينيه وجمعوا أسلاب العدو وخيوله الشاردة ورجعوا الى ديارهم منصورين فقدم قرضاب الشريف بناته على الامير رزق لينتخب منهن عروسة توافقـــه وتليق به وانشد :

قال الفتى قرضاب فـي ما جرى ... ودمـــع الفرح هل على الوجنات
يا مير رزق انت قلبي والحشـــا ... دونك لمالي يـــا فتى وبناتـــي
بنتي خديجـــة ثم خضرا اختهـا ... معروفـــات بالأب والعمـــات
خـــذ ما تشاء يـا امير منهمـــا ... مـــا مثلهن في سائـر السادات
لولاك مــــا كنا دمرنـــا العـــدا ... ملك الابشع مـن حسامك مـــات
يا امـــير رزق الله يديـــم عزك ... يا صاحب العليـــا مع الهمـــات

فلما انتهى قرضاب من كلامه اشار الامير رزق يطلب الخضرا ويقول :

يقول الفتى رزق الذي شكـــا ... يا مير قرضاب اسمع نظـم أبياتي
انا رايد يـــا مير بنتـــك الخضرا ... انت تـرى لك بالعطـــا عـــادات
انتم بنو عمـــي ونحنا اهلكـــم ... عشنا جميعا فـــي ارض فـلات
ارض بهـــا نخــــل ورطب ... فواكهها يـــا امير مختلفـــات
فيها سفرجـل مع لـوز وفستق ... وجـــوز وعناب زيـــن الصفات
والتين والزيتـــون فيها والعسـل ... والدبس فيههـــا والعنب كومات
فيها اجمل الوحوش تمرح بأرضها ... والطير يغـــرد علـى الشجـرات
ما مثل نجد ولا في ساير المـــلا ... اراضيها مزروعـــات بالخـــذات
هذا مرادي يـــا مير فجد بهـــا ... وخلي القلب يزيـــد بالفرحـــات

(قال الراوي) فلما فرغ رزق من كلامه قال قرضاب الشريف ابشر ايها الامير رزق فقد نلت مرادك وستكون بنتي الخضرا زوجتك وانا ادفع لك مهرها ونفقات الكتاب والعرس ثم احضروا المشايخ وكتبوا كتاب الخضرا على الامير رزق ودام الفرح شهرا كاملا اما سرحان فقال لرزق تريد ان تتزوج الخضرا دون ان تشاور عمك الامير حازم فقال نشاوره وكتب مكتوبا بواقعة الحال وأرسله الى الامير حازم فلما قراه فرح بهذا القران الميمون واشار يهنيء الامير رزق بهذه الابيات :

يقول الفتى حازم على ما جرى له	دمــع الفرح مــن خدي سكيب
أيا غاد منــي على متن ضامــر	تسبق هبوب الريــح قبل المغيب
سلم على الامير رزق حبيبنــا	وقبــل اياديــه وكــن اديب
وقــل له ان الــذي قد فعلتــه	اقد سر اهالينــا وكــل حبيب
لك الخير يا رزق الامير مــع الرضا	بجــاه ربــي سامعا ومجيب
فسلم على قرضاب عمــك وعزوته	وكل امير في حماه مع الترحيب
وسلم على الخضرا الشريفــة وامها	وخديجة بنتها معطــرات بالطيب

ثم انه أرسل الكتاب الى مكة المكرمة وسلموه الى الامير رزق فلما قراه اعطاه الى الامير سرحان فقرأه على السادات والامراء وعند ذلك دقوا طبول الفرح وذبحوا الاغنام وعملوا الولائم واقاموا الافراح والليالي الملاح ولبسوا الخضرا أفخر الحلي والحلل ونصبوا لها صيوانا عاليا من الحرير مزينا بالذهب وزينوا داخله بالزهور والورود ووضعوا لها كرسيا من العاج له اربع تفاحات من الذهب الوهاج وبدات البنات ترقص على نقر الدفوف وهن يتمايلن كغصون البان ويغنين :

اسكب الكاسات واسقينا يا خــي	من شربهم وكان ميت عــاد حــي
نحنا زينات العرب اهــل الادب	معروفيا أصل ونسب من جد وبي
الفرح والبسط في أوطاننا عــم	يذهب الغم ويكوي العدو كــي
الفتى قرضاب وهــو اميرنــا	بالجود والكرم يسبــق حاتم طي

وعلى هذا المنوال كان الشباب يرقصون ويغنون ثم أمر الامير قرضاب بنصب ميدان للابطال والفرسان فاصطفت الرجال على ظهور الخيل وبدات مبــارزة الفرسان فظهر الشجاع وبان ثم دقوا الطبول ووضعوا موائد الطعام وداموا فــي بسط وانشراح الى ان قرب وقت الزفاف فغنت البنات الاغاني الشرقية ورقصن الرقصات البلدية ثم زفوا الخضرا على الامير رزق واقبل الامراء والاميرات يهنون العروسين على هذا الزفاف المبارك فدخل عليها ونال الوصال وتمتع بالحســن والجمال وبعد مدة طلب الامير رزق من عمه قرضاب ان يسمح له بالسفر الى بلاده فأذن له وشد لبنته الخضرا هودجا مرصعا بالجواهر وريش النعام واعطاها عقدا من الجوهر وعقدا من اللؤلؤ وعشرين جارية ومائة جمل وعشرة الاف دينــار واجتمعت البنات حولها يودعنها ودموعهن تنحدر على خدودهن كاللؤلؤ وتقدمت

اختها خديجة تودعها :

تقـــول بنت قرضاب اللي شكت
بدمع جرى فوق الخدود بـــدود

أيا خضرا اتانـــا الفراق وقد دنا
ولا عاد يهنا لنـــا ركون وقعــود

ولا عاد يهنها لـــي نوم ولا غفـــا
ولا عاد يهنا لي فراش ورقـــود

تفرقت الخلان وسافــرت الحبايب
متى شوف الخضرا الينـــا تعــود

هيهات عـــاد العين تشوفهـــا
وهـــذا مقدر من إلـــه معبود

ثم تقدمت عطر تودع ابنتها الخضرا :

تقول فتاة الحي عطر اللـي شكت
بدمع جرى عالوجنتين طفيـــح

لفراق خضرا صابني الغم والبـلا
واصبح فؤادي بالهمـــوم جريح

وكنا بخير مـــع سرور ونعمـــة
والعيش صافي والبسط مليـــح

يا بنتـي خضرا نصيبـــك اتاك
عسى تنالي الخـــير والتوشيـــح

كوني لبعلك سامعـــة ومطيعـــة
واكتمي السر ولسانـــك لا يبيـــح

فلما فرغت عطر من كلامها اشارت الخضرا تودع أمها :

تقول فتاة الحـي خضرا اللي شكت
وعيني لفقـــد الغانمين تجـــود

أيا حسرتي جاني الفراق وما بقـى
ســـوى ساعـــة ونعود شرود

أيا ليت شعري هل عاد نلتقـــي
ونحظى بلم الشمل بعد صـــدود

دعونا نودعكـــم ومنا تودعـــوا
وتشفـــى قلوب صابها هم ونكود

بكيت على اهلي وقومي وغربتـــي
وما عاد لي بين الاحبة قعـــود

أودعتكم لله ربـــي وخالقـــي
الله تعالى واحـــد معبـــود

ثم عانقوا بعضهم وتودعوا وركبت الخضرا هودجها وركب بنـــو هلال وركب قرضاب الشريف وقومه لوداعهم وساروا معهم نصف يوم فحلف عليهم الامير رزق ان يعودوا فأشار قرضاب يوصيهم ويودعهم :

يقول الفتى قرضاب فيما قد جرى
بدمع سال فوق الخدود بديـــد

يامير رزق الخضرا صارت حليلتك
غريبة وراحت الى بلاد بعيـــد

فأوصيك فيها يا امير تعزهـــا
لحتى يجيها يا امـــير وليـــد

اذا جاهـــا ولد وكـــان اسمـــر
لا تظن فـــي فعل الردا يا جيـــد

ترى ستهـــا سودا كان لونهـــا
وجدها كـــان اسود كالعبيـــد

تظن بالخضرا القبح مـــع الردى
وتجعلها فـــي سوء حال ونكيـــد

وتبقى حزينة مـــا لها مساعـــد
سوى دمعها عالخـدود يزيـــد

يقولوا هذه بنت الشريف طامحـــة
وعشقت على الامير رزق الجيـــد

فان صار لك شيء، سيرها لنـــا
فتأتي الينا فـــي بكا وتعديـــد

ونقتلها وتفضحنـــا بين المـــلا
وندعهـــا بين السيوف بديـــد

ويوقع سفك الدما بيننا وبينكـــم
وهـــذا بيانـــي والبيان مفيـــد

ولا تقطعوا الاخبار بيني وبينكـــم
اخبار مليحـــة تسر بالتأكيـــد

فلما انتهى قرضاب من كلامه انشأ رزق يرد عليه :

يقول الفتى رزق الـــذي شكــا — من فرقــة الخلان والبــلاد بعيـد
كلامــك عندي مسجل يا ملــك — وأنت عديـــل الروح يا صنديـد
ما شفت مثلك بالأنـــام جميعها — أيـــا برمكي يا ابن ست وسيـد
أعطيتني بنتـــا شريفــة طاضلــة — منخوبــة الجديــن بالتوكيـد
ونحن عبيدك يـــا شريف بـلا خفا — فافعل بنا ما تشتهــي وتريــد
وان اتاك عـــدو راد يحاربـــك — أرســل لنــا خبر نجيك ركيـد

فلما انتهى رزق من كلامه عاد قرضاب الشريف الى بلاده وسار بنو هلال الى بلادهم ولما وصلوا طلع الامير حازم لاستقبالهم بالطبول والزمور والزغاريد وسلموا على بعضهم البعض وبعد سنة ولدت الخضرا بنتا سموها شيحة فأنشأ الامير رزق يطلب من الله ان يرزقه ولدا ذكرا قال :

يا رب يا رحمن يـــا سامع الدعـــا — أيا مـــن له كل العباد تســـأل
أيـــا رب ترزقني ولـــد يسرنـــي — يحيى بـــه ذكري وأنال منـــال
بداوود وسليمان ويحيى ويوســف — بموسى وعيسى والمصطفى المفضال

بعد ذلك حملت امرأته وكانت تطلب من الله ان يرزقها ولدا ذكرا وخرجوا مرة الى بستان فرأت غرابا اسود يطرد الغربان ويقهرهم ويفتك بهم فقالت الهي أسألك ان ترزقني ولدا ذكرا ولو كان لونه اسود لعله ينشأ يغلب الفرسان ويقهرهم مثل هذا الغراب ثم أنشدت :

يا رب يا رحمن يا سامع الدعـــا — ترزقني ولد ذكـــر يـــا جبـار
يكر على فرسان البوادي جميعهـــا — ويعلو ذكره في سائر الاقطـــار
وينسر قلبـــي ولبي وخاطـــري — لانـــي شريفة مـــن بيوت كبـار

فلما فرغت من دعائها عادت الى الديار وعند تمام الحمل اتاها الطلق فوضعت غلاما اسمر اللون وراح المبشر الى الامير رزق وبشره بالغلام ففرح به وذبح الذبائح وأقبل الناس يهنونه وسألوه عن اسمه فقال بركات وسلموه لبنت عسجم ترضعه وبعد سبعة ايام اتى الامير حازم وسرحان وبقية الامراء لعند رزق لينقطوه فأتوا به فلما رآه سرحان عض على اصابعه وقال لرزق هذا الولد اسود مثل العبد ثم أنشد يقول :

يا مير رزق ليس هذا خليفتـــك — هـــذا ابـــوه عبـــد اســـود
سميته بركات بــــه ضاع الهنـــا — راح الفـــرح عنا وجاء الانكـــد
يـــا رزق قد ضيعت نسلك بالنبي — والسعـــد ولى ونحسـك يصمـد

فلما فرغ الامير سرحان من كلامه اغتاظ الامير رزق وانشد :

قال الفتى رزق الامـير بما جرى ... الدمع مـن عيني لخدي تبـدّدا
يا قوم كونـوا كلكم علي شهـود ... تكـون خضرا طالقـة ترحل غدا
وحياة راسي مـا بقيت شوفها ... لـو كان جسمي في هواها مقيدا
ما عاد لي رأسا بقـا يرتفـع ... والقلب قد عاد مكودا اسـودا

(قال الراوي) فلما انتهى رزق من كلامه قال سرحان اسرعت يا رزق بطلاق امراتك انا امزح معك والله ما سمعنا على الخضرا ما يسوء بسمعتها ومن يوم الذي اتيت بها ما خرجت لعند جارتها ولا رآها احد فقال له رزق انت السبب في طلاقها ثم انه صاح بالعبيد احملوا ستكم الخضرا بالهودج وارسلوها الى أهلها فصاحت به الخضرا ما بالك يا امير غضبان فأنشد :

طلبنا من الرحمان جـل جلالـه ... غلاما ظريف القد عنـد النواظـر
اتانا غلام اسمر اللـون باهـر ... فرحنا ودارت فـي هلال البشائر
قالوا الامارة هات المولـود ننقطه ... فرب الملا امـر بجبر الخواطـر
ناديت للدايـات جابـوه بينهم ... محمـول على الراحات بالحرايـر
فقال لنا سرحان طفلـك اسـود ... فلا تحسبوه مـن هلال وعامـر
فاما هلال بالعيـون تغامـزوا ... وامـا دريد يضحكـوا بالمحاضر
ومن زعلي طلقتك الان طلقـة ... وعادت الى قلبي لهيب المجامـر
خـذي طفلك وأموالـك كلهـا ... وروحي الى اهلك من غدا باكـر

فتأثرت منه لكونه طلقها بدون سبب وأشارت تلومه وتقول :

تقول فتاة الحي خضرا اللي شكت ... بدمـع جرى مـن مقلة العين حادر
أيا مير لا ترمي بعرضي شناعـة ... انا قط ما اعرف دروب المناكـر
أيا مير من حين دخلت لأرضكـم ... فلا رآنـي عبد ولا سيد عابـر
وحاشا لمثلي ان كان تميل الى الخنا ... وانا حليلة رزق كالسبـع كاسر
غريبة حزينة مـن بلاد بعيـدة ... يجازيـه ربي بالبـلا والمرايـر
تردنـي لأهلي ودموعـي حوادر ... وان كان بسرحان اراد يضرنـي
ويقتلني ابـي بين الناس كلهـم ... ويدعى دمي على الارض قاطـر
يا ليتنـي قد مت قبـل فرقكم ... ولا نتبهدل بين كـل المشايـر
ولا بد ابنـي بركـات ان يكبر ... ويدعيك فـي شؤم البلا والمصاير
الى الله أشكو حالتـي لا لغيره ... ومن يشتذي لله مـا ظن خاسر

فلما فرغت الخضرا من كلامها بكت وبكى رزق وقال لها هذا مقدر من الله ثم امر العبيد بشد هودجها فشدوه وأعطاها الصيوان بما فيه ومائة ناقة وأربع عبيد وست روس خيل ثم قال للامير قايد وصّل الخضرا لعند اهلها فركبت هي وابنها بركات بالهودج وأخذت بنتها شيحا في حضنها تودعها بهذه الابيات :

تقول فتاة الحـــي خضرا الحزينة | بدمع جـرى فوق الخدود يعـــوم
أيا شيحا ابكي ونوحي على امـــك | من بعدها عـــاد القصر مهـــدوم
ليتك يا سرحان بالبـــلا واقـــع | يجازيـــك ربـــي بكـــل سموم
أيا رزق أحرقت الفؤاد بكلمتـــك | وبيني وبينـــك واحـــد قيـــوم
ولا بد من بركات ان طـــال عمـــره | يجيكـــم على ظهر جواد عـــزوم
ويأخذ بثاري منكـــم جميعـــا | ويجعلكـــم طعـــم الرخـــم والبوم
أيا بنتي شيحا يا ضو مقلتـــي | ويا نور عيني والحشا المألـــوم
فمن عاد يضحـــك ويبوس تمـــك | ويزيل همك ويخلي عـــزك يـــدوم

ثم ان الخضرا بكت وابكت الجميع على حالها وتودعت من بنتها وسلمتها لابيها ثم ساقوا الهودج والنوق وساروا مع الامير قايد مدة من الزمان أما الامير حازم فقال لابنه سرحان هل يحل لك ان تفرق بينهما وبين زوجها يا ردي فقال سرحان انا ما كان قصدي ان يطلقها ولكني كنت أمزح .

(قال الراوي) ودخلت على حازم وسرحان فاطمة بنت عسجم وقالت لسرحان الله يجازيك على اعمالك الرديئة ثم انشدت تقول :

بكت فتـــاة الحي فاتنـــة النسا | بدمع جرى فوق خدي سكابهـــا
بكيت على فتاة امـــيرة مهذبـــة | محسن حواجبها ومحسن شبابهـــا
فحاشى لها مـــن العيب والـــردى | وحاشا يجي الخنا لا يم بابهـــا
فان طاعني رزق الامير وسرنـــي | مشى للخضرا الشريفـــة وجابها
فأسرع يا مير للخضرا وجيبهـــا | فالخضرا عفيفة وما ينسخـــى بها
ولا عاد يوجد مثلها طول المـــدى | ولو فتش الدنيا وقلب جنابهـــا

فقالوا هذا الذي صار اما الخضرا فصارت تبكي على حالها فقال لها قايد لماذا تبكي يا خضرا قالت متى وصلت الى اهلي ورأوا هذا الولد وعرفوا اني مطلقـــة يقتلونني فالرجاء ان لا تودينى لاهلي بل ارسلني الى بلاد احد الامراء فلا يراني اهلي ولا يعلمون بي فقال لها اذن أوصلك الى الملك الزحلان فما على وجه الارض أكرم منه ثم انهم ركبوا وساروا فلما قربوا من بلاده قال لها هذه بلاده فادخليها بسلام ثم ودعها ورجع الى بلاده اما الخضرا فانها سارت هي وعبيدها طالبة منازل الزحلان وكان للزحلان اخت ولها ولدان الاول جابر والثاني جبير فقال الزحـــلان لجابر اربط في وادي الدقايق وقال لجبير اربط في وادي النسور فأخذ كل واحد الف خيال وربطوا فما احد اتى من قبل العدو ابو الجود ولكن جابر رأى الخضرا قادمة فاستقبلها وسألها عن حالها فقالت انا ضيفة قاصدة الملك الزحلان فقال جابر اهلا بالضيوف وبدأ يترحب بها ويقول :

أيا مرحبا بالضيف الذي اتى لبلادنا | عدد ما مشيتم على وجه الرمـــال
فان كنتم مديونين وفينا دينكـــم | ونعطيكم منـــا كثير أمـــوال
فمن أي ارض اتيتـــم بلادنـــا | ومن أي قوم أخبرونـــا بالحـــال
قال الفتى جابر على مـــا جرى له | ردوا جوابـــي يـــا كرام بالحال

عند ذلك اخبرته الخضرا بما جرى لها مفصلا فقال مرحبا بك يا بنت الشريف ثم اخذهم وأنزلهم مقابل صيوان خاله ولما جاء خاله رأى صيوانا مكتوبا عليه هذا صيوان الدريدي فقال هؤلاء اعداؤنا وصاح بعبده ويلك لمن هذا الصيوان فقال له هو صيوان ضيوفك فقامت الخضرا وسلمت عليه وأشارت تقول :

دهري ضناني يا امير وهانني — وقلبي كواه الهم والاحزان
أتانا الملك الابشع يهدم بلادنا — ويهدم معابدنا وسائر البلدان
فأرسل ابي الى هلال وجابهم — وقد قتلوا الابشع بحد السنان
وزوجني ابي لرزق وجابني — لعند اهله هلال فهذا قد كان
جبت له بنت مليحة زمانها — سميتها شيحة بلا كتمان
وبعد سبعة أعوام جبت بعدها — ولد ذكر فهد من الصبيان
ولكنه باللون يا امير أسمر — هنوا به رزق سائر العربان
أما الامير سرحان لما شافه — شبه بالعبد من السودان
فقال رزق تكون خضرا طالقة — وأعطاني ذا البوش والرعيان
وقال يا قايد روح وديها — لاهلها حقا بلا كتمان
فقلت يدروا بحالي ويقتلوني — وابني رضيع يا فتى الزحلان
فجيت لعندك أستظل بظلك — وقلبي بشوفتك غدا فرحان

فلما فرغت الخضرا من كلامها ترحب بها الزحلان وقال :

يا مرحبا بك يا شريفة بأرضنا — وآضى بك حي لنا ومكان
أقبل علينا السعد حين قدومك — وزال عنا الهم والاحزان
فطيبي وقري يا شريفة بأرضنا — عليك أمان الواحد الديان
وانت مثل بنتي زهية وازود — فتشجعي ولا تخشي من العدوان
اربي بركات مع نعيم ومنعم — واعطيه سلاحا وأعطيه حصان

ففرحت الخضرا فرحا عظيما وشكرته على كرمه وجوده ثم انه اعطاها بستانا وأراضي مثمرة تعيش من جناها وأمر اخته بسما ان ترضع بركات فعاش مع نعيم ومنعم اما الزحلان فجمع اموالا وأرسلها الى ابي الجود ولما كبر بركات وضعه الزحلان مع ولديه عند الخطيب يعلمهم القراءة والكتابة وكان بركات ينادي الزحلان يا ابي وكان يظلم الاولاد في المكتب ورآه الشيخ مرة يضرب الاولاد فضربه الشيخ ضربا أليما فقال له لماذا تضربني أما تعلم ان ابي الزحلان فلا بد لي ان أنتقم منك فخاف الخطيب ان ينتقم منه الزحلان وأشار يخاطب بركات ويقول :

يا ولدي بركات ليتك سالم — وطول عمرك ما تشوف تكدير
فسامحني يا بركات واجبر بخاطري — لاني ندمت على ضربك كثير
وأنا أعلمك لسان الترك والكرد — ولغة الطليان ولغة البربير
ولسان فارسي وأجنبي ينفعك — ولسان سرياني تصير مشير
واعلمك علم الصباغات كلها — فتصير مثلي فاهما وخبير

فقال بركات ان علمتني ما ذكرت لي اعطيك كل يوم دينارا فصار الفقيه يعلمه ليلا ونهارا وعلمه لعب الرمح وابواب الحرب مدة خمس سنوات حتى تعلم جميع العلوم فصار الزحلان يأخذ اولاده وبركات الى الصيد ويركبهم على الخيل يلعبون الجريدفرأى بركات ماهرا فزادت محبته له ودخل بركات اسطبل الخيل وانتخب منها فرسا وحصانا اشقر وحمارا وصار يسوسهم الى يوم من الايام ورد الـى الزحلان كتاب من ابي الجود يطلب منه المال فتأثر وتغيرت ملامح وجهه فقـال له بركات :

اسمع كلامي يـا ابي ورد الجود ... قل لي لماذا تزعـل وممن تغضبي
ان كنت مديونا ومالـك لا يفي ... اغزو انا يـم الاعادي وأكسبـي
لا تخش من كل خصم في الورى ... لو كان خلفـه مية الف تركبـي
انا بطل مقـدام فـي الوغـى ... وكل جيش مـن حسامي يهربـي
واجندل الفرسان لا اخشى الردى ... وادعـي امير القوم مني يرعبـي
فأرح نفسك مـن عناء وابتهـج ... وعش سعيدا فـي حياتك يا ابي

عند ذلك قال الزحلان لبركات بارك الله فيك ولدي فأنا سعيد بك وببطولتك وهذا كتاب من عدونا ابي الجود يطلب فيه منا الاموال فأخذ بركات الكتاب وقرأه ثم شقه رماه وقال لابيه الزحلان انا ارد له الجواب فكتب يقول :

يقول الفتى بركات والقول صادق ... ابو الجود ترسل لابـي تهديـد
تعلن على الزحلان بالحرب يا ردي ... وتمجـد بروحك يا غبي تمجيـد
انا وحق الله وحدي أكيدكـم ... انا مثـل سبع الغاب وازيـد
ارسلت تطلب منـا عشر اموالنا ... يا مغرور يا منهـان يـا بليد
فكانت حمامة يا هبيـل وطارت ... وراحت مـن يدك لمكان بعيـد
انا حامي البيض في ساحة الوغى ... انا مرعب الفرسان قـرم عنيـد
انا طالبك للحرب والكر واللقـا ... ويفوز منا الذي يكون شديـد

ثم انه أرسل الكتاب مع راشد عبد ابي الجود فلما قرأه قال للعبد من كتب هذا الكتاب قال له عبد الزحلان فقال ابو الجود الا يليق بنا ان يكاتبنا الزحـلان فيأمر عبده ان يكاتبنا ولكني سأركب اليه وآخذ روحه من بين جنبيه ثم انه أمر بالركوب فدقت الطبول وركبت الفرسان على الخيول وساروا طالبين الزحـلان فلماوصل الخبر لبركات لبس عدة حربه وانتخب الف فارس وساروا الى القتال وتبعه منعم ونعيم مع بعض العساكر فقال الزحلان ان بركات ليس منا وهو يدافع عنا وعن حريمنا فنحن اولى منه بالدفاع عن أوطاننا فدق طبله وأمر الجيش بالمسير ولما وصل الخبر لعدوهم ابي الجود قال له وزيره ارى ان اسـير بعشرة الاف فارس فقال ابو الجود أسرع وفاجئهم بضرب الحسام فأخـذ عشرة الاف فارس وسار بهم الى ساحة الميدان واجتمعت الفرسان بالفرسان والابطال بالابطال وقام

سوق الحرب والطعان وهلك كثير من الابطال والتقى الوزير ببركات فتقاتلا ساعة من الزمان حتى انعكست بينهما ضربتان قاتلتان فكان بركات أخبر بمواقع الطعن وأرشق فأتت طعنته في صدر الوزير فوقع قتيلا ولما رأوه قومه قتل ولوا هاربين واخبروا ابا الجود ان عبد الزحلان قتل الوزير فتأسف على مصرع الوزير وسار بالعساكر الى الميدان والتقت العساكر بالعساكر وانطبقوا على بعضهم البعض وصار ضرب السيف وطعن الرمح الى المساء دقت طبول الانفصال ورجعوا الى اماكنهم وباتوا الى الصباح فبرز بركات الى الميدان وطلب ابا الجود فنزل اليه وقال له من انت ايها العبد فقال له اسمي مسعود بن عمار ومرادي أقطع رأسك بهذا السيف فأخذ ابو الجود يهدد بهذه الابيات :

يقول ابو الجود الامير المرجفي	النار في قلبي تهب وتنطفي
انت يا مسعود يا كلب العرب	ما انت بالحرب قدري تعرفي
عمال تهرج بالكلام وتفتخر	وأنت فارغ مثل طبل أجوف
اليوم يومك ما بقى لك ملتجا	من حد سيفي ما بقي لك مسعفي
ارتمى عليه بركات يقبض روحه	يقطع وريده بحد المرهفي
لا بد ان تفنوا جميعا في الوغى	وندعي دماكم عالثرى تنزفي
لا تحسبوني عبدا انا بطل اللقا	نجل الامارة زاكيا ومشرفي

فلما فرغا من كلامهما التقيا كأنهما مركبان وزعق عليهما غراب البين ولم يزالا في اخذ ورد وقرب وبعد الى ان طعنه بركات بالرمح في صدره طلع يلمع من ظهره ثم كر على قومه وصاح فيهم اتاكم الفتى بركات ولحقه الزحلان ومنعم ونعيم وباقي الامراء والابطال ولم يزل الحرب يعمل والسيف يسفك الدماء الى ان ولوا الادبار وركنوا الى الفرار ثم عاد بركات ومن معه الى الاوطان فقبله الزحلان وشكره على همته وشجاعته ثم اعلن في بني زحلان ان بركات هو الامير من بعدي وهو الحاكم على الجنود والعساكر ولما دخلوا بلادهم استقبلتهم النساء بالغناء والرقص والزغاريد وأحاطوا ببركات واثنوا عليه وشاع ذكره في سائر القبائل فوصلت أخباره الى بني هلال التي أمحلت اراضيهم في تلك الايام فقال حازم انظروا لنا ارضا مخصبة ننزل عليها فقالوا ما لكم غير ارض الزحلان ولكن سمعنا ان له ولد اسمه بركات وهو بطل صنديد وقد حارب أبا الجود وقتله فقال رزق انا أكفيكم شره وشر قومه فرحل بنو هلال الى تلك الاراضي ونزلوا على عين قطف الزهور فأسرع الرعيان الى الحي وأخبروا مولاهم ان بني هلال اتت ترعى بمراعينا وكان بركات بالصيد فصاح الزحلان بقومه ودق طبله وقال متى عاد بركات من الصيد يخبروه وسار الى ان وصل الى بني هلال فاصطفت العساكر وبرز الزحلان الى الميدان وصاح في بني هلال أنا ملك هذه البلاد والارض ارضنا فارحلوا عنا بسلام فهو خير لكم وما أتم كلامه حتى برز اليه الامير رزق فارس الفرسان فصاح فيه الزحلان وانشد يقول :

من أي باب قد دخلتوا بلادنـــا رعيتم أراضينـــا وكل كهـــوف
وأنتم أعداؤنا من عصر جدكـــم ومـــا تعرفون الجود والمعـروف
فما لكم عندي سوى الطعن بالقنا ونفني جميعكم بضرب السيـوف
فقوموا وارحلوا مــــن بلادنـــا ومن يبقى منكـــم راسه محذوف

فرد عليه الامير رزق يقول :

أيا ملك زحلان اسمع لقصتـــي وكون لقولي فاهمـــا وعـــروف
نحنا اتيناكـــم مــن المحل والفلا محلت اراضينـــا وكل كهـــوف
جينا لكـــم نستظـــل بظلكـــم فكن يا امير للمحتـــاج سعـــوف
ونعطي اليـــك العشر من مالنـــا وان أبيتوا فاصمد لضرب سيـــوف

(قال الراوي) فلما فرغ رزق من كلامه وقع بينهما ضرب السيف الى نصف النهار وخرجت منهما ضربتان أما ضربة الزحلان فأبطلها الامير رزق بطارقة البولاد وأما ضربة الامير رزق فنزلت على الزحلان وجرحته في كتفه وقطعت عنق الجواد فوقع الزحلان وأدركه اولاده وحملوه الى صيوانه وكان الفريقان قد التحما فـــي القتال الى المساء دقت طبول الانفصال فرجع كل فريق الى مكانه ولما عاد بركات من الصيد رأى الزحلان طريح الفراش فارتمى عليه يقبله ويتأسف لمصابه ثم انه صبر الى الصباح فركب جواده وطلب الميدان وكان عند بني هلال ضيف يقال له غانم كان قد اتى يخطب ام دياب بنت القاضي فأخذته الحمية وبرز الى الميدان وصار قدام بركات وقال أنا غانم الزعبي فقال له اين رزق الدريدي فقال هو في الصيد وأنا عوضا عنه ثم اشار يقول :

يقول الفتى غانـــم استمـــع انا مفرج الكـــروب بين العرايب
وأنت صغير السن ما انت قدنـــا فتبرز لاصحاب اللحـــا والشوارب
فلا تبتلش بالحرب نرميك بالفنـــا وتمسي قتيلاً يفقـــدوك الحبايب
فرد الامير بركات وقـــال لـــه انا كاسب الجـــود انا غير هايب
تعيرنـــي في صغر سنـــي جهالة فان جربتنـــــي لقيت الصعايب
ومن لا يشتري روحه بروح بدالها يكون بين الناس جبـــان وعايب
لسانك حصانك تصونه يصونـــك وان خنته رمـــاك بأكبر مصايب
تراني افتك بخصمـــي على الثرى بطعن يخرق صلبـــــه والترائب
واقطع لزغبي مـــع دياب وعامر وهـــلال وقيس وكـــل الكتايب

ثم انهما هجما على بعضهما والتحما في الحرب والقتال ساعة من الزمان ثم ان بركات وثب عليه وضربه بالبتار فجرحه جرحا بليغا القاه على الارض فقال له قم واسرع داو جرحك وارسل غيرك فقام غانم ورجع الى اهله والدم يسيل من جرحه فضمدوا جرحه ولزم الفراش وأما بركات فصاح هل من مبارز فنزل اليه الامير عمار فقوي عليه بركات وقطع رأسه فنزل اليه القاضي فجرحه فاستجار

به فعفى عنه ولم تزل الفرسان تنزل الى بركات فيصرعها على الثرى الى ان قتل عشرين فارسا وجرح ثلاثين وأسر اربعين وفي اليوم الثاني برز بركات الى الميدان فنزل اليه سرحان فطعنه بركات بالرمح اصاب فخذه ثم هجم على قوم بني هلال وشتت شملهم ولما رجع رزق من الصيد سمع البكاء والعويل ودخل على سرحان رآه مجروحا فأنشد سرحان يقول :

قال الفتى سرحان عما جرى لـــه	يا رزق صار بلال أمـــور عجايب
يا ابن عمي استمع شرح قصتـــي	بركـــات صيرنـــا بسيفـه ذهايب
أما الفتى قايد وفايـــد وغانـــم	يذرفوا على الفرسان دموعا سكايب
قالوا ارحلوا عنهم فوتوا طعونكـــم	وفوتوا النسـا مع البنات الكواعب
وما لنا يا رزق سلطة عليهـــم	أسيافهم تقطـع الاعناق والمناكب
أنا الشور عندي ترحلوا لبلادكـــم	في ظـــلام ليل شديد الغياهب

فلما فرغ سرحان من كلامه قال له رزق أنا ابرز اليه واكفيكم شره وفي اليوم الثاني برز بركات الى الميدان فبرز اليه الامير رزق وصدمه فصمد له بركـــات والتحما في القتال الى وقت الظهر فتعب رزق وطلب من بركات ان يقف عن القتال حتى يستريحا قليلا فقبل بركات ونزلا عن جواديهما فأراد رزق ان يغدر ببركات فمسك بيده الحربة وكان في الهودج شيحا بنت رزق فصاحت انتبه يا بركات فرأى الحربة بيد رزق يريد ان يرميه بها فقال له أتريد ان تقتلني غدرا ايها النذل وقفز الى ظهر الجواد فركب رزق جواده وجددا الكفاح بضرب السلاح الى ان انجرح رزق في فخذه فتألم منه ووقع الى الارض واراد بركات ان يقطع راسه فصاحت به شيحا لا تقتله واجعله عتيق سيفك فتركه وعاد رزق فاستقبلـــه سرحان وقال له كيف رأيت هذا الغلام فقال اريد ان تضرموا النار وترموا بنتي شيحا فيها لانها عشقت بركات ونبهته الى الخطر فقد كنت على وشك ان اقذفه بالحربة فصاحت به انتبه يا بركات فانتبه وقفز الى الحصان وجدد الحـــرب وطعنني في فخذي فسألها سرحان قائلا كيف عشقت عبدا ونبهته من ضربة ابيك فقالت ان بركات اسمر واخوه نعيم ابيض ومنعم ابيض فلماذا لم يطرد ابوهـــم الزحلان أمهم كما طرد ابي امي واخي فلو كان اخي بركات عندنا الان لكان حارب معكم وانا لم اعشق بركات ولكن ابي اراد ان يغدر به فنبهته لان الغدر من صفات الانذال وأنا لا اريد ان يكون ابي نذلا ثم انشأت تقول :

بكيت على أمي واخي لما رحلـــوا	وعلى فراقهم عفت الاهـل والدار
يا ليت من كان السبب بفراقهـــم	يبلى بحربـــة من يـــد جبـــار
فحاشا للخضرا من العيب والخنـــا	وحاشا لشيحـــة تتهم بالعـــار
نحنـــــا أصايل يا امير وشرفـــا	من نسـل طـــه صاحب الانـوار

فلما فرغت شيحا من كلامها قال سرحان والله يا رزق ما عليها ملام فقال حازم اظن ان بركات ليس ابن الزحلان يمكن يكون ابن رزق فأرسلوا الى مكة من

يسأل الشريف عن بركات وامه ثم انه قال للعبد مرزوق اذهب واستخبر لنا على بركات وأمه فذهب لمكة ودخل على الشريف وقال له انا عبد الامير رزق صهرك ضربت رجلا من بني هلال وخفت من سيدي وجئت اليك لتكتب لي كتابا الى سيدي ليعفو عني فقال على الراس والعين ولكن اخبرني عن بنتي الخضرا وما عندها من الاولاد فعلم انها ليست عنده وما عنده خبر عنها فقال له لا أعلم عنها شيئا لاني لم انظرها ابدا فكتب الشريف كتابا الى الامير رزق قال فيه :

يقول الفتى قرضاب والقول صادق ... الايام والدنيا تسوي العجايب
نعم ايها الفادي على متن ضامر ... سريع الخطا في سيره والسباسب
قل لرزق يرسل الخضرا لنا ... حتى تشوف اهلها والقرايب
نريد نزوج اخاها بلا خفا ... ونفرح به وينجمع شمل الحبايب
ومن كان رايد منكم فليشرف ... يحضر الينا وينال الرغايب

ثم اعطى الكتاب للعبد فأوصله الى سيده حازم ولما قراه قال لقايد لماذا لم ترسل الخضرا الى اهلها فقال ان الخضرا خافت ان يقتلها ابوها فقالت لي خذني الى الزحلان حتى اربي ولدي في ظله فأوصلتها الى الزحلان واظن ان بركات ابن رزق فقال حازم لرزق انزل الى الميدان وقل انا لا احارب ولدا لا يعرف اباه فيقول لك ابي الزحلان فقل له اذهب واسأل امك تخبرك من هو ابوك فنزل رزق الى الميدان ونزل له بركات فصاح به رزق انا لا أقاتل ولدا لا يعرف أباه فقال انا ابن الزحلان فقال رزق انه قد رباك وليس هو اباك واسأل امك الخضرا تنبيك بالصحيح فترك بركات الميدان ورجع وكان معه حشيشة اذا بلعها الانسان يصير كأنه ميت ساعة من الزمان فبلع الحشيشة وتغير لونه فقالوا له هل ضربك رزق قال طعنني في قلبي واظن ان موتي قريب واريد أودع امي وسار الى امه ولما وصل اليها وقع ميتا فولولت ومزقت ثيابها وغشي عليها ولما افاقت أنشدت تندبه وتقول من فؤاد متبول :

بركات يا خليفة الحزين ... يا عقد جوهر مع السالمين
اهلك نفوك بالغربة رموك ... أمك وأبوك من الغانمين
ابوك الهلالي قليل المثال ... نهار القتال من البارزين
ابوك رزق وخالك حسام ... اهلك من السرو ناس كرام
لمكة اتوا عرب زائرين ... اقاموا سنة لراس العام
بعدها اتانا قوم لئام ... قتلهم رزق بضرب الحسام
قتل الابشع ومعه الوزير ... وبعده قتل جمعا غفير
قال له ابوي اطلب تنال ... قال مرامي الخضرا بدرب الحلال
ونحنا نحب اهل الكمال ... كتب النصيب رب العالمين
ودعت اهلي وسرحان شال ... ورحنا الى السرو مسرورين
وقد جبت شيحا مثل القمر ... وجبت صبي عزمه متين
اتى سرحان لعند ابيك ... شافك اسمر من كل جنين

قال لأبــوك انظر يــا سيدنــا
هــذا الغــلام يشبه عبيدنــا
فاغتــاظ منــــه ابــــوك
وطلقنــــي وما لـــي مـن معين
جينا لعند الزحلان رحب فينــا
وقعدنــا عنــده عــدة سنين
فقيموا البكا والنوح يا بنـــات
حيلي انقطــع بركات مـــات
ولـــى زماني وعـــزي فــات
وراح منـــاي وعينـــي اليمين

ثم مالت على بركات تقبله ففتح عينيه وقال لها انا حي وهل صحيح كل ما تكلمت به قالت نعم ان رزق ابوك وسرحان عمك فقال بلغني الخبر وسأنتقم من رزق فقالت له اياك ان تفعل ما قلت ولكن اعف وسامح اكراما لي فقال لها اريني العقد فأرته اياه فاذا هو عقد امه على رزق فشقه ورماه وقال انا ابي الزحلان رباني ١٥ سنة وسوف أقهر رزق وأضعه بين يدي الزحلان يفعل به ما يشاء وحالا رجع لبني هلال وغار عليهم وقتل منهم مقتلة عظيمة وهو يقول يا لثارات الزحلان فتقدم سرحان وقال انا عمك يا بركات ورزق ابوك أخطأنا ومنك السماح ونحن اهل والدم لا يصير ماء فقال لسرحان انت اتهمت امي زورا وبهتانا فيجب علي ان اقتلك وحمل عليه بركات فولى سرحان هاربا فقال له رزق أتهرب يا سرحان فقال لــه سيف يرمي رقبتك ورقبة ابنك اذهب اليه وصالحه لعله يعفو عنا فلما تحقق رزق ان بركات ابنه اتى اليه وسلم عليه فقال له وقعت يا رزق انت اتهمت امي وطردتنا فربانا الزحلان وأتيتم الى بلاده وجرحتم فخذه وكاد يموت من هذا الجرح فقال له انا ليس عندي خبر انكم عند الزحلان فاذهب الى اختك شيحا فقال له انــا احضر اختي لعند امي وانا اليوم قاتلك لا محالة وحمل عليه فصار رزق يتوارى من ضرباته ويقول له أتحارب أباك يا بركات فلم يسمع كلامه وضربه بالسيف فتلقى الضربة بالدرقة فنزلت على رقبة الجواد فقطعتها وقفز رزق الى الارض فأسرع بركات اليه وكتفه وسار به الى الزحلان فقال سرحان لبني هلال ان بركات لا يقتل رزق لانه حلف يمينا ان يأخذه للزحلان فقال قايد كنا نقول ما في أفرس من رزق فتبين لنا ان بركات أفرس فيلزم ان نسميه سلاّمة اما رزق فقال لبركات لا تدخلني لعند الزحلان ذليلا مهانا فيشمت بي وأشار :

يقول الفتى رزق الامير بما جرى
فاصغي الى قولي مع الابيـــات
جاءني سيار بن مسعود قال لـــي
يا سيدي جاك السعـد والخيرات
ستي خضرا بنت قرضاب خلفت
جابت ولــــد بعيون مكحـــلات
فقلت له كل النيــاق بشارتـك
يبقو لـــك بالبيت حلايـــات
سميتك بركـات علمت عمومتـك
وعلمت اهالينـــا مـع السـادات
فجاني سرحان ابن عمي وقال لـــي
يا رزق يـــا صور الهلاليـــات
هات لنا المولـــود حتى ننقطـه
رآك اسمـــر بعيون ســـودات
فقال هذا الولد يشبه لعبـــدك
والوجه منـــه يشابـــه العتمات
وصاروا هـــلال كلهـم يتغامزوا
علينـــا وعملوا لنـــا ضجـات
فقلت لهـــم يا هلال ويـــا عامر
اشهدوا الخضرا طالقـة باثبـات
وصار الذي صار يا ابـــن الرضا
والتم شملي فيـــك بعد شتاتـي

(قال الراوي) فلما فرغ رزق من كلامه قال له بركات اذا قال لك احد إرم حالك بالجب ترمي حالك وانت ايضا تخالف كلام ربك في تكوين خلقه فاذا كان الابن ما يشابه اباه تقول عنه ابن زنا واشار يقول :

ايا رزق كيف تطيع الناس كلهـم	تطلـق لأمـي دون اثبـات
وتخرب بيتك يا امـير بيـدك	وتبقى مع الرعيـان دون ثبـات
وان جـاك طفـل لونـه اسمر	فذا خلقة الباري صاحب الآيـات
فانظر الـى المخاليـق كلهـم	ترى صورهـم دوم مختلفـات
فهذا أبيض كأنـه البدر في السما	وهـذا تراه يشبه الفحمـات
فلو كنت عاقـل ما سمعت كلامهم	وتشمت بك الاعداء والسـادات
يا ليت مـن كان السبب بفراقنـا	يجيه العمى والهـول والشـدات

فلما فرغ بركات من كلامه أوصل رزق الى امه وقال لها هذا رزق فماذا تريدين ان نعمل به فقالت الخضرا ابوك ما عليه ذنب فاطلق سراحه لاجل كرامتي عنـدك وأشارت تقول :

تقول فتاة الحي خضرا الشريفـة	أيا ولدي ارفـق بحال ابيـك
هذا رزق هو ابـوك بلا خفـا	وقد كان عنـد العدا راميـك
وسرحان كـان السبب في فراقنا	من دون تفكـير كان آذيـك
وحاشاك تقتل يا ابنـي لوالـدك	واسمـح عنه فالخير يوافيـك

فلما فرغت من كلامها خجل رزق وندم على طردها اشد الندم وقال حيائي من الناس اجبرني على ذلك وانت شريفة الحسب والنسب واشار يعتذر لها :

يقول الفتى رزق الامير بما جـرى	بدمع سال فوق الخدود وسـاح
أيا خضرا مـا كان قصدي افارقك	ولا عـاد لي حيـل اشيل سـلاح
وفارقتك حقـا بغـير أرادتـي	وصرت مثل طير مقصوص جنـاح
وحرمت أتزوج انـا بعـدك	وذقت العـذاب ونمت بمـراح
أيـا ليت من كان السبب بفراقنـا	قتيل وفـي جنبه ثمـان جـراح
والحمـد لله قـد التم شملنـا	وزالت عنـا الشدات والاتـراح

ثم قال اني أعترف بأن بركات ابني من ظهري فقالت الخضرا لبركات اطلقه يا ولدي فقال انا ذاهب به الى الزحلان ولما وصل به الى الزحلان قال له قد اتيت لك بالامير رزق فافعل به ما تريد قال الزحلان هذا ابوك وانا سامحته على هذه الطعنة الاليمة التي طعنني بها ثم اشار يقول :

بركات يا ولدي اسمع مقالتـي	وانت ضيا عيني مـع الابصار
ابوك رزق كيف إنـا نقتلـه	وهو امـير وفارس مغـوار
كرمـال عيني يا امـير اعتقـه	الله يبري ذمتـه مـن ثـاري
يا امير محمود هات لـي خلعة	لـرزق يلبسهـا بعشر ازرار

واعطيــــه درع يا امير وخـــــوذة　　واعطيــه رمــح يشــع انــوار
واعطيـــه مهر من خيلي محجــل　　واعطيــــه ترسا يمنـــع الاضرار
يــا رزق قد آلمتنـــي في ضربتك　　قلبك بقي أقسى من الاحجــــار
الله يجازي المعتديــــن بفعلهــم　　يوم نقف امــــام الواحد القهـــار

فلما انتهى الزحلان من كلامه فكوا رزق وخلعوا عليه فانحنى على يد الزحلان يقبلها ثم قال ان الزحلان ستر حريمي وربى ولدي وعفا عني فما عاد الزمان يخلف مثل الزحلانِ اما الزحلان فقد شعر بدنو اجله فقال انا ما بقي من عمري الا القليل ورزقي ومالي وخيلي هبة مني الى بركات ثم قال لبركات هؤلاء بناتي الثـلاث صبحا وغصن البان وجوهرة اخترلك واحدة منهن حتى ازوجك اياها قبل موتي ثم ان الزحلان جمع قومه وجعل بركات سلطانا عليهم وانشأ يقول :

يقول الفتى الزحلان والقول صادق　　الا اسمعوا يـــا جملـــة الزحلان
بركات وليته عليكـــم كلكـــم　　وصار عليكـــم يا ربع سلطـــان
واعطيته مالي وكـــل ذخايـــري　　مع الـــدر والياقوت والمرجـــان
بركات ربينـــاه مثـــل اولادنـــا　　طلع لوذعي أفرس من الفرســـان
قتل ابو الجــود كـــان عدونـــا　　وجاب ابوه رزق الينـــا حفيـــان
انا أوصيك يـــا بركات بالحكـــم　　وباديهـــم بالعدل والاحســـــان
وكـــون كالأخ للناس كلهـــم　　واكس يـــا بركات كـــل عريان
ولا تنهـــر المسكين ان جاك سائل　　ولا تطـــرد الوارد يعـــود منهـــان
هذه وصاتـــي اليـــك يـــا ولدي　　واحفر لقبري واحضر الاكفـــــان

(قال الراوي) فلما انتهى الزحلان من كلامه سلم بركات الملك ولبسه البدلة الملوكية وجعل له وزيرين ولدي اخته وقال له اختر الك بنتا من بناتي فقال بركات اريد غصن البان فأحضر القاضي والشهود وعقد عقد غصن البان على بركات وقامت الافراح والليالي الملاح ولما سمع بنو هلال بهذه الاخبار قالوا زاد علينا بركـــات بالسلطنة فيلزم ان نسميه ابو زيد فاشتهر بهذا الاسم (ابو زيد الهلالي سلامي) اما الزحلان فقد زاد عليه المرض فمات فبكوا عليه وورثوه بالاشعار وبعد ذلـــك اجتمع الوزراء والامراء واجلسوا ابو زيد على تخت الملك . اما سرحان فاتفق مع ابيه الامير حازم ان يهنئوا ابو زيد بالسلطنة وبالزواج وأرسل يطلب منه السماح ويهنئه مع الامير قايد فلما وصل قال الامير رزق لابو زيد هذا الامير قايد الذي اتى بكم لعند الزحلان فاستقبله بركات وعانقه فناوله قايد الكتاب فلما قراه سامحهم ولكنه ارسل لهم هذه الابيات :

يقول الفتى بركات والقـــول صادق　　اخلى الاعادي مـــن حسامي جفايل
انا ابن رزق الخيل من اهل عامر　　وأمي شريفـــة من فروع أصايــــل
اعطتني امي لبسما بـــلا خفـــا　　ويا ما سقتني مـــن حلو الشمايـــل
زدت عليكـــم يا هلالي جميعكـم　　ابو زيد اسمي وانا لطيف الخصايل

يا هلال عودوا لأرضكم وبلادكـــم	وقاسوا بهـــا الجوع ومر المحايل
وأنت يا سرحان كنت السبب بفراقنا	وامي تري مـــن قوم شرفا اصايـــل
وقطف الزهور عليكـــم محرمـــة	وان لم ترحلوا اجيبكم بالنصايــــل

ثم طوى الكتاب وأعطاه الى احد العبيد فأوصله الى سرحان فلما قراه قال ابوه حازم لنذهب لعنده حفاة نساء ورجال فيعفو عنا فسار نحو مائة رجل ومائة فتاة لعند ابو زيد فلما رآهم استقبلهم وترحب بهم وصافحهم وعفا عنهم واحضر لهم الولائم وبقي العربان عربا واحدا اما غانم امير بني زغبي فانه قال لابو زيد انا اتيت من بلادي لأخطب ابنة القاضي فايد فاطلبوها لي فطلبوها فأجاب طلبهـــم فساق له غانم النوق والاغنام ثم كتبوا الكتاب فأخذ غانم عروسته وسار الى نجد بعد ان ودع الامراء ولما وصل الى بلاده عمل وليمة عظيمة ودخل عليها واحتظـى بحسنها وجمالها فولدت له ذكرا سموه بدرا ثم ولد له ولد اخر سموه ديابـــا وولدت ولدا ثالثا وهو الامير زيدان شيخ الشباب .

(قال الراوي) اما بنو هلال فأقاموا سنة كاملة عند ابو زيد ثم ارسلوا خبرا الى الشريف وطلبوا منه الاذن بارجاع الخضرا الى رزق فأرسل لهم الاذن مع عبد له وتوفي قرضاب والعبد كان حاضرا فسلطنوا اباه مكانه فلما وصل العبد لعند بني هلال اخبرهم بالذي جرى على الشريف وأعطاهم الاذن فبكوا عليه وارجعوا الخضرا الى رزق وطلبوا الاذن من ابو زيد بالمسير الى بلادهم فأذن لهم وخـــرج اوداعهم وودع أمه واباه واخته ورجع الى مكانه ولما وصلوا الى بلادهم اقاموا سنة في خير زائد فمرض الامير حازم واحضر القاضي فايد وولده سرحان وابن اخيه رزق وسلم ابنه الخاتم وأجلسه على الكرسي واوصاه بأن لا يتزوج الا من بنات الاصايل ثم انه توفي فاحتفلوا بدفنه وصار سرحان حاكما على بني هلال وما زال يسأل المسافرين والشعراء عن بلاد الحسب والنسب حتى اقبل عليه شاعر واخبره عن بلاد الحسب والنسب وعن الامير زين الدين الحاكم على تلك البلاد وعن ابنته شما الفائقة بالحسن والجمال والقد والاعتدال .

قصة شما وزهر البان

(قال الراوي) لما اجلس حازم ابنه سرحان على كرسي الملك خليفة له أوصاه ان لا يتزوج الا من بنات الحسب والنسب فقال على الرأس والعين وحكم سرحان وما ظلم ومضى على حكمه خمس سنوات بعد وفاة ابيه وهو يسأل عن بـــلاد الحسب والنسب فما احد يجاوبه على سؤاله وفي احد الايام دخل عليه ثــلاث شعراء وسلموا عليه وقبلوا يديه فأمر باكرامهم ووضعوا لهم الطعام حتى اكتفوا فسألهم سرحان من اي البلاد انتم فقالوا من اليمن وقد سمعنا بعدلكم وكرمكم فجئنا نأخذ عطاكم وننقل ثناكم فقال سمعونا من بديع أشعاركم وبلاغة اقوالكـــم فابتدأ نصار يمدح الامير سرحان بهذا القصيد :

يقول الفتى نصار عمـــا جرى له ... اغنى على الاجــواد والفرســـــان
أديب لبيب عارف القـــول فاهم ... ولي قلب مــن الحسرة تراه مــلان
ركبنا مطايانــا وجئنا جميعــــا ... قطعنــا العـــلا والدوح والــودان
وقلنا لها يـــا توق أيـــن تميلـــي ... فقالت الــى يــم الملـــك سرحان
يا مغنى المسكين فـــي سنة الغــلا ... يا مطعــم المسكين والجوعـــــان
يا رائف الملهوف بالمـــال والغنـــى ... وكافي اليتامـــى وكاسي العريان
صيتك وصل للشرق والغرب يا ملك ... ايضا وصـــل للهنـــد والسودان
يا امير امنحنا واكثر لنـــــا العطا ... يا ريب عمرك ما ترى أحـــزان
ونرفع لذكرك في البوادي جميعها ... ومن كان لـــه ذكر مليح يبـــان

فلما فرغ الشاعر نصار من كلامه مدح بقية الشعراء الامير سرحان بما يليق به وبكرمه وبعد تمام الضيافة قال لهم ابشروا بالغنيمة فطلبوا منه الاذن بالسفر فأمر لهم بمائة جمل وثلاثة جياد وثلاث مائة دينار فأعطاهم الوكيل ما أمر بـــه

سرحان فقالوا والله ما نرضى هذا العطاء لواحد منا وهذا يوم اسود الذي جئنا فيه لعندكم فأخبر العبد سيده بما قالوا فقال احضرهم الي حتى نرى فأدخلهم العبد على الملك سرحان فقال لهم لماذا رديتم العطاء فهل اعطاكم احد اكثر من عطائي وهل رأيتم أكرم مني في جميع البلاد فقالوا نعم رأينا أكرم منك بكثير وانت لا تساوي نقطة في بحرهم فقال لهم بأي بلاد فقالوا في بلاد الحسب والنسب فقال انتم تعرفونهم وتعرفون بلادهم قالوا نعم فقال صفوا لي كرمهم فأشار ناصر يصفهم بهذا القصيد :

يقول الفتى ناصر على ما جرى له — اسمع لقولي يا ملك وأمثال
لقد شفنا يا ملك اكرم منك — واكثر صواوين واكثر مال
ثلاث امراء ما لقينا مثالهم — ملوك من فرع ذكي إسال
لهم مجد وكرم وعز وهيبة — ورايات منصوبة وخيل وجمال
وكل امير او نخيته يساعدك — على القوم يدعيهم شرود جفال
منازلهم للضيف قد هيأوها — يجيها ضيوف ما تخطر على بال
واخبارهم بالخير والجود والسخا — وراياتهم فوق الرماح تنشال
منهم زين الدين قرم غشمشم — امير العرب عنه الملوك تسال
اخوه محي الدين يا نعم ماجد — يخلي الاعادي بالسيوف تلال
اخوه شمس الدين اكرم من الندا — ابوهم يسمى عقل بن عقال
وفي حيهم بيض ملاح كواعب — تشابه لحور العين يا مفضال
ثلاث ملوك لهم بنات ثلاثة — شبه بدور نورهم مشعال
شيحا وشوكة يخجلوا البدر بالسما — وشما الصغيرة مثل ضي هلال
وان شافهم ملك تيموه بالهوى — يرموا بقلبه اسهما ونصال
تراب ارضهم كالمسك ريحته — ومن فوقها فرش الحرير العال
ان كان تهوى الاصل اقصد بلادهم — تزوج منهم وارتاح البال
ومن قصد الاجواد ما رد خايب — ينال المنى والقصد والآمال

فلما فرغ ناصر فرح سرحان فرحا عظيما وقال لهم كم يوم المسافة من هنا قالوا ستة اشهر للمسافر المجد فقال لهم سرحان اريد ان اتزوج منهم حسب ما أوصاني ابي بشرط ان يذهب معي واحد منكم يدلني على الطريق قالوا سمعا وطاعة وبينما هم في هذا الكلام سمعوا دق الطبول واذا ابو زيد ومعه الفان من الفرسان وراياتهم تخفق فخرجوا لملاقاتهم بعراضة عظيمة وسلموا عليهم ونزل ابو زيد في صيوان ابيه وسلم على امه الخضرا واخته شيحا ثم ان سرحان أخبر ابو زيد عن الشعراء وانهم يعرفون بلاد الحسب والنسب ثم قال ومرادي ان اذهب وأتزوج من بلاد الحسب والنسب وانت يا ابو زيد تحكم في بلادنا حتى اعود فقال ابو زيد كيف نترك بلادنا والاعداء يتربصون بنا الدوائر واني ارى ان يحكم موضعك عمك مالك ابو زهير وانا أرفع لك راية من راياتي فاذهب ولا تخف فعند ذلك جهز سرحان حاله وركب بألف فارس منهم رزق والقاضي وفايد وقايد وكان قد اعطى الشعراء حتى أرضاهم فذهب اثنان منهم يوصلون المال الى بلادهم وبقي الشاعر

نصار مع سرحان يدله على الطريق وركب ابو زيد وبنو هلال لوداعهم ومشى مع سرحان مقدار نصف يوم ثم التفت سرحان الى عمه مالك ابو زهير واوصاه بالحكم وبالعرب وانشد يقول :

قال سرحان الامير . انني قاصد اسير . للحسب يا ابا زهير . انت مطرحنا مقيم . انت احكم موضعي . بالعرب حتى المرجع . وان أتاكم مدعي . احكم بنور الله العظيم . وان اتاكم شاعر جديد . اعطيه مالا يا رشيد ولا تكن رجلا عنيد . وخاطرك دايم سليم . والبوش احفظه حقيق . وكن ودودا للصديق . ولا يجوز انك تبيق . ولا تنظر للحريم . واحذر الاعداء يجوك . منهم تعدي يدهكوك . وان غفلت ينهبوك . وتقطع الحبل البريم . وان كان يا عمي اموت . انت مطرحنا ثبوت . خذ لمالي والبيوت . والخيول مع الحريم .

فلما انتهى سرحان من كلامه قال عمه سمعا وطاعة وسار سرحان وعـــــاد بنو هلال وقعد ابو زيد عندهم شهرا ثم ركب وانطلق الى بلاد الزحلان وحكم مالك بلاد السرو بالعدل والانصاف اما سرحان فانه جد في المسير مع صحبه والشاعر دليلهم حتى اقبلوا على بلاد الحسب فدخل الشاعر على ملوك الحسب وقبـــل اياديهم واخبرهم عن قدوم سرحان قال انه سمع بسيطكم وجاء زائركم وكانـــوا سامعين بصيت بني هلال وكرمهم عند ذلك امر الامير زين الدين ان يفرشـــوا الصواوين والخيام وأن يأتوا بالذبائح ثم ركب مع اخوته والعساكر واستقبلـــوا سرحان ولما التقوا بعضهم نزلوا عن الخيل وتعانقوا وسلموا على بعضهم البعض ثم ركبوا وساروا الى الحي ونزلوا في الصواوين وأشار زين الدين يترحب بهم :

قال زين الدين من وسط الحشـــا	القلب منـــــي زاد بالافـــــراح
يا مرحبـــا بالقادمين جميعهـــم	صبحتوا بالخيـر كـــل صبـــاح
والحي أضاء يا ملك بقدومكـــم	والخير جـــاء والهم عنـــا زاح
يا بن حازم انت ملك العـــرب	وجدكم جرمون ذكـــره فـــاح
أنتم اصايـــل من عهود جدودكم	وشذاكم كالمســـك بالطيب فـــاح
يا أمير لما ان سمعت بذكركـــم	صـــار قلبي بحبكم ملتـــاح
يا امير هاتوا اهلكـــم لعندنـــا	تلقوا خـــيرا عندنـــا وريـــاح
ونعيش معكـــم يا أمير بالهنـــا	والهـــم عنـــا زال والاتـــراح

فلما فرغ زين الدين من كلامه نهض ومد لهم سماطا يدهش النظر من سائر الاطعمة الطيبة واكرمهم غاية الاكرام عدة ايام وكان يحضر لهم الزاد بصحـــون من ذهب فاندهش سرحان وقومه من كثرة جودهم وعطائهم فنظر سرحان فوجد حاله ما يوازي نقطة في بحرهم فقال رزق لقد قصر الشعراء في وصف هـــؤلاء الاجاويد اما زين الدين فاجتمع هو واخوته وقال لا بد يا اجاويد ان يكـــون لسرحان عندنا حاجة فان كان مديونا وفينا دينه وان كان مطرودا حميناه وان

كان زائرا اكرمناه وان كان عزبا زوجناه ثم قال للوزير هات لنا خبر سرحان فقال سمعا وطاعة وقام ودخل على سرحان وبلغه كلام زين الدين من اوله الى اخره فقال سرحان انا جئت خاطبا راغبا في بنت من بنات هؤلاء الاجاويد وابتدأ سرحان يخبره عن القصة ويقول :

يقول الفتى سرحان عما جرى له ... حوادث الايام تريك العجايب
حوادث الايام كفى الله شرها ... من عاش فيها ما خلا من النوائب
الايام كالدولاب تدور بغدرها ... وتسقي الفتى كاسات مر الشرايب
تبا لذي الدنيا من يعتني بها ... تخليه ماشي بعدما كان راكب
انا في بلاد السرو ملك بالملا ... وحولي جموع ناصبين المضارب
ولكن ابي لما قربت وفاته ... وجاه القضا يا عون صايب
قد حظني ملك بلادي كلها ... ورزق الدريدي صار نايب
وابي حازم قد وصاني وصية ... حفظتها عندي بوسط الكتاب
وقال لي لا تأخذ الا أصيلة ... اذا تغربت سرت جميع القرايب
اتى حينا شعار كانوا ثلاثة ... من اهل الذكاء فانوا بلعب الربايب
وأعطيتهم مني عطايا كثيرة ... ومنحتهم مال وأيضا جنايب
وقلت لهم أما رأيتم نظيرنا ... من اهل الثنا والحمد والمناقب
قالوا نعم يا امير شفنا نظيرك ... وأكثر منك بالعطا والمواهب
فواضل بالصواوين والعرب ... وأبطال قوم زينتها المواكب
يسمون اولاد حسب زايد النسب ... ملوك ما فيهم لا ردي ولا عايب
ان كنت تهوى الاصل فاقصد بلادهم ... ربيع الجياع في سنين الجدايب
وأخوه شمس الدين يا امير مثله ... وأخوه محي الدين وافي الحسايب
ثلاث بنات للامارة مكملات ... جمالهم كالاقمار بين الكواكب
شيحا وشوكت تخجلان البدر بالسما ... وشما الصغيرة عندها الحسن غالب
ثلاث كحور العين في جنة الرضا ... اذا ملن من فوق عالي المراتب
وان شافهم مثلك من يهيم بالهوى ... وقع بقلبه سهم كان صايب
ولما سمعت القول هاجت بلابلي ... وثارت بقلبي لاعجات اللهايب
وناديت الى رزق وفايد وقرومنا ... وقلت لهم شدوا وحطولي الركاب
وجينا من السرو ومعنا جيوشنا ... قدر الف خيال معي رواكب
وجينا لارض الحسب طالب النسب ... رجال الادب ما فيها قط كاذب
فقالوا لنا اهلا وسهلا ومرحبا ... وقد أجلسونا فوق عالي المراتب

(قال الراوي) فلما فرغ سرحان من كلامه والوزير عون يسمع نظامه سار حتى دخل على اولاد الحسب وقبل أياديهم فقالوا أخبرنا وعليك الامان فعند ذلك بلغهم كلام سرحان وانه جاء طالبا بنتا من بناتكم فقال زين الدين من قصدنا وجب حقه علينا والرأي عندي ان كل واحد منا يسأل حرمته عن خصائل ابنته وننظر التي تكون فائقة بالآداب والعقل على غيرها نعطها الى سرحان فقالوا هذا هو الصواب قال زين الدين قم يا اخي شمس الدين وسل حرمتك عن خصايل بنتك شيحا وتعال أخبرنا فراح وسأل حرمته عن خصايل ابنته وأخبرها انه ينبغي ان

يزوجها لسرحان فقالت نظرت لها عيبا واحدا في كل عمرها فقال ما هو هــذا العيب قالت من زمان جاءنا ضيوف وفيما كنا نقدم لهم الندا من كل الالوان فمسكت المغرفة وصارت تلحس باصبعها ونظرت اليها فتركتها وخافت منــي وهربت وهذا ما نظرته منها فذهب واعلم اخوته بما قالت حرمته فقالوا هذه شرهة ما نرضاها لسرحان ثم قال قم يا اخي محيي الدين وسل حرمتك عن خصايــل ابنتك شوكة فمضى وسأل حرمته عن خصايل ابنته واخبرها بالقضية فقالت له انها رضعت من الجارية أم عمير مع ولدها فربما يشبه خلقها خلق العبيد فذهب محيي الدين وأخبر أخويه فقالوا انها لا توافق سرحان عند ذلك قال زين الدين يا ستار استرنا في سرحان وسار الى زوجته وجلس امامها فقالت مالك يا ابن عمي فبدأ يخبرها ويقول :

يقول زين الدين والقول صــادق ... الايام والدنيا كوانــي حرورهــا
والاجواد يجلي همهــا حزم رأيها ... والانذال تلقي امرهــا بصدورها
أيا أم شما اسمعي شرح قصتــي ... اتونا ضيوف طيبين مثل بدورهــا
اتونــا يريدون تخطبون لبنتنــا ... وما الراي يا سلمى وما هي امورها
وشيحا سألنــا امها عن فعالهــا ... فقالت النفس زايــد مرورهــا
وقد شفتها يوم على القدر واقفــة ... تاكل طعامــا بيدها من قدرهــا
فقلنا ما تصلح لسرحــان زوجة ... وتهتك قبيلتنا وتهتــك ستورها
وشوكة سألنا امها عن طباعهــا ... فقالت لــه بنتك كثير شرورهــا
لانها رضعت مــن حليب جارية ... وانا كنت أقاســي حزورهــا
فقلنا لا تصلح لسرحــان زوجة ... لبنها ردي وينال منها كدورهــا
وشما بقت بالله ان تخبرينــي ... فان كانت ما تصلح حتى نغلي مهورها

فلما فرغ من كلامه وسلمى تسمع نظامه فتبسمت وقالت يا ابن عمي ان كان في بنات خواتك كل واحدة عيبة في بنتك سبع عيوب قال يا ستار وما هــذه العيوب فأشارت تخبره وتقول :

تقول فتاة الحي سلمى التي شكت ... أيا مير زين الدين ما في نكورهــا
فشما فعايلها مــلاح جميعهــا ... وتقرأ كلام الله تشرح صدورهــا
وتقرأ بكتب العلم يا امير واللغــة ... وتعرف لعلم النحو وتقرأ سطورها
خطيبة اديبــة يا امير لبيبــة ... وتنطق بقول الحق من غير زورهــا
وليس بها يا امير عيب واضــح ... ولا يــوم وقفت على باب دورها
فشما تصلح للامــير حليلــة ... نقية من الادناس تجهل شرورهــا

فلما فرغت سلمى من كلامها وبعلها يسمع نظامها حمد الله سبحانه وتعالـى الذي ما ببنته عيب حتى انها تسترهم في بلاد الغربة ثم سار وأعلم اخوتــه واخذهم واخذ اكابر دولته ودخل على سرحان وسلم عليه فرد له السلام وقام على الاقدام وجلسوا للكلام بعد ما فرغوا من اكل الطعام وانحرف زين الدين نحو الامير سرحان وأشار يقول :

قال زين الدين من وسط الحشـا
يا مرحبا في من أتونا قاصديـن
اتونا ملوك هـلال ضافوا عندنا
يا مرحبا فيهـم وفي القادمين
يا مرحبا يا مرحبا فيمن اتـوا
من بلاد السرو اجونـا ضائفين
يا امير سرحان انت عدت نسيبنـا
يا ابن حازم فيـك نحن راغبين
كرامة فايد هو سياج المحصنـات
ورزق الدريدي من ملوك العارفين
ظنوا بنا خير مـا خاب الرجـا
لا خير في مـن يرد القاصديـن
شما عطية مني انك يا ملـك
وهبي بـلا حق ولا مال يزيـن
المال عندي وخيـول كثـيرة
ونحـن بخير باذن رب العالمين

فلما فرغ زين الدين من كلامه شكره سرحان على ما افاض عليه من الانعام وحمد الملك العلام في معرفته لهؤلاء الاقوام فعند ذلك احضروا القاضي وكتبوا كتاب شما على سرحان فقال سرحان انا لا ادخل عليها الا في بلادي وطلب الاذن من عمه بالمسير فأحضر الامير زين الدين الى ابنته جملا ازرق وأمر ان يشدوا لها هودجا مرصعة عمدانه بالدر والجواهر وزينوه بريش النعام وأعطاها بدلة ملوكية وعقد جوهر فيه تسعين جوهرة وأعطاها تختا وسريرا بفرش غالية الاثمان وحريرا وتحفا وبدلات مشكلة بالذهب والفضة واعطاها عبيدا وجوارا وخدما وكل عبد على ظهر فرس وكل جارية على جمل في هودج وركبوا شما بالهودج وساقوا الجميع قدامهم وركب سرحان وركب ابوها وأخواتها لوداعهم نصف نهار فوقف سرحان وحلـف عليهم بالرجوع فودعوا بعضهم البعض فقال زين الدين يا امير سرحان بنـات الاجاويد ودايع اولاد الحلال وهي وداعة الله عندك وأوصيك ان لا تدخل على شما بالطريق الا اذا وصلت الى بلادك وشما حلالك وأشار يوصيه فيها ويقول :

يقول زين الديـن عما جرى لـه
يودع لبنتـه والدمـوع تسيل
جريح ونار الاسى بضمايـري
ولي ألـم ما ينهيـه دليـل
انا أوصيك يا سرحان بالجود والسخا
وكـن كريما لا تكـن بخيـل
وهذا عهد الله بينـي وبينـك
ومـن خان عهد الله فهـو ذليل
ومن خان عهد الله مـا صح رأيـه
عزه وجاهه عـن قريب يميـل
ولا تقرب الخيمة ولا تعتني بهـا
ولو كان مـال فيها جزيـل
اذا وصلت لعنـد اهلك وعزوتك
يلاقونـك بالتكبير والتهليـل
فافعل مرادك مـا عليك ملامـة
وشما حلالـك مـا عليهـا وكيل

فلما فرغ زين الدين من كلامه وسرحان يسمع نظامه فعاهده على ذلك وشكره بكل جميل وأما شما فودعتها البنات والنساء وأمها وبنات عمها وبكين لفراقهـا وراحت امها تودعها وتوصيها في بعلها وتقول :

تقول سلمى ضرهـا البين والنيا
على فقد شما راح حيلي قطايـع
وعيني تسيح الدمع من عظم ما جرى
وزادت عبراتـي بكثر المدامـع
وقلت لعيني ان تكـف دموعهـا
وكثر البكا للعين مـا هو نافـع
على شما أبكي ونـوح صبابـة
واذكرهـا عندي بكـل المواضع
تروح من بين أعمام وأب واخـوة
وهي بينهم تزهـى كالبدر طالع

فلما فرغت سلمى من كلامها وابنتها تسمع نظامها اتى ابوها وأوصاها في سرحان وأن تطيعه فقالت سمعا وطاعة وأشارت تودعهم وتقول :

تقول فتاة الحي شما الشريفة بدمع جرى فوق الخدود غزير
انا والله ما كان الفراق بخاطري وأنا عنكم للسرو عدت أسير
وغربتوني الى بلاد بعيدة وأبقى فريدة في الديار أصير
وفارقت أعمامي وأهلي وجيرتي وبنات عمي مثل غصن نضير
يا عين ابكي بالدمع واذرفي على وجنتي اجري كبحر ذخير
فما عدت انظركم انا بناظري ولا لي جناح اجي لكم وأطير
ومن كان مشتاق يجينا يودع ونحن عزمنا على الرحيل نسير
ايا بنات العم نوحوا لفرقتي وابكوا على غربتي بدمع غزير
ايا ابي ويا أمي يكفي وصية الذي يجري على العباد يصير

فلما فرغت من كلامها وأهلها يسمعون نظامها فودعوها ورجعوا الى بلادهم سرحان وقومه جدوا بالمسير نحو بلادهم يقطعون الفيافي والقفار والوديان والاوعار ولا يلتفت سرحان الى شما كما عاهده ابوها وشما تنام وحدها وحولها خدمها وعبيدها فأقبلوا على وادي النار وجبل الكبريت واذا حميت الشمس تصير مثل جهنم فضاقت انفسهم من الحر فنزلوا وربطوا خيولهم ونصبوا خيامهم أما سرحان نصب خيمته مقابل خيمة شما وقد تعرى من ثيابه فقام وتغطى بطاق الحرام وكذلك شما تعرت وفرقت شعرها وسبلته على جسدها وقد نصب لها الخدام التخت وفرشوا لها اياه ونامت عليه ووجهها يضيء مثل القمر والعقد الجوهر حلته من جيدها فوضعته على طرف الوسادة والجوار يهووا لها بالمراوح الى ان نامت فناموا حولها أما سرحان فقال في باله انا جئت من بلاد السرو الى بلاد سفر ستة اشهر وزوجتي شما اوصى ابوها ان لا ادخل عليها ولا اراها ان كانت مليحة ام قبيحة سودا ام بيضا فان كانت مليحة يطمئن خاطري وان كانت قبيحة أردها الى اهلها وأتى نحو شما وهي نائمة وشعرها مسبل على جسمها فظن انها جارية سوداء فعند ذلك عض على اصبعه وقال لا حول ولا قوة الا بالله كل هذه السفرة على شأن جارية حبشية وعاد الى خيمته وقال والله لأقتلها ولا أريد حسبا ولا نسبا وسحب سيفه وعاد اليها وأراد ان يقطعها قطعتين فتزحزحت شما فقلبت على جانبها الاخر فبان جسمها مثل النور الساطع فلما نظرها بهذا الجمال يبست يده بالسلاح وتأملها فكاد عقله ان يطير واندهش من حسنها وجمالها فلاحت منه التفاتة فنظر العقد بجانبها يضيء مثل المصباح فأخذه وطلع من الخيمة وصار يتفرج عليه وهو يلمع بضوء القمر وعدده تسعين قطعة يسوى ملك الدنيا فبينما هو يفكر واذا بطير يمر فرأى العقد فظنه قطعة لحم فانقض عليه وخطفه في مخالبه وطلب الجو وسرحان راكض وراءه وكان البحر قرب وادي النار فدخل الطير واختفى في جزيرة من جزاير البحر وسرحان يركض على ضفاف البحر واذا بمركب افرنج داير في البحر يتصيدوا شافوا سرحان وكان قبطان المركب اسمه

برصومة فأمر جماعته ان يرسوا المركب وطلعوا اليه ثمانية بحرية وكل واحد في يده سوط قال لهم من انتم قالوا نحن الذين نستيسر العبيد وأنت ما الذي اتى بك الى هنا وأين هدومك قال لهم شلحني اللصوص وداير على ناس يكسوني قالوا نحن نكسيك كسوة مليحة تعال روح لبلادنا قال لهم ما لي خلاص منكم قالوا لا قال سرحان يا وقعة الشر التي وقعتها بالله تصبروا علي قليلا فتركوه فنظر سرحان جانبه بلاطة ناعمة فنكز خشمه نزل الدم اخذ عودا وغطه بالدم وكتب على البلاطة :

يقول الفتى سرحان عما جرى له ... ودمعه جرى فوق الخدود سكيب
أتونا شمار ثلاثة لعندنا ... وقد حدثوني بكلام عجيب
قلت لهم هل رأيتم مثالنا ... من اهل العطا والجود والترحيب
قالوا في بلاد الحسب امير له نسب ... له عند ملقات الضيوف ترحيب
وأخوه شمس الدين مثاله ... واخوه محي الدين مثل الذيب
فقمنا وسرنا فوق خيل ضوامر ... قد الف خيال نخب نخيب
اتينا لارض الحسب نطلب النسب ... فلاقونا بالاكرام والترحيب
امير زين الدين حاكم بالملا ... زوجني بنته ذات الحسن والطيب
وأبوها عاهدني أن لا اشوفها ... على الدرب وأنظرها بطرف لبيب
وخالفت عهود الكلام جميعها ... ومن خان عهد الله ذاك يخيب
دخلت على شما لأنظر جمالها ... رأيتها شبه البدر قبل المغيب
اخذت انا العقد وطلعت للخلا ... لشوفه واتعرج عليه من قريب
إلا وطير من الجو نازل ... وغار على يدي كفور الديب
خطفه من يدي وطار بالفلا ... وراح وخلاني بقاع كئيب
وعدت انا اسعى وراه أجيبه ... وقلت لعله يرميه ونجيب
دخل في البحر وعيني تشوفه ... حكايا منها الرضيع يشيب
إلا ومركب من البحر غاير ... اخذوني وعدت بسيرهم وغريب

فلما فرغ من كلامه اخذه الافرنج ونزلوا في المركب وحلوا المراسي وسرحان يبكي فتقدم برصومة وقال لا تبك غدا اذا دخلت بلادنا تنسى بلادك فقال كيف لا ابكي وأنا ملك في بلادي فقال برصومة ما اسمك قال سرحان قال يا سرحان انا اجعلك ملكا في بلادي على رعيان الخنازير وعندي عشرة رجال يرعون الخنازير مع كل واحد مائة خنزير يرعاها وعندي مائة خنزير بلا راع ترعاها انت وتصير كبيرا على الرعيان قال سرحان هنيئا لي على هذه الوظيفة ثم انهم ساروا الى بلادهم اما برصومة فلبس سرحان عباءة وبرنيطة وسلمه الخنازير ووصى فيه الرعيان فصاروا يعطونه زوادته اربعة ارغفة من خبز الشعير مدهونات بالزيت وكان لبرصومة بنت اسمها حنان كانت اذا اتى سرحان من المرعى تمسكه من لحيته وتضربه وتركب على ظهره وتقول له دورني على المواشي حتى أتفرج عليها والرعيان يحلبونها وتظل راكبة على ظهره من المغرب الى العشاء .

أما شما بنت الحسب والنسب فقامت من نومها فما وجدت العقد فقالت

للخدم اين سرحان ففتشوا عليه فلم يجدوه فأعلموا شما قالت احضروا رزق وفايد وقايد فأحضروهم فأخبرتهم ان عقدها فقد قالوا لها اين سرحان فقالت لقد فتش عليه الخدم فلم يجدوه فقال رزق ان كان غرق في البحر او مات فأنا بداله وقال فايد انا آخذها وقال قايد انا أحق بها ثم تقاتلوا من اجلها فقالت لهم لا تتقاتلوا انا أختار واحدا منكم فقبلوا وسكنوا ثم انها صبرت الى الليل ولبست ثياب سرحان وأخفت شعرها فصارت وكأنها رجل وركبت جواد سرحان وتوجهت نحو البحر تفتش عليه فرات البلاطة المكتوب عليها بدم سرحان فعرفت ما جرى عليه وبينما هي محتارة بأمرها اقبل مركب من البحر فأرسوه على الشاطىء وقال كبيرهم اندريا هاتوا هذا الغلام ولا تزعجوه فنزلوا اليه وقالوا له ان صاحب المركب يريدك فما هو اسمك قال شمان ولكن اصبروا قليلا حتى اتودع من ارضنا ثم انها كتبت على البلاطة :

يقول الفتى شمان على ما جرى لـه بدمع جرى فوق الخدود سريـع
تفكرت بالدنيـا كوتني أمورهـا لقيت الايـام همها وسيـع
ترى الدهر دولابـه يمر ويمشـي كما يشبه غيـم بأيام الربيـع
لما رأى العقد سرحان شالـه صار يتفرج عليـه رآه بديـع
خر عليه طـير يسمى عركـرك خطف منه العقـد خلاه يضيـع
الا ومركب جاء من البحر غايـر اخذونـي معهم ومالي من شفيـع

فأخذها الافرنج وصارت تبكي فقال اندريا لا تبك انا اجعلك مثل ابني فقد كان لي ولد ومات وانت محله ولي بنت بديعة أزوجك اياها فطيب قلبك وريـح أفكارك فقالت في سرها احفظني يا رب ولما وصلوا ودخل اندريا لداره ومعه الغلام راته بنت اندريا فأحبته فقالت لأمها قولي لابي ان يزوجني هذا الغلام فسألت اندريا عن الغلام فقال لها مرادي أزوجه بنتي ففرحت امها وأخبرت بنتها ففرحت وصار اندريا يكرم شمان ويلبسه احسن الاقمشة ويقدم له أفخر طعام فظلت شما عندهم على خير ونعيم دائم وفي يوم العيد احضر اندريا ملابس تليق بالملوك والبسها الى شمان وذهب به الى الكنيسة فلما رأوه اندهشوا من حسنه وجماله ودخـل الملك شمعون وحوله الوزراء فرأى الناس تاركين عبادتهم ومجتمعين حول غـلام يتفرجون عليه فقال الملك لمن هذا الغلام فقالوا لاندريا كسبه من الصيد فأكد فيه الملك فانبهر من حسنه وجماله ولم يعرف ما يقول في صلاته ولما خرجوا مـن الكنيسة لم ير الملك الغلام فأرسل خلف اندريا وقال له احضر معك الغلام فلمـا احضره قال له بعني هذا الغلام قال يا مولاي اني اعتقته فهو حر لا يباع ولا يشرى فقال له الملك اتركه عندنا الان فتركه وذهب فقال شمعون ما هو اسمك قال شمان فقال له مرادي ان اجعلك بوابا على باب السرايا حتى أظل اشاهدك في النهار وفي المساء تعود فتنام في قصرك والمماليك في خدمتك فقال شمان سمعا وطاعة وجلس شمان على الكرسي والملك لا يرفع نظره عنه وشاع ذكر شمان في الجزائر والبلدان وصار الناس يأتون اليه من جميع الجهات ليتفرجوا عليه وهو بينهم مثل العروس.

وكان للملك بنت اسمها زهر البان ليس له غيرها وقد اتاه خطاب كثيرون فما زوجها لانها عزيزة عليه مرت زهر البان على سراية ابيها فرات الناس مجتمعين فسألت عن سبب الاجتماع فقالوا لها لقد اشترى ابوك غلامـــا جميلا والناس يتفرجون عليه فتقدمت ونظرت اليه فراته قد اخذ عقول النساء والرجال وهـي ايضا احبته وتمكن حبه في قلبها فوقعت مغشيا عليها فحملوها وأرجعوها الــى قصرها وأتت أمها شعوانة ورشت على وجهها الماء فأفاقت فسألتها امها ما بك يا بنتي فأنشدت :

تقول زهر البان بقلب حزيــــن — وناري بالحشـــا زادت ونينــي
أيـــا أمـاه لو تدري بحالــــي — كنت يـــا حنونـة ابتعذرينــي
نظــــرت انا لشمان نظــــرة — سلب عقلـــي وذهني وينـــي
شب مليح انا مــــا شفت مثلـــه — قويم القد كما رمــح الردينــي
قومي بسرعة روحي الى ابـــي — لشمــــان يا أمي زوجينـــي
ان ما كنتو تجوزوني بمحبوبـــي — امـوت بحبــه وتبقى تندبينـي
ولا تلومونـــي لانــي أحبـــه — خلافـه لا أريد يكـون قرينـــي

فلما فرغت زهر البان من كلامها رثت امها لحالها قالت لها الهوى صعب يا ابنتي وأنا ذاهبة لابيك لعله يزوجك بشمان فطيبي قلبا وقري عينا ثم انها ذهبت الى الملك شمعون فرأت الغلام وانبهرت من حسنه وجماله وقالت بنتي معذورة بحبه انا مت عنده كيف حال الصبايا ثم دخلت وسلمت على الملك فقال لها مـا سبب حضورك في هذا الوقت قالت ابنتك مريضة ومتغيرة فقال وما سبب مرضها قالت العشق والغرام أما تعلم ان الهوى قتال لقد رأت بنتك شمان فهامت بحبه فوفقهما معا قبل ان تقتل نفسها فقال لها كيف ازوج ابنتي الى اسير لا اعرف اصله فهذا لا يمكن ابدا فرجعت مكسورة الخاطر ومقهورة ولما رأتها ابنتهــا عرفت ان أباها يمانع فأنشدت :

تقول زهر البان مـن قلب جريـح — يا امي اخبرينـــي بالعجـــل
لعل ابـــي قد سمح لي بالزواج — لمنيتـــي شمان قصدي والامـــل
شمان حل بالحشا ونـــار الغضا — شب لاعجهـــا بقلبي واشتعـل
والله لأذهب اليـــه بالعجـــل — وارمي روحـــي عليه بـلا مهل
وابث شوقـي اليـــه واضمــه — والثـــم خده ولو قـــرب الاجل

فلما فرغت زهر البان من كلامها اشارت امها تقول :

تقول شعوانـة انا صرت في وجل — والدمـــع من عيني قـد هطـــل
يا ست زهر البان بالله اسمعـي — رحت لأبيـك والقلب مني انخجل
وقلت له زوج بنتـــك لشمـــان — فهامت فيه وخاطرهـــا انشغل
قال تبقى تعيرنـي الملوك جميعـــا — ينكسر ناموسنا ونقـــع بالخبل
يا ست زهر البان باللــه اقصري — عن ذكره وارجعي قبـــل الزعل

فقالت لها كيف أصبر ومن اين يأتي الصبر ولو كان غيري لهام على الجبال فقالت سأعيد القول عليه واقنعه ان يزوجك به . اما شما فتذكرت اهلها وبلادها وما كان احد يراها فصارت فرجة في بلاد الافرنج فبكت وانشدت :

يقول الفتي شمان عما جـــرى له ... ونار الاسى جـوا ضميري لهيبهـــا
يا حسرتي هل عاد الزمان يلمنـــا ... وبالعين قـــد فارقت حبيبهـــا
حبيب ومحبوب فرق الدهر بينهم ... وما لقينـــا ليلة نحتظي بهـــا
متى تجتمع الاحباب في منزل الرضا ... وتبرد نيرانـــي ويطفى لهيبهـــا

فلما فرغت من كلامها كان الملك قد سمع نشيدها وبكاها فظن ان احدا اغاظه فطلبه فلما مثل امامه قال له لماذا تبكي يا شمان فقال عنت الاهل على البال وأنا وحيد أسير قال الملك انت لست أسير عندنا انت كأنك واحد منا تجلس علـــى الكرسي وتنام على الحرير وما صاير عليك شيء حتى تبكي ثم قال له أما لك صنعة تتسلى بها فقال كنت أجمع الخراج فعندها اعطاه الدفاتر وأرسل معه اناسا يعاونونه ويكونون في خدمته فودعوا الملك ودارت البلاد والجزائر والقرى والمدائن مدة ثلاثة اشهر فجمعت مالا كثيرا وكانوا يكرمونها ويعطونها زيادة عن الخراج وشما تعطيهم الوصولات الى ان فرغت الدفاتر كلها وكانت تسأل عن سرحان ولما عادت الى بلد الملك شمعون استقبلها بالعساكر والفرسان والطبول والزمور والناس يتفرجـــون عليه . اما زهر البان فانها في غيبة شمان صارت تبكي وعندما عاد وقفت فـــي شباك قصرها تتفرج عليه والناس شاخصة اليه فقالت لأمها ان لم يزوجني ابي هذا الغلام قتلت نفسي وكان الملك قد اطلع على الاموال فوجدها زائدة عن كـل عام فزادت محبته لشمان ولما ذهب الملك لقاعة الجلوس دخلت زوجته واخبرته عن زهر البان بهذه الابيات :

تقول شعوانـــة وعبرتـــي سجـــام ... والنار فـــي قلبي يزيد لها ضرام
يـــا ملك شمعون أرحـــم حالـــي ... بنتك زهر البان زاد فيها الهيـــام
غشيت مـــن شوقها اليـــه وغابت ... عـــن وعيها وقتلهـــا الغـــرام
رشيت عليها المـــاء قامت بالعجل ... وقالت زوجونـــي هـــذا الغلام
ترى ان كان مـــا حظيت بشمـــان ... أقتل نفسي دون كـــل الانـــام
يا امير اشتريهـــا واستر لعرضك ... بالحلال يـــا امير مـــا هو بالحرام

قال الملك شمعون انها معذورة فيه لانه محبوب من جميع الناس وما فيه الا صفات حسنة ثم أنشد :

باكر أزوجهـــا شمان وافرح بها ... في وسط قصري ويغنوا قصيـــد
روحي هاتيلي الحريـــــر والماس ... وافرشي القصر بالفرش الجديـــد
واحضري لها تخت يكون مرصـــع ... وقولي لزهر البان تفرح أكيـــد

اما زهر البان كانت تنتظر عودة امها فلما رأتها أنشدت تقول :

تقول زهر البان قلبي فيـــه نار يا امي اخبريني بالله شو صـــار
هل حاجتـــــي يا ترى انقضت وكسر قلبي هــــل بدا بانجبـــار
وإلا أسوح في البراري والجبال ارافق وحش الفلا وسط القفـــار
من اجل شمان الذي مثل الهـــلال والعقل من حسنه صفـــق وطار
مـــا رأينـــا مثله بين المـــلا مثل غصن البان يخجـل الاقمـار

قالت لها امها ابشري بنوال مطلوبك فقد رضي ابوك ان يزفك الى شمان ففرحت زهر البان فرحا عظيما وهيأت لها امها الحمام وفرشوا القصر ونصبـــوا التخت وعلقوا الجواهر ورشوا الندى والروائح العطرة ولما طلعت زهر البان من الحمام لبسوها البدلة الملوكية والتاج المرصع باللؤلؤ والمرجان وأرسل الملك شمعون وراء شمان وأجلسه بجانبه وقال له قصدي ان أزوجك بنتي زهر البان وأجعلك موضعي تحكم على البلاد واعطيك كل أموالي فقالت شما عاش الملك ان شمان لا يريـــد الزواج الان فظهر التأثر على وجه الملك وقال لاي سبب فهل لاني عرضتها عليك وقد منعتها عن اولاد الملوك فخافت شما من غضب الملك وقالت ليفعل مولاي الملك ما يريد فعند ذلك ألبسوه بذلة ملوكية وقامت الافراح وكتبوا الكتاب ومشوا امامه بالشموع حتى انتهوا الى قصر زهر البان وأدخلوه عليها فقالت له انت نور عيني وضمته الى صدرها وصارت تقبله ثم قدمت له النقل والحلويات وصارت تطعمه بيدها ثم قامت وتعرت من ملابسها وقالت له اخلع ثيابك حتى ننام فقال لها انا لا انام الا في ثيابي ودار ظهره ونام وفي الصباح طلعت شما من عند زهر البان وذهبت للديوان فقبلت يد الملك فبارك له بهذا القران وأجلسه بجانبه اما زهر البان فحكت لأمها عن جفاه قالت لها لاعبيه وفي المساء دخل شمان فاستقبلته زهر البان وترحبت به وعند المنام دار ظهره ونام فصعب عليها وتأثرت وقالت له الـــــذي يستحي من بنت عمه لا يخلف اولادا وصارت تضع يدها على صدره وساقها على ساقه وهو لا يتحرك فرفعت عنه اللحاف وقالت له هذه الابيات :

تقول زهـــر البان يا شمانـــي اسمع كلامي ثـــم رد بيانــــي
انـــا طلبتك مـــن ابي اعطانـــي وعدت اليوم فـــي لقاك فرحانـــي
وتدير ظهرك يـــا مليح بوجهـــي ما كأنـــي الا عروس جربانــــي
ليش مـــا تعمل معي عمل المـــلا عمل الرجال ترى مع النســـوان
إيش عذرك يـــا مليح قل لـــي ان كنت خايف عليـــك الامـــان

فلما فرغت من كلامها تذكرت شما الماضي والحاضر فأنشدت :

يقول الفتى شمان عمــا جـرى له ولـــي قلب من المـــه جريـــح
تفكرت في الدنيا كوتنـــي أمورها فلا بـــد ما تقابل المليح بالقبيـح
زمان الصبا مثل الربيع وزهـــره خزام ونمنام وسنبل وشيـــح

انا اعملك يا زهر عما جرى لنا   ولكن سره لا يكون مبيح
يا منيتي زهر انا بنت مثلك   وما انا رجل بالمعنى الصحيح
انا بنت ملك البوادي جميعا   واسمي شما والفؤاد جريح
ابي زوجني لسرحان الفتى   وفارقت اهلي وما فعلت قبيح
وسرنا بقاع البر عشرين ليلة   ونحنا فراحة والرجل فريح
وجينا لوادي النار حطت جيوشنا   وبنوا خيام فوق سهل فسيح
وكانوا نصبوا لي خيمة مشرعة   وسرحان في صيوان خز مليح
تاري سرحان اتى نحو خيمتي   نظر فوق صدري عقد عاد يليح
اخذ العقد وكنت انا نايمة   وراح فيه خلف الخيام يطيح
إلا وطير من الجو نازل   على يد سرحان شبيه الريح
خطف عقدي وعاد طاير بالسما   وسرحان خلفه راكضا يصيح
وقمت انا من غفلتي وسط خيمتي   نظرت انا للعقد راح مطيح
بعت انا ورا سرحان ما وجدته   بكيت ودمعي على الخدود يسيح
ركبت جواده ثم اخذت لصارمه   ولبست شاشة طالبة الترويح
وصرت انا اسعى وراه اجيبه   ادور على رؤوس الجبال واصيح
ورحت لجنب البحر حتي اشوفه   وقلبي تشرح بالحشا تشريح
واذا بجنب البحر صخرة كبيرة   رايت خط الامير سرحان صريح
لما قريت الخط فاضت مدامعي   وعدت على فقد الامير أصيح
إلا ومركب جاء من البحر غاير   اخذوني وعدت بسيرهم ونزيح
أشتراني ابوكي من اندريا وجابني   وزجني عليك وقال انت مليح
يا زهرة بالانجيل والصحب كلهم   بالمقدس ايضا وكل كتاب صحيح
لا يطلع قولي برات دارنا   ولا تظهري سري بأمر وضيح
ولا بد من سرحان نأخذ علمه   وأجيبه الينا عاجلا وصحيح
وأعطيك سرحان بنيتي حليلة   وسرحان ما مثله رايت مليح
فتى مثل عود الرديني قوامه   مليح المعاني واللسان فصيح
له عين مثل الصقر عندما يلتفت   ومن شافه نظرة يقع طريح

فلما فرغت من كلامها وزهر البان تسمع نظامها قالت لها أما من جهة كتم السر صندوق مقفول وضايع مفتاحه ولكن لست مصدقة انك بنت فكشفت لها عن نهودها فعند ذلك تحققت كلامها وقالت لها لا تخافي مرحبا بك ان وجدناه وان ما وجدناه فلا يهم لان النظر الى وجهك يكفي عن الرجال وأشارت تقول :

تقول زهر البان يا شما اسمعي   نحنا اقتنعنا بك وانت اقنعي
مثل ما انت بنت نحن مثلك   والسر ما بيننا لا يطلع
جور الليالي وهجرها يضني الحشا   يا عين قري بالقليل واهجعي
يا ما ترهب بالزمان مثالنا   أن الترهب في بلدنا ينفعي
بعلك سرحان شط به النوى   وان طالت الايام الينا يرجعي
ان الغزال الذي تحكين عنه   لابس عباية فوق جسمه تلمع
وعمال يرعى في خنازير سيده   حفيان عريان عينه تدمعي
لا بد بعد الذل يأتي عزه   هكذا الدنيا تحط وترفعي
واليوم انا مالي غيرك بالملا   يا ست شما ابشري ولا تفزعي

سري وسرك إنكتم جوا الحشـــا ما أبيـح به ولو قطعوا اصبعـــي
انت بدال الروح والاهـــل كلهـم وحبك في ضمايري مع اضلعـــي

فطاب خاطر شما وقعدت مع زهر البان ولم يطلع على أسرارهما احد ثم مات الملك شمعون وليس له ولد خلاف زهر البان وصهره شمان وكانت عادتهم في تلك البلاد اذا مات ملكهم يجتمعون بعد ثلاثة ايام ليختاروا ملكا لهم وكان عندهم طـير يقال له طير الملك مربا عندهم من الذخائر فيطلقونه فيحوم على رؤوسهم فكل من هدى على راسه يكون الملك فاجتمع اهل البلاد كعادتهم وبينهم شمان صهر الملك وكانت شما تطلع كل يوم للديوان وهي بين الرجال رجل مثلهم وعند زهر البان بنت مثلها وما يحسبوه الا زوجها واطلقوا الطير والناس تنظر اليه وهو يحوم على رؤوسهم وكان كل منهم يقول بأنه يهدي على راسه ولكن الطير هدى على راس شما قالوا مسلم ما نرضاه يحكم بالنصارى فكشوا الطير فطار وحام ثم هدى راس شمان قالوا غريب ما نريده وكشوا الطير فطار وهدى عليـه ثالثا فقالوا يستاهل لان الطير هبط على راسه ثلاث مرات فمن الواجب ان يكون ملكنا وهو صهر الملك فعند ذلك لبسوه البدلة الملوكية وأجلسوه على كرسي الملك وباركت له اكابر البلاد وحكم بالعدل والنظام .

هذا ما كان من شما وزهر البان واما ما كان من رزق وقايد الالف فارس الذين بوادي النار لما شدوا الاحمال واتوا حتى يركبوا شما فما وجدوها فعجبوا من هذه القصة العجيبة فقال رزق فتشوا عليهما في كل مكان فبداوا يفتشون .

(قال الراوي) هذا ما كان من بني هلال واما ما كان من سرحان فانه لا زال كل يوم يسرح مع الخنازير من الصباح الى المساء ولما يرجع تركبه مريم كل ليلة وتقيده عند المنام وفي احد الايام سرح في الخنازير وتركهم يرعون فافتكر فـي قضيته وما جرى عليه وتذكر الست شما وما جرى لها بعده وتذكر اهله ومملكته وشأنه وكيف بقي اسيرا يرعى الخنازير فبكى حتى بل لحيته ثم أنشد :

يقول الفتى سرحان عما جرى لـه بدمع جرى فوق الخدود غزيـــر
أبات طول الليل تفيض مدامعـــي ولي قلب من جوا الفـؤاد كسير
اذا نامت عيون البوادي جميعهـا جسمي يبات الليـل دوم سهـــير
تفكرت بالدنيـــا كوتني هومومهـا ولا شك بعـــد العسر تيســـير
رماني زماني في البحور غصيبـة وانـــا الان عند برصومة اسـير
بالصبح يعطيني عصاتي ومزودي ويقول لي اسرح مـــع الخنازير
يا رب يا رحمن يا رافـــع السما يا من تعالى فـي سماء قديــر
خلصني من غربتي ثـــم جيرنـــي كما جرت يوسف من قرار البـير
يا ليت شعري شما ما جرى لهـا يا ليتني طـير اليهـا اطـير
يا هل ترى اخذوهـا لبلادنـــا امـــا رجعت لاهلهـــا تسـير
يـا دار ان عـــاد الزمان يلمنـا تجمع بنـــا الايام فـــوق سرير
واحظـــى بشما وافرح باللقـــا يا هل ترى عاد المنـــام يصير

فلما فرغ سرعان من كلامه والحق متجلي على نظامه شلح البرنيطة عن راسه وهي كبيرة بقدر الطبق الكبير ونظر فيها وضحك ثم بكى ونام حصة ثم نهض من نومه فما وجد الخنازير فبهت وقال في باله هذه الليلة يموتني من القتل وعاد ينتف في ذقنه وهو يركض يمينا وشمالا فشاف خنزيرة هرمة كبيرة ما لها حيل تروح ولا ترجع فقال لها يا ملعونة الاصل قاعدة في وجهي والله ما انظرك انغم وسحب العصا وصار يضربها وهي تعيط وتجعر بصوتها ما نظر الا الخنازير عادت على صوتها فقال في باله والله عندما اكون في المرعى اترك الخنازير ترعى واربط هذه الكبيرة والمساء هي تجمع اي الكل فصار سرحان يتركهم وعند المساء يعذبها فتجتمع على صوتها يسوقهم الى الدار ولم يزل على ذلك الحال مدة ثلاثة اشهر فيوما من الايام جلس تحت شجرة بجانب عين ماء فاضطجع على قفاه من الحر ووضع البرنيطة تحت راسه ونام سبحان من لا يغفل ولا ينام وكان بالاتفاق ان تلك الشجرة معشش فيها طير العركرك الذي عليهما حتى وصلوا الى البحر وداروا على الشط فنظروا البلاطة المكتوبة بالدم فقرأوها فعرفوا القصة من اولها الى اخرها فاغتاظوا حتى كادت تزهق أرواحهم فحينئذ امرهم رزق بالمسير وشدوا وركبوا خيلهم وصاروا يقطعون الفيافي والقفار والاودية والاوعار حتى وصلوا الى بلادهم فخرج العرب والملك زهير ابن عم السلطان لملاقاتهم وسلموا على بعضهم وسألهم الامير مالك عن سرحان فقال رزق اظن انه رجع لعند زين الدين ابو شما وقعد عنده بأرض الحسب والنسب فقال له مالك هذا الكلام ليس بصواب فأخبرنا الصحيح فأخبرهم بما جرى فوقع عندهم الصياح والبكاء والنواح وارسلوا الخبر الى بلاد الزحلان لعند الامير ابو زيد وقال هذا سبق في علم الله ودعاء الخضرا ام الامير ابو زيد نفذ فيه .

خطف منه العقد بوادي النار فطلع ذلك الطير من عشه وزبل فنزل زبله على وجه سرحان كساه من حواجبه لحد شواربه ففاق سرحان وصعد على الشجرة وصار يهدم العش بيده فوجد شيئا جامدا فاذا به عقد شما فغسله ووضعه في جيبه وانشد :

قال سرحان الحزين الفاقد ... دمع عيني حفر في خدها
جور الليالي غدرها يضني الفتى ... جور الليالي قد كواني صدها
أبكي على أيام مضت سوالف ... ولت وجاني شرها من بعدها
يا ليتني طير أطير من الضحى ... لعند شما حتى أريها عقدها
أطلب من الرحمن يجمع شملنا ... واشوف شما واصبح عندها
وابل شوق قلبي منها ساعة ... واحط زندي فوق عالي زندها
ونجتمع اثنينا في دارنا ... واحط خدي على ورد خدها
وتشوفها بناتنا متمخترة ... فوق المراتب ينشقوا ريحة ندها
وجوارها وعبيدها من حولها ... وينجلي فوق الملابس عقدها
يا رب يا رحمن تنظر لحالتي ... بنت الحسب حالا الي ردها

ثم انه اخفى العقد خلف ظهره وتزنر عليه ثم ساق الخنازير وسار بهم الى دار سيده ووضعهم بالاسطبل ودخل للبيت فطلعت اليه بنت سيده مريم على جاري العادة وصفعته كفين ثلاثة وركبت على ظهره ودار بها على الماشية تفرجت عليها وحلب الخدم حليب الخنازير قدامها وعاد فيها ولكن حس ظهره انكسر .

فلما ارادت ان تنزل طأطأ لها حتى نزلت فانفك زناره وسقط العقد بأرض الدار فأضاءت منه الدار ففف عليه سرحان واخذه ليتزر عليه فقالت له مريم ما هذا ما رد عليها فندهت على ابيها برصوما فأتى وقال غلامك فقالت له يسيرنا معه شيء اضاءت منه الدار قال برصوما ما معك قال ما معي شيء فمد برصوما يده الى عب سرحان وطالع العقد فطار عقله منه فلقاه يسوى ملك الارض وقام يده وضربه كف فتطاير من عينيه الشرر وقال تقول ما معي شيء قال سرحان خذه لا بارك الله لك فيه حيث ذهب الغالي فلا أسف على الرخيص .

قال برصوما اين وجدت هذا العقد قال في الشجرة التي عند العين قال له اذهب وانظر لنا واحد اخر . قال وهل عندكم اشجار تحمل جواهر فعند ذلك اعطى برصوما العقد الى مريم فأخذته وفرحت به فرحا شديدا وأمرت الخدم ان تصنع الى سرحان صحنا من الرز واللحم وقالت له هذا حلوان العقد وما بقيت أركب على ظهرك ابدا وقال سرحان هنيئا لي خلصت من الركوب وصرنا نأكل لحم ورز أما مريم فقد لبست العقد فوق البدلة وكانت بديعة الحسن والجمال وذهبت الى الحمام حتى تفتخر فيه على البنات فتحيروا من ذلك العقد وثاني الايام صار عرس في البلد قامت لبست العقد وراحت فيه لعند العروس فتركت النساء العروس وصرن يتفرجن على حسن مريم وحسن ذلك العقد وشاع في جميع البلد فصارت هذه تحكي لابنها وهذه تحكي لاخيها فوصل الحكي الى الملك شمان وهذه ضايع لها عقد ورجل ففرح قلبها وأرسلت لبرصوما فحضر وقبل الارض قدامه ووقف امامه . فقال له الملك سمعنا بأن عندك عقد جوهر سمعت به بنت الملك الست زهر البان لان مرادها واحد مثله فأرسل لي اياه حتى تفتش لها على واحد مثله فما امكن ان ينكره وقال سمعا وطاعة وذهب ووضعه بمنديل واتى بـه فأخذته شما فوجدته عقدها بعينه وعدته فاذا لا زائد ولا ناقص فتحيرت بهـذه القصة وقالت من اين اتصل الى برصوما . قالت في خاطرها ان قلت له هـذا عقدي ما يصدقوني ويقولوا حيلة يأخذ العقد منه وافتكرت وأتى ببالها ان تسأله عن سرحان حتى تعرف من اين اتصل له هذا العقد فقالت يا برصوما من اين اتصل لك هذا العقد انت اشتريته او اتاك هدية.

فقال يا ملك الزمان هذا عندي من زمن أجدادي قالت ولك تكذب على الملوك انا سمعت انه انفتح على وجهك كنز واخرجت منه أموالا كثيرة وذخائر ومن جملة ما اخرجت هذا العقد فالواجب ان نأخذه ونبقي المال بخشيشا لك لان الكنز الذي يطلع على وجه الارض للملك فما تقولون يا ايها الكرام قالوا هذا هو الصواب ايها الملك المهاب . فقال برصوما بالله عليك ايها الملك لا تتهمني بمطلب ولا غيره ولكن

قصدي ان اخبرك الصحيح من اين هذا العقد فان شئت خذه وان شئت اعطني اياه فقالت قل وان كذبت بشيء اقطع رأسك لان عندي الرمل والحساب فاعلم به كل شيء فقال برصوما اعلم يا ملك الزمان ان عندي اسيرا اسمه سرحان وهو يرعى الخنازير من عدة اشهر وفي احد الايام اتى الى الدار فوقع من عبه هذا العقد فأخذناه منه وقلنا له من اين لك هذا العقد فقال وجدته في عش طير في شجرة فقال شمان للحاضرين انتم في هذه البلاد عندكم طيور تبيض جواهر قالوا كلا يا ملك الزمان فقالت يا برصوما ان كنت صادق اذهب واتني بالاسير حتى نسأله من اين وجد العقد فربما هو سارقه والملك له ان يسأله . قال برصوما ان سرحان يرعى الخنازير في الموضع الفلاني فأرسل الملك شمان اربع خيالة يأتون به فبينما سرحان يرعى الخنازير الا وطبق عليه الاربع خيالة وقالوا له قم واذهب معنا لعند الملك شمان فقال لهم سرحان وما يريد مني الملك قالوا لا نعلم وساقوه قدامهم لسراية الملك فرأته شما من الشباك عرفته ولكن رأته في حالة الذل وهو حافي عريان ووجهه اصفر ولحيته فتايل فتأثرت من حاله ثم اصعدوه لقدام الملك فانبهر سرحان من دولته وهيبته وقبل الارض بين يديه وجلس امامه فقال له شمان ما اسمك قال اسمي سرحان فقال يا سرحان اين وجدت هذا العقد فقال وجدته في عش طير فقالت يا سرحان انا سألت عنه قالوا ما عندنا شجر يحمل جواهر ولا في طيور تبيض جواهر انت تكون سارقه من موضع احكي لي الصحيح وإلا رميت راسك بحد هذا الحسام وكان مراد شما ان يتكلم سرحان قدام الافرنج ليعرفوا ان العقد لامرأته شما حتى تخلصه هو والعقد بحسن عياقتها فما كان يتكلم وهو يقول لقيته في عش الطير فصاحت على الجلاد خذ هذا وارمي راسه فقال سرحان بحياة رأسك يا ملك لا تقتلني انا اخبرك حكايتي فقال تكلم فافتكر سرحان في جميع ما صار عليه فهطلت دموعه من عينيه واشار يخبر الملك ويقول :

قصتي يا ملك اعظم قصة	لمين اروح اليوم حالي اشتكي
شكيت حالي للذي رفع السما	يجيرني لو كنت نايم متكي
قد كنت انا ملك مثلك بالسرو	وجدنا جرمون عنه قد حكي
قد اتونا شعار يا امير الملا	اعطيتهم مني عطايا ملك
وقلت هل رأيتم ملوك مثالنا	قالوا في بلاد الحسب ملك زكي
قمنا وسرنا قاصدين بلادهم	واريد منهم زوجة أتملكي
جينا الى ارض الحسب ثم النسب	في عسكر من خلف مني مدرك
الى الامير زين الدين اتينا كلنا	لاقونا بأهلا وسهلا يا زكي
اخذت انا بنته شما بلا بطا	كالبدر يضيء وجهها ويفتكي
وركبوها فوق هودج مفتخر	ريش النعام في جانبيه مشبكي
وودعونا نصف يوم ورجعوا	سرنا نشاوى في غرام ودردكي
والامير زين أوصاني وصية	احذر تواصلها تقع بالمهلكي
واخذ علي العهد عهد الله	ونقضنا للعهد بسوء مسلكي
إبليس غواني لشما اشوفها	تاري شور ابليس كان مضحكي
دخلت خيمتها لأنظر حسنها	وجدت عقد في صدرها مشكشكي

اخذته يـــا مير اتفرج عليــــه غف عليـه طير بسرعـــة تمسكي
خطفه مـن يدي وطــار للسمــا والنار فـــي قلبي لظاهـا بيهلكي
ذهبت انـــا اسعى وراه اجيبـه وصلت انا للبحـــر الاقي دردكـي
مركب للافرنج موسـق يا ملــك افرنج ما فيهم غلامــا برمكـــي
بالحال مسكوني وصرت يسيرهـم وعـــاد برصوما بنــا يتملكـــي
وصرت ارعـــى الخنازيـــر وانا حفيـــان عريـــان تحت المهلكـي
وبنته مريـــم تركبني عند الرجوع امشي بهــــا ساعات حتى ابركي
جيت الى شجرة رقـــدت بظلهـا من شدة الحر قصدت ان اتكـــي
إلا وطير من فوق راسي قد خـري يسمى ترى بين الطيور عركركـــي
وطلعت للشجرة خربت لعشهـــا وقتلت افراخهـــا تساوي مملكـي
إلا وعقـــد البنت تحت الفـــراخ اضـــاء جميـع المرج منه يا زكـــي
والعقد في وسطي انا مزنر عليـه وانا بـــه فرحان كأنــــه مملكي
وقلت ايـــن شما تأخذ عقدهـــا وصرت للدمــــع الغزير اسفكي
لمـــا وصلت الدار اخـذوه يا ملك غصبـــا وآلمني بضرب مهلكـــي
يا رب احظيني بشما فـــرد يـوم وانظر لعينها ووجهـــي يضحكـي
هذا الذي قد صار يا امـــير المـلا والدهر دولابـــه يدور ويفركـــي
إلهي بحــق موسى وعيسى والنبي فـــك اسري وحالي اليـــك اشتكي

فلما فرغ سرحان من كلامه وشمان يسمع نظامه قالت شما يا سرحان طيب خاطرك والتفت الى برصومة وقال له هذا العقد ليس لك فيه حق لانه لامرأتـه قال برصومة يا ملك هذا اسير لا يملك شيئا قال الملك لاي سبب هل اشتريته بمالك فقال وهل يمكنه يفك روحه بدون رضاي قال الملك كم له عندك يرعـــى خنازيرك قال ثلاثين شهرا فقال شمان وما وفى ضمانته بعد اذهب وانا اسمح لك بخراج ثلاث سنين فخرج برصومة مقهورا اما الملك شمان فقال لسرحان خذ العقد قال ضعه عندك امانة حتى اذا سمح لي المولى ان اذهب الى بلادي فآخذه منك ان انعمت علي بالذهاب قالت أما تسكن عندنا يا سرحان قال يا حبذا ولكن مرادي ان ادور على ابنة عمي فقالت كما تريد ثم ان شمان فض الديوان ونزل الى قاعـــة الجلوس والعقد في عبه ثم قدموا الى الملك الغدا فتغدا وقال نادوا سرحان غدوه معكم فحضر وتغدى معهم وامرت له بملابس تستره ثم انشدت تسأله هذا القصيد:

قال الفتى شمان عما جـــرى له وعن قريب يفـرج الله همومهـــا
وترد ايام قـــد مضت سوالـــف ايـــام سعدك لم الله شمولهـــا
لا بـــد بعد الذل يأتـــي عـــزك قبل الفرح لا بـــد يأتي كدورهـا
كم نهر جاري اليوم اصبح ناشف والمـــاء اصبح في قرار بيوتهـــا
ادعي الى الرحمن يفرج كربتـــك فضله علينا يـــا فتى وجميلهـــا
بنت الحسب لو شفتهـــا تعرفها احكي الصحيح لا تخبي سطورهـا
روح يا سرحان نحسك ولـــى وحبال سعدك قـد جمعنا شمولها
قال الملك شمان قـــولا صادقـا وكـــل همومك يا فتى رحلونهـــا

(قال الراوي) فلما فرغ شمان من كلامه وسرحان يسمع نظامه قال سرحان يا ملك كيف لا اعرف شما وحياة راسك ان شفتها بنصف الليل بعرفها قالت ما هي علامتك فيها فأشار يوصف شما :

قال الفتى سرحان من قلب حزين — أبيات شعر للزكي لوصفها
وعيني تبات الليل ما تألف الكرى — ودموع عيني عالخدود ذرافها
لو كان نصف الليل يا امير الملا — وشفت شما يا ملك بعرفها
اول عرفاني لها في حسنها — والشامات الحمرة على سالفها
مثل القمر تضوي بليلة نصفه — وبعاد شما لمهجتي يتلفها
وقدها قد الغزال الشارد — وزنودها خلقت للحرير تلفلفها
ما مثلها بين الانام صبية — ولا اظن الليالي بقت تخلفها

فلما فرغ سرحان من كلامه قالت له لا بد ان اجمع شملك بها اذا وجدتها وان ما وجدتها أزوجك بزهر البان بنت الملك وهي احسن من شما ونجعلك وكيلا على باب السرايا وجميع الخدم تحت امرك والآن أريد منك ان تصف لي شما حتى اذا كانت تصلح للتفتيش فتشنا عليها فقال سرحان على الرأس والعين ثم تذكر حسنها وجمالها لما دخل عليها في تلك الليلة التي فارقها بها وأشار يقول :

يقول الفتى سرحان عما جرى له — بدمع جرى فوق الخدود وساح
ألا يا امير دستور اغني باسمك — وانا طير مالي يا امير جناح
لها قامة مثل عود الرديني — او مثل عود البان والارماح
والوجه مثل البدر يضوي بالسما — ترى من نظرها عاف للارواح
وعنق طول شبر على الكتف نابق — وصاعد على الاكتاف كالملواح
وصد كلوح العاج في يد كاتب — عليه القلائد مثل نشر جناح
ونهدين كما بيض النعام صفاتها — أمل مثل رمان على أمه لاح
وبطن كما طي الحرير وأنعم — وصرة كغصن بالغوالي شاح
وزندين بيض والاساور زهية — وشعرها كجنح غراب يا جحجاح
هذا مقالي في الاميرة وحسنها — على حب شما راحت الارواح

فلما فرغ الامير سرحان من كلامه تبسمت وقالت له ان كانت على هذه الاوصاف تستأهل التعب ولكن الحسن حسن الفعل والاصل فهل فعلها وأصلها مثل حسنها وجمالها فقال وحياتك يا ملك شمان اصلها احسن من حسنها وحينئذ زادت رغبة شما فيه لانه باق على عهده ثم انها قالت له غدا انادي في كل الجزائر وآتي لك بكل النساء المأسورات عندنا وأعرضهن عليك فان كنت تعرف شما تأخذها ثم اشارت تعلمه بحالها وتقول :

قال الملك شمان اسمع يا اسير — محبوبتك في ذي البلاد مخفية
غدا انادي لك بالجزائر كلها — واجيب لك الفين بنت مجلية

ادعي الى الرحمن يجبر خاطرك ... يعطيك رب العرش كل عطية
فان كنت يا سرحان تعرف شما ... والله يا سرحان انا هية
قد زال عنك الهم يا امير الملا ... وبعد الفراق الله ردك الي
ياما بكيت على فراقك والجوى ... حكايتي يا ملك صارت اسية
لما اخذت العقد ورحت به ... وطلعت تركض وسط البرية
جلست مثل الطير قلبي مرتعب ... من اجل عقدي عدت انا معمية
وعدت انا لخيمتك لأسألك ... لان عقدي راح مني عشية
ما لقوا لك خبر يا سرحان ولا اثر ... بالحال رزق وفايد اتوا الي
قالوا مالك قلت عقدي فقد ... قالوا سرحان ما له نية
لقيت شاشك واخذت لصارمك ... ومشيت من وقتي على اجريه
نظرت خطك عالبلاطة راعني ... ولطمت على خدودي بيديه
إلا ومركب من البحر غاير ... أفرنج اتوا مسرعين الي
بسرعة اخذوني وعدت اسيرهم ... واندريا عاد حاكم في
وقال مات ابني انت مكانه ... اعطيك رزقي والخيول البهية
سمع بنا الملك ارسل خلفنا ... وقد اخذوني قهر بالغصيبة
لما نظرني قد فتن بمحاسني ... والعقل منه زال بالكلية
وقال ما هو اسمك يا فتى ... فقلت له شمان ارفق في
خلع علي خلعة منظومة ... خلعة من الديباج ملوكية
وقال لي ما كنت تصنع يا فتى ... فقلت أجمع اموالهم والدية
فقال لي وحياة راسي يا ولد ... اعمل في بلادي كاشف الغربية
وعدت انا داير عليك بلا بطأ ... في بلاد الافرنج والكردية
وما لقينا لك خبر يا سيدي ... قطعت انا منك كل رجية
وبعد ايام جابوني سريعا ... لعنده الى البيت من عشية
بالحال زوجني بنته با منيتي ... تسمى زهر البان بنت بكرية
تميت معها شهر نايم بجنبها ... ما مثلها يا امير شفت صبية
اعلمتها في حالتي من ساعتي ... كتمت سري في الحشا مخفية
وبعدها شمعون مات وانتقل ... وعدت انا سلطان للرعية
وسمعت انا بالعقد من بعض الملا ... وطلبت برصوما حضر لدي
لما اتى قلت هاتوا بالعجل ... جابو عرفته والحشا مكوية
فقلت له من اين جاءك هذا ... انت اشتريته او جاك هدية
فقال لي عندي اسير يا ملك ... لقاه بعش طير في برية
فقلت له هات الاسير بالعجل ... جابوه بالحال مع العسكرية
لما نظرتك من بعيد عرفتك ... وفرحت في لقاك والجمعية
روح يا سرحان نحسك ولى ... ولبست من فوق الحرير عبية

فلما فرغ شمان من كلامه وسرحان يسمع نظامه فقال يا ملك الزمان افرحتني واحزنتني لان ما قلته قوي وقريب من الواقع ثم اخذ يقبل يدي شمان فنتر فيه وقالت له تعملني مرتك وقالت للخدم خذوه واحبسوه في حمام المقتول وسكروا عليه الباب وكان مراد شما ان تغسله وهذا هو حمام الملك وبما انه قتل فيه واحد

سموه حمام المقتول فظن سرحان انه الحمام الذي يقتلون فيه المسلمين حينئذ اخذوه وهو يبكي ووضعوه في الحمام وسكروا الباب . اما سرحان فدقر الباب ونام وأما شما اخذت العقد الى زهر البان وهي فرحانة وحكت لها القصة بالتمام فقالت زهر البان وأين هو الان قالت أرسلته للحمام ومرادي ارسل له الخدم حتى يحلقوا له شعره ويغسلوه ويأتوا به الينا في هذه الليلة وادخله عليك واوفي عهدي معك فقومي اغتسلي وتعطري وهيئي نفسك ثم قامت شما وأخرجت بدلة ملوكية واساور ذهب مطلية وآلة التزيين وتغسلت ولبست ثيابها وصارت تتمشى في القصر كأنها القمر من فوق غصن بان يتمايل كيف ما هب عليه النسيم وخصرها يلتوي تارة ويقبل اخرى وقد امرت الخدم ان يزينوا القصر ويفرشوه ففعلوا ذلك ولما حضرت زهر البان قالت شما ابقي انت في تختك تحت الستار ولا تحضري الا ونحن على المائدة فحينئذ يكون حضورك فاجلسي بجانبه وانا أدبر لك الامر فقالت لها سمعا وطاعة كما تريدين ثم ان شما ذهبت الى قاعة الجلوس واستدعت بخدام الحمام وقالت لهم اذهبوا الى مملوكي في الحمام واحلقوا له شعره وغسلوه وبعد ذلك اسكبوا عليه جامين من العطر والمسك واعطتهم ايضا بدلة ملوكية وأمرتهم ان يذهبوا يلبسوه اياها ويقوموا بخدمته كما كانوا يقومون بخدمة الملك وامرت ايضا ان يأخذوا له جوادا مزينا بالسرج المذهب والركاب الفضة وأن يمشوا امامه فحينئذ ذهبوا الى الحمام فوجدوا الباب مدقرا فقالوا له افتح فلم يرد قالوا له لا تخف نحن اتينا لنغسلك ونخدمك لان الملك هكذا أمرنا فما فتح لهم ولما اعياهم الامر خلعوا الباب ودخلوا وعروه من الثياب ونيموه على البلاط الناري فحينئذ قطع رجاه من الحياة وجعل يبكي على نفسه وهم يتعطفون بخاطره حتى اخرجوه من بيت النار الى المصطبة وكأنه قد خرج من الجحيم الى النعيم وذاق لذة ما ذاقها طول حياته ثم حلقوا له شعره وزينوه وطيبوه والبسوه البدلة واركبوه على الجواد المعد له ومشت الخدم امامه ودقت النوبات وهو كأنه الملك شمان ولم يزل سائرا الى ان وصل الى القصر فأنزلوه ومشوا في ركابه حتى أصعدوه الى قاعة الجلوس فأجلسوه ثم دخل شمان على سرحان فقام وقبل الارض بين يديه وقال له اني اطلب من الله ان يديم لنا ايام سعادتك ويحفظك ويهنيك ويعطيك كل ما تقر به عينك فقال الملك شمان قم واتبعني الان ثم مشت امامه الى المكان الذي فيه زهر البان فدخلا وجلسا وبعد ذلك وضعوا الطعام للعشا وجلس سرحان وشمان على المائدة وقبل ان يبدأ سرحان بالاكل راى الستار قد رفع وبان من تحته صبية كأنها البدر في تمامه ووجهها يتلألأ كأنه فص من جوهر فلما نظر سرحان الى هذه الصورة عاد قلبه يخفق واعضاؤه ترتعد وقال في باله هذه الملكة فاذا نظرت اليها يرجعني الى رعي الخنازير ثم اتت وجلست بجانبه وهي كأنها غنمة امام ديب يريد ان يفترسها وبعد ان اكلوا وشبعوا قاموا وغسلوا اياديهم وجلسوا في مكان منفرد في بعض غرف القصر ولما استقر بهم المقام قال الملك شمان لسرحان كيف انت الان قال يا ملك الزمان اطال الله بقاءك انني على احسن ما يكون من العيشة

والرفاهية ولكن الذي يحزنني ان اقامتي قد طالت في هذه البلاد ومرادي ان اذهب الى بلادي وانظر ما جرى لشما قرينتي بنت الحسب والنسب فقالت مالك ولهذا الامر فانظر من على يمينك الا تنسيك محبوبتك التي تجهل مصيرها فقال وما فائدة ذلك والمثل يقول : من أطلق نظره اتعب خاطره فقال الملك شمان بحياتي عليك ان تنظر اليها فحينئذ التفت اليها سرحان ونظر اليها فتاه عقله في بحـــر هواها وقال في باله يا ريت الملك يوهبني اياها ثم قال للملك تبارك الله احسن الخالقين ولكن هذه هي الملكة قال نعم ولكن للآن بعد ما دخلت عليها واريد ان ازوجك بها فقال سرحان انا لا أريد الا شما ان تكون زوجة لي فقالت له ان لم تتزوج زهر البان اعيدك لعند برصومة ترعى الخنازير أيصير لك مثل هذه البنت وتتركها فقال اني قبلت الزواج فأعطته شما العقد وقالت له ادفعه لها مهرا فأعطاه لزهر البان وكتبوا الكتاب ثم باركت لهما وقامت خرجت عنهما وغلقت الباب وذهب سرحان بزهر البان الى مكان النوم وناما على فراش من ريش النعام واحتظـــى بجمالها وقدها واعتدالها فرآها بنت بكر ودرة كريمة ما ثقبت ومطية لغيره مـــا ركبت وبقي عندها عشرين يوما وليلة فعند ذلك اختلت شما بزهر البان وقالت لها لقد مضى عشرون ليلة وأنت معه والآن لقد جاء دوري فقالت انا ما منعتك عنه وفي هذا الوقت يأتي سرحان وأول ما يدخل هو اخرج انا وحينئذ اكشفي له عن ذاتك ودعيه يدخل عليك وبينما هما في الكلام وإلا بسرحان دخل وقبل يدي شمان ثم سأله هل سمعت لي خبرا عن شما فقال له اتاني خبر انها في بعض الجزائر مع مسلمات اسيرات فاجلس مكاني على تخت الملك حتى ارسل لك البنات فانظر اليهن فان كانت شما بينهن فخذها وان لم تكن معهن افتش لك عليها في كل مكان ثم اخذته وذهبت به الى كرسي المملكة واجلسته عليه وقالت لارباب الدولة أريد ان يحكم سرحان مكاني لانه كان ملك بلاده فقالوا وانت يا ملك الزمان ماذا تصنع قال مرادي ان اقيم في قصري نحو شهر لاني مريض فقالوا سمعا وطاعـــة فأجلست سرحان على الكرسي مكانها وذهبت لقصر زهر البان وقالت لها أجلسته يحكـــم مكاني ومرادي ان نغير انا وانت وندخل على سرحان ونقول له ان الملك شمـــان ارسلنا لتنظر ان كانت بيننا شما ام لا ثم قامت ونزعت ثياب الرجال ولبست ثياب النساء وتزينت بزينة العرايس وزهر البان فعلت مثلها وامرت الخدم ان يهيئوا الاطعمة والمأكولات وأن يفرشوا القصر ويزينوه وذهبوا الى الحمام واغتسلوا وتعطروا وخرجوا كالاقمار وعليهم من الملبوسات ما لا راته عين ولا سمعت اذن به وكان معهم داية يقال لها زخروفة فقالت زهر البان خذينا لعند سرحان وقولي له هل ترى شما منهما وادخلينا واذهبي بحالك فقالت سمعا وطاعة ثم سارت بهما نحو سرحان وكان في وقتها قد انتهى من الديوان وذهب الى قاعة الجلوس ووضعوا له العشاء فتعشى واذا بالعجوز دخلت عليه فقال سرحان لعله خير ان شاء الله فقبلت الداية الارض بين يديه وأخبرته عن البنتين وأدخلتهما امامه فنظر اليهما وانبهر من حسنهما وجمالهما لكنه لم يعرفهما فتقدمت شما وجلست عن يمينه

وزهر البان عن يساره قالت له شما اذا انا ما عرفتني وزهر البان الا تعرفها وهي التي لك عندها عشرون ايلة فأمعن سرحان النظر بزهر البان فعرفها فقال نعم هي زهر البان ولكن بالله عليك من انت فأشارت تجاوبه على كلامه وتقول :

هي . بنت الكباريــــة . في حضن السلطان . عروس مجليــــة
بحضن السلطان بنتان كالغزلان . شما وزهر البان . كأنهم في برية
شعر مثل الليل . كأنه سبسب خيل . والوجه مثل الليل . وعيون هندية
سرحان افهم لي . ولا تكون مختلي . من ذا يكون مثلي . في تلك العلية
مثلي قليل يكون . كالجوهر المكنون . الله يكون لك عون. ويلبسك حريرية
لبسي حرير احمر . والعنق كالمرمر . والريق كالسكر . في وسط صينية
بيضا كالفضة . عنطوسة وغضة . بالبها مرتضــة . كالبدر مجليــــة
سرحان انا شما . والشمل قد التما . والسعد قد عما . من صفات النية
انهض ورافقها . واحذر تفارقها . سبحان خالقها . قامــــة رباعيــــة
اسرع واضجعنــــا . على مضاجعنا . فالهجر شتتنا . بادر بحنيــــة
بادر وودينا . واجلس محادينــــا . واستوفي الديونا . مني ومن هيه
واسري بنا سحرا . لجهة البحرا . ورفيقتي زهرا . بالحسن معطيــــة

فلما فرغت شما من كلامها وسرحان يسمع نظامها طار عقله من الفرح وزال عنه الهم والترح وقال لها والنبي ما انا مصدق اخاف ان يكون ذلك في منـــام قالت انا امرأتك شما فان لم تصدق انظر الشامة في عنقي ولا بد ان تكون قد رأيتها فلما رأى سرحان الشامة في عنقها عرفها تماما وأنشد :

يا شما قتلتينا . وانت سبيتينا . مــــا مثلك شفنا . بأرض الحجازيــــة
من اجلك رحنا . بالكرج قد سحنا . واليوم ارتحنا . برؤياك البهيــــة
في حي برصوما . قد كنت معصوما. مع شر وخصوما . شمطا ومكريه
مريم تركبني . تأتي وتضربني . على الارض تقلبني . رغما عــــن أنفــي
والعقد لقيته . في العب خبيته . وجيت لبيته . بسرعا اتــــى لــي
وجيت منخبي . واتكلت علــــى ربي . وقلت لقلبي . ما عاد لــــي نية
ورحت للحمام . وعبيدك قدام . ورجعت في إنعام . وسعدي رجع لي
والسعد قد عما . في جمعي مع شما . والخير قد تما . بالمسلمانيــــة
شما قد تلفتيني . بحبــــك ضنيتيني . قومي واسقيني . شراب وميه
قومي اتى دورك. وهلكت من جورك . بالليل انا ازورك . وهل وقت شوية
حسنك سبا عقلي . مثلك يليق لي . هاتي لنا النقلي . بوسط صينية

فلما فرغ سرحان من كلامه وشما تسمع نظامه فقالت زهر البان انبســــط

يا سرحان على بنتين ما في الدنيا مثلهما ثم تقدمت وأرخت دلالها عليه وتاهت في حسنها وجمالها وقدها واعتدالها وانشدت :

تقول زهر البان . يا امير سرحان اسمع قولي واطرب . وشوفني ما احلاني
انظر حسن خدودي . حمر مثل ورودي . تفاح فوق العود. مشكوك بالاغصان
طلبت مني امي . وأبي ثم عمي . شدون لاجل الهمي . واعطونــي لسرحــان
جلست انا قباله . انظر رفيف دياله . طالبته بوصاله . فقال عــذري بان
كتمت انا اسراره . وطفيت جمرة ناره . وحكى لنا اخباره . ما صار فيه وكان
وجيت انت من بعده. وسعدك غلب لسعده. برقك لمعمع رعده. والغيم ضبضب ثاني
نحن حريمك عدنا . ان ردتنا لك ردنا . وتحطنا بالردنا . من داخل القمصان
انهض بنا للقصر . نعمل صفاء العصر . جالنا النصر . مــن ربنا الرحمــن

(قال الراوي) فلما فرغت زهر البان من كلامها وسرحان يسمع نظامها فمن زود فرحه ما عاد يعرف روحه ان كانت في ارض او في سماء لانه كان يهيم في حبها فأشار يرد عليها ويقول:

قال الملك سرحان ، يا ست زهر البان ، حبك سكن في قلبي ، فيك انا فرحان. وحبك سكن فؤادي ، وحرق اكبادي ، وصمت انا عن زادي ، وحبك اضناني . لك وجه مثل الشمس ، او كالنجوم الخمس ، وخدك كما القبس ، وسط الحشا نيران . حواجبك مقرونة ، الناس بك مفتونة ، الله يديمك لي معونة ، على طول الزمان . عيونك السود كحلا ، وريق فمك احلى ، كأنه عسل نحله ، وعنقك عنق غزلان . ما مثل قدك شفنا ، ودرنا البلد وطفنا ، وغيرك قد عفنا ، الا الفتى شمان.

(قال الراوي) فلما فرغ سرحان من كلامه قامت زهر البان من امامه وذهبت الى قصرها وأما سرحان دخل على شما بنت الحسب والنسب ونال ما كان يتمناه من حسنها وجمالها وقدها واعتدالها وعند الصباح ذهب سرحان الى الحمام ثم رجع للديوان وعند المساء ذهب الى شما ولم يزل على هذا الحال عشرين ليلة ومن ذلك الوقت صار ينام عند كل واحدة ليلة وشما تذهب الى الديوان مثل عادتها. وفي ليلة من الليالي حكم على سرحان البسط والانشراح فوضع شما عن يمينه وزهر البان عن يساره كأنهما القمران فافتكر سرحان بالايام التي كان قضاها عند برصوما في رعي الخنازير وكيف صار ملكا عليهم وكيف تزوج بشما وزهر البان فحمد الله وشكره على ما أولاه من النعم ولم يزل سرحان في بلاد الافرنج يحكم فيها ثلاثة اشهر وبعدها تذكر اهله وبلاده وأوطانه فحن قلبه الى الاوطان ولما اجتمع بشما في الليل قال لها قد ضجرت من اقامتي بهذه البلاد ومن اهلها فقالت له شما وأنا ايضا مثلك فقال كيف العمل بالمسير وكيف الرأي بأخذ هذا المال الغزير

فقالت له غداً ندبر امرنا باذن الواحد القدير ثم انهم باتوا تلك الليلة الى ان اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح قامت شما ولبست لبس الرجال وطلعت هي وسرحان الى قصر الحكومة وجلست على الكرسي وسرحان بجانبها وضربت ديوان فحضر اليه الخاص والعام وقبلوا يد الملك شمان فقالت لهم اعلموا بأن الست زهر البان طلبت مني الحج الى القدس الشريف فماذا تقولون بهذا الشأن فأجابوه هذا فرض على كل انسان وان فعلت معها ذلك فلك الاجر والثواب فقالت لهم وأنا اكون معها لاجل خاطرها ويقعد يحكم موضعي برصومة واندريا حتى اعود قالوا لماذا لا يبقى سرحان مكانك قالت سرحان أريد أرسله الى بلاده وشاع الخبر في المدينة ان الملك شمان يريد يزور القيامة ففرحت الناس بذلك وقامت جمعت أموالا لا تعد ولا تحصى ووسقت ثلاث مراكب ثم سأل سرحان زهر البان ان كان لها خاطر بالسفر فقالت لا أقدر ان أفارقكم ساعة واحدة ثم وكلوا برصومة واندريا بالملك ولما كانت ليلة السفر نزلت شما وزهر البان وسرحان في مركب وثلاث مراكب موسوقين ما يعلم فيهم الا الواحد الوهاب فسافروا على كف الرحمن فما كان الا ايام قلايل الا ونفذوا لمدينة يافا وكان يوجد نزل عرب هناك سلم عليهم سرحان فردوا السلام وقالوا له من اي العرب انت قال لهم انا سرحان بن حازم سلطان بني هلال وحكى لهم القصة فقالوا له ما تريد الان قال أريد اربع بغال وجمال قالوا ابشر فصار يخرج من المركب ويحمل الجمال ورتب هودجين لشما وزهر البان وسافروا وكان قد أرسل بشيرا ليبشر الناس ويستقبلوه فصار يسأل عن بلاد السرو الى ان وصل فرأى ما يفتت الاكباد ويذهل العقول من الحروب فسأل امراة عن بلاد السرو قالت له وصلت فقال لها ما لي ارى هذه البلد بهذه الحال قالت له ان سلطاننا قد أسر منذ ثلاث سنوات فطمعت بنا الاعادي كما ترى وقد أرسلنا الى ابو زيد ان يحارب معنا فلم يحضر فتوجه الساعي جهة الزحلان لاجل ان يستعجل ابو زيد ويدركهم وما غاب عن بلاد السرو نصف ساعة الا والرايات الحمر مقبلة وأبو زيد بأولهم فتقدم الساعي وقبل يديه فقال له من انت فأخبره بالقصة من الاول الى الاخر ففرح ابو زيد بخلاص سرحان قال الساعي يلزم ان تلحق اهلك يا ابو زيد لانهم على اخر رمق فقال او زيد سر قدامي فسار الساعي قدام ابو زيد مثل النسيم وأطلق ابو زيد الغارة حتى وصلوا الى بلاد السرو فرأوا بني هلال بأشد الضيق مع اليهود فجرد ابو زيد الحسام وهجم عليهم مع بني الزحلان وصاحوا الله أكبر وعبر فيهم ابو زيد كالنار تشعل في الحطب وهو يكردسهم يمينا وشمالا ويجندل الابطال وأما اليهود صاروا بأذل الاحوال لما جاء عليهم ابو زيد ففي قدومه صار النصر لبني هلال وعاد كيال المنايا وزادت الاهوال ولا زال الدم يبذل ونار الحرب تشعل والرؤوس تعزل الى ان ولى النهار واقبل الليل فدقت طبول الانفصال وعاد الفريقان . أما بنو هلال استقبلوا ابو زيد وسلموا عليه وذبحوا له الذبائح وأولوا الولايم ودخل ابو زيد على امه الخضرا وأخته شيحا وسلم عليهما وباتوا تلك الليلة فرحانين وبالنصر مستبشرين . أما اليهود فانهم باتوا بالذل والهوان واجتمعوا بسلطانهم الملك دومار وقالوا له ما دام ابو زيد انجد بني هلال

ما عاد لنا منهم مفلص ولا خلاص وبلغنا خبر انه طردهم من بلاد الزحلان وله عليهم غزوات كثيرة ونهب منهم أموالا غزيرة فقال لهم سلطانهم انا أقهره في حومة الميدان ولما اصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح اصطف الفريقان وترتبت الطائفتان فنـــزل دومار للميدان وطلب ابو زيد فما أتم كلامه الا وأبو زيد قدامه وصدمه صدمـــة هائلة منكرة وفاجأه بضرب على مفرق شعره قسمه شطرين وغار على اليهود وشتت شملهم وغنم المسلمون خيلهم وأموالهم وتقاسموها بينهم وما اخذ ابو زيد شيئا من الغنيمة لانه كان يكرم الناس بالمال ودامت بينهم الافراح وزالت الاتراح وذبحـوا الذبايح وكسوا الارامل والايتام وسجدوا لله الملك العلام على نصرتهم وشكـــروا ابو زيد الهمام فعند ذلك اخبرهم ابو زيد عن الساعي وظهور سرحان وأعطاهـــم المكتوب فقرؤوه في الديوان فحصل عند بني هلال السرور وزلغطت النساء وأكرم ابو زيد الساعي بمئتي دينار وكذلك الامــراء اعطوه فاغتنى بعد الفقر وتأهبـــوا لاستقبال سرحان ودلهم الساعي على الطريق واجتمعوا ببعضهم البعض وسلموا على بعضهم سلام الاحباب اذا كانوا غيابا وتعجب بنو هلال مـــن كثرة ما جلب سرحان معه من الاموال وذبحوا الذبايح وفرقوا وأكلوا وشربوا ولذوا وطربوا وقص لهم سرحان جميع قصته وما جرى عليه في سفرته فقال له ابو زيد يا ابن العم هذا كله خطية الخضرا فقال له صدقت وأنا مقر بذنبي ثم ان سرحانا اكرم الساعي وسار الى بلاده وهم هدوا خيامهم وساروا الى بلادهم بلا السرو وعبادة وطلـــع الرجال والنساء بالدفوف والزلاغيط وصارت لهم دخلة عظيمة ونزل سرحـــــان بأوطانه وترحبت فيه اهله وخلانه وتم الفرح مدة شهر تمام وجاءتهم المهنئون من جميع البلاد وأتتهم الهدايا وأقاموا الافراح.

وجلس سرحان على كرسي الملك وصار يحكم بعدل وانصاف أما شما بنت الحسب والنسب فقد حملت من سرحان وبعد مضي تسعة اشهر وضعت ولدا ذكرا مثل البدر فسألت أباه ماذا نسميه فقال لها سميه حسن وأتى المهنئون من جميع الجهات يهنئونه به مدة شهر كامل ولما كبر صار يتعلم العلوم ويتقنها وصار يركب الخيل ويتعلم الفروسية وأبواب الحرب والقتال حتى صار بطلا شجاعـــا وفارسا مهابا والتف حوله جماعة من الابطال والفرسان وصار يحدثهم بالغـــزو ويحثهم على الجهاد والقتال ثم قال لهم غدا استشير والدي عن غزو بلاد برزخـــا وتلك الجهات .

قصة الملك خرما

بنت الملك النعمان سلطان اليمن وخلاص اخيها الملك سليمان من الاسر في بلاد برزخا

(قال الراوي) بينما الامير حسن جالس في الديوان مع ابيه الملك سرحان اذ وردت أخبار من اليمن تقول ان ملك برزخا اعتدى على الملك سليمان ملك اليمن وتغلب عليه وأسره فغضب الامير حسن غضبا شديدا واستشار والده في غزو بلاد برزخا فاستغرب ابوه ذلك منه ولم يشجعه على هذا الغزو الذي لم تعرف لـه نتائج هل ينتصر فيه ابنه حسن ام يحصل له الهزيمة والاندحار ولما رأى حسن ان أباه ليس له خاطر بسفره قال له لقد عزمت وصممت على غزو بلاد برزخـا وتخليص الملك النعمان من الاسر متكلا على الله ولن أرجع عن عزمي ثم انشد :

لا بد لي عن غزو بلاد برزخـا ... متكلا علـى الواحـد الوهـاب
من رام يركب معـي فيا مرحبـا ... ومـن يأبـى مـا عليه عتـاب
أنا مكرم الضيف فـي سنة الفلا ... والناس دوما يحسبون لي حساب
انا قلبي بالمال مـا هو مولـع ... لكـن مرامي للثنـا كسـاب
سلمت امري لربـي وخالقـي ... من يتكل علـى الله مـا خاب

فلما فرغ حسن من كلامه قال ابوه لا حول ولا قوة الا بالله ثم انه نزل الى الديوان ودخل على شما وأسلمها بعزم ابنها حسن على السفر وعلى غزو بلاد برزخا فخافت على ابنها وقالت لسرحان نبه على جماعته ان لا يركب احد معه لعله يمتنع عن السفر فخرج سرحان من عند شما وذهب الى الديوان وأعلم جماعة حسن

سرا بعدم الركوب مع حسن لعله يعدل عن السفر فقالوا لا نخالف أمر حسن ولا نتخلى عنه ولكن ننصحه بأن لا يتهور وأن يترك هذا الغزو فقال حسن ادع لي يا ابي بالنصر والتوفيق ثم قال لجماعته تهيأوا للمسير فقالوا له انا ننصحك بترك هذا الغزو أتريد ان ترمي نفسك بالمخاطر وتفقد حالك ورجالك في بلاد لا تعرف عنها شيئا فقال لهم اين نخوة الرجال أهذه مروءتكم وهذا قصدكم ولكني أخيركم فمن اراد الذهاب معي فمرحبا به ومن كان جبانا ولم يرد الذهاب معي فلا لوم عليه فصاح سرحان بجماعة حسن قائلا كل من اراد الذهاب مع حسن فلا يلوم الا نفسه فنهض الرياشي من جماعة حسن وقال اننا لم نتخلف عن الذهاب مع اميرنا حسن لان من يأكل خبز السلطان يطيعه ولا يعصي له امرا فقال ابو زيد للرياشي بارك الله فيكم حقا انكم أبطال والتفت القاضي الى سرحان وقال له دعهم وشأنهم لعل الله ينصرهم على عدوهم ويخلصون الناس من شره فساعد ابنك حسنا وجماعته بالمال والرجال عند ذلك قال سرحان لولده حسن ان كان لا بد لكم من الذهاب فخذوا من عساكري وجنودي عشرين الفا يقاتلون معكم وخذوا ما يلزمكم من المال والاسلحة فقال حسن شكرا لك يا والدي فاني لا أصطحب معي غير جماعتي ولا نريد مالا ولا اسلحة ولكني أريد ان تكون راضيا عنا داعيا لنا بالنصر والتوفيق وتقدم حسن من ابيه وقبل يديه وودعه فقبله سرحان وقال له مع السلامة يا ولدي وأرجو لكم النصر وان ترجعوا كاسبين غانمين .

اما حسن فودع ابو زيد وجميع الامراء وركب مع جماعته وكانوا خمسة الاف فارس وسار حسن امامهم كأنه قلة من القلل او قطعة فصلت من جبل وعلى رأسه خوذة من البلاد وعلى صدره درع محبوك بالزرد لا تعمل فيه السيوف ولا الرماح وقصد صيوان امه شما فودعها فبكت بكاء شديدا وأشارت تودعه :

قالت فتاة الحي شما التي شكت	والدمع من بين الأماقي سال
رايد تجد السير يا ولد الرضا	لارض المجوس ماذا تكون الاحوال
خذ من ابيك أموال تكفي	وخذ جنود خيرة الابطال
رد الفتى حسن الامير وقلها	لا خير في فتى بغير أفعال
اذا لم يكن الفتى قرما مجرب	أحسن يموت معلقا بحبال
والله لو ما كان ابي ووالدي	لكنت اسيبه مدى الاجيال
لما سمع اني نويت على الغزو	الى برزخا صاح فينا وقال
والله من رافق حسن ادعيته	فوق الثرى مرمي على الرمال
قالوا ربعي نحنا فدى حسن	لو ما بقي منا ولا خيال
حلفت انا عن مال ابي وعسكره	وقلت لربعي اركبوا يا رجال

(قال الراوي) فلما فرغ حسن من كلامه قالت له هذا العقد الجوهر ليس من مال ابيك ولا من مالي بل هو من مال جدك زين الدين وهو بتسعين حبة وكل حبة تساوي مملكة فخذه وانفق ثمنه على جماعتك فأخذه منها وخبأه في عبه وودع امه وسار مع قومه متجهين نحو بلاد اليمن . وكان رجل عطار اسمه سعد من اليمن

يجلب العطر ويبيعه الى بني هلال وقد عرف كل ما حصل بينه وبين ابيه وأمه فقال لا بد ان اذهب الى اليمن وابشر الملكة خرما بأن الامير حسن مقبل لغزو بلاد المجوس فسبق عساكر حسن وذهب الى الملكة خرما وبشرها بقدوم الامير حسن الهلالي وهو عازم على غزو بلاد برزخا وخلاص اخيك الملك سليمان من الاسر فلما سمعت خرما ذلك من العطار فرحت واستبشرت بالنصر وأكرمت العطار ثم قالت لوزيرها اركب مع أكابر اليمن واستقبل الامير حسن وقل له ليدخل المدينة لضيافتنا ولنقدم له ما يريد من الذخائر والاسلحة والخيل والجنود لان جيشه لا يكفي لحرب الاعداء فركب الوزير مع جماعته مصطحبا معه ذخيرة ثمينة ولما وصل انزل الاحمال ودخل على الامير حسن وسلم عليه وقدم له الذخائر وبلغه كلام الملكة خرما وقال له ان الملكة خرما لا تنسى فضلك وشجاعتك وتريد ان تكافئك على اهتمامك لاجل خلاص اخيها الملك سليمان من الاسر فقال له حسن انا لا اريد شيئا فارجع ما اتيت به وسلم على الملكة خرما واشكرها عني الشكر الجزيل فامتثل الوزير لامر حسن وعاد الى المدينة واخبر الملكة خرما بأن الامير حسن لم يأخذ من الذخيرة ولا مثقال ذرة فتأثرت خرما وقالت له وما نعمل حتى يأخذ ما نقدمه اليه من المساعدات قال اجمعي ما يلزم من خيل ومال واسلحة وعتاد وسيري بها الى حسن وقولي له بما انك ستحارب من اجلنا وتدافع عنا فينبغي لك ان تقبل ما آتينا به لك من مال وعساكر وخيل وأسلحة فقالت خرما للوزير دبر لنا ما قلت عنه حالا فصاح الوزير بالعساكر ان يستعدوا للسفر وجمع المال والاسلحة وجهز خمسين الف جندي وركبت خرما والوزير وقصدوا مضارب الامير حسن ولما وصلوا نزلوا عن خيولهم وانزلوا الاحمال عن ظهور الجمال وأرسلت خرما رسولا ليعلم حسن بقدومها فذهب الرسول وبلغ الامير حسن ان الملكة خرما تريد مقابلته فقال حسن ان ارادت ان تأتي ضيفة فمرحبا بها ثم انه أعلم جماعته وجلس ينتظرها فلما اقبلت دخلت على حسن وسلمت عليه فرد عليها السلام وأجلسها بأرفع مقام فشكرته ودعت له بالفوز والانتصار ثم قالت له لماذا لم تشرفنا بزيارة قبل السفر ولماذا لم تقبل ان تأخذ ما ارسلته لكم مع الوزير وقد احضرنا لكم الان أموالا وسلاحا وجيوشا فأرجو منك قبولها ولك مني الشكر الجزيل فقال حسن هذا محال ايتها الملكة لاني اخاف ان يعيرني بنو هلال فيقولون ان الامير حسن لم يقبل مساعدة من امه ولا من ابيه وقبلها من امرأة غريبة ويقولون انه لا يكسب المال بسيفه من الاعداء فبهتت خرما وقالت ولكني أهب لك بلادي بما فيها فهي تحت تصرفك كما تريد ثم انشدت :

بدت خرما بنت سلطان اليمن	تمدح حسن من نسل سادات
انت الحسن حاوي كل لطافة	امير مشهور بأحسن العادات
عازم على ارض المجوس تخوضها	تقيم فيها الحرب والغزوات
خالفت امك مع ابيك بلا خفا	ثارت بنفسك يا حسن نخوات
دونك قومي وخيلي والمدن	والتخت والمال والقريات
احكم واعدل فالبلاد بلادك	خلي عدونا يشرب الحسرات

ولا ترخـل نحو ديـرة برزخـــا　　　يمكـــن سليمان اخـــي قد مات

(قال الراوي) فلما فرغت خرما من كلامها تبسم حسن وقال لها اني لم أفعل شيئا أستحق عليه هذا الكلام والعطاء ولا بد لي من المسير الى تلك البلاد واقهر الاعداء وأخلص الملك سليمان فان نصرني الله وعدت مع اخيك يبقى الحكم بيني وبينك وبين اخيك وان كان اخوك مات آخذ بثأره بضرب برزخا وقتل رجالها وسبي نسائها وأطفالها فقالت له خرما اعزك الله وأيدك بنصره وانت وقومك في ضيافتي ثلاثة ايام وبعدها تسافرون فقبل دعوتها شاكرا ثم انها عادت مع وزيرها وخدمها وأمرت بتجهيز الطعام وترتيب كاسات الشراب ولما أقبل الامير حسن وجماعتـه جلسوا على موائد الطعام فأكلوا حتى اكتفوا وبعد ذلك أقبل خمسون الف فارس يمنيون وانزلوا أحمالهم فسأل حسن عنهم فأخبره الوزير بأنهم قاصدون برزخا للتجارة اما الملكة خرما فقالت للرياشي وغنيم وحماد وعوف اصحاب حسن ان يقنعوا الامير حسن بأخذ الذخيرة والاعانة التي قدمتها له فقالوا لها اقسمي عليه وحلفيه بمن يحبه ان يقبل الهدية ولا بد ان يستشيرنا ونحن نشور عليه ان يقبلها ونرغبه بأخذها وذهبت خرما الى حسن فسلمت عليه وحلفته بأعز حبيب لديه ان يقبل الهدية منها فاستشار اصحابه فقالوا له ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقبل الهدية فاقبلها انت فقال حسن هديتك مقبولة ايتها الملكة ففرحت خرمـــا وأعطتهم جميع ما يلزمهم في سفرهم وجهادهم فأشار حسن يشكرها بهذه الابيات ويشجع قومه على الحرب والجهاد :

اذا ما السيـــف فارق ذا القرابا　　　فسميـــه بحـــداف الرقابـــا
أيا بنت الكـــرام فعلت خـــيرا　　　جـزاك اللـــه عنـــا الثوابـــا
لـــك الشكر الجزيل بكـــل وقت　　　وللاعـــداء حزنـــا وانتحابـــا
وها نحن الى بلـــد المجـــوس　　　نجـــد السير من قبل الغيابـــا

فلما فرغ حسن من كلامه اشار غنيم يقول :

قال الفتى المسمى غنيـــم المفلح　　　أيا امير حسن يا أشجـع الفرسان
اسرع لغزوك واركب فـــي عجل　　　حولـك رجال كلهـــم شجعـــان
حولـك جموع آل قيس وعامـــر　　　ورجالهم لا يرهبـــوا الدشمـــان
وأبطال اليمـــن رجـــال أشاوس　　　يقهروا الضد فـــي ساحة الميدان
نغزو عدانـــا بسيوفنا ورماحنـــا　　　فاليوم يـــوم الحرب يا اخـــوان

فلما فرغ غنيم من كلامه تحمس الشباب وصاحوا الله أكبر ثم اعتلوا خيولهم ودقوا الطبول وركب معهم عساكر اليمن وكانت خرما قدمت رجلا خبيرا بالطرقات الى حسن واسمه صباح السوقي وقالت له ان رايت الطريق عسرا في البر تسر في طريق البحر لاني ارسلت احد وعشرين مركبا تكون حاضرة لديكم فقال الدليل سمعا وطاعة وسار امام العسكر اما خرما فقد ارسلت كبراء اليمن وأشرافها بالاعلام

والمزاهر ورفعت الرايات وركبت هي والوزير مسعود وباقي العساكر ليودعوا الامير حسن وساروا معه نصف يوم فحلف حسن عليهم بالرجوع فودعتهم خرما وودعهم الوزير وباقي المحتفلين وكانت خرما قد ارخت النقاب عن وجهها فلما رآها حسن اندهش من حسنها وجمالها وكذلك خرما اندهشت من حسنـــــه وجماله وبكت لفراقه ورجعت لبلادها وهي دامعة العين أما حسن فأحب ان يكافىء خرما فتذكر العقد الذي اعطته اياه أمه فأعطاه للرياشي قائلا اسرع واعطه للملكة خرما فأخذه وأسرع خلف الملكة فاجتمع بالوزير وأعطاه العقد قائلا هذا العقد هدية من حسن الى الملكة خرما فأخذه الوزير منه وأعطاه للملكة خرما فدهشت من لمعانه وجواهره وقيمته الكبيرة وفرحت به غاية الفرح وعرفت ان حسنا احبها فوضعت العقد في عنقها واشتهر أمر العقد في اليمن ودعت خرما الجواهرجية لتعرف قيمة العقد فلما راوه قالوا انه يساوي مملكة فقالت لقد غمرنا حسن بفضله وكرمه اما حسن فكان يسير خلف الدليل صباح فحكم في طريقهم جبلان بينهما واد فمشوا بالوادي حتى قطعوه وانتهوا منه الى بحر كبير واسع متلاطم الامواج فتعجب حسن ورأى وسط البحر مدينة عظيمة محصنة بالمدافع فقال للدليل يا صباح اين الطريـــق فدهش الدليل وقال أما معك فك رصدهم قال لا علم لي بذلك فقال اذن ارجعوا لئلا تحترقوا او تغرقوا فقال حسن وكيف ذلك ؟ فقال له ان تبع اليماني كان قد غزا هذه البلاد وملك السبع اقاليم وشنق الملك ربيعة ابو كليب وطلب ان يتزوج بالجليلة وجاء ابن عمها وقتل التبع وملك بلاده ولما علم الصحصاح بموت تبع حصن مدينته بالاسوار والمدافع وطرد أولاد تبع فساروا على حدود العجم وملكوا البلاد وجمعوا فوارس وعربانا وشنوا غارة على الصحصاح وحاصروه اربعين يوما وكان لهم صديق بالمدينة ففتح لهم الابواب بالليل وهجموا بالعساكر وصار ضرب السيف فمن اطاع تركوه ومن عصى قتلوه وتمكنوا من الصحصاح فقتلوه وملكوا بـــلاد ابيهم وجاروا على الرعية وعبدوا الاصنام وكثر فسقهم وفسادهم فأنزل الله عليهم مرضا قتالا افناهم عن اخرهم وكان في تلك البلاد رجل ساحـــر يقال له مروان فخاف على نفسه وأراد ان يخرج من المدينة وقبل ان يخرج منها رصد كنوزهـــا فجعل رصدا على كل كنز وأقام اشخاصا من نحاس على جوانب البلد يقذفون النار من جميع الجهات وطمع العالم بكنوز هذه البلاد من سائر المدن وارادوا ان ينهبوها فما استطاعوا فمنهم من غرق ومنهم من احترق ومن ذلك الوقت الى الان ما احد وصل اليها وهي الطريق السالك على بلاد برزخا فقال حسن وكيف العبور فان الامر خطير فقال صباح ان الملكة خرما أعدت لنا مراكب تحملنا في البحـــر فلنرجع الى البلد التي احضرت لنا خرما فيها المراكب فقال حسن نظل الان هنا الى الصباح يفعل الله ما يشاء .

(قال الراوي) ان شما أم حسن جعلت شغلها البكاء والعويل على ابنها حسن وكانت تلوم زوجها سرحان لتركه ابنه في هذه الاخطار فقال لها عندي سيـــف خشب لجدي كليب مصنوع من جريد النخل وهو منقوش ومطلسم يبهر النواظر

فمن حمله ينجو من المهالك والمخاطر ومن حمله لا يغرق ولا يحترق فتعجبت شما وسألته اين هو فقال في خزانة اسلحتي حافظه للضرورة ففرحت شما فرحا شديدا ونهضت في الليل تفتش عليه حتى رأته فأخذته ودخلت الى صيوانها ثم اعطته سرا الى خادم امين وقالت له أوصله الى الملكة خرما وقل لها ان ترسله الى حسن بالحال فأخذ السيف وأوصله الى الملكة خرما واعلمها عن خواصه وانه سيف الامير كليب وكان الامير حسن مهموما مغموما لا يعرف ماذا يعمل وظل يفكر ثلاثة ايام بدون فائدة وكان لا يأكل ولا يشرب ولا ينام حتى اتاه ذلك العبد وأعطاه السيف المرصود فوثب في الحال وصاح استعدوا للركوب بوسط البحر فقال الرياشي لا تفعل يا حسن لئلا نغرق فارجع بنا الى المراكب التي أعدها لنا خرما ثم أنشد يقول :

قال الرياشي في كلام صادق — العقل مني طار يا حضار
نحنا وقعنا في المهالك والخطر — فتنا اهالينا وكل ديار
يا امير حسن ارجع عن أفكارك — واتبع صباح في هالمشوار
نرجع على الاعقاب نحو ديارنا — لو كان يركبنا الاذى والعار

فلما فرغ من كلامه اجابه حسن على نظامه يقول :

قال الفتى حسن الامير بما جرى — لي عزم امضى من حسام بتار
لا بد اغزي بلاد مجوسها — او ذقت منها علقما ومرار
واخرب انا لربوعها وقصورها — وأهدم حصون الماكنة واسوار

ثم صاح حسن اتبعوني يا رجال ورمى نفسه في الماء هو والجواد ولكنه لم يغرق بل سار به الجواد على وجه الماء وظهر امامه فارسان كأنهما عفريتان واخذا معه في العراك والصدام فضربهما بسيف الخشب المرصود فقتلهما بالحال عند ذلك غارت المياه ونشف البحر وظهر البر فتعجبت العساكر من هذا الامر الغريب وتبعوه في الحال وتبعتهم الفرقة اليمانية وساروا الى ان وصلوا الى المدينة فاعترضهم فرسان كأنهم الجان راكبين على خيل من نار وسيوفهم من نار فهجموا على العساكر وقتلوا بعضا منهم فهجم عليهم حسن وبيده سيف الخشب المرصود وبدأ يجز رقابهم حتى هلكوا عن اخرهم ففرحت العساكر مما كان وساروا على توفيق الرحمن الى ان وصلوا الى باب المدينة فاذا هو من الذهب الاصفر مرصع بالجوهر يضيء كالشمس في رابعة النهار وطوله خمسون ذراعا وعرضه ثلاثون ذراعا وهو بثلاثة اقفال مرصودة على كل قفل جوهرة عظيمة تبهر الناظر ومن تحته قنطرة عظيمة يجري الماء من تحتها فأمر الامير حسن عسكره بالنزول في المدينة واستلام قلاعها الحصينة فدخل الرجال في جميع انحائها واخذوا يترنمون بالفرح وقاموا بعمل الطعام فأكلوا وشربوا ولذوا وطربوا ثم صاروا يتحدثون عن الكسب والحصول على الذهب والفضة اما الامير حسن فحمد الله تعالى وأخذ الرياشي وغنيم وحمادة وعوف والدليل وصاروا يتجولون في البلد حتى وصلوا الى السرايا

الملوكية فوجدوا مكتوبا على بابها سيرة الملك تبع اليماني وما جرى له من الحروب والاهوال كذلك ما جرى بينه وبين الامير كليب سلطان بني هلال وكيف قتل التبع بالحيلة عندما قدموا له الحيلة فقال لهم الامير حسن انظروا كيف قتل التبعي من جدي كليب في هذا السيف الخشب الذي ما رايتم فعله للآن ورأيتم كيف قتلت به رصودة الماء ورصودة النار ثم ان الامير حسن لمس الاقفال بحد السيف فانفتحت بالحال وانفتح الباب وسمعوا صوتا من الداخل يقول ادخل يا حسن انت ورجالك وخذوا كنوز هذه المدينة فهي داخل هذه السرايا فعند ذلك دخلوا وهم على ظهور خيولهم شاهرين السيوف بأيديهم وبعدما دخلوا انطبق الباب عليهم وسمعـــوا الضجات داخل القصر فصاحوا وقعنا بالفخ يا حسن فتبسم وقــال اتبعوني ولا تخافوا فلا قيمة للرصودة مع هذا السيف فزال عنهم الخوف وأخذوا يطوفــون بالشوارع والاسواق ولا يرون احدا والمخازن مملوءة بالخيرات ورأوا كنوز الجواهر والذهب والفضة وهم يسمعون القائل يقول خذ يا حسن ما شئت من الخزائـــن والاموال فكلها لك لكن حسن لم يأخذ شيئا بل قال لهم سيروا بنا نتفرج علـــى القصور والخزائن فوصلوا الى منزل الملك فوجدوه مشيدا بحجارة المرمر المصفحة بالذهب والفضة فدخلوا وأخذوا يتفرجون على الرسوم والنقوش على الحيطـــان ورأوا برجا قد تصفحت أحجاره بالبولاد وغرفه مملوءة بالاسلحة ورأوا جـــدارا معلقا عليه قضيب من البولاد ودرع وخوذة وسيف وكل قطعة مكتوب عليها اسم الملك التبع واسم الدرع الاخوص فأخذها حسن وتقلد بها ثم انهم عادوا الى باب المدينة فوجدوه مقفولا فلمسه حسن بسيف الخشب فانفتح حالا خرجوا وهـــم متعجبون مما رأوا في تلك المدينة اما عساكر حسن وعساكر اليمن فقد قلقــوا لغياب حسن ورفقائه وارادوا ان يكسروا الباب ولكن الرصد لم يمكن احدا ان يقترب منه وفجأة فتح الباب وخرج منه حسن ورفقاؤه فتقدمت الجنود والعساكر وهنأوا الامير حسن ورفقاءه بعودتهم سالمين وأخذ يقص عليهم ما رآه ووعدهم بأن يقسم عليهم الغنائم بالسوية وأخذ يشجعهم على حرب الاعداء فصاحوا جميعـــا نفديك بأرواحنا يا بطل الارصاد فسوف ترى حربنا مع المجوس وفتكنا فيهم فتك الذئاب في الغنم فشكرهم على هذه الشجاعة والبطولة وأمرهم بالركوب فركبوا وساروا من مدينة الارصاد قاصدين بلاد المجوس وابتعدوا عن المدينة المرصودة خمسة ايام فقال الدليل صباح بقي علينا مسير اربعة ايام لنصل الى جسر المرتبك وهو أول حكم بلاد المجوس وهذا الجسر لا يخلو من قطاع الطريق على المسافرين فيسلبوهم أموالهم وان ابوا قتلوهم وان كانوا غير مجوس يصلبوهـــم على رؤوس الجبال فقال حسن يفعل الله ما يشاء وبعد مضي اربعة ايام اشرفوا على الجسر المذكور فرأوا جمعا غفيرا مسلحين ورأوا اربعة مراكب راسية لاجلهم ففرق حسن العساكر اربعة فرق وفي الحال هجموا على هؤلاء الفرسان وأخذوا معهم فـــي الحرب والطعان فأهلكوا منهم الكثير واستولوا على المراكب وفكوا الاسرى وسألوهم عن سبب أسرهم فقالوا نحن تجار وكنا مسافرين فتعرضوا لنا وأسرونا ونهبــوا أموالنا وتقدم رئيسهم قدام الامير حسن وانشأ يشكو حالهم ويقول :

قال الفتى الاسير الـــذي شكـــا بدمع جرى مـــن مقلتي غـــدران
أيا ريت عمرك يا ابن سرحان دايم أمـــا عدوك لو عاش ينهـــان
خلصتنا يـــا امير مـــن الهم والبلا يجيرك ربي مـــن لظى النـــيران
نحن من مصر العزيزة وارضهـــا ومعنـــا حرير مع جوخ وكتـــان
لمـــا قطعنـــا للسويس يا اميرنـــا رمـــوا علينا النفـــط والنيران
وملكوا مراكبنـــا وكـــل مالنـــا ولنا سنتين عندهـــم في امحـــان
بعثـــك إله العرش اليهـــم مسكتهم وخلصتنا منهـــم بسيفك وسنـــان

فلما فرغ الاسير من كلامه قال لهم حسن لا بد لي ان اعوض عليكم جميـــع أموالكم فترجعوا الى اهلكم سالمين غانمين ثم ان حسن نقل كل شيء في المراكب من مدافع واموال وارزاق ووزع على كل أسير مائة دينار واعطاهم شيئا مـــن الغنائم ثم قال لغنيم إبق انت هنا بهذه الفوارس بينما نحن نغزو برزخا ونعود ثم ودعه حسن وسار يقطع الفيافي والقفار والاودية والاوعار وقطع وادي الاقبـــال وقاسى فيه الشدائد والاهوال واشرف على واد كثير الاشجار والمياه ولكنه واصل السير بالليل والنهار حتى بقي بينه وبين المدينة نصف يوم فكمنوا بين الجبال وقال حسن نبات الليلة هنا وغدا نفاجئهم باكرا ونهجم على برزخا ونصيح فيهم الله أكبر.

قصة الأمير حسن

وزواجه بالملكة خرما وفتحه بلاد برزخا
وخلاص الملك سليمان من الاسر
ورجوع السلطان حسن الى الاوطان

(قال الراوي) لما قال حسن غدا باكرا نفاجئهم ونهجم على برزخا قال له صباح الدليل لا ارى ذلك موافقا والاحسن ان نكمن في الجبال منقسمين الى اربع فرق ونصبر حتى يفتحوا ابواب البلد ويسرحوا المواشي وحينئذ نهجم عليهم بأربعمائة من الفرسان ونستولي على الغنم ونسير بها الى اول كمين فيهرب الرعيان ويخبروا الملك عنا فيرسل لنا شرذمة من العساكر فيلحقوننا الى الكمين الثاني فيفاجئهم الكمين الاول من ورائهم ويرتد عليهم الكمين الثاني وبمساعدة الفرقة الثالثة والرابعة نقضي على الاعداء ولا نترك منهم مخبرا ثم نهجم على المدينة ونملكها والله ينصرنا عليهم فقال حسن لا بأس بمشورتك يا صباح والتفت نحو العساكر وأشار يحرضهم على القتال بهذه الابيات :

قال الفتى الامير ابو علي ... اسمعوا يا ذوي الحرب والجسارة
قوموا اركبوا لخيولكم يا عزوتي ... ورماحكم يا قوم تقدح نارة
انتم سباع البر في ساحة الوغى ... فتيان الحرب يوم غارة
الله أكبر ان اتونا للفلا ... لسنا نخلي منهم ديّارا

ثم انه قسم العساكر الى اربع فرق وقال لعساكر اليمن متى رأيتمونا هجمنا عليهم اعملوا سيوفكم في رقابهم . ثم انه صبر حتى سرحت الرعيان مواشيهم

فغاروا عليهم ونهبوا الغنم فعلا صياح الرعيان وأسرعوا أخبروا الملك فصاح الوزير بالعساكر ان يقتلوا الاعداء ويردوا الغنم فركب مقدار خمسة الاف فارس وساروا حتى اجتازوا الكمين الاول فهجموا عليهم من الوراء ورد عليهم حسن بالعساكر الذين معه ومالوا عليهم من كل جانب وفتكوا بهم وهم يصيحون الله أكبر وظلوا في حرب وقتال وكفاح ونضال مدة ثلاثة ايام حتى هفوهم عن اخرهم ولما وصلت الاخبار للبلد خرجت عساكر وجيوش لا تعد ولا تحصى ولما توسطوا ساحة القتال هجمت جيوش حسن عليهم من جميع الجهات ولله در رجال اليمن فانهم فاجأوا الاعداء بهجوم صاعق بالسيوف الحدب والرماح المكعبة فقتلوا منهم مقدار عشرة الاف وارتد باقي العساكر الى البلد مدحورين ولما وصل الخبر للملك متوج أمر الوزير ان يركب بما يستطيع من العساكر وأن يأسروا بعضا من الجنود حتى نسألهم ما قصدهم وما يطلبون ومن أي البلاد اتوا فأسرع الوزير وركب بالعساكر وأطلقوا الغارة على العربان وكان حسن رتب العساكر يمينا وشمالا ووضع اليمانية برؤوس الجبال والروابي والتلال وابتعدوا عن ساحات القتال ولما اتت عساكر المجوس واجتازوا الكمين الاول طلعت عليهم العساكر اليمانية من الجبال والتلال وهم يصيحون الله أكبر والتقت الابطال بالابطال وجرى الدم وسال وزادت الاهوال وطارت الرؤوس عن الابدان ودارت الدائرة على عساكر المجوس فانغبن الوزير وصاح في قومه عليهم ايها الابطال فقالوا للوزير دونك وهذا البطل اللابس الدرع المذهب أما تراه يحصد الرؤوس ويزهق النفوس فانتخى الوزير وتقدم من البطل وسأله من انت وما مرادك قال انا الامير حسن سلطان بني هلال فدونك والقتال وانحدف عليه كأنه الاسد المغوار وضربه بالسيف على هامه ورمى راسه قدامه ولما رات المجوس مصرع الوزير ولوا الادبار وركنوا الى الفرار ولحقهم حسن وقومه حتى توغلوا في الجبال وعندما غربت الشمس رجعوا عنهم وغنموا اسلحتهم وخيلهم ونزل اليمنيون من رؤوس الجبال بعد ما ارعبوا المجوس بصياحهم وذبح كل من صادفوه حيا فشكرهم حسن وقال بارك الله فيكم يا أبطال اليمن اما المجوس المنكسرون الذين سلموا من القتل فانهم دخلوا البلد وأعلموا الملك بمصرع الوزير وانكسار جيشه فصاح بالعساكر الباقية ودق طبله وركب بجنوده وعساكره ونشروا على رأسه الرايات وأوقدوا النيران فأشرفت عليهم رجال اليمن من رؤوس الجبال ورأوا ذلك العسكر الجرار فأخبروا السلطان حسن فصاح في قومه استعدوا ايها الابطال فاعتلوا خيولهم في الحال وهم مثل السباع الكواسر وحسن بأولهم وعلى رأسه تاج الملك وتحته خوذة الملك تبع وعلى صدره سيف الرصد واشار ينخي جماعته على القتال :

قال ابن سرحان الهلالي — فارس يوم المجال — اسحبوا بيض الصفاح
واحملوا سمر الرماح — اقتلوا كل الاعادي — شتتوهم في البوادي
يا مفرج يا رياشي — طاش مني العقل طاش — هذا يوم الهواشي
ما نريد الا القتال .

فلما فرغ حسن من كلامه اجابه الرياشي بقوله :

يا حسن طيب لقلبك ينصرك يا امير ربك يا حسن يا ابن الاصايل
انت باعك دوم طايل انت عندك كل فارس بالوغى دوما ممارس

ثم تحمس الامير حمادة وأشار يقول :

نهار الحرب افرح فيه حقا تهيم جوانحي وكذا عظامي
فطمن خاطرك يا ابن شما فسعدك طال يا نسل الكرام
ونرجو الله ينصرنا عليهم بجاه محمد بدر التمام

ثم ان حسن قسم عساكره وجنوده الى عدة أقسام واذا بالاعادي مقبلون والملك امامهم تحت البيارق فما امهلهم حسن حتى يستريحوا بل صاحوا فيهم الله أكبر على من طغى وتجبر ومالوا على المجوس بالسيوف والرماح واشتبك القتال والتقت الابطال بالابطال وجرى الدم وسال وطارت الرؤوس وزهقت النفوس ولم يزل السيف يعمل والدم يبذل والرجال تقتل الى ان تغلب حسن وقومه على المجوس بسبب صبرهم وجهادهم فلما رأى الملك المتوج تقصير قومه وعدم صبرهم وثباتهم صاح فيهم احملوا عليهم حملة واحدة فمالوا على العساكر حسن ميلة واحدة وتجدد القتال وزادت الاهوال وقصرت الآجال وراح من المجوس عشرة الاف ومن قوم حسن اربعمائة كتبت لهم الشهادة ثم تجدد القتال بين الرجال والابطال وصاح الملك المتوج بقومه اثبتوا في القتال ولا تتراجعوا ثم انه قصد حسن بسيفه البتار والتقى البطلان كأنهما جبلان فقام ملك المجوس في عزم الركاب وضرب الامير حسن بالسيف فأخذ الضرب بالدرقة فثنى عليه بالرمح أبطله حسن بعياقته ثم رد حسن على الملك المتوج وطعنه بسيف الخشب المطلسم في صدره خرج يلمع من ظهره . فلما رأى قومه ما جرى عليه هاجوا وماجوا وهجموا على قوم حسن واشتد القتال وجرى الدم وسال وفي المساء افترقوا عن بعضهم وتوقف القتال فافتقد حسن جماعته فاذا الباقي منهم في الحياة الف انسان فبكى على الشهداء وفاضت من دموعه العبرات ثم قال لا حول ولا قوة الا بالله . وفي الصباح نهض حسن والالف الباقي معه يفتشون على محل امين يتحصنون فيه فرأوا مكانا بين الصخور والتلال فتحصنوا فيه . اما المجوس فأرادوا ان يجددوا القتال فما رأوا جيش حسن فتقدموا الى الامام وصاروا يفتشون عليهم فما رأوا الا والنبال تشك في أجسامهم وخيولهم من بين الصخور والتلال ودام الحرب بينهم خمسة ايام وقد فني من المجوس خلق كثير ولم يبق من قوم حسن سوى ثلاث رجال وهم الرياشي وحمادة وعوف والباقون استشهدوا الى رحمة الله وهجم عليهم الاعداء وقتل جواد حسن وكلت سواعدهم من القتال وارادوا ان يستسلموا للاعداء واذا بغبار عكر الجو وظهرت رايات حمر تخفق وتحت الرايات أبطال ساحبين السيوف والرماح وأمامهم الفارس المشهور ابو زيد الهلالي وصاح مع عساكره الله أكبر على من طغى

وتجبر وهجموا على الاعداء بضرب يفلق الصخر وقام الحرب على قدم وساق وابلاهم ابو زيد بالذل والوبال وعاد يحصد هو وجماعته برؤوس المجوس حتى اجبروهم على التراجع والهزيمة فولوا الادبار وبنو زحلان جاروا عليهم في الطعن والضرب حتى شتتوهم في البراري والجبال ودخل ابو زيد للوادي الذي فيه حسن فوجدوا فيه اكثر من خمسة الاف من المجوس محاصرين حسن ورفقاءه فمال ابو زيد وقومه على المجوس وافنوهم عن اخرهم ولا زالوا وراء الهاربين حتى دخلوا المدينة وسكروا الابواب فعاد ابو زيد فراى في عودتـــــه جنودا من المجوس كامنين بين الجبال فأمر جيشه بالقبض عليهم من جميع الجهات وقبضوا عليهـــم دون ان يقاوموا واخذوا خيلهم واسلحتهم وساقوهم حفاة عراة وعددهم خمسة الاف منهم اربعة اولاد الملك وثلاثة اولاد الوزير واسرع ابو زيد الى السلطان حسن وتعانقــا وباتوا في ذلك المكان في امان .

(قال الراوي) وكان السبب في قدوم ابي زيد ان شما كانت تبكي ليلا ونهارا على حسن واستنجدت في ابو زيد وقالت له لولاك لما راح يغزو في بلاد يستحيل ان يرجع الغازي منها سالما الى وطنه اما قلت لحسن اذهب وانا أساعدك بالجيش فقال لها حبا وكرامة وأمر عساكر الزحلان بالرحيل الى مدينة الارصاد فسافروا ورأى ابو زيد اليمنية هاربين فسألهم عن حسن فقالوا انه في أشد الضيق فأسرع ابو زيد وادرك حسن ولما انتصر ابو زيد واجتمع بحسن انشد يقول :

قتلنـــا منهم كـل قرم غشمشم	وعادت دماهـــم تشبه الفـــوار
اخذنـــا منهـم مالهـم وجمالهـم	وغنمنا خيولهـــم بالصارم البتار
وانا وقومي قد قتلنـــا خلايـق	واسرنا خمس آلاف بلا انكـــار
وهذه الاسرى يـــا مير بيـــدك	يعطوك يا حسن كــل ما تختـار
خذ طلبك منهـــم وعود لبـــلادك	وانزل بأرضـــك يا بطل مغــوار

فشكره حسن وقبله بين عينيه ثم أمر بالرحيل وسار ابو زيد بجانب ابن عمه الامير حسن والرايات تخفق فوق رأسه ولما وصلوا الجسر المرتكي استقبلهم غنيم وترحب بهم وانشد يمدحهم :

قال الفتى المسمى غنيم المفلـــح	القلب منـــي زاد بالفرحـــات
يا مرحبا بك يـا حسن مع قومك	يا فارس الفرسان بالساحـــات
سرتم الى برزخا غزيتـــم ارضها	نعمت واللـــه هــذه الغزوات
قتلتم منهـــم كـل قرم وفـارس	ودعيتوهـــم بأوشم الحـــالات
من سلم منكـم نال العز والرضـا	ومن مات منكم مسكنه الجنـــات

وبعد ان هنأوا حسن على سلامته وانتصاره اقاموا في ذلك المكان ينتظرون خبرا من المجوس لعلهم يتفاوضون معهم بشأن الاسرى وفيما هم كذلك اتى عشرة رجال من المجوس استأذنوا في الدخول على حسن ولما دخلوا للديوان قبلوا الارض

امام الامير حسن ودعوا له بدوام العز فتقدم احدهم وقال يا مولاي لقد ارسلني اليكم أعيان البلاد من جهة الاسرى الذين عندكم وكم تريدون فكاكهم فعند ذلك طلب حسن المال ثم أنشد :

يقول ابن سرحان الهلالي أبو علي ... ولي عـزم بالهيجا كسبـع طاح
أنا ابن سلطان البوادي جميعهـا ... امير ابن امير فارسا جحجـاح
امير ابن امير كاسب الحمد والثنـا ... سياج بنات مبرهجـات مـلاح
بالسيف والدبوس والرمح صائـل ... أخلي الدما فـوق الثرى سيـاح
وحولي أجاويـد رجال ضراغـم ... مسربلين فـي لبسهم ووشـاح
وابو زيد ابن عمي الامير سلامـة ... سياج العذارى يـوم كفـاح
فان كان تريدوا خلاص رجالكـم ... يجوكـم سالمين باكـر صباح
هاتوا ميتين الف مـن الذهب ... وميتين بنت حسنهـا وضـاح
وكل اسارى المسلمين فكوهـا ... وفكوا الفتـى سليمان النطـاح

فلما فرغ حسن من كلامه اعطاهم الكتاب وقال لهم المهلة عشرة ايام فأخذوا الكتاب وعادوا به الى بلادهم واجتمعوا وتشاوروا فقرروا اجابة طلب الامير حسن ولموا المال في ثلاثة ايام وفكوا الملك سليمان وجميع الاسرى وأوصلوهم الى جسر المرتكى فاستقبلوا الاسرى بفرح وسرور وتقدم الملك سليمان من الامير حسـن وصافحه شاكرا فضله ثم قال له لله درك من بطل بك تفتخر البـلاد ويتشرف بمقامك كل انسان وبعد الاحتفال بمشاهدة الاسرى قال حسن اين البنات التي طلبناها منكم فقالوا كل واحد منا يسمح بروحه ولا يسمح ببنته فاعف عنا من عدم اجابة هذا الطلب فقال عفونا عنكم ولكن اين باقي الاسرى قالوا هؤلاء هم الاسرى فقال حسن لابي زيد اركب وخذ معك الف فارس وفتشوا على الاسرى في جميع البلاد وسائر السجون فذهب ابو زيد مع الالف فارس وفتشوا جميع السجـون فجمعوا ما يقرب من عشرة الاف اسير وعادوا بهم الى الامير حسن عند ذلك اطلق حسن اسرى المجوس وعادوا جميعا كاسبين غانمين منتصرين قاصدين بلادهم فلما وصلوا الى المدينة المرصودة اخذ حسن سيف الخشب وأشار الى الباب ففتحه فتعجب ابو زيد وسليمان وهنؤوه ثم دخلوا على قصر تبع وغنموا ما فيه ثم نزلوا من القصر فرأوا تحته طبلا من نحاس مكتوب عليه هذا طبل الصبوح فأمر ابو زيد باخراجه فأخرجوه ولما انتهوا من المدينة جلس حسن يكتب لابيه سرحان يخبره عما جرى له في هذه الغزوة قال لابيه :

يقول الفتى ابن سرحان صـادق ... ترى الهـم عنا والعنا قـد فات
نعم ايها الغادي علـى متن ضامر ... يجد السرى فـي البر والفلوات
سلم على سرحان سلطان قومـه ... أبـي وذخـري صالح النيـات
وسلم على جملـة هلال وعامـر ... والاهل مـع صبيانهم والبنـات
وبشرهم بالخير والنصر علـى العدا ... وكانت غزوتنـا أحسن الغـزوات
اتانـا سلطان البلاد جميعـا ... خلفه عساكـر تملأ الفلـوات

تقابلت انا وإيـاه بساحة الوغـا وأسكنته يـا امير بالحفـرات
فلما رأى القوم مـات مليكهـم هاجوا علينا من جميـع الجهـات
فنيت رجالي يـا هلال جميعـا وادركنا ابو زيد مـن الشـدات
غار عليهـم غارة ما جرى مثلهـا وشتتهم فـي الفلا اعظـم شتات
عدونـا لجسر المرتكي في قومنا لحقونـا بالمـال والخزنـات
وفكوا بالمال ملوكهـم واسراهم وأخذنـا منهـم احسن الخلعات

فلما انتهى حسن من كتابة مكتوب ابيه كتب الملك سليمان الى اخته الملكـة خرما كتابا وأرسلوا الكتابين الى اليمن فأعطوا خرما كتاب اخيها ففرحت واقامت الاحتفالات وزلغطت النساء والبنات ولما وصل كتاب حسن الى ابيه سرحان قراه ففرح فرحا عظيما وفرحت سائر العربان واقاموا الاحتفالات وحلقات الرقـص والدبكات ولما قرب حسن من اليمن أمر بدق طبل الصبوح فلما دقوا على الطبل سمع صوته اهل اليمن وكأنه عندهم وقد دوت منه الجبال والوديان ولما دخلوا المدينة كان اولهم الاسراء الذين كانوا مأسورين في برزخا وعددهم عشرون الفا ومن ورائهم الجنود والعساكر وطبل النصر خلف ابو زيد يرج ثم الامراء قدام حسـن بالدروع وحسن بدرع تبع والخوذة ثم سليمان اخو خرما بجانب السلطان حسن وورائهم الطبل الكبير وهو من النحاس ويسمع صوته من مسافات بعيدة فتقدم وزير الملكة خرما وسلم على حسن وسليمان وأبو زيد واجتمع سليمان بأخته خرما ثم أنشد الوزير يقول :

قال مسعود الوزير . استمع لي يا امير . يا حسن يا ابـن الكرام .
يا بطـل يوم الزحام . ليت عمرك الف عام . يا حسن كنز الفقـير .
يا حسن لـك صيت شاع . في المداين والقلاع . مثل رعد ذو هدير .
يا سليمان هذا الهلالي . امدحه في كل حال . هو الذي جابك وجـا
شبه سبع اخرجـا . اذاق العدا موت الفجا . وعاد بالنصر الكبير .

فلما فرغ الوزير من كلامه قال سليمان اشهدوا يا كرام انـي وهبت بلادي وأملاكي للسلطان حسن وأنا عنده من جملة الخدم وكانت خرما احضرت القبـة والطير وبدلة ابيها ولبسوها للسلطان حسن واذا بسرحان اقبل ومعه شما وجميع العربان فنهض حسن وسلم على ابيه وأمه وقبل أيديهما فقبلا وجنتيه ثم دخل حسن الى الديوان وجلس على كرسي المملكة وزلغطت النساء والبنـات ودامت الفرحات وظلوا في ضيافة خرما ثلاثة ايام يذبحون الجزر ويأكلون الرز واللحم وقد وضعوا القطع الذهبية تحت الطعام فصاروا يأكلون اللحم ويأخذون الدنانير الذهبية وحصلت ضجة من اجل الذهب الذي وضعه لهم حسن تحت الطعام فقال سرحان هذا اسراف وتبذير ثم أنشد :

قال الفتى سرحان قـولا صادق اسمع كلامي يـا حسن واتفكـر

الله اعطاك وجبر خاطرك | بعد ما كنت فقير معتر
وهذا كله كان من صبرك | ما خاب عبد على البلا يتصبر
وملكت ارض اليمن وبلادها | وفتحت بسيفك مدينة حمير
فيها كنوز وأشياء كثيرة | من عهد تبع المال فيها مدخر
كان حاكمها مرين الساحر | من جاء اليها حالا يدمر
لكن سعدك قد علا يا حسن | ورزقك من قديم مقدر
اعطيتك انا حكم العرب | احكم على قومي وكل العسكر
احكم من الشرق لارض المغرب | لا شك انك أنت حاكم معتبر

فلما فرغ سرحان من كلامه سلطن حسن على العرب قال القاضي وأنا وليت ابني عامر قاضي العربان قال حسن ويكون ابو زيد صاحب الحسام وله الشور والقول والكلام وعند ذلك اعلنوا في المرتكي واليمن ما سلطان العرب الا حسن وحضرت الزينة من بلاد صنعا وعدن وزينوا الشوارع والقصور ودخل حسن بموكب عظيم واستمر الفرح ثلاثة ايام ثم ان حسن عزم الملوك والامراء والحكام وزينوا سراية خرما وقصرها وحضر القاضي والشهود وكتبوا كتاب السلطان حسن على الملكة خرما فدخل عليها وحظي في حسنها وجمالها وتمت له الافراح وزالت عنه الاتراح وفي احد الايام اعلموا السلطان حسن بقدوم دياب بن غانم فاستقبلوه وسلموا عليه ورحبوا به وسألوه عن قدومه فقال قد اشتقت لخالي بدير فقال ابو زيد انت ضيفي ولا اتركك تروح من عندي وقال له السلطان حسن انت وزيري يا دياب فأقام عندهما عدة ايام بعدها آتى خبر من اهالي صنعا ان المجوس حاشدون على صنعا وبداوا يعتدون على الاهالي فأمر حسن ان يركبوا الخيل وركب حسن والامراء وبقي سليمان بالديوان يحكم بالعدل وبقي عنده مساعد قديم حسن فقال له يا مساعد هات الشطرنج فأحضر الشطرنج ولعب معه فغلبه مساعد مرتين فتأثر سليمان وبان الغضب في وجهه وأراد ان يغلبه في المرة الثالثة ولكن مساعد غلبه فانحمق منه وطعنه بالخنجر فقتله فلما مات مساعد امر سليمان ان يدفنوه فحفروا له قبرا ودفنوه اما امراة مساعد فأخذت اولادها وذهبت الى السلطان حسن فمسكت عنان جواده وهي تبكي فقال لها ما شأنك ومن الذي ابكاك فقالت ان سليمان قتل زوجي غدرا فلما سمع منها حسن هذا الكلام اغتاظ جدا وطيب قلبها ولما انهوا مسألة صنعاء عاد الى الديوان وقال لسليمان اين نديمي مساعد قال له لقد مات وانا قاتله فقال حسن للقاضي ما تقول ايها القاضي فقال النفس بالنفس والقاتل يقتل فصاح حسن بالعبيد خذوا سليمان واشنقوه على باب اليمن فهجموا عليه ومسكوه واخذوه ليشنقوه فلما رآه ابو زيد وعرف السبب قال لهم اتركوه واذا سألكم حسن عنه قولوا شنقناه ثم ان ابو زيد اخذ سليمان ووضعه في السجن .

(قال الراوي) ان الاعتداء على صنعاء قد تجدد لان وفدا منها دخل ديوان السلطان حسن يتقدمه رجل اسمه مزيد فتقدم من السلطان حسن وأنشأ يقول :

جاك مزيد يا ملك نحوك اتى | يشكي لك المجوس شكوى ثابتا

اربـــع مراكب حـــول ما قربت ... بالليـــل جتنا وفـــي ارضنا حلتا
حاصرت اهـــل المدينة يا حســـن ... والاعادي حـــول صنعـــا بايتا
فافرج الهـــم عنا وما قد صابنـــا ... وخلي العدا فـــي البراري مشتتا

فلما فرغ من كلامه اشار حسن يشجع ابو زيد ودياب بقوله :

فقال الفتـــى حسن الدريـــــدي ... ابو زيد ابـــن عمي يا عضيـــدي
قوم اركب يا بو زيد واغـــــزي ... الا يـــا صاحب العزم الشديدي
وانهض يـــا دياب بن غانـــــم ... على الخضرا وجرد حسام الحديدي
ابو زيـــد عقيـــد القوم فينـــا ... يخلي دم الاعـــادي بديـــــدي

فلما فرغ حسن من كلامه تبادرت الفرسان واعتلت ظهور الخيـــل وركب حسن بقومه وسار ابو زيد امامهم يدلهم من غير طريق حتى لا يسأل حسن عن المشنوق فقال له دياب من هنا حتى نرى المشنوق فغمزه ابو زيد ثم ان دياب تبع ابو زيد الى صنعا وقسم ابو زيد الى شمال ويمين وخلف كل قـــوم الف فارس فاجتمعت الشباب مع ابو زيد الف فارس ومع دياب كذلك ومسكوا الشط مـــن يمين وشمال وسحبوا السيوف والنصال وهجموا على المراكب وصاح ابو زيد الله اكبر وفتكوا فيهم فتك الذئاب في الغنم ولما اصبح الصباح ملكوا المراكب واهلكوا اصحابها وفكوا الاسرى اما ابو زيد فقال لحسن هذه المراكب والذي فيها حلال لك ففرق على الفقراء والمساكين .

(قال الراوي) وخرج اهل صنعـــاء واستقبلوا السلطان حسن وابو زيـــد وشكروهما وقبلوا أياديهما وادخلوهما في موكب عظيم لسراية الامير عمران نائب حسن فترحب بهم وضافوا عنده ثم ودعوه وركبوا طالبين اليمن اما الملكة خرمـــا فقد عظم عندها حبس اخيها سليمان فأمرت خدامها ان يكسروا باب السجـــن ويخرجوا سليمان منه فذهبوا الى السجن فمنعهم الشجعان فضربوه حتى أغمـــي عليه وأخذوا سليمان لعند اخته خرما فسلمت عليه وضمته اما السلطان حسن لما عاد من الحرب قال لابو زيد اخطأنا في شنق سليمان فقال له انه في السجن وقد خلصته من الشنق فانبسط حسن ودعاه له ثم ارسل خادمه للسجن فرأى الباب مخلوعا وجفيل طريح على الارض من القتل فأخذوه لعند حسن وأدخلوه عليـــه فسأله حسن عن حاله فأجاب :

يقول جفيل السجان على ما جرى ... ودموعـــي جرت مثـــل طوفان
من أمس خرما ارسلت لعبيدهـــا ... كسروا بـــاب الحبس بـــلا أعلان
وقتلوني قتـــل شديد بالعصـــي ... وأخرجوا المساجين مـــع الهلال

فلما فرغ السجان من كلامه التفت حسن لابو زيد وقال :

يقول الفتى حسن الهلالي ابو علـــي ... لا خير في من للمعهـــود يبيـــق

ومن دلل النسوان ولو فرد مـرة رموه بدوار وسيـــع عميـــق
ابو زيد ما تنظر لخرمـــا وفعلهـــا ولا عندي لهـــا عمل يليـــق
وان فتاة الحي خرمـــا بحالهـــا تروح وحدها مـــن غير تعويـــق
رد الفتى ابو زيـــد سلامـــي اصغي لقولي يـــا حسن وفيـــق
أما فتاة الحي خرما زوجتـــك وفعلك معهـــا الان لا يليـــق
حتى لا احد يلومـــك منهـــم وكن في كل الامـــور رفيـــق

اما حسن فأبعد خرما وسليمان من اليمن لقلعة القنفذة فصارت خرما تلوم سليمان وسليمان يلومها ثم قالت ليس لنا شفيع سوى ابو زيد فأرسلت لـــه ذاك القصيد :

قصة الملك الكوكبي

وحروبه مع بني هلال وزفاف الامير سليمان على بنت الامير حماد ومصرع ملك الهند جراد وقصة الكركند

قالت فتاة الحي خرما التي شكت ... بدمــــع جرى من مقلتي هتـــــان
منـــي السلام على الامـــير سلامة ... سلطان حاكـــم في بني زحـــلان
ان الفتى حسن ابن عمك أهاننـــي ... وأمر بابعادي عـــن الاوطـــان
طردني انا وأخـــي من بلادنـــا ... وجار علينا ومـــا بقي لنا شـــأن
فان كان غيظه لاجـــل نديمـــه ... نعطيـــه فديتـــه ذهب رنـــان
وان كـــان يرغب غـــير ذلك قل لي ... وخلصني يـــا سلامة مـــن الاحزان

وكتب اخوها سليمان يقول لابي زيد :

يقول سليمان الحزين الذي شكـــا ... بدمع جرى فوق الخدود سكيب
سلامي على ابو زيـــد سلامـــة ... سلام محب مـــن فـــؤاد كئيب
ابو زيد يـــا كاسب القول والثنا ... يا مـــن ظني فيـــك ليس يخيب
تشفع بنا عنـــد الهلالي ابو علي ... يعفو عنـــا والعفو منـــه قريب

فلما فرغ من كلامه طوى كتابه وكتاب خرما وارسلهما لابي زيد فلما قرأهما دخل على السلطان حسن وتشفع بهما وأخرجهما من السجن فدخلت خرمـــا لسرايتها وزينوا قصرها بأنواع الزهور ودخل سليمان الى الديوان وسلم علـــى السلطان حسن وأبو زيد ودياب والقاضي بدير فترحبوا به وسامحوه على هفوته

وصالح السلطان خرما وفي ثاني الايام قال سليمان للسلطان حسن كان والدي قبل وفاته خطّب لي ابنة الامير حماد حاكم سواكن واعطاه المهر وعقد عقادي عليها وقبل العرس بأيام قليلة اسرني المجوس وخلصتني انت وقد بلغني ان الامير حماد مراده يزف ابنته لسلطان الهند جراد فلي الامل ان تخلصها لي من ذلك الملك الطاغي فوعده السلطان حسن خيرا واعلم ابا زيد فقال له ارسل كتابا الى حماد وتطلب منه ان يزف ابنته الى زوجها الامير سليمان وننتظر منه الجواب فاستصوب السلطان حسن رأي ابي زيد وكتب للامير حماد هذا القصيد :

يقول الفتى حسن الهلالي ابو علي ... ونيران قلبـــي زادت لفـــاح
نعم ايهـــا الغادي على متن ضامر ... تطوي البراري سهلها وبطـــاح
اذا جيت ارض سواكن وبلادهـــا ... تجد بها قرمـــا من الرجـــاح
فسلم على سلطانهـــا وأميرهـــا ... الملك حماد من افضل الصـــلاح
وقل له حسن الهلالي يقـــول لك ... كلامـــا صحيحا ليس فيه مـــزاح
بـــأن الملك نعمان قبل موتـــه ... اخذ بنتك لابنـــه بعقد نكـــاح
وأعطاك منـــه مهرها وسياقهـــا ... وصارت زوجـة سليمان صـــاح
وما السبب حتـى تزفها لغـــيره ... فهذا ما هو من سيمة الاصـــلاح
فان كنت تفعـــل الردى فتنـدم ... أجيك على خيل كما الاريـــاح
وهـــذا كتابي لك رد جوابـــه ... ان كنت طالب سلم او راد كفـاح

ثم طوى الكتاب وارسله مع نجاب فأوصله الى الامير حماد فلما قراه اعتراه الخوف وقال لوزيره ما العمل وقد وعدنا بها الملك جراد وبذلك نكون قد وقعنا بين خطرين عظيمين خطر جراد وخطر السلطان حسن فقال الوزير الراي عندي ايها الملك ان تخدع السلطان حسن بأن نقول له ان العروس مجهزة وهي بانتظار حضور جلالتكم لتزفوها الى الامير سليمان ثم ارسل كتابا لجراد وقل له ان يأتي بجيشه وعساكره لان مراد السلطان حسن ان يزوجها لسليمان فاذا حضر السلطان حسن وقومه وحضر جراد وجماعته يشتبكون معا في حرب تشيب منها الاطفال فلما انتهى الوزير من كلامه اعجب الملك حماد برايه ومشورته فكتب للملك جـــراد الهندي كتابا يلح عليه بالحضور لاخذ ابنته قبل ان يأخذها سليمان وكتب كتابا الى السلطان حسن قال فيه لما اسر سليمان ظننت انه قد مات ولكن لما عرفت انـــه في قيد الحياة ابقيتها له لانه أحق بها من امير الهند الذي يريد ان يأخذها بالقوة ثم ارسل لكل منهما كتابه فلما قرأ السلطان حسن الكتاب قال لابي زيد ان الامير حمادا موافق على اعطاء بنته لسليمان فخذ سليمان وبعضا من الامراء واحضروا العروس فقال ابو زيد ان الملك حماد ارسل لك المكتوب وهو منتظر قدومك اليـــه فخذ معك ثلاثة الاف فارس من الشباب لاجل المحافظة وخذ معك خرما وبعـــض النساء واحضروا العروس ولا معنى لذهابي انا معكم الا اذا حصل تنافر او خصام او حرب عند ذلك أمر السلطان حسن بركوب بعض فرسان اليمن فاعتقلوا الرماح وتقلدوا بالسيوف ونشروا الرايات وركبت خرما ومن معها من البنـــات ودقت

الطبول وزغردت النساء وساروا حتى اشرفوا علىوادي سواكن فخرج حماد واعوانه لاستقبال السلطان حسن فسلموا عليه وادخلوه في موكب عظيم وانزله الامير بسرايته وأظهر السرور والابتهاج بقدوم السلطان حسن واضافه ضيافة تليق بالملوك فشكره السلطان حسن وقال له اننا نريد العودة الى بلادنا في الحال فأين العروس فقال حماد ان العروس لها مصالح وأمور النساء كثيرة لا تتم بهذه السرعة فناموا هذه الليلة عندنا وغدا يكون كل شيء على ما يرام فقبل حسن وباتوا عندهم تلك الليلة وفي الصباح ركب حسن مع جماعته وركبت العروس في هودجها وركبت البنات والنساء اما الامير حماد فأعطى سكينا ماضية لجارية واركبها مع العروس وقال لها اذا التقى العسكران في القتال اقطعي حبال الهودج وانزلي العروس الى الارض وكانوا زينوا الهودج بالديباج والحرير وصارت اهل العروس يدورون حول السلطان وهو يعطي الجميع من الذهب وفعلت النساء كذلك مع خرما اخت العريس فأعطت كل ما معها من المال ولما توجهوا طالبين اليمن تكدر الجو وارتفع الغبار الى السماء وظهرت الفرسان والابطال معتلين الخيول مثل فروخ الجان عند ذلك صاح السلطان بقومه عليهم ايها اليمانيون اظهروا همتكم وشجاعتكم وبطولتكم لان عساكر الهند يستعدون علينا ويأخذون منا العروس وقال للعبد ساري اسرع وادركني بابن عمي ابو زيد فسار العبد كأنه الطير اذا طار حتى وصل الى ربوع بني هلال واخبر ابو زيد وبني هلال بما صار اما اليمانيون فانهم استقبلوا عساكر الجراد بضرب السيوف وطعن الرماح وجال السلطان حسن في الاعداء جولة اذهلتهم فقد قوم السنان واطلق العنان وانطبق على الفرسان وفرق الخيل في الميدان ودافع عن العروس والنسوان وفتكوا في ذلك اليوم بالاعداء فتك النسور والعقبان ولكن كثرة جنود جراد ارغمت اليمانيين على التراجع فلما رات الجارية انكسار اليمانيين قطعت حبال الهودج وانزلت العروس الى الارض فصرخت العروس وولولت النساء فصاح حسن بقومه اربطوا الهودج فربطوه وأعادوا اليه العروس فصاحت فيهم اقتلوا هذه الجارية فهي التي قطعت الحبال ورمتني الى الارض فضربها الامير غنيم بالسيف قطع رأسها وكان قد امسى المساء وخيم الظلام فتوقفوا عن القتال اما السلطان حسن وجماعته فتحصنوا في تل وبنوا الاحجار وحفروا الخنادق وأخفوا العروس والنساء وانتظروا بزوغ الشمس مدافعين عن انفسهم ونسائهم . وفي الصباح هجم عليهم الاعداء فصاروا يقذفونهم بالاحجار والنبال من وراء الاحجار ومن قلب الخنادق وقتلوا من رجال الهند ما ينوف عن الف فارس ولما رأى جراد ما حل بقومه غار على السلطان حسن والتقى البطلان كأنهما جبلان وتقاتلا قتالا شديدا . أما الامير حسن فانه حك الركاب بالركاب وطسه بالسيف على عنقه اطاح راسه من بين كتفيه فلما عاين قومه ما حل بملكهم هجموا جميعا على الامير حسن ومن معه وضايقوهم وما زالوا في اشد قتال حتى كلوا من طعن الحراب وايقنوا بالهلاك وفيما هم كذلك اذا بالخيل وصلت وفرس دياب اقبلت قبل الخيل وبعده فرس

ابو زيد ثم خيل بني قيس وهجموا على الاعداء وفاجأهم بضرب السيف وقطع الرقاب وصاح دياب بالقوم اليوم يوم الطعان اما ابو زيد فأدرك الامير حسن وانتشله من قلب المعركة وأركبه جوادا ثم حمل على الاعداء بقلب لا يهاب فنثر الرؤوس وأخمد النفوس وهاجت بنو قيس وتخاطفت الاعداء وجعلوا قتلاهم مكردسين وغنموا خيلهم واسلحتهم والذي هرب نجا بروحه اما ابو زيد ودياب والسلطان حسن فقد هنأوا بعضهم ثم ساروا الى التل الذي فيه البنات ففرحن بالنصر ودارت كؤوس الشراب بين الاحباب وبعد ان استراحوا قليلا نهضوا قاصدين العودة الى اليمن واخذوا المكاسب وساروا والنساء خلفهم تزغرد فلما اشرفوا على اليمن استقبلتهم النساء تزغرد والرجال تغني وترقص ولما دخل حسن الى سرايته قامت الافراح وزالت الاتراح وتقدمت الست ريما وانشدت :

قالت ريما في بيوت رائعات
قول ريما سجلوه بالكتب
اسمعوا لي يا بني قيس مقال
عن وقائع شفت فيها العجب
التقانا القوم في أولهم جراد
في عسكر من كل قرم منتحب
كلنا لولا حسن رحنا بلاش
انه فارس وعالي في النسب
انطبق علينا الجراد وجاء حسن
طوحه في راس مبروم الكعب
ما وقف عند العقيد الا غنيم
ساعف السلطان في الامر الصعب
والرياشي ثم حماد الفتى
جعلوا روس العدا مثل الحطب
وأبو وطفا دياب قد اتى
شبه ذيب في البراري ان وثب
وابو زيد على الحمرا هجم
ليس مثله بين فتيان العرب

ثم تقدمت زين العرب وانشدت :

زين العرب غنت في بيوت صادقات
قولها ما فيه تدليس وزور
كلنا لولا حسن رحنا بلاش
كان راح العرض منا والستور
رد نحو القوم وتلقا جراد
طوحه والرمح في جنبه يغور
والرياشي وابن غانم هاجمين
سببوا للقوم دكات الصدور
ثم اتانا ذلك الزغبي دياب
فارس الهيجا وقطاع الظهور
وابو زيد اتانا في الوغا
مع بني قيس كما الليث الجسور
شتتوا القوم عنا بالفلا
بددوهم بالسهول والوعور
ثم عدنا للمدينة بالهنا
فارحات دالعات كالبدور

فلما فرغت زين العرب من غنائها قال الامير حسن لابو زيد احضر الحلاق وقل له يحلق ذقن كل من تخلف عن القتال وهرب من الكفاح والنضال ففعل كما امره السلطان ثم قامت الافراح وعقدوا عقد ابنة الامير حماد على الملك سليمان وطابت لهم الاوقات . اما المكسورون الذين ساروا للهند هاربين فانهم دخلوا على الملك الكوكبي ابن عم الملك جراد وكان يحكم على عشرات الكرات وعلى الف فيل فأعلموه بمصرع جراد وبانكسار جيشه فغضب غضبا شديدا وأمر باجتماع الابطال

وأن يجهزوا الافيال ويستعدوا للنزول بأرض اليمن لاخذ الثأر ووصلت الاخبار لليمن فأمر حسن بجمع الامراء وانشد :

يقول الفتى حسن الهلالي ابو علي ... ابو زيد اسمع يا امير كلام
يقولون سلطان الهنود لقد اتى ... وحوله رجال مثل بحر عام
قد شاع عنه انه سار نحونا ... قاصد خراب بلادنا بالتمام
وجايب الافيال توقي عساكره ... اذا التقينا وسط سوق خصام

فلما فرغ السلطان حسن من كلامه عاد في حساب وامور صعاب ولما اشتهر الخبر عند العرب والحضر قال الامير حسن ان الخطر يحدق بالعرب وعباد النار كثيرون فاذا زحفوا يستولوا على البلاد فقال ابو زيد يجب علينا ان نجمع العساكر والجنود ونرسل من يكشف لنا اخبار ذلك الطاغي المكار ويعود الينا بالخبر الشافي فقال حسن من يذهب منكم يا اجواد فما احد اجاب عند ذلك قال ابو زيد انا فداك وأرد لك أعداك ثم انشد :

قال او زيد الهلالي يا حسن ... انني في كل علم اعلم
بعون رب العرش جل جلاله ... ربي تعالى حي وباقي دائم
أعمل انا هندي والبس مثلهم ... امضي اليهم بالفلا وأسلم
ارى انا حالاتهم وصفاتهم ... والكوكبي كافر او مسلم
فاكتب الى ابيك انت رسالة ... وانا اكتب لابي وافهم
ودياب يرسل لابيه رسالة ... كذلك الماضي فيأتوا يقحموا
وانت حاكم باليمن وجنودها ... اجمعوا كل الجنود وعمموا

فلما فرغ ابو زيد من كلامه شكره السلطان والحاضرون على حسن اهتمامه وكتبوا المكاتيب وأرسلوها لسائر الجهات يطلبون النجدات ثم ودعهم ابو زيد وسار الى بيته وكان قد تعلم من صغره سبعين لغة فصبغ جسده وارتدى بدلة هندي وحمل القدح والعكاز وعاد للديوان وتكلم بلسان الاعجام فما احد عرفه ثم قال ودعتكم يا ابطال فتعجبوا من هيأته وودعوه فسار يقطع الفيافي والقفار مدة عشرة ايام وكان معه جراب فيه تمر ومطرة ماء يشرب منها وكان لا يشرب من المياه التي يراها في طريقه خوفا من سم الافاعي التي كان يسمع صوتها ويراها تمر امامه فخاف ابو زيد منها وهو وحده في ذلك البر الموحش ورأى رجلا مقبلا عليه بملابس خضراء فقال السلام عليك يا ابو زيد يا بركات قال ابو زيد وعليك السلام والرحمة ولكن من اين تعرفني فقل لي من انت قال انا الخضر ابو العباس فلا خوف عليك ولا بأس ففرح به ابو زيد وقبل يديه ثم قال له من اين انت قادم قال كنت في جبال سرنديب وكنت عند مقام ابينا آدم عليه السلام فقال له ومتى اصل انا الى بلاد الكوكبي قال له امامك سبع وديان في كل واد افعى عظيمة باستطاعتها ان تبلع جملا فخذ هذه الحبات السبع فاذا هجمت عليك حية إرم واحدة في فمها فتهلكها حالا وبعدها ترى الكوكبي وجيوشه عيانا وترى الافيال

وبظهورها الابراج المحصنة بالرجال فقال ابو زيد وكيف ننتصر عليه فأجابه يوجد حيوان هائل يقال له الكركند له قرن واحد فقال ابو زيد وكيف الوصول اليه فأخرج الخضر حبلة وقال له ضع هذه الحبلة في عنقه فيمشي معك مثل الغنم واذا وقعت في ضيق فاطلب من الله ان يرسل لك الخضر فأحضر حالا وأخلصك من الهلاك ثم توارى الخضر واختفى اما ابو زيد فاطمأن قليلا وسار فأقبلت الحيات وفتحت فمها لتبلعه فألقى فيه حبة فماتت بالحال فحمد المولى الذي خلصه منها وكان يرى من الاهوال ما لا رأته عين ولا سمعت به أذن فأنشد يطلب من الله العون والخلاص :

قال ابو زيد الهلالي يا معين	يا إله العرش رب العالمين
ان تيسر لي وتفرج كربتي	بالنبي المختار بين المرسلين
انت لي يا خالقي نعم المعين	يا خالق الانسان من لحم وطين
انني يا مولاي في وسط القفار	لست ادري اليسار من اليمين
فأزل عني إلهي كل ضيم	واعني يا معين العابدين

ثم سار ابو زيد يقطع الآكام فرأى سهلا واسعا فيه مياه وينابيع فجلس يستريح واذ سمع ضجات وارتفاع اصوات ثم رأى الافيال وهي سائرة امام العساكر فاختفى ابو زيد بين اشجار جوز الهند فصارت السعادين تضربه بجوز الهند ثم تسلل الى ان دخل بين صواوين العساكر ورآهم حاملين ميتا القوه في النار وتركوه يلتهب فقال ابو زيد أشهد ان لا اله الا الله وأشهد ان محمدا رسول الله فلما سمعوه ينطق بكلمة التوحيد هجموا عليه وكتفوه واخذوه الى الملك الكوكبي فقال له من انت وما دينك فجاوبه بلسان الهنود قائلا انا رجل مثلكم ولكني أعبد الله الذي خلقني ورزقني وهو يطعمني ويسقيني قال له أما تعبد النار ذات الشرار قال انا أعبد الله الواحد الاحد رب الانس والجان ورب البحر والبر فلما سمع الكوكبي كلام ابو زيد قال لقومه حطوه في نطع الدم فهتف ابو زيد قائلا إلهي ادركني بالخضر ابي العباس فوقعت ضجة بين العساكر وصاحوا قد دهمنا المسلمون بالعساكر فقال الكوكبي دونكم واياهم فتركوا ابو زيد في الحديد وفتشوا على عساكر المسلمين ليحاربوهم فما رأوا احدا فقال ابو زيد في نفسه انه الخضر عليه السلام فقد استجاب الله دعائي وها هو أقبل وتقدم الخضر عليه السلام وفك ابا زيد من الحديد فانطلق يعدو في طريقه لاداء مهمته ورأى في طريقه واديا مملوءا بالحيوانات المتوحشة فصعد الى جبل عال فيه عين ماء فشرب وملأ المطرة ثم سار وهو يقول يا دليل الحائرين ومرشد التائهين فأشرف على قرية وسلم على اهلها فردوا عليه السلام واكرموه فنام عندهم ليلة ثم سألهم لماذا تغلقون ابوابكم باكرا وكأنكم خائفون فقالوا يوجد افعى هائلة تبلع الحيوان والانسان تجيء الى العين تشرب منها وتسمم الماء فيأتي بعدها الكركند يغطـ قرنه بالماء فيزول السم ويشرب ثم يذهب ونشرب بعده فقال اذا خلصتكم من الحية فهل تساعدوني في القبض على الكركند قالوا نبذل جهدنا فذبح ابو زيد عشر عنزات

وملأ جلودها كلسا وأبقى رؤوسها والمقادم عالقة وأوقفها قريبا من العين ولما اقبلت الافعى هرب الناس واغلقوا الابواب فلما رات الافعى العنزات فتحت فمها مثل المغارة وابتلعت العنزات العشرة ثم شربت من العين وسمعت الماء فاشتعل الكلس في جوفها وقطع امعاءها فصارت تصيح من الالم وتقوم وتقعد وتتخبط وتتلوى الى ان ماتت ففرحوا بموتها فرحا عظيما وشكروا ابا زيد وقبلوا يديه فقال لنقبض على الكركند فقالوا أرواحنا فداك فأمرهم ان يحفروا حفرة كبيرة ويغطوها بقش وتراب ففعلوا فلما أقبل الكركند غط قرنه بالماء وشرب ودار حول العين فوقع في الحفرة فرمى عليه ابو زيد حبلا وقاده ذليلا فشكره اهل القرية واكرموه ثم ودعهم وعاد قاصدا بلاد اليمن وهو يقطع الجبال والوديان ليالي وأياما حتى أشرف على بلاد العرب فلما عرفوا بعودته سالما فرحوا به وركب بنو قيس واستقبلوه مع الامراء والاعيان وسلموا عليه وقبلوه بين عينيه والتحمت حلقـــات الرقص وارتفعت الزغاريد حتى أوصلوه الى بيته فوضع الكركند في مكان واطعمه وسقاه واغلق عليه الباب ثم غير ثيابه وذهب للديوان وسلم على السلطان حسن وباقي الامراء فأخذوه بالاحضان فقال له الامير حسن هات ما عندك من الاخبار عن الكواكبي وعساكره فأخبرهم بجميع ما جرى معه وما قاسى من الشدائد والاهوال فاطمأنوا قليلا واستبشروا بالنصر على الملك الكوكبي وأمر السلطان حسن بالاستعداد لحرب الكوكبي فاجتمعت العساكر من جميع الجهات وفي أولهم الملك سرحان ابو الامير حسن وغانم والماضي ورزق فترحب بهم حسن وأبو زيد ودياب ودقت الطبول واعتلت الفرسان ظهور الخيول وسار الامير دياب على اهل اليمن ومعه عسكره ومشى ابو زيد مع خمسة الاف فارس وهو قابض بيده على الكركند وساروا اياما وليالي حتى التقوا بالقوم والافيال امام العساكر وعلى ظهورها أبطال مسلحون فلما رأوا الكركند ارتاعوا من منظره ووقفت الافيال خوفا منه لانه صار يهمهم ويتحفز للوثوب عليها فرجعت الافيال الى الوراء عندما اطلق ابو زيد الكركند فانطلق عليهم كالرعد القاصف يدمدم ويزعق فجفلت الافيال وارتدت الى الوراء فوقع الراكبون عليها ودعست الافيال على العساكر وقتلت كثيرا منهم وولت هاربة فلما رات بنو هلال أفعال الكركند هجموا مع ابي زيد على الاعادي بطعن الرماح وقطع الرؤوس وفتكوا بعساكر المجوس فتكا ذريعا وصمدت عساكر المجوس والتقت الرجـــال بالرجال والابطال بالابطال واشتد القتال ودام الى المساء فدقت طبول الانفصـال وافترقوا عن بعضهم . وفي الصباح اصطفت الصفوف وترتبت المئات والالوف ونزل الملك الكوكبي الى الميدان وطلب مبارزة الابطال فلاعب ابو زيد الحمرا واراد ان ينزل اليه فسبقه الامير دياب وصدم الكوكبي صدمة تقرب الآجال وصاح به انا الامير دياب حذاف الرقاب وضرب الكوكبي بعود الزان اخذه بترس البولاد ثم ارتد على الامير دياب وضربه بالسيف ضربة صامدة الا ان دياب رمى نفسه الى الارض فأراد الكوكبي ان يعدمه الحياة واذا بالامير ابو زيد هجم على الكوكبي وصاح اتاك ابو زيد البطل الرئبال فترك الكوكبي دياب والتفت الى ابي زيد واشتبك معه بضرب وطعن يقصف الاعمار حتى شخصت لهما الابصار واحتارت من قتالهمـــا

عساكر الفريقين وداموا في قتال وعراك مدة عشرة ايام وبعدها انتصر ابو زيد على الكوكبي وضربه بالسيف فتلقى الضربة بالترس فثنى عليه ابو زيد بالرمح وطعنه في صدره خرج يلمع من ظهره فوقع على الثرى فاقد الحياة عند ذلك هلل المسلمون وكبروا وأطلقوا الغارة على الاعداء فوقع فيهم الرعب والفزع وهجم دياب بالسيف القرضاب وطير الهامات وبرى الرقاب اما حسن بن سرحان والماضي ورزق والقاضي فهجموا مع عساكرهم على الاعداء وضيقوا عليهم فسيح المجال وأوقعوا بهم الذل والخبال الى ان شتتوهم في البراري والجبال تاركين وراءهم الذخائر والصواوين والخيل والاسلحة وتبعتهم بنو هلال حتى اوصلوهم لبلاد الهند فتشكل وفد من الاعداء وخرج لمقابلة بني هلال طالبين الصلح والسلام فرفع بنو هلال عنهم الحصار ونادوا بالامان من سبي الحريم والنسوان ثم دخلوا لسراية الكوكبي وغنموا خزائن الاموال ونصبوا صيوانا للسلطان حسن فاجتمع حوله الفرسان يهنئونه بالنصر والفوز على الاعداء وجلس حسن يكتب لابيه سرحان يخبره عما جرى له في بلاد الهند .

فلما انتهى من كتابة الرسالة اعطاها لنجاب فلما وصل سلم عليه واعطاه الرسالة فقرأها ففرح وانسر المسلمون بهذا النصر العظيم وبعد ان قرر السلطان حسن احوال بلاد الهند وضع على سرير الملك الامير شوبان ابن اخت الكوكبي بشرط ان يدفع كل عام خراجا معلوما من الاموال ثم امر بدق طبل الرحيل فركب السلطان حسن وأبو زيد ودياب والهلاليون واخذوا معهم ما خف حمله وغلا ثمنه من الجواهر والغنائم وعادوا الى بلادهم فوصلوا الى الامير غانم ورزق وسرحان الذين حرسوا الاموال في المكان الذي قتل فيه الكواكبي وهنأوا بعضهم ثم ساروا جميعا الى بلاد اليمن وارسلوا خبرا الى سليمان اخو خرما بقدومهم فخرج اهل صنعاء وعدن لاستقبالهم ودخل حسن السرايا وعلى راسه تاج تبع اليماني وصارت النساء تزغرد والشباب يرقصون ثم ذبحوا الذبائح وأطعموا الغادي والرائح ثم طلب الامير غانم والسلطان سرحان والقاضي بدير من السلطان حسن ان يعودوا لبلاد السرو فودعوه وانصرفوا .

قصة شراية الخضرا فرس دياب

وقصة فوز بنت الهيدبي ورجوعها
الى ابن عمها بدر العقيلي

(قال الراوي) وبعد هذه الحروب التي ذكرناها في قصة الملك الكوكبي استمر السلطان حسن اربع سنين يتعاطى الحكم في بلاده بحزم ودراية فاشتاق ان يعود لبلاد السرو فقال لابي زيد ودياب عن هذا السفر فاستصوبوا رأيه واستعدوا للسفر وارسل حسن كتابا لوالده سرحان في بلاد السرو يعلمه فيه برجوعه ثم ركب الهلاليون ومعهم الملكة خرما واخوها سليمان وولوا على اليمن رجلا يقال له الامام ثم سار حسن برجاله حتى وصل الى بلاد السرو فاستقبلوه استقبالا عظيما ومكث في بلاد نجد بأمان بين الاكابر والخلان وطاب له الزمان الى ان اقبلت عليه سنوات المحل فانقطع المطر ويبس الغصن فكانوا لا يجدون طعاما والاولاد تبكي والنساء تشكي وفي هذه الاثناء حضر دلال ومعه فرس كحيلة أصيلة خضراء فصار يدلل عليها فاجتمعت عليه الابطال فأنشد يمدح الفرس ويبين محاسنها :

يقول الدلال سعد بن كامل ... معي شهبا لمن يشتري ويزيد
بحافر كما الدينار مرفوعة الحشا ... لها سرج عالي فصلوه جديد
ابوها الطوسي سيد الخيل كلها ... وكان مشتراه بألف الف نقيد
فتح بابها حسن الهلالي ابو علي ... بميتين ناقة من نياق البيد
وميتين حمرا يا مير كرامتك ... ومية عبد للخيول تقيد
ناداه يفتح المولى يا ابو علي ... ريت عمرك يا هلالي مديد
تقدم ابو زيد الهلالي سلامة ... وغار عليها من مكان بعيد

وجدها مهره ما حوى الدهر مثلها ... خضرا اصيلـــة مـــن خيل الوليد
قال أدفع انا فيها ميـــة ناقـــة ... وميتين سابـــق جريها شديـــد
وميتين سيف يا مـــير مجوهـــر ... وميتين درع جيـــد التزريـــد
وميتين حمرا لم يوجد مثلهـــــا ... وميتين هودج مـــع جملة عبيد
فقال الدلال يفتخـــــر فيهـــــا ... وبعـــد ثمنها يـــا هلالي بعيـــد
وكان دياب الخيل بالصيد غايب ... يقنص الـــى وحش الفلا ويصيـــد
فراح لـــه العبد بالحـــال خبره ... وإلا ديـــاب الخيل اتـــاه ركيـــد
فقال له يا سعد بالله قل لـــــي ... فما لك تترك حمانـــا وتجي للبيد
هل اتـــى خطار لفوا لبيوتنـــــا ... وإلا فوارس للحـــروب تريـــد
فقال خضرا قـــــد اتت لنجعنـــا ... والا جـــواد فيها تشتري وتزيد
فروح اشتريها يـــا دياب وجيبهـــا ... تفتخر فيهـــا وتعيش سعيـــــد
راح دياب للحي رايـــــد يشوفهـــا ... ويشوف مزادها علـــه يستفيـــد
فقال يا دلال تعـــال وقول لـــي ... وخبرني خبر صحيـــح أكيـــد
مـــن اين جبت هـــذه الاصيلة ... ومين فارسهـــا على التحديـــد
فقال عمي الهيدبـــي واسمي سعد ... واسم ابوي يـــا امير مزيـــد
وهذي الفرس للخداش بن مفضل ... والله امانـــة مـــن امير زبيـــد
جبتها للبيع سبب مـــوت سيدهـــا ... بحكـــم الله مـــات وراح فقيـــد
سمعت بصيتك يا دياب بن غانـــم ... بأنك صميـــدع فارس صنديـــد
ان سمعت شورى يا دياب خذها ... تجيب غزال البر قبـــض الايد
فقال دياب خذ مائة ناقة ومثلهـــا ... وميتين شهبا من خيول البيـــد
وميتين سيف قبضتها جواهـــر ... وميتين درعـــا للطراد تفيـــد
وخذ لك جاريتين بعيـــون نواعس ... يغنوا على الاوتار بفن جديـــد
والفين دينار يكونـــوا دلالتـــك ... بارك لنا فيهـــا أيـــا عربيـــد
فقله هـــات ثمنها وهـــات دلالتي ... الله يبارك بهـــا الك يـــا سيـــد

(قال الراوي) اعطى دياب الى الدلال ثمن الخضرا ودلالته وصرفه مكرما معزوزا مجبور الخاطر أما دياب فأحضر سايسا ماهرا يسوس الخضرا واما الامير حسن وأبو زيد فباركوا لدياب بالخضرا وقال ابو زيد ان دياب يستاهل الخضرا أما دياب فانتخب عشرة رؤوس من الخيل الاصايل وأمر ان يركبوها عشرة فوارس فامتثلوا امره وركبوا وساروا بها مقدار ساعتين ثم اعتلى دياب على الخضرا وسار بهـــا خلفهم وصاح صوتا دوت له الجبال ومر عليهم مرور البرق وسبقهم وغاب عـــن انظارهم فساروا على أثره فما وقفوا له على اثر فرجعوا الى الحي واخبروا اهله فحزنوا عليه وسبب غيابه انه مرت امامه غزالة فجد في طلبها الى المساء فرأى أطنابا منصوبة على رابية فصاح يا سكان هذا المكان فما اجابه احد فأنشد يوقظ مـــن فيه :

يقول الفتى الزغبي دياب بن غانم ... وقلبي تقسم في فؤادي قسايـــم
يا راعي البيت المشرع فـــي الخلا ... انت يقظـــان والا عالتخت نايـــم
أن كنت تهوى النوم ما فيه فائـدة ... ترى النوم يصلح للرجال البهايـم
انا جيت ضيف يم بيتك بلا خفا ... من الصيد جوعان ومرخي العزايم

وداير انا على الصيد في البر والخلا   على ظهر خضرا مثل ريح النسايم
أعطني خبرا وماء اطفىء به الظمـا   وديكا عليه السمن طافح وعايـم
اخبرني لمن هـذا البوش كلـه   ومن هو الذي على البوش حاكـم
مقال الفتى الزغبي دياب بن غانـم   لي عزم امضى من رهيف الصوارم

فلما فرغ من كلامه كانت فوز تسمع نظامه فتعجبت لانها لا تعرف غير سعيد صاحب الصيوان وكان هذا العبد عصى على سيده الهيدبي وكانت بنته هـذه آية في الحسن والجمال خطبها منه الامير بدر بن راجح ولما ارسل ليأخذها مع قومه كان العبد سعيدا رابطا لهم في الطريق ففاجأهم بصوته المرعب ساحبا سيفه البتار ومال عليهم يضربهم فخافوا منه وتركوا له البنت فأخذها وسار بها في البر ونصب هذا الصيوان وحطها فيه وراودها عن نفسها طالبا منها الوصال فصاحت به خسئت ايها النذل الموت ولا العار عند ذلك غضب منها وربطها حتى لا تهرب وتركها وذهب الى الصيد وكل يوم يعذبها ويطلب منها الوصال فتأبى اباء شديدا الى ان جاء الامير دياب ووجدها مربوطة بالحبال وهي تئن من الاوجاع ففكها وقال لها من فعل بك هذه الافعال فأشارت تخبره بهذا القصيد :

تقول فتاة الحـي فوز التي بكت   بدمع جـرى فوق الخدود سجايم
أيـا من اتانا قاصدا لمحلنـا   لك الخير ابشر يا ابن الاكـارم
أنا بنت الهيدبـي بنت تغلب   على سبعة ملوك يـا امير حاكـم
جاءني الامـير بن بدير راجـح   خطبني من ابي وافـي الذمايـم
اخذني بهودج يـا امير حليلـة   الى عند بعلي طالب الحـي سالم
وإلا مفرج قـد اتى من الفـلا   وغار علينا مثل صقـر جايـم
ارتد على الفرسان جندل خيارهم   والباقين ولـوا منـه هزايـم
وقال يا بنت جودي علينا بالرضـا   والوصـال منـك صار لازم
فصحت فيه تخسأ يا نذل يـا ردي   أبعـد عني لا تكـون ملايـم

فقال دياب لا بد ان اضرب هذا العبد واخلصك منه واردك الى بعلك الامير بدر فلما سمعت منه ذلك خافت عليه من العبد وأشارت تحذره منه :

تقول فوز والنار علقت بالحشـا   ولا بـد بعـد الصبر مـن تيسير
وذا العبد تمساح البحر في الفلا   وانت وحدك مـا معك نصـير
وكم قهر فرسان في حومة الوغـا   وصيته ترى بين الرجـال شهير
ان طعتني وسمعت نصحي وشوري   ارجـع الى ربعـك خليك بصـير
وان كان تقدر فرسك تشيلنـي   خذني عليهـا يا امير وسـير
رد ابو موسى ديـاب وقلهـا   الأعمار تمضـي والسبب تقديـر
ولا بد من قتل العبد بصارمـي   ولو كان طـير بالسما يطـير

ثم قال لها مني علي بشربة ماء فأحضرت له الماء فشرب وسقى الخضرا ثم أنشد:

يقول الفتى الزغبي دياب بن غانم لاني مهذار ولاني كذاب
ولي قلب اقوى من حسام اذا سطا انا حامي الزينات في دز الحراب
انا راعي الخضرا دياب بن غانم امير بن امير ابن ذي الانساب
يا فوز لا تخافي العبد مفرج فما هو يشبه الامير دياب
ولا بد هذا اليوم اقتل مفرج واسقيه طعن يشيب منه غراب

فانشرحت فوز من كلام دياب وتحققت انتصاره على العبد وفجأة ظهر فارس بالحديد غاطس فصاحت فوز هذا هو العبد مفرج فنهضت واخذت الحصان والصيد الذي معه ثم رجعت فقال لها العبد :

يا فوز قولي الصحيح واسرعي قد صار في وسط الحشا دخانا
يا فوز هل سمع هذا بذكرنا حتى اتى لحينا وحمانا
في غيبتي يأتي وينزل بيتنا مستحقرا قدري ولا يخشانا
يا فوز مرادي أقتله بالعجل ولو كان من أفرس الفرسانا
ردت فتاة الحي فوز يا فتى هذا ضيف اتانا وخش في حمانا
ان كنت تقتله وتبلغ مقصدك تسمع بك العربان يقولوا جبانا
فان تسمع يا مفرج كلمتي دعه يروح ولا يشوف أحزانا

فعندها مشى العبد الى دياب وانشأ يسأله عن سبب مجيئه :

يقول الفتى المسمى الداعي مفرج انا فارس الهيجا بيوم طراد
نعم ايها الآتي الينا لحينا فمن أي ارض جيت وبلاد
ان كنت جاسوسا تجسس بلادنا وترجع الى قومك على ميعاد
ما عاد لك رجعا ولا عاد لك نجا وعمرك ولى والعبد بالمرصاد
رد الفتى الزغبي دياب بن غانم لي عزم اقوى من صفا بولاد
انا لي ثلاث ايام داير بالخلا فما جئت قاصد ولا رواد
لقيت غزالة جديت في أثرها حتى اختفت في هذا الواد
رأيت هذا البيت مبني ومشرع ومرفوع بالاطناب والأعماد
فجئت اليه قاصد النوم والأوى وأنا جوعان اريد منك الزاد

قال العبد اهلا وسهلا بك اما فوز فطبخت الصيد واحضرت الطعام فأكل دياب حتى شبع وما ابقى للعبد اثرا للطعام فانحمق العبد منه وقفز الى ظهر الحصان وطلب الحرب من دياب فصاح به دياب واشتبكا معا في الحرب بضرب السيف وطعن الرمح واخذا في الكر والفر وكان العبد اقوى من دياب فشعر دياب بضعف في قواه فانسحب من بين يدي العبد بخفة وصاح يا فوز سأعود اليك بعد ثلاثة ايام وأخلصك ثم غاب عن الابصار فعلم العبد ان الفتاة متآمرة على قتله مع دياب لانه سمعه يقول لها بعد ثلاثة ايام آتي واخلصك فقال لها يا خائنة اتفقت معه على قتلي فقالت له هذا ضيف لا اعرفه ولا يعرفني فما صدقها بل عراها من ثيابها

ودهن جلدها بالزفت والقطران وجلدها بالسوط وتركها مربوطة وذهب الى الصيد . اما دياب لما وصل الى اهله سمع البكاء والنحيب فعندما رأوه ابدلوا الحزن بالفرح وأتى الامراء وسلموا عليه فذبح لهم الذبائح واكرمهم وبعد ثلاثة ايام تقلد بعدة حرب وطاسة من فولاذ ورمح مكعب واعتلى الخضراء فصار كأنه قلة من القلل او قطعة فصلت من جبل وسار وحده يقطع الفيافي والقفار حتى أشرف على صيوان فوز فسمع صوت أنين صادر عن كبد حزين ويقول بصوت ضعيف اين دياب سبع الغاب واين فرسه الخضرا فتقدم دياب فرأى فوز معلقة بالسقف ففكها وأنزلها الى الارض فأشارت تحكي له عما فعل بها العبد :

تقول فتاة الحي فوز التي شكت … بدمع جرى فوق الخدود بديد
لما تركتني يا دياب اتى العبد وقللي … اتاك دياب للوصال يريد
قلت له هذا ضيف اتى لمحلنا … فكذبني وضربني ضرب شديد
انا خائفة يا امير يأتي من الخلا … يصيبك منه البلا وتنكيد
يا امير بشرني يا امير قل لي … عساك تقتله ونرتاح من التهديد
رد الفتى الزغبي دياب بن غانم … ونيران قلبي زايدات وقيد
يا فوز أقللي النوح والحزن والبكا … وخلي النكد عنك مع التعديد
أنا فارس الفرسان قرم غشمشم … انا مهلك الابطال قرم عنيد
فلا بد من قتل العبد مفرج … ولا بد ايام السرور نعيد

فلما انتهى الامير دياب من كلامه اقبل مفرج ولما رأى دياب عند فوز اغتاظ وزمجر وكشر عن انيابه وأشارا يتخاصمان بهذا القصيد :

يقول الفتى الزغبي دياب بن غانم … الايام بها الدنيا لها تنكيد
نحنا في طيب الكلام ونشوته … والا أتانا العبد سعيد
ركبت على الخضرا وصرت قباله … وكانت عيونه كالشرار تقيد
وصاح يا بدوي ما أصل مجيئك … فيا هل ترى مني ايش تريد
فصحت فيه يا عبد يا تمن العبا … لخلي جثتك فوق التراب رقيد
وجاني وجيته وانطوى البعد بيننا … وعاد لنا فوق الخيل ترديد
تحاربت انا وياه من الصبح باكر … الى الظهر في ضرب وفي تهديد
واعتلى رنين السيف بيني وبينه … كما طراق يطرق على الحديد
فصاح حصاني كل من الوغى … وقلبي تقطع من طراد البيد
وقال وقف القتال بيني وبينك … بكره الضحى تنشي حرب جديد
ضربته بسيفي ضرب ماكن … انقطع زنده من عند الايد
والعبد شاف الدم راح هارب … وطلع مولي في الجبال شريد
وعدت يم فوز بالسرور والهنا … وقلوبنا في فرح وفي تنشيد
وكان اطمأن قلبي لما قطعت يمينه … وعلمت انه ذل بعد قطع الايد
فقالت يا امير كمل جميلك … وديني لأهلي عساك تفيد
ركبت على الخضرا وسرت أمامها … وساحب زمام الفرس بالايد
فقلت لها يا فوز خيل اقبلت … وانا وحدي ما معي سنيد
قالت هم عرباني وكل قرايبي … وهذا ابي الهيدبي أكيد
ترى سعيد العبد أردى كبارهم … وما زال كايدهم بيوم وعيد

فقال دياب يا فوز هؤلاء الرجال مرادهم القتال والطعن والنزال فلا بد ان امحي كبارهم ولا رحم الله أباك وجدك فقالت ولماذا يا دياب ضاع الجميل معك فقال ان العبد سعيد لما هرب قال لسيده بدر إعلم اني كنت مقبل ومعي سيدتي الى هنا فرآني دياب بن غانم واهانني وقطع يدي فلما سمع بدر هذا امر بدق الطبل فاجتمعت رجاله وأمرهم بالركوب فركبوا وساروا في البر الى ان رآهم الامير دياب فأنشد هذه الابيات :

يقول ابو موسى دياب بن غانم   يا فوز قد ضاع الجميل اكيد
وكان مجيء بعلك له سبب   وقف صف الراوي وقال قصيد
سعيد العبد راح واعلمه   وقال له اسمع قولي ألا يا سيد
انا كنت جايب ستي الى هنا   اعيش انا معكم في ترغيد
فلاقاني الامير دياب بن غانم   راكب على خضرا كبرج مشيد
وغار علينا غيرة السبع بالفلا   وخلي دمائي على التراب تزيد
فلما سمع هذا القول عن ابن غانم   جمع الابطال من قريب وبعيد
قال ما الخبر يا تاج عزنا   ايش علام الطبل يا صنديد
فقال لهم يا عزوتي وقرايبي   سيروا بنا في برها والبيد
نلحق دياب الخيل في واسع الفلا   وحقق دياب الامر بالتأكيد
ولما راتهم فوز اتت هالعة   ودمعها يجري كسيل بديد
وصاحت سلامي على العرب اهل النسب   كبار الحسب بيوم نكيد
يا ناس ضليتم وذهبت عقولكم   وما بقي فيكم غلام رشيد
ولو كان فيكم شهم ما كان عيدكم   ابن الامة يحظى ببنت السيد
ولولا الامير دياب بن غانم   لكان عرضي يا رجال بديد
فقال بدر العقيلي اقول لكم   دياب بن غانم صاحب التمجيد
فواجب إكرامه يا ربع يجينا   وشكر افعاله قديم وجديد
وقالوا خذها يا دياب حليلتك   ما في الحلال عيب يا صنديد
فقال لا وحق من رفع السما   انا أريد ناموس الرجال يزيد

فلما تحقق بدر ان ديابا خلص بنت عمه فوز واتى بها سالمة من النوائب اخذ ديابا معه وسار الى الحي فاستقبلهم قوم بدر وسلموا عليهم وعلى الامير دياب واضافوه ثلاثة ايام اما بدر فعمل فرحا عظيما ودخل على بنت عمه فوز وعاش وإياها في فرح وسرور وبعدها ركب دياب وعاد طالب بلاده اما العبد لما انفضح امره هرب واجتمع بعبيد يقطعون الطريق فصاح بهم آه يا بني عمي انظروا كيف قطع يدي رجل اشقر اللون معه اموال كثيرة ولا بد ان يمر من هذا المكان فاقتلوه وخذوا أمواله . فبينما هم في الحديث واذا بالامير دياب مقبل عليهم فصاح العبد هذا هو دياب اقتلوه قبل ان يهرب وخذوا منه الاموال والتحف الغوال اما دياب فتذكر أحبابه وخلانه ولم ير العبيد فصار يغني :

نسيم الصبا ان سرت بلغ سلامنا   لنحو الذي ساكن بقلبي ومهجتي
وعرفه فينا يا نسيم وانني   أقضي الليالي بالسهاد ووحشتي

أعد نجوم الليل شرقـــا ومغربـــا   واجعل عد النجم في الليل شغلتي
ولا لي من أشكو اليه بما جـــرى   ولا من يقاسمني عظائـــم حرقتي
وقد كان محبوبي انيسي منادمـــي   مقيمين فـــي عيش هنيء ونعمـــة
فغادرني دهـــري المشوم بغـــدره   وفارقني والنار فـــي السجم شبت
وأرجو إلهي ان يردنـــي سالمـــا   الى وسط قصري في أعز مسرة

وفجأة هجم عليه العبيد من كل جانب ومفرج العبد يحرضهم على القتال فعند ذلك حرك الركاب وأطلق الخضرا على الاعداء كأنه القضاء المنزل وقطع الرؤوس وطير الكفوف وسالت الدماء وعلا الصياح وانتصر دياب على العبيد المناكيد فصاحوا الامان الامان وانسحبوا من الميدان وولوا الادبار اما العبد مفرج فانه هجم على دياب وانشد :

يقول الفتى المسمـــى سعيـــد   ونيران قلبي زايـــدات وقيـــد
واللـــه لأقطـــع رأسك بسيفـــي   ولا عدت بعمرك تكـــون سعيـــد
دخلت بيتي ومـــا خفت سطوتـــي   ومـــا تعلم بأنـــي فارس صنديـد
انا الفارس المذكور في يـوم غارة   أنـــا البطل المشهور انا العربيـد
فدونك الميدان بينـــي وبينـــك   واليـــوم تذوق البلا مـــن سعيد

ثم سحب المزراق وأراد ان يطعن فيه صدر دياب فضحك عليه وقال له هذا المزراق لا ينفعك وأنت قابض عليه بيدك اليسرى فما رد عليه بل طعنه بالمزراق فخلا عنها دياب راحت خائبة وانطبق عليه دياب وضربه على هامه حط رأسه قدامه وتركه يخور بدمه وسار في البر قاصد الفوز ورأى في طريقه وحشا عظيما هائل الجسم وعيناه تقدح بالشر فهاج وماج ووثب وثبة عظيمة بقوة وعزيمة على الامير دياب فصاح فيه دياب صيحة عظيمة وانشد هذه الابيات :

يقول الفتى الزغبي دياب الماجـد   ونيران قلبـــي زايـــدات اللهايب
أيـــا ذا الوحش لو تعلم بهمتـــي   لتغذي على الأعقاب في البر هارب
انا فارس البيدا حقيق مجـــرب   ولا انـــا مـــن سطوتـــك بهايب
هـــذا اليوم لأدعيـــك مجنـــدل   وتجري دمـــاك على الثرى سكايب

ثم ضربه ضربة قوية على عنقه فبرته ودحرجت رأسه على الحصى والتراب ثم اجتمع بفوز وسار الى نجوع الامير بدر العقيلي ابن راجح فاستقبله استقبالا عظيما فحكى له ما صار معه من الاول الى الاخر فانسر منه وقدم له الطعام والشراب فأشار دياب يقول :

يقول أبو الفوارس دياب بن غانـم   والقلب منـــي مثل نار وقيـــد
رجعت العربان بعد الوداع للوطن   وأنا وحدي مـــا معـــي سنيـــد
الا وذاك العبد بان من الجبـــل   وعينه تقـــدح بالشرار وتزيـــد

وقال رديتها يــــا دياب وجيتني   لخلي المزراق منـــــك يفيـــــد
وجاني وجيته وانطوى البعد بيننا   وعاد لنا وقت العجاج رعيـــــد
ضربته بحد السيف طيرت هامـــه   وأوردته بحد القنـــــا توريـــد
وعبده شاف راسه ارتمى وانصرع   وقال انا فــي عرضك يـــا سيـــد
فصحت فيه خذ راس العبد وديه   الى الهيدبى سرعـــه بلا ترديـــد
واذهب لستك فوز بالحال قلهـــا   دياب لاجلـــك قضى العمر سعيد
فقال على الراس والعين يا فتـــى   ولا عاش مـــن يخالفك يـــا سيد
وسار لسته فوز والبنات عندهـــا   ورمى الراس بينهن علـــى الشيد
فزلفطت فوز بالحال من فرحهـــا   واستقبلت ديـــاب الفتى الصنديد

ثم اخذ دياب الرأس وسار به الى ان اشرف على الديار فأمر الخدم ان يعلقوه على عود الزان وأمر بني زغبي ان يلعبوا البرجاس وامر البنات ان يغنوا وأمر بدق الطبل ففعلوا بما أمر وفرحوا واجتمع بنو هلال كلهم ورأوا رأس العبد معلقا فانسر الامير حسن واكابر بني هلال وشكروا ديابا على بطولته وشجاعته وسألوه على ما جرى له فحكى مفصلا واقاموا على فرح وسرور وغبطة وحبور .

قصة الهيدبى والعقيلي حنظل

(قال الراوي) ان العقيلي حنظل ارسل كتابا الى الامير دياب يهدده بالحرب والقتال ان لم يدفع عشر المال فأجابه دياب يقول :

يقول الفتى الزغبي دياب بن غانـم — واني على ضيفي كما الصور دائـر
وجانا كتابك يـا عقيلي حنظل — تقول تهيئوا للحرب يا آل عامـر
فاستعدوا للحرب ان كان تقـدروا — ولـو كنتم عد الحصى يا فواجر
انا مرعب الفرسان يـوم غـارة — انا دياب دوم على العدو غايـر
تخوفني ماني من الحرب خايـف — وماني من الاوباش وأهل المساخـر
تراني جيتك لا تقـول غدرنـي — ولاقيني للحرب ان كنت قـادر

فلما فرغ دياب من كلامه طوى الكتاب وأعطاه للنجاب فأخذه وسار الى ان وصل الى سيده فأعطاه الكتاب فلما قرأه كتم غيظه وصبر مدة حتى نسي عدوه الضغائن والعداء ثم جمع قومه في ليلة مظلمة وهجم على بني هلال وعمل الاهوال واختلطت العربان وهب بنو هلال من نومهم مرعوبين ونهض ابو زيد وصاح فـي الفرسان فتبعوه واصطدموا بالاعداء ودافعوا عن النساء دفاع الابطال وجرى الدم وسال وانتصر بنو هلال على العقيلي فهرب من المعركة وتشتتت فرسانه ورجع بنو هلال بالمكاسب فقال السلطان حسن ما هو السبب حتى أرعب العقيلي حنظل نساءنا وأزعج فرساننا فقال دياب انه أرسل لنا كتابا يطلب فيه عشر المال وارسلت له الجواب فقال ابو زيد او اعلمتنا بذلك لما جرت هذه الحادثة فقال دياب انا لا ادعكم تتكلفوا لهذا الامر لانكم ضيوفنا وفي حمانا وان عاد العقيلي نذيقه المـوت الاحمر . اما العقيلي فقد كتب كتابا الى السلطان حسن وابو زيد يطلب المـال

والاعشار ويهددهم بالاشعار :

قال العقيلي العمر منكم قد راح — وحروب تجري وعظم كفاح
اذا لم تدفعوا لنا الاموال — نذبح الفرسان ونزهق الارواح
باعت دياب يهددنا بقومه — عقله خرج والمال منه راح
هيئوا المال وإلا جيتكم — أخلي نساكم في بكاء ونواح

ثم أرسل الكتاب مع العبد الى بني هلال فسلم الكتاب الى السلطان حسن فقرأه ثم اعطاه لابي زيد فشقه ورماه واشار يقول :

قال الفتى ابو زيد وضاح — من صفر سني للعدا دباح
عندي كل فارس بطل رماح — ومن ضرباتنا راحت الارواح
ارسلت كتابا فيه تهددنا — وتقيم في حينا بكا ونواح
وحياة ربي لأقتلك بلا حربة — بعقب رمحي لأضربك ضربة
أقابلك متكل على ربي — وتكون طعام للرخم وشواح
قال ابو زيد الامير الهلالي — بالسيف حامي عزوتي ورجالي
والنصر من عند الإله العالي — سبحان ربي خالق الاصباح

ثم طوى الكتاب وأعطاه للعبد فأوصله الى سيده فلما قراه اخذ قومه وعياله وذهب بهم بين الجبال وصبر حتى اطمأن بنو هلال فقال دياب لابو زيد مرادنا غدا نذهب الى الصيد وننزل في البساتين ونتسلى بين الاشجار والانهار ونقطف الفواكه والثمر فقال ابو زيد هذا الوقت ليس وقت صيد فاذا غبنا عن الحي يباغتنا العدو ويأخذ الحريم وينهب الاموال فقال دياب ولكننا لا نذهب بعيدا عن الحي فقال ابو زيد كما تريد وبدأ دياب يرتب الضيافة ثم انه اخذهم وسار بهم الى مكان فسيح كأنه الجنة فجلسوا وتنزهوا ثم حضر الطعام من جميع الالوان والمحالي التي تليق بالامراء فجلسوا يأكلون اما العقيلي حنظل فانه كبس حي بني هلال ونهب مواشي ابو زيد ووقع الصياح في الحي وأسرع بعض الفرسان أعلم ابو زيد فترك الطعام وقفز الى الجواد فقال دياب ما الذي جرى يا ابو زيد فقال لقد نهب العدو المواشي وكبس الحي ثم ركب ابو زيد مع الف فارس من الابطال وسار بهم في البراري والوديان مدة خمسة ايام فما رأى احدا من الاعداء فرأى راعيا فسأله من اين انت قال من عرب الخزاعي قال كذبت انت من رعيان العقيلي حنظل وان لم تدلني اين نازل ضربت عنقك بهذا الحسام فخاف الراعي على حياته وسار امام ابو زيد حتى اشرفوا على البيوت والاطلال في واد بين اربعة جبال فوجدوا الحي خاليا من الرجال فأطلقوا الأعنة وقوموا الاسنة وغاصوا بين البيوت فنهبوا الاموال والمواشي والجمال وتقدم ابو زيد الى صيوان العقيلي فرأى فتاة تحمل طفلا وتقدمت من ابو زيد وقالت له انا حمامة اخت الامير دياب قد خطفني العدو وانا أقاسي العذاب الاليم فقال ابشري بالخلاص ثم قلعوا الصيوان وساقوا المواشي وعادوا الى

الديار فاستقبلهم السلطان حسن والامير غانم ودياب وهنأوهم بالنصر وفرح دياب بعودة اخته اما العقيلي حنظل لما عاد الى الحي استقبلته النساء بالبكاء والعويل وحكين له عما فعل ابو زيد فعند ذلك صاح في قومه عليهم ايها الابطال فركبت الفرسان وسار العقيلي امامهم وهو يزمجر ويهدد فلما وصل الى بني هلال ارسل يطلب ابو زيد الى الحرب والقتال بهذه الابيات :

يقول العقيلي والعقيلـــي حنظـــل	لا خـير فـي فتى يعيش ذليـــل
ولا خير في سلطان يأمـــن عدوه	فذاك عقله ناقـــص وقليـــل
نعم ايهـــا الغادي على متن ضامر	يشابـــه الريـم بالفـــلا جفيـــل
قــل لحسن اركب ونادي سلامه	ينزل الى حرب مـــداه طويـــل
تعال الـــى الميدان أيـا سلامـــه	اخلي دماكـم على الثرى يسيـــل

ثم أرسل الكتاب الى السلطان حسن فقراه ثم اعطاه لابي زيد فلما قراه ركب الحمرا واخذ من قومه خمسة الاف بطل وسار الى الميدان فاصطفت الفرسان وبرز العقيلي الى الميدان وهو لابس درعا متينا وعلى رأسه طاسة من البولاد فبرز اليه ابو زيد وصاح به انا فارس العرب والعجم انا ابو زيد فانطبق عليه العقيلي وعلا بينهما الصياح واشتد القتال وكان ابو زيد يضرب العقيلي ضربات تهد الجبـــال ولكن درع العقيلي متين وما زالوا في اخذ ورد الى وقت العصر فتعب ابو زيد وخاف على حياته وأخذ حذره من العقيلي وفاجأه بطعنة رمح في خاصرته فوقع قتيلا ثم هجم ابو زيد على جماعة حنظل وتبعه بنو هلال بضرب يقصف الاعمار حتى شتتوهم في البر وغنمت بنو هلال أموالهم وخيولهم ورجعوا غانمين سالمين ويرجع الكلام الى السلاطين السبعة فانهم اجتمعوا عند الهيدبى وقالوا غدا يطمع ابو زيد ويملك ارضنا عند ذلك كتب الهيدبى كتابا الى بني هلال يهددهم بالحرب ويطلب منهم ان يرحلوا عن هذه الاراضي ثم ارسل الكتاب مع عبده فسار به الى بني هلال وأعطاه الى السلطان حسن فلما قراه قال لمن حوله تنبهت السلاطين لحربنا فقال ابو زيد انا أرد لهم الجواب وكتب يقول :

يا هيدبـى احذر من ان تحاربنـــا	نحنا هلال لنا فـــي الحرب توليع
طعناتنا يا هيدبـــى تشهد لنـــا	بأنـــا أبطال يـــوم المواميـــع
نحنا بنو قيس معروفـــة فعايلنا	وقعاتنا تشيب روس المراضيـــع
عشرين ملك قد ملكنـــا بسيفنـــا	مـــن خوفهم جاءوا الينا مخاضيع
أنا ابو زيد وكل الناس تعرفنـــي	أفنيت العدا من طعن ولواسيـــع

ثم طوى الكتاب وأعطاه للرسول فأخذه وأوصله الى الهيدبى فلما قراه أمر بتهيئة الفرسان .

(قال الراوي) أما السلطان حسن فقال لابو زيد غدا تأتينا السلاطين ويصير سفك الدم بيننا ونحن اسلام وهم اسلام فالاوفق ان نحقن دماء المسلمين ونرسل

لهم هذه السنة عشر المال ونرتاح من الحرب والقتال فقال له افعل ما تريد فأشار حسن يقول :

جئنا لنجد وعدنا ضيوفكم — حاشا لمن قصد الكرام يخيب
خذوا منا عشر المال وابشروا — ما عندنا الا رضاكم وكل طيب
بلينا بتشتيت وبعد وغربة — نشدت ربي يعين كل غريب
ولولا الغلا ما كنا وسنا بلادكم — ونرجع اليها يا كرام قريب

ثم اعطى الكتاب لنجاب وأرسله الى الهيدبى فلما قراه أرسل لهم ابعثوا لنا ما تريدون فأرسلوا اليهم خيلا ومالا وركب ابو زيد ومعه الف فارس واخذوا الاموال وساروا حتى قربوا من مكان الهيدبى فخرج لاستقبالهم وسلموا على بعضهم وأخذ الهيدبى ابو زيد وانزله في احسن مكان وأكرمه غاية الاكرام وأشار يترحب به ويقول :

الا يا مرحبابك يا سلامي — وفي قرومك ابطالا خيرينا
لكم عندي المكارم يا سلامي — مدى الايام مع طول السنينا
ونحن قد بقينا يا سلامة — بنجد كلنا متساوينا
ارعوا المراعي واردوا المناهل — وسيروا فيها شمالا مع يمينا
رد عليه ابو زيد الهلالي — نحن في حماك طليقينا
اتانا المحل في السرو العريضة — دهانا يا ملك اربع سنينا
رحلنا من وطنا يا مسعى — وكنا كالبحور الزاخرينا
لاقتنا يهود بأرض خيبر — وفي جسر الحديد رابطينا
بعث سقيع يريد المال منا — وصاروا في نسانا طامعينا
قطعنا قلعة البيضا والسودا — وسبع قلاع ويامـا قد هفينا
طلع غانم وابن عمه لقانا — وعدنا في حماهم نازلينا
اتى العقيلي الينا ونهبنا — وللميدان عدنا نازلينا
حاصرته في مكان وضربته — وابنه بعده أضحى حزينا
وبعده انت ردت العشر منا — وفي حكمكم كلنا قد رضينا

فلما فرغ ابو زيد من كلامه شكروه واضافوه ثلاثة ايام ثم اعطاهم المال وأعطوه وصلا موقعا عليه من السبعة ملوك بما استلموه من المال والجمال فأخذ الوصل وسار الى بني هلال فسلم على حسن وأعطاه الوصل فلما توطن بنو هلال في نجد ركب ابو زيد واخذ معه الف خيال وساروا يدورون في نجد شمالا وجنوبا وشرقا وغربا ولما رجعوا قال حسن كيف رأيت نجد يا ابا زيد فقال درتها كلها فوجدتها مائة وعشرين مدينة وعشرين الف قرية وأشجارها وانهارها لا تعد ولا تحصى ولكن بينها بلاد الهيدبى يأخذ منا المال وهذا من اعظم المصائب فقال حسن وما العمل فقال نسأل عن بلاد السرو فان عاد لها الخير بعد المحل نرجع اليها ونطالب الهيدبى بالمال الذي اخذه منا فأرسلوا حمادي يكشف لهم الاخبار فلما عاد اخبرهم

بأنها اخصبت عند ذلك امر ابو زيد بالرحيل فحملوا ظعونهم وركب غانم وقومه وساروا معهم اوداعهم فحلف عليهم ابو زيد ان يرجعوا وانشد هذه الابيات :

يقول ابو زيد الهلالي سلامــة بدمع جرى فوق الخدود بديــد
ابقوا بخـير يا أجاويد كلكـم لكـم علينا فضل جزيــل مزيد
جزاكـم الله عنـا كـل خير ويجعـل دهركم كـل يوم عيد
أيـا غانم كثر اللـه خيركـم فكنـا بساحتكـم بخير رغيد
مقال ابو زيد الهلالي سلامـه فلا ننسى فضلكـم ليوم الوعيد

ثم انهم ودعوا بعضهم وسار بنو هلال قاصدين بلاد السرو فدخلوها وهم بخير وراحة واقاموا فيها اربعة أعوام ثم أمحلت بلاد السرو وحل الجوع وما بقي عندهم الا الرحيل فقال حسن الى اي بلاد نرحل يا ابا زيد فأجابه ابو زيد :

يقول الفتى الامـير سلامـه تـرى الشور بين الغانمين ضمـان
أنـا الشور عندي يا هلال ارحلوا الى نجد باكـر حملوا الأظعـان
الى غانـم الزغبي ننزل بساحته ومهما قضى المولى علينـا كـان
ونقتل الاعـداء فيهـا كلهـم والهيدبـى ندعيـه بالفلا منهان
والجيشمي والاحمـر نبيدهـم وزيد وفاضـل مع بني نبهـان
ونفني عقيل وآل قحطان كلهـم وتحكم انت في ارضهـم سلطان
وتملك نجد العريضة وارضهـا وهذا هـو الشور يا ولد سرحان

فقال له السلطان حسن بارك الله فيك ثم امروا بالرحيل بعد سبعة ايام وفي اليوم الثامن حملوا ظعونهم على الجمال وساروا مجدين حتى قربوا من ديار الامير غانم وكان يقال لها قلعة السكر فأرسل حسن يعلم غانم الرياحي بمجيئهم:

يقول الدريدي نادي الوجه ابوعلي سلامي على غانـم ابن غانـم
سلامي على المسمى ديـاب الغانم مقري الضيـف صاحب المكارم
سلامي على زيدان سلام عاطـر قاهر الاعـداء يـوم الملاحـم
سلامي على بدر الامين بن غانـم سلام محب صافـي ملايـم
أيا غاديا منـي على متن ضامـر يشابـه لمسيره ريـح النسايم
الا يا عمامي نسبتي وقرابتـي واهلي وقومـي اصحاب اللزايم
اتينا اليكـم نستظل بظلكـم يا كاسبين الثنا بالكرم والعزايـم

ثم طوى الكتاب واعطاه الى ابن عمه حماد فأخذه وسار الى قلعة السكر وسلمه الى الامير غانم فلما قراه فرح فرحا شديدا وامر بالركوب فركب بنو زغبي ورياح في تسعين الف فارس وساروا ليستقبلوا بني هلال فلما اقبلوا عليهم دق بنو هلال طبولهم واستقبلوهم بفرح وابتهاج وسلموا على بعضهم سلام الاحباب ثم ساروا ونزلوا بالمكان الذي كانوا نازلين به اولا فذبح لهم غانم الذبائح واولموا الولائم ومد

لهم السماطات فأكلوا وشربوا واشار غانم يترحب بهم ويقول :

على مـــا قال غانم مـــن ضميره
الا يا مرحبـــا بهلال جملـــة الا يـــا مرحبـــا بالقادمينـــا
لقـــد ضاء الحمى لمـــا اتيتـــم وبالزحـــلان قـــوم الخيرينـــا
ومهما تطلبوا منـــا تنالـــوا وصرنـــا فـــي لقاكم فارحينـــا
وحـــق الله لسنـــا كاذبينـــا

فلما فرغ غانم من كلامه شكروه شكرا جزيلا واقاموا عنده على الرحب والسعة اما عقيل وحنظل فانهم سمعوا بنزول بني هلال عند الامير غانم فقال الهيدبى اذن لنطلب منهم المال ونرى ما يكون جوابهم واشار يقول :

يقول الفتى الهيدبـــي ابن تغلب ونـــيران قلبي زايـــدات دخـــان
وعيني تبات الليـــل ما تألف الكرى تراعـــي نجم سهيـــل والميزان
اربع سنين يامـــا رأينا من البلا وكـــم هموم شفنا مـــع الاحزان
غدا بنو عامر الى السرور وحملـوا وما عاد ينزل من ينزل الى الميدان
بهذا العام اتوا الى عنـــد غانـم وهدوا كروم التين والرمـــان
وتقاتلوا الفرسان بالمـــدن والفلا وعلى الماء حين تورد الرعيـــان
يا غاديا منـــي على متن ضامـر يقطع فيافـــي الارض والوديـــان
سلم على حسن الدريدي ابو علـي سلطان بني هـــلال ولد سرحـان
وقـــل له بالامس سرتوا للسرو وعشتم بأرضكـــم في عز وأمـان
واليوم سكنتم ارضنا يـا بني عامر فابعثوا لنا المال بـــلا نقصـان
وكونوا مثـــل ما كنا فيما مضى هـــذه عادة مـــن قديم زمـــان
وان كان ما تعطي فعد لديرتـــك قبل ما يقع بيننا حرب وطعـــان

ثم طوى الكتاب وارسله الى السلطان حسن فلما قراه غضب غضبا شديـدا وقال لابي زيد رد له الجواب وقل له ما عندنا الا الحرب وطعن الرماح واكتب له هذه الابيات في نهاية الكتاب :

قال ابن سرحان أبيات معربـــة مـــن بحر فكره اتت بالمناسيب
تهدى لابن تغلب المسمى عقيـــل سلطان فـي نجد وعـــز المطاليب
المـــال قبـلا اخذتـــوه غصيبة شكر الشريف بعت لنـــا مكاتيب
وما عندنـــا مال تأحذه منـــا ما عندنـــا غـــير ضرب القراضيب
والمـــال الـــذي اخذتـــه منـــا أعـــده الينا قبـــل المحاريب
محفوظ بالقلم في دفتر القاضـــي تسعين خزنة مسجلـــة بالترتيب
نحنا هـــلال وعامـــر جدنـــا الزير وكليب نحنا لـــه مناسيب
الدار دارنـــا يا هيدبى إرحـــل قبل ما تلقـــى البلا والمناكيب

ثم طوى الكتاب وأرسله الى الهيدبى فلما قراه اغتاظ غيظا عظيما واجاب يقول:

غنـــى ابن تغلب ابيات مرتبـــة أبيات تطرب كـــل فصيح بالبيـــان

تهدى الى حسن سلطان العــرب ملـــك عامر ودريد وزحـــلان
يا امير قومي كثير ما لهم عـــدد عشر كرات من أفرس الفرســان
أفعالهـــم يا حسن بالكون معروفة من اتاهــم يا ربــع عاد خسران
ان طفتني ارســـل المال كلــــه وإلا فانزل غــدا الى الميـــدان

ثم اعطى الكتاب الى غلامه وقال له سلمه الى حسن سلطان بني هلال فسار به الى ان أوصله السلطان حسن وسلمه الكتاب فلما قرأه قال لابي زيد رد لـــه الجواب فكتب يقول : من ابن زيد سلامة الى ابن تغلب السلام على من اتبع الهدى وبعد فقد طلبت منا المال وتهددنا بالحرب والقتال وقلنا لكم ما عندنا الا الركوب على الخيل وحمل السيوف والرماح لقطع الرؤوس وبري الرقاب وغدا تـــرون الاهوال من أبطال بني هلال وبني زحلان وبني زغبي سترونا هاجمين مثل السباع الكواسر وسوف نفني أبطالكم ونملك دياركم باذن الله وهذا جوابنا والى اللقاء . فلما فرغ من الكتاب أرسله الى الهيدبى فلما قرأه اغتاظ غيظا عظيما وقال لا بد ان نركب عليهم وننهب أموالهم ونقتل رجالهم ونسبي نساءهم ثم قال اين ضاربة الودع فأحضروها بين يديه فقال لها اضربي لنا الودع واعلمينا بما سيجري علينا بالتمام فعند ذلك ضربت له الودع وحررت الاشكال فتبين لها ما يسوء مـــن العاقبة الوخيمة فعضت على اصبعها ثم قالت للهيدبى اعطني الامان فأعطاهـــا الامان فقالت له ان الحرب على وشك الوقوع بينكم وبين اعدائكم ويقتل منكم خلق كثير وأنت تقع في خطر وربما ... فصاح بها الهيدبى وربما ماذا قولي فأنت في أمان . فقالت ربما تقتل انت وكل ملوك نجد وما يسلم منكم غير الاحمر فيهرب ويتوارى عن العيان فلما سمع الهيدبى ذلك الكلام صرف ضاربة الودع وقال ربما تكون على خطأ ونحن صممنا على القتال فلا بد من الحرب والنزال وأمر بالركوب فركبوا وكان عددهم مقدار اربع كرات فقال سيروا الى مرج داغر فلما سمع بنو هلال هذا الخبر ركب حسن وركبت بنو هلال وضربوا الطبول ودق بنو عقيـــل طبولهم وركبوا خيولهم وركب دياب في تسعين الفا من قومه بني زغبي وسبق الجميع الى الميدان وطلب مبارزة الفرسان وصاح من عرفني قد اكتفى ومن لم يعرفني فما بي خفا انا الامير دياب حذاف الرقاب ولا يبرز لي الا الهيدبى بـــن تغلب فما أتم كلامه حتى صار الهيدبى قدامه فصال وجال وأنشد وقال :

قال ابن تغلب ديــاب يا غلبـــان اليوم تضحي على الثرى منهـــان
انا ابن تغلب فارس الخيل بالوغـــا كم فتـــى مني غدا عدمـــان
مالك ومال حرب يلقيك في البلا كـــم من امـــير راح بالميـــدان
اقصر عنادك روح لاهلـــك يا فتى مـــا تنفعـــك قومك مع العربـــان
رد الفتى الزغبـــي وجاوبـــه اترك الهرج انت رجـــل خرفـــان
انا الزغبي ديـــاب أبـــن غانـــم بيـــوم الوغـــا احطـــم الفرســـان
ان عانـــني ربي لأقطع راســـك واغنـــم مال عقيـــل والنســـوان

ولما فرغا من التهديد انطبقا على بعضهما بضرب متوالي يقصف الاعمار وحان

عليهما الحين وغنى فوقهما غراب البين الى ان قام دياب بعزم الركاب وطعن الهيدبى بصدره طلع السنان يلمع من ظهره فلما قتل الهيدبى هربت جنوده وعساكره وتبعهم بنو زحلان وبنو زغبي أما ابو زيد فاجتمع بحنظل وضربه بالحسام قسمه نصفين وقتل الجيشمي والامير جراح وما زال السيف يعمل والدم يسفك حتى قتل منهم ثمانون اميرا اما الامير الاحمر فانه هرب ولم يبق احد يقاتل بني هلال فاستولوا على جميع الاموال وغنموها واقبلت العربان على السلطان حسن وطلبوا منه ان يعفو عنهم فعفا عنهم وأعطاهم الامان وحكم نجد كلها ورتب الجزية على اهلها سبع خزنات كل عام وركب على الكرسي وتسلطن في بلاد نجد وصارت تأتيه الهدايا من سائر البلاد وحكم بالعدل أما الامير الاحمر فإنه كتب للسلطان حسن وترجاه ان يعفو عنه ويرجعه الى وطنه فرق قلبه وأرسل له كتاب الامان قال فيه :

يقول الدريدي نادي الوجه ابوعلي	ولاني بكذاب ولا قلت بهتان
نعم ايها الغادي على متن ضامر	يسبق هبوب الريح بالوديان
اذا جيت حنجره يا رسولنا	أدخل على الاحمر ابو سليمان
ارسلت تريد الامن منا وترجع	لأرضك وتقعد يا فتى سلطان
عليك أمان الله منا جميعا	امان حقيق ما به نقصان

فلما فرغ حسن من كلامه ارسل الكتاب الى الملك الاحمر فلما قرأه قال لقومه لنرجع الى أوطاننا فحملوا ظعونهم وساروا ودخل الملك الاحمر مع حاشيته على السلطان حسن وسلموا عليه فحياهم واكرمهم وعفا عنهم وأعطى الملك الاحمر بلاده يحكم بها من تحت يد السلطان حسن وعاشوا في أمن وأمان اما العرندس عم دياب فقال لدياب اطلب (نورباق) من اخيها وادخل عليها قبل ان يأخذها شكر الشريف منك لانه بلغني خبر يوم قتل بنو هلال الهرقل خطبها من حسن ووعده بها فلما سمع دياب من عمه هذا الكلام ارسل يطلبها فقال :

يقول الفتى الزغبي دياب الغانم	الفرح جانا وراحت الاحزان
سلامي على حسن الامير ابو علي	امير البوادي الفتى ابن سرحان
فما شفت انا بالناس مثل اميرنا	ولا بالملا من سائر العربان
وسلامي على رفاقه كلهم	أعمامي وسندنا بيوم طعان
يا حسن انت اعطيتني نور بارق	أريد الوفا منك يدعمه البرهان
لأن الوعد عند الملوك فضيلة	والفاظهم حجة بلا نقصان

وطوى دياب الكتاب وارسله مع عبده الى السلطان حسن فلما قراه عبس وجهه وتغير لونه فقال ابو زيد اسمح لي بهذا الكتاب يا حسن فأعطاه اياه فقراه وأعطاه للقاضي بدير فقراه وتأمل فيه ثم قال لحسن انت وعدته بها وقولك حجة فقال حسن لنسمع ما يقول ابو زيد ما على المحسن سبيل ولا احد يقدر يغصبك عند ذلك اشار حسن يرد على دياب بهذه الابيات :

يقول الفتى حسن الامير ابو علي
سلامي على الزغبي دياب بن غانم
سلامي على غانم وكل قرايبه
زغبه ورياح وكل الاكارم
وبعده اسمع يا دياب مقالتي
فما عندنا بنت توافق ابن غايم
يا دياب حيد عن كلامك واقتصر
واترك «نوربارق» ما هي ملايم
اعطيناك هولا وأنت اعطيت مثلها
واحدة بواحدة يا كبير الحشايم
يا مير شوف لك بنت غير اختنا
ومن يترك اللذات نال المكارم

ثم طوى الكتاب وأرسله الى الامير دياب فلما قراه اغتاظ غيظا عظيما وناول الكتاب الى العرندس فلما قراه ضحك فقال دياب ما يضحكك يا عم فقال اضحك على قلة عقلك لاجل حماقتك فكيف تنغم ويدك فوق أيديهم وجميلك عليهم وقتلت قريبك لاجلهم والآن باعك حسن من اجل بنت ولا عاد لك عندهم قدر ولا شأن ثم أنشد هذه الابيات :

قال العرندس استمع يا زغبي
مني كلامي وافهم المطلوب
بنو هلال قد عتوا وتجبروا
ملكتهم نجد وما لها لهم محسوب
قتلت ابن تغلب بقلة شورك
اعطيتهم بلاده ونالوا كل مطلوب
الراي عندي يا ابن اخي ان تركبوا
وتغزوا مرعاهم تجعلوه منكوب
وتغنموا مواشي الامير ابو علي
وان اتى يحارب نجعله مغلوب
انا علي في سلامة أقتله
وانت اجعل حسن بسيفك مضروب

فلما فرغ العرندس من كلامه قال دياب والله يا عم رايك موافق ثم انه جمع بني زغبي ورياح واعلمهم بغزو مواشي السلطان حسن ووعدهم بالغنائم فحملوا اسلحتهم وركبوا خيولهم فوصل الخبر الى درة بنت زيدان فعظم الامر لديها وما هان عليها وكان ابوها عند ابي زيد فأرسلت تعلمه :

قالت له اعلم يا ابي ان الامير دياب طلب «نوربارق» من الامير حسن وكان قد وعده بها فامتنع حسن من اعطائه اياها فتأثر دياب وانقهر فحرضه عرندس على نهب مواشي الامير حسن وقال له اذا حاربك حسن وابو زيد فاقتلهما واقتل كل من يناصرهما . فاسرع يا والدي الينا قبل ان تقع الحرب بينهم وتسفك الدماء ثم انها ارسلت الكتاب الى ابيها فلما قراه تغيرت الوانه فقال له ابو زيد ما الخبر فحكى له عن دياب فقال ابو زيد لو يأتي اخوك دياب الينا كنا قضينا مراده وبعد هذا الكلام ركب زيدان وذهب الى دياب فرآه راكبا مع جماعته فبادره بقوله :

يقول الفتى زيدان عما جرى له
ونيران قلبي زايدات لفاح
الا يا ابو موسى ويا راس قومنا
فعالك فعال الباغيين قباح
على شان بنت تفتن العرب يا فتى
وفيما بينهم تقيم شرور وكفاح
عيب عليك تريد تركب على حسن
وتنهب مواشيه وتحوز ارباح
وتبقى معارا للخلايق جميعا
ويعلى عجاج الخيل وضرب رماح
فبالله عليك اقصر الشر والبلا
وهذا جريمة تغضب الفتاح

فلما فرغ زيدان من كلامه اغتاظ دياب واشار يقول :

يقول ابو موسى دياب بن غانـــــم كلام شبيـه السيف ان كان شاهر
الا يا فتـــى زيدان اسمع مقالتي واقصر كلامك لا نريد المعايـــر
حسن مليـــح لكن ما وفى بوعده عطانـــي اخته وبعد العطا عاد قاصر
فوالله مانـــي راجع عن قتالـــه وادعي بني قيس يولـــوا خواسر

فلما فرغ دياب من كلامه اغتاظ زيدان من دياب واراد ان يحمل عليه فتدخل بينهم القوم وابعدوهما عن بعضهما فعاد زيدان وهو مغتاظ وصاح بقومه ان دياب بائق وخوان فتهيأوا للحرب والطعان فلا بد من قتله وقتل من يمشي معه مـن الفرسان فركبوا خيولهم وهم اربعون الفا عشرون من بني زغبي وعشرون من بني رياح وساروا ليقابلوا دياب الذي ركب بقومه واطلق الغارة على مواشي حسـن وجمعه على بعضه البعض فصاحت الرعيان عيب عليك يا دياب تبوق في حسن فقال دياب هل انا بواق يا كلاب وطعن رئيسهم بالرمح في صدره طلع يلمع من ظهره وكان لهذا العبد اخ فغار على دياب وطعنه بالرمح فصاب الجواد واماتــه واراد ان يضرب دياب فغاروا عليه فقتل واحدا منهم وهو ابن عم دياب فحمل عليه دياب وطسه على هامه حط راسه قدامه ومال بنو زغبي على العبيد قتلوا تسعة منهم وهرب الباقون اما دياب فساق المواشي وساروا بها وفي هذا الوقت وصل زيدان وربعه وصاحوا بقوم دياب اتركوا المواشي يا انذال فتقدم اليه دياب وتقاتل معه فلمه درهما من بطلين عظيمين وفارسين متماثلين واشتد بينهما القتال وتوالت الضربات والطعنات وخرقت طعنة منها بطن جواد دياب فوقع على التراب واراد زيدان ان يكمل عليه فأدركه قومه واخرجوه من الميدان ودقت طبول الانفصال اما دياب فأرسل المواشي الى البيوت واما حسن فأخبره العبيد بما فعل دياب فغضب غضبا شديدا واذا بالامير ابو زيد داخل الى الديوان وسلم على حسن فرد عليه السلام وقال له مالي اراك يا ابا زيد عابس الوجه محمر العين ويدك على قبضة سيفك فما الذي اغاظك هل كان غيظك من اجل ماشيتك المنهوبة ام ماذا قل لي فقال ابو زيد انا متأثر جدا من فعل دياب لانه نهب مواشيك وقتل عبيدك وقـد تقاتل مع اخيه زيدان فقال حسن لا بد ان اركب عليه واقتله فقال ابو زيد وانا معك لنخلص المال من دياب وفي الحال دقت طبول الحرب والقتال وركبوا الخيول وساروا طالبين دياب اما القاضي بدير فأرسل الى ابن اخته دياب يقول له اعلم ان حسن مراده ان يخلص مواشيه منك بالقوة والقتال فان كنت تعرف نفسك قد هذه الحرب فاثبت لهم او رد لهم المواشي فلما وصل الخبر الى دياب استشار قومه قائلا هل احارب او ارد المواشي لاصحابها فقال له عرندس اذا رددت المواشـــي ينحط قدرك وقيمتك تجاه العرب وان استجرت بأبي زيد تبقى ذليلا مدة حياتك فالراي عندي ان ترسل الى خالك بدير بالقتال والحرب والنزال فقال دياب هو

ما تقول ثم أرسل لخاله هذه الابيات :

مقالات الفتى الزغبي كلامـــا	الا يـــا خال سيبك والملامـــا
أتونـــي من السرو سكنوا معايـا	جفتهم أرضهـم ويـا المقامـــا
وقمت بواجبه اختـــي عطيتـــه	وأعطـــى اخته لأخي تمامـــا
وأعطاني انـــا أختـــه زيـــادة	اراد بنور بارق لـــي وسامـــا
طلبناها فمـــا نفـــذ طلبنـــا	وخجلنـــي انـــا بين الانامـــا
ولا انـــا خائف منهـم جميعـــا	ولو قابلتهـم عشريـن عامـــا

ثم أرسل الكتاب الى خاله فلما قراه قال يمكن تكون قد حانت منية دياب اما الامير حسن وأبو زيد ساروا طالبين دياب حتى اقبلوا على منازله فراوا زيدان وقومه فسلموا عليهم وتقدم زيدان وقبل يد السلطان حسن وقال له انا عليّ في قتل دياب ولا احد ينزل اليه غيري اما دياب لما رآهم مجتمعين ومتفقين على حربه وقتاله دق طبله وركب بقومه واصطفت العساكر فنزل زيدان الى الميدان وطلب دياب فنزل اليه دياب وأشار يقول :

قال الفتى الزغبي ديـــاب الماجـد	النار فـــي قلبي سناهـــا ثـــارا
من فعلة السلطان فينـــا عائب	حـــرق قلبـــي وعقلي طـــارا
طلبت نور بارق حسب وعـــده	منعهـــا وقال كـف قولـك عارا
اخذت مواشيه وقتلت عبيـــده	اتانـــا اليـوم مثل شعلة نـــارا
فارجع يا زيدان مـا انت خصمي	أرسل حسن يجينـــي غـــارا
زيدان يـــا ميشوم ارجع عاجل	قبل ان تمـــوت والدمـــا فوارا
أقلك يـــا زيدان مـا انت قدي	اني ابو موسى انـــا المغـــوارا
رد الفتى زيدان يا أبـــا وطفـــا	اقصر كلامـــك انت يـــا غـدارا
الناس عرفت أفعالـــك كلهـــا	قالوا عنك عائب قالـــوا مكـــارا
حسن نزيلك يا ديـــاب تخونـــه	فعلك يـــا دياب كسانا العـــارا

ثم التقى البطلان كأنهما جبلان وافترقا كأنهما مركبان وحان عليهما الحين وغنى على راسيهما غراب البين وتقاتلا قتالا شديدا ولاح منهما ضربتان صائبتان حكمتا بالجوادين فوقعا على الارض فهذا اخذه قومه من الميدان وهذا انتشله ربعه مـن ساحة القتال ودقت طبول الانفصال وفي الصباح انحدر دياب الى الميدان فنزل اليه فارس يقال له غمار وهو من بني زحلان استقبله دياب بالسيف على هامـــه حط راسه قدامه وبرز اليه فارس من بني زغبي فقتله وقتل فارسا من بني عامر فاغتاظ حسن من فعل دياب وأراد ان ينزل اليه فسبقه ابو زيد واشار يقول :

قال ابو زيد الهلالـــي توســـع	قبـــل ان تولي على الثرى منهانـا
تخون يا بواق ونحـــن ضيوفـك	تقتل فوارسنـــا وتبغي اذانـــا
دياب مـــا تقدر لقيس وعامـــر	ولا يمكـن تقابـــل الزحلانـــا

حبل المحبـــة ينقطع يـــا زغبي تندم وطـــول عمرك ندمانـــا
ارماحهـــم مثل النجـــوم اللوامع وسيوف تبري هامـــة الفرسانا

ثم التقى البطلان في ساحة الميدان بضرب السيف وطعن السنان وقام دياب في عزم الركاب وضرب أبا زيد فمال عنها وتعدل وضرب دياب بالدبوس على راسه ولولا الخوذة لخرجت روحه ولكنه احس بوجع فترك القتال وولى هاربا وتبعه قومه منهزمين وفي ثاني الايام ركب دياب وقصده يغنم مواشي ابي زيد فرآه مناع اخو السلطان حسن فلحقه دياب وقال له الى اين انت سائر يا خوان وحمل عليه وحمل مناع وتقاتلا قتالا مريرا وتغلب دياب على مناع وضربه بالسيف فقتله واخرج روحه من بين جنبيه وغار على العبيد وقتل منهم عشرة والباقون هربوا الـــى السلطان حسن وأخبروه ان دياب قتل مناع وكان ابو زيد موجودا عند حسن فقال له حسن لا بد عن قتل دياب ونهب أمواله وسبي حريمه وعياله وفني زغبـــي ورياح ، قبل ان ندفن مناع ثم أمر باطلاق الغارة على بني زغبي ورياح طلعت النساء والبنات والاولاد واستجاروا بحسن وبأبي زيد فلان قلب حسن وتركهم وسأل عن دياب فقالوا ما لنا علم به ابدا ثم ذهبوا الى القتلى فكفنوهم ودفنوهم أما دياب لما قتل مناع ندم كثيرا وخاف من حسن وأبي زيد فأخذ جماعة من قومه وسار الى مكان يقال له جنقار فحاصر فيه هو وجماعته وصار شغلهم الصيـــد واستقاموا على ذلك الحال مدة من الزمان اما السلطان حسن فصار يسأل عن دياب حتى عرف مكانه فركب هو وأبو زيد والامير زيدان وجميع بني هلال وساروا الى جنقار فرأوا دياب ومن معه فأطلقوا الغارة عليه من جميع الجهات وضايقوه ومسكوه مسك اليد هو وقومه وكتفوهم فأمر حسن ان يمشوا دياب عريان حافي القدمين ففعلوا وذاق دياب الموت الاحمر ولما استقر حسن بالديوان أمر باحضار دياب فأحضروه فأمر عليه بنقعة الدم فبكا دياب على حاله ورأى السلطان حسن جالسا وحوله الامراء وأبوه غانم واخوته القضاة يبكون عليه فعند ذلك اشار يقول:

يقول الفتى الزغبي ديـــاب الغانـــم أبكي علـــى حالي ومـــا قد صار
نفسي عزيزة يا كرام ارثوا لحالـــي ابليس اغرانـــي والحكم قد جـــار
انا كنت فـــي خير كثير ونعمـــــة وأيامنـــــا تزهو كمـــا الاقمـــار
لفتّانـــا ولد سرحان أطال الله عمره وقومـــه بنـــي قيس حماة الـــدار
اعطاهم ابوي المال والملـــك كلـــه ورب السما اعطى حسن انـــوار
وحسن وعدنـــي بنور بارق حليله وسمعت بهـــا الغياب والحضار
وسرنا الى الهرقل غدا من سيوفنا رجعنا من الغزو وراقت الافكـــار
طلبت انا من حسن اخته فامتنـــع وصار الخطا منا مـــع الاقـــدار
مسكني ابن سرحان للحي جابنـــي وأمـــر بقتلي سرعة أيا امـــار
ابو زيد خيبتك ليـــوم كريهـــة اذكر ايـــام مضت بيننا تذكـــار
الا يا حسن بن سرحان النخـــي ارحـــم دياب واغفر لـــه الاوزار
إله السما قادر على كـــل ما يشا ويفعل بأمره كـــل ما يختـــار

فلما فرغ دياب من كلامه أغمي عليه فرش الجلاد على وجهه الماء فأفـــاق فتقدمت أم دياب وقبلت يد حسن وطلبت منه ان يعفو عن ولدها دياب فما رد عليها وأقبل غانم وقال له يا ملك الزمان شفعني في ولدي دياب فقال له يا غانم لم أقبل شفاعة احد ولا بد عن قتله فألح عليه الحاضرون ان يعفو عنه فأبـــى وصاح بالجلاد اضرب عنقه فسأل السياف دياب ان كان عطشان او جائع وهل يريد ان يوصي وهل بنفسه شيء فقال له ابعد عني حتى ارى ابي وأمي وأهلي وأتودع منهم فابتعد الجلاد قليلا فوقع نظر دياب على ابي زيد فصاح يا ابا مخيبر ذابت حشاشتي ومرارتي وأنا مستجير بك ان تجيرني أجارك الله من نار جهنم فحنّ قلب ابو زيد على دياب وهجم عليه وقطع كتافه وأطلقه وقال لحسن اقبل شفاعتي فيه فقبل حسن شفاعة ابي زيد على الرغم منه وعفى عن دياب فتقدم ابو وطفا وقبّل يد السلطان حسن فقال له سمعت عنك اكراما لابي زيد وفرحت كل العربـــان بخلاص دياب وقامت الافراح وزالت الاتراح وعاد دياب الى قومه فسلموا عليه وسلم عليهم وبعد مدة من الزمان قال دياب لقومه لا بد ان أعمل مكيدة لابـــن سرحان حتى تبرد ناري فقال عمه عرندس ارحل بقومك الى برعامة ثم اعمل ما تريد فارتحل بقومه ونزل في برعامة ومكث فيها أما حسن فدخل عليه رجل وقال له ان في حنجرة خمس قفول خذ غفرهم فأمر اخاه حمادة ان يأخذ منهم العشر فركب حمادة ومعه الفرسان ولما وصلوا اليهم اخذوا منهم العشر وعادوا واذا بدياب يجتمع بهم ومعه مائتا فارس فقال لهم دياب اقتلوهم وخذوا ما معهم ففار دياب ومن معه على حمادة واشتبك بينهم القتال وغار دياب على حمادة وطعنه بالسنان في صدره طلع يلمع من ظهره فهرب جماعة حمادة فلحقهم دياب وقومه وقتلوا منهم ثلاثين فارسا والذين نجوا من الموت دخلوا على حسن وأخبروه بما فعل ديـــاب فلما سمع حسن هذا الكلام صار الضيا في عينيه ظلام وقال لابي زيد يا ليتنا قتلنا دياب كنا خلصنا من شره ثم ركب حسن وأبو زيد وزيدان والعساكر وجدوا في المسير حتى أقبلوا على نجوع دياب فاستقبلهم دياب ونزل الى الميدان فبرز اليه زيدان شيخ الشباب وحمل عليه والتقى البطلان في ساحة الميدان بضرب السيف والطعن بالسنان مقدار ثلاث ساعات قوي زيدان على دياب وطعنه بالرمح فوقع دياب على الثرى مجروحا فأراد زيدان ان يكمل عليه فأقبلت عليه زينة أخت حسن وقالت يا زيدان شفعني في اخيك دياب فقال لها هو في شفاعتك وتركه وأما بنو زغبي حملوا دياب وهو مغمى عليه ودمه يسيل من جرحه فضمدوا له جرحـــه وصار تارة يصحى وطورا يغيب فيبكون عليه وتقدمت وطفا بنت دياب وأنشدت تندب اباها وتقول :

وطفا بدت من كلام في ضمائرهـــا ... تجري مدامعها على الخدين جريان
الدهر بواق خوان ما يصاحب حدا ... كواني من فعل ابي وعمـــي زيـــدان
طعن بالرمح زيدان ابي وجندلـــه ... خلاه مرمى على الرمضاء عدمـــــان
احتشمت للغير يا زيدان بالوغـــا ... وعاديت قومك وأغضبت خـــلان

ما تخشى إلهك تطعن ابو وطفـــا	خلفه اولاد صفار ثـــم رضمان
يا عم زيدان اذهب لا تنازلنـــا	ارحل الى روضه تسمـى وعران
وطفا تبدت وقالت من ضمائرهـــا	إلهي ينتقـم منك يــا زيـدان

فلما فرغت وطفا من كلامها ندم زيدان على طعن دياب وطلب من الله ان يشفيه ويعافيه وسأل غانم الطبيب عن جرح دياب فقال له ابنك طيب أما الجرح فيلتحم بعد عشرة ايام لكن امنعوا الناس عنه فكثر الحكي والندب يؤذيه ويلزمه الراحـة التامة فشكره غانم وانعم عليه ومنعوا الناس من الدخول على دياب ثم ان الطبيب بنج دياب وأعاد نظره الى الجرح ونظفه ووضع له المرهم وضمده ثم اعطاه ضـد البنج فأفاق وأحس بالجوع فطلب الطعام فأكل وشرب وظل الطبيب يداويـه ويداريه حتى شفي تماما وفرحت به أهله وخلانه وذبحوا الذبائح وأكرموا الطبيب اما دياب لما راى حاله رجعت كالاول وصحته تحسنت شاور قومه على الانتقام من حسن فقالوا له اذهب الى ابو زيد واطلب السماح من السلطان حسن وأمـا الحرب والقتال فنتيجتها الخراب والدمار فركب دياب بعشرين فارسا وقصـد منازل الزحلان ودخل على ابو زيد وسلم عليه وقال له العفو عند المقدرة والعفو من شيم الكرام واريد ان تتوجه معي لعند السلطان حسن حتى يسمح عنـي ونتصالح ونحن اهل وأصحاب فقام ابو زيد وكتف الامير دياب وركب وركبت معه زحلان واخذوا ديابا مكتفا ودخلوا على السلطان حسن وطلبوا منه ان يعفو عن دياب فغضب وأبى فقال له القاضي سامحه واغفر ذلته وتصالحوا فالصلح سيد الاحكام والعفو من شيم الكرام وما زالوا بمثل هذا الكلام يخاطبون السلطان حتى رضي وعفا عن دياب ورق قلبه عليه وحل وثاقه وقال عفا الله عما مضى اما ابو زيـد فشكر السلطان حسن الذي قبل رجاءه وعفا عن دياب وقال اشهدوا عليّ اني تائب عن فعل كل قبيح وان عدت فلا تقبلوا فيّ شفاعة احد ثم أنشد :

يقول الفتى الزغبي دياب بن غانم	رجعت عن فعل الاذى والقبايـح
ولا عدت افعل مـا كنت افعلـه	لان فعل العيب نقص وفضايـح
مقال الفتـى دياب بن غانـم	لك الحمد يا ربي انت المسامـح

ثم انه طلب الاذن بالذهاب الى اهله فأذن له وركب دياب في جماعته فلما وصل استقبلوه بالسلام وهنأوه وقامت عندهم الافراح وزالت عنهم الهموم والاتـراح وجددوا الليالي الملاح ثم تصالحوا وطابت خواطر الجميع وصارت تأتي الهدايا من سائر البلاد وطاعت له سائر العباد .

(قال الراوي) أما شكر الشريف بن هاشم فانه بعد ذهاب بني هلال من عنده كان ينتظر وعد السلطان حسن من جهة اخته الجازية وقد بلغه الخبر بجميع ما جرى بينهم من الحروب والفتن التي حصلت بينهم فقال لجماعته اريد ان اذهب الى اولاد عمي بني هلال واجيب الجازية اخت السلطان حسن فما رأيكم من هذا القبيل فقالوا لا بأس بذلك ولكن من يحكم في غيابكم عن المملكة حتى رجوعكم

فقال يحكم رزق الشريف ثم أجلسه على الكرسي وأوصاه بالرعايا وأوصى الرعايا به ثم انه حمل الاحمال واخذ الهدايا والتحف وركب معه مائة فارس ثم ودعهم وسار قاصدا بلاد نجد وارسل رسولا يخبر السلطان حسن بقدومه فلما وصل أخبر عن مجيء شكر الشريف ففرحوا بقدومه وركبوا الخيل وساروا لاستقباله وعندما اجتمعوا سلموا على بعضهم سلام الاحباب ثم ساروا الى المنازل وذبحوا الاغنام ومدوا السماطات وزادت الافراح وبعد مضي ايام من الضيافات قال شكر الشريف انا اتيت من اجل الجازية التي وعدتني بها فقال حسن مرحبا بكم انا عند وعدي ثم أحضر القاضي وعقد العقد وكتب كتاب الجازية على شكر الشريف وباركوا لهما بهذا القران الميمون ودارت الافراح بكل مكان مدة اربعين يوما فبعد ذلك طلب شكر الشريف ان يعود الى الاوطان ثم قدم الهدايا ومهر الجازية فدهشوا من تلك الاموال والتحف التي قل ان توجد عند العظماء أما دياب لما رأى الجازية تزوجت زاد بلاه وعظم نكده وشاور عمه عرندس ماذا يعمل حتى يحصل على الجازية فقال اصبر حتى يسير الشريف بالجازية واقطع طريقهم وخذها من الشريف فلما سمع دياب هذا الكلام رآه عين الصواب فقال زيدان والله ان فعلت هذه الفعال فانك تهتكنا بين الرجال فقال دياب وكيف أعمل يا زيدان فقال له اترك هذا الكلام وإلا اكون خصمك على الدوام فقال دياب والله لأهج على وجهي في القفار ولا عدت أسكن الديار . أما حسن فأحضر جهاز اخته فأدهش الانظار وشد لها هودجا من العاج وزينه بريش النعام وطلعت معها الجواري والخدام وركب حسن وأبو زيد الهمام وركب شكر الشريف وركبت الاشراف وساروا معهم نصف يوم فحلف عليهم شكر الشريف ان يعودوا الى الديار ثم انهم ودعوا بعضهم البعض وسار الشريف الى ان أشرف على مكة المكرمة فاستقبله الاشراف وهنأوه بالسلامة فأمر بذبح الاغنام وتم الفرح مدة شهر كامل ثم دخل على الجازية وتملا بحسنها وجمالها وبعد اربع سنين كان لها ثلاث اولاد محمد واحمد والبنت حمده ولم تزل عند شكر الشريف حتى يرحل اهلها الى الغرب فتسير معهم .

قصة الحيصا فرس أبو زيد

وقصة الست عليا ورجوع ابي زيد ودياب الى حسين الجعبري وما جرى من الحروب والاهوال

(قال الراوي) وبينما بني هلال جالسين والسلطان حسن جالس بالديوان وهم يتحدثون عن السلاطين الذين مضوا وعن الفرسان وعن سلايل الخيل الملاح وكان عند السلطان حسن ضيوف من قبائل العرب فقالوا يا حسن في بلاد الحسب والقيطاف امير يقال له حسين الجعبري ابن راشد عنده فرس ليس لها نظير واسمها الحيصا ما ملك مثلها امير ولا سلطان من يوم خلقت الدنيا الى هذا اليوم وليس لها نظير في الحسن ولا في المثال وهي فرس اصيلة وموكل بها اربعة عبيد تحرسها في الليل والنهار فقال لهم السلطان حسن هل احد منكم رآها فقام احد الضيوف وكان اسمه ذامل ابن كامل وقال انا رايتها فقال حسن اريد ان توصفها لي فقال السمع والطاعة واشار يوصفها بهذه الابيات ويقول :

قال ذامل ابن كامل يا ملك ... النار في قلبي لها تحميصا
اما حسين الجعبري الراشد ... سلطان آل عقيل بالديصا
عنده مهرة اصيلة محجلة ... حمرا تسمى يا امير الحيصا
مشتراها الف دينار ومثلها ... وميت خلعة بالذهب ترصيصا
الظهر منها مثل ضرف ملانه ... سلجم وملجم والردف تنكيصا
ويدين مع رجلين مثل الدلهة ... عمدان في حانوتها تمنيصا
تلحق ولا تلحق اذا اطلقتها ... وتسير مثل الطير بالتخليصا
في قمة البولاد دوم مقامها ... واربع قيود مخرصة تخريصا

وأربــــع عبيد يا امــير تسوسها ودوم دايــــم يلزموا التخريصـــا
وان سبتهـــا بالبر يا امير المــلا بتطـــير مثل الطـير بالتقويصــــا
عشرين يوم بيـــوم جد مسيرهــا تسبق لنمر جاء من ارض الريصا

فلما فرغ ذامل من كلامه وحسن يسمع نظامه فتعلق حسن بالفرس وعشقها على الوصف وقال يا ذامل أما يبيعها صاحبها قال له ذامل ادفعوا له فيها مائة فرس ومائتين حصان ومائتين ناقة والفي دينار وعشرين حمل حرير وما رضي يبيعها فعند ذلك قال حسن يا قوم من يذهب ويأتي بهذه الفرس بحيلة وأعطيه انا ثقلها ذهب وفضة فسكتوا فأنشأ يقول :

يقول الفتى حسن الهلالي ابو علي والنار فـي قلبي يزيـــد لهيبهــا
أين الصديق اين الصديق يا عرب يروح الـــى الحيصا يجيبهـــــا
في زي درويش بجلـد وركـــوة وعصاة موسى مـــن خيار قضيبها
ويكون سايح في البراري طايـــح وينام بين جمالهـــم وأديبهـــا
لا بـــد هم يغفلون من قيدهـــا دولا همج مـــا يفهموا ترتيبهـــا
اعطيـه انا في ثقلها مــن مالنـــا ذهب وفضة مــع حرير طليبهـا
قلبي تعلق يـــا كرام بحسنهــــا وخاطري يـــا قوم ما عاد يسيبهـا

فلما فرغ السلطان حسن من كلامه انشد او زيد يقول :

قول ابو زيـــد الهلالي صـــادق لازم عـــن الحيصا اروح اجيبهـــا
اعمل لها حيلة وأنفذ حيلتـــــي اعمل لها سواح ثــــم طبيبهـــا
انا لها يا حاضريـــن فاسمعـــوا فعلى ابو زيـــد الهلالي مجيبها
لازم اجيب الفـــرس بحيلتـــــي اركب عليها ثـــم اخب خبيبهـــا

فلما فرغ ابو زيد من كلامه قال حسن يا ابن العم نخاف عليك من بني فاضل قال المكتوب ما منه مهروب ثم انه سار لبيته ولبس بدلة بصفة درويش وودع حسن والامراء وسار في البراري والقفار حتى لفى على رعيان يسقون المواشي فرآه شيخ الرعيان وكان اسمه فارس فقال له من اين انت يا درويش الخير قال انا من بلاد القدس فأشار كبير الرعيان يخاطبه بهذه الابيات :

يقول الفتـــى المعـــروف فارس ولي قلب فيـــه الهم والانكــــاد
يا ايها الغادي الينا مـــن الضحى من اي البوادي جيتنـــا وبـــلاد
فأنت مبارك دعوتـك مستجابــة فادعـــي يأتـــي لنـــا اولاد
لي بنت عم ما حوى الدهر مثلهـا مثل القمر والشمس وحسن زاد
ولي خمسة عشر عام ما جاني ولد وما في مرايــــر والقلوب سواد
والله استحي آخذ عليها بديلـــة لانها بنت عمـــي بنيتي ومـــراد
رد الفتى السواح عما جـــرى له انا سايح بالخـــير والارشــــاد
ادور الاماكن والاكابـــر جميعهـــا وادور المشاهـــد كلهـــا وبـــلاد

ايا فارس اسمع كلامـــي وافتهـم ... انا لـــي عشرة ايـــام بالاوكـــاد
وصار على يدي مصالح كثـيرة ... عشريـــــن واحد جالهـــم اولاد
فهات لي خيط يكـــون مـــن الوتر ... واعقد لـــك عاجل سريـــــع اولاد
فواحد أحمله وواجـــــد لزوجتك ... تجيـــك اولاد علـــــى الميعـــاد
ولكن انـــذر الى الشيـــخ زاهـد ... وابـــي صالح المدفون في بغـداد

(قال الراوي) فلما فرغ ابو زيد من كلامه والراعي يسمع نظامه فراح جاب خيط وتر وعقد له زوجته وعقاده وتلا اسماء من اسماء الله الحسنى فشكر فضله وأحضر له من الطعام ما يكفيه يومين وجلس يأكل تحت ظل شجرة بجانب العين وقال في باله اقعد تحت هذه الشجرة الى ان أعرف مكان الفرس يرجع الكلام الى الامير حسين الجعبري كان له بنت تسمى عليا وهي بديعة في الحسن والجمال والقد والاعتدال وقد خطبها كثير من الناس فما كان يعطيها وكان له وزير يسمى مسعود له سبعة اولاد ذكور وبنتان واحدة اسمها مسعودة والثانية سعدا وكانت عليا تحب سعدا ولا تفارقها ففي احد الايام مر ابن الوزير مساعد على صيوان عليا فنظرها نظرة وضعت في قلبه الف حسرة وعاد الى البيت وهو لا يعرف الطول من العرض فنادى عبده وكان اسمه دعي وأشار يقول :

قال الفتى المسمى مساعد يا دعي ... أسرع نحـــو اختي ولا تقـــاف
سير سريعـــا يا دعـــي نادي لهـــا ... تراها عنـــــد عليـــا بالعطـــاف
قـــل لها قومي وسيري بالعجـــل ... ان اخـــوك اليوم في حال التلاف
مرتمي في خيمتـــــه نايم ضعيف ... والدمـــا مـــن جسمه مثل الرعاف
لا تقـــل لغيرها عـــن حالتـــي ... اتركـك يـــا عبد انا اربع شقـــاف
رد الفتى دعي وقال لـــه يا امير ... صار في قلبي لهيب مـــع رجاف
ريت عمـــرك يطول على المـــدى ... وتعيش في خير ولا يصيبك تلاف

(قال الراوي) فلما فرغ دعي من كلامه وسيده مساعد يسمع نظامه سار الى عند سعدا فلما دخل الى عندها ونظرته باكي العين قالت علامك يا دعي بهذه الحالة وأشارت تسأله بهذا القصيد وتقول :

أنا ارتعب قلبي ولبـــي وخاطـــري ... وعاد بقلبي لاعجـــات النـــــار
أيـــا عبد أخبرني مـــا جرى لــــه ... وكيف بعدي يـــــا فتى قد صار
أناجيت خليته على الباب واقـــف ... وحولـــــه شباب تشبـــــه الاقمار
يكون وقع من فـــوق ظهر جواده ... وإلا احـــــد طعنه وعنـــــه سـار
فاصدقي خبر الصحيح الذي جرى ... وإلا دعيت الـــدم منـــــك فار
أشوف دموعـــك يا دعي مغرغـــرة ... ودمعك على الخديـــن كالامطـــــار

فلما فرغت سعدا من كلامها ودعي يسمع نظامها قال لها يا ستي سيـــدي مريض والدم نازل من منخريه فأرسلني لكي ادعوك اليه بالعجل فقامت وتوجهت

الى عند اخيها ولما وصلت اليه دخلت فوجدته يتقلب يمين وشمال فقالت لـــه علامك يا اخي فقال لها يا اختي استريني ما بقي لي حال وراح يخبرها فـــي هذه الابيات :

قال الفتى المسمى الامـــير مساعد
الدمع من فوق الخدود سجـــام
النار في قلبـــي تهب وتنطفـــــي
قــــد هب لاعجهـــا وزاد ضرام
نظرت انا عليـــا اليوم باكـــــر
ارمت بقلبي والحشـــا اسهـــام
روحي أيا سعدا اليــــوم بالعجل
وإلا ازيـــل لراسك بالحســـام
قومي خديها نحـــو عين الزرقـــا
مـــا عندها احـــد ولا همـــام
سيري اليهـــا بالعجـــل ولا تهملي
لعله انا شملي بهـــا يلتـــام
قولي لها قومـــي بنا للـــوادي
للعين نتغسل مـــن الاوهـــام
ان جيتم للعين اجي من خلفكـــم
أغطس ووراكـــم داخـــل الحمـــام
وأنت قومــــي اهربـــي من بيننا
حتـــى انال اطلبتـــي ومـــرام
اذا انا واصلتها مــــا تقــــدر
تحكـــي لأبوهـــا قـــط بالاعـــلام
تخاف يقتلهـــا ويخفي علمهـــا
ويذيقهـــا الفنـــا بضرب الحسام

قالت سعدا ارجع عن قولك يا اخي لان هذا الكلام ضد أصول النظام واشارت اليه بهذا القصيد :

تقول سعدا والدموع سجامـــي
يـــا اخي مساعد اسمع لكلامـــي
اسمع لقولي يـــا اخي ثم ارتجـــع
عنها وإلا رحت طعـــم حســـام
عليا تراهـــا بنت سلطان العـــرب
وأنت ابـــوك وزيـــره وغـــلام
ان طعت نفسك يـــا مساعد تهلـــك
اسكت ولا تنطق يقـــى بكـــلام
بالله لا تهلـــك لعرضك يـــا اخي
وتعود مـــا بين المـــلا تنضـــام
وأبوك يقتلـــه وعرضهـــا ينفضـــح
ويعود دمـــك بالوطا سجـــام

(قال الراوي) فلما فرغت سعدا من كلامها قال لها انا رايح ادور في البراري والقفار ولا اعود ارجع الى هذه الديار وقام ليشد على جواده فحن قلبها وقالت له روح الى العين حتى اجيب عليا ثم انها سادت الى عند عليا ولما وصلت قالت لماذا تأخرت قالت لها اتانا ضيوف يوعظوا في شهر رجب والصيام فقومي بنا حتى نروح على العين نتغسل ونجي ننام فقالت عليا ما نقدر نروح لان الشمس غربت واخاف من ابي يعلم بحالنا ثم اشارت عليا تقول :

تقول فتاة الحي عما جرى لهـــا
بدمع جرى فوق الخدود بديـــد
أنا اريد مثل مـــا انت رايــــده
وأريـــد للغسل حقيـــق وأكيد
لكن اجانا الليـــل الشمس غابت
نخاف نلاقـــي بالطريق عنيـــد
وأبي حط عندي اربعين غشمشـم
شوفيهم بالعين جميعهـــم عبيـــد
وينظروني خوف من ولد الزنـــا
صناديد فيهم كـــل قرم عنيـــد
اخاف ان رحت يحكوا لوالـــدي
يخليني تحت السيـــوف فقيـــد

لكن باكر يفعل الله ما يشاء ويحكم بنا ما يشتهي ويريد
ردت فتاة الحي سعدا تقول لها قولك أيا عليا ليس يفيد
فكيف تخافي يا اميرة ووالدك امير ابن امير من ست وسيد
ابوك سلطان البوادي جميعها شبه الاسد والليث بالبيد
فان كان مرادك بالقصر تقعدي انا أروح نحو العين بالتوكيد
فهذا رجب قد هل شهر مبارك من صانه عند الاله سعيد
فان كان بتريدي انا لجانبك قومي معي حتى نروح ركيد
ونرجع الى قصرك قوام جميعنا قومي بنا ننهض بلا تعنيد

فلما فرغت سعدا من كلامها قامت عليا بعد غياب الشمس وسارت ومعها بنات الوزير سعدا ومسعودة حتى قربوا من العين فسمعت تقرقع الخيل فقالت عليا ما قلت بخاف انه يطلع علينا احد ثم انهما هربتا وتركتاها وحدها ففار مساعد عليها مسكها وقال لها زمان ما وقعت في هذا المكان واريد منك الوصال فقالت له يا مساعد اخزي الشيطان انا بنت واشارت تقول :

مقالات عليا يا مساعد قل الهرج عنا والحكايا
بالله اعف عني يا مساعد وخلي عنك افعال الردايا
انا بنت وما لي بالقبائح وخاف الله خلاق البرايا
فلا تفعل معي مثل غيري ابوك وزيرنا ونحن الولايا
ابي كان يعرف في فعالك فيقتل بوك مع الرعايا
مساعد روح لا تفضح لعرضي ويبقى ذكرنا بين البرايا
ويقتلني وايضا يقتلك تحصل فتن وتصير بلايا
رد لها الفتى المسمى مساعد حبك في فؤادي والحشايا
انا قلبي تعلق في هواك ومدحي فيك يا حلو المزايا
ولا ارتاع من قومك جميعا ولا اهلك ولا كل البرايا
وانا الليلة اريد الوصل منك واحظى فيك يا زين الصبايا
مقالات الفتى المسمى مساعد ولازم عن وصالك يا منايا

ثم رماها على الارض فصاحت عليا يا اهل الاجواد فصاح ابو زيد من تحت الشجرة وانحدر على مساعد وفي يده السيف ضربه على هامه حط راسه قدامه اما ابو زيد فرجع نحو الشجرة فعرفت انه من اهل المروءة والناموس ففارت على اياديه ورجليه وقالت له الله يستر على حريمك مثل ما سترتني وما سبب جلوسك تحت هذه الشجرة واشارت تسأله بهذه الابيات :

مقالات لعليا في بيوت ونار القلب قد زادت شعيل
عملت معي جميل يا مدلل يا ريت عمرك يكون طويل
ولما جاء مساعد فوق حمرة يريد الوصل مني هالذليل
مسكني ثم طوحني بيده وارماني على الغبرا جديل
وقد ناديت يا اجواد ليا فجيت لنا كما السبع يميل

ضربت مساعـد زلت رأسـه
وادعيتـه على الغبرا جديـل
كسبت الخير فينـا يا مدلـل
وانـا بويـي سلطان جليـل
فقل لي أيش اسمـك يا فتـى
واخبرنـي عـن قومك يا نبيـل

فلما فرغت عليا من كلامها وأبو زيد يسمع نظامها قال لها انا قاصد ارضكم لحاجة فان كان تقضيها لي يكون لك اجر عظيم قالت وحق الرب الجليل اقضي لك اياها ولو كانت الحيصا قال لها وهذا طلبي ولا اريد سواها فقالت له ابشر بها ولو كنت ابو زيد الهلالي قال انا ابو زيد وقد اتيت هنا من اجلها ثم قال :

مقـالات الفتـى سلامـه
انا ابـو زيد انا فارس هلالـي
سمعنا ان فـي نجـد العديـة
فرس حيصـا حقيق بلا جدالـي
وحكوا عنهـا بكـل ديـره
اصيلـة فـي الخصائل والفعال
وهـي عند الامير حسين حقـا
ابن الجعبري حامـي المجالـي
فقال لي ابـن سرحان المسمـى
روح للحيصا احضرهـا بدالـي
فقمت وسرت بثياب الرزايـا
قطعت انـا الفيافـي والجبالي
وقلت انـا الفرس بنزل عليهـا
بنـوم الناس في جنح الليالـي
ولما صار لك مـا صار جيتـك
شبه السبع وسط الغاب صالـي
قتلت مساعد فـزال همـك
وزال الشر عنـك والنكالـي
ولولاي انـا قـد راح عرضـك
ولا عـاد لـك محالي ولا مقالـي

فلما فرغ ابو زيد من كلامه وعليا تسمع نظامه :

قالت فتاة الحي عليا التي شكت
ولي قلب من كتر الغبايـن داب
ايا ريت عمرك الف عـام واكثر
يـا خليفة الاجـواد والانجـاب
فان ردت للحيصا قـوام اجيبها
أيا امير كـل البدر والاعـراب
وان ردت لك من الخيل الفين سابق
سلايل أصايـل تسبق النشـاب

فلما فرغت عليا من كلامها وأبو زيد يسمع نظامها اشار يقول :

على ما قال ابو زيـد الهلالـي
بلادي بخـير ليس فيها بليـة
انا سلطان بني زحـلان حقـا
وانـا من نسل قوم برمكيـة
وضيفـي دائما في البيت جالس
باكـرام واعـزاز عليـة
وتسعين الف انـا قومي مؤكـد
وابـو مرعـي قبالي بالسويـة
انـا فارس الفرسـان حقـا
كفوفـي دوم يـا عليـا سخية
فقـد شفتـي فعالي في مساعد
ضربته ضربـة كانت قويـة
وانـي جيتكم مـن نجد قاصد
الى الحيصا حتـى احس المطيـة
وانـا قد جيت يـا عليـا البـارح
وكنت قـد وصلت يا عليا عشيـة
فحبك عاد جـوا القلب ساكـن
ولازم اخـذك زوجـة الـي
ردت لـه فتاة الحـي عليـا
ايا ابو زيـد ابشر بالعطيـة

ابشر يـــا امـير القوم فيهـــا   تجـــي الحيصا وعدتهـــا هدية
تجيك اليـــوم منـــي يا هلالـــي   تجيك اليـــوم وهبـة عامريـــة
ايا ابو زيد فضلك انت سابـــق   كسبت يـــا ابو زيـــد الحمية
وغدا يشيع أمـــري لابـــوي   وعمامـــي ليـــوث قشعميـــة
ضراغـــم ثـم فرســـان عوابس   ليـــوث الحرب اذا جاءت بليـــة

فلما فرغت عليا من كلامها قالت له ابق عندك حتى أروح اجيب لك الحيصا فراحت فكت الفرس من قيودها ثم وضعت عليها الدرع والخوذة والسيـــف والدبوس والرمح وعادت الى ابو زيد فأشار يترحب بها ويقول وعمر السامعين يطـول :

قال ابـو زيد الهلالـــي صـــادق   قد زال عنـــك الهم والانكـــال
يا مرحبا مـــن اتتنا بالعجـــل   وجابت الحيصا بـــلا امهـــال
يا محسن الحيصا ومحـلا شوفها   فرس أصيلـــة مالهـــا أمثـــال
أن كان يـــا عليا تشوفـــي شدة   ابعثي لنـــا من عندك مرســـال
آتـــي اليك مئـــة الفـ واكثر   وتصير اعـــداك في عنا واهـــوال
ويخلصـــك مـــن كيدهم وشرهـــم   واخـــذك حقـــا بدرب حـــلال
مـــا عاد لك بعـــل سوى بالمـــلا   ان كان طيبة والا بضرب نصـــال
وآخـــذك في وسط هودج عالـــي   مفروش مـــن ريش النعام الغالـــي
والطبل والزمـــر خلفك يضـــج   وحولـــك تمشي جميـــع هـــلال

فلما فرغ ابو زيد من كلامه وعليا تسمع نظامه قالت له لا بد ان يحصل لي ضرر بسبب مساعد ويكون خلاصي على يدك ثم قالت له أريد منك قبل ان تذهب تنادي وانت راكب الحيصا بين البيوت انا ابو زيد الهلالي غزيتكم واخذت الحيصا الى العين لحقني مساعد قال انزل عن الحيصا ضربته قتلته قال لها ابو زيد على الرأس ثم العين ثم ودعها وصار ينادي بين البيوت مثل ما قالت له عليا فركبت الخيالة وراه فما احد لحقه فرجعوا الى العين فاذا مساعد مقتول حملوه ورجعوا الى البيوت كفنوه وواروه التراب فقال حسين الجمبري يا عليا ما رأيت الذي اخذ الفرس ثم ضرب العبيد الذين كانوا يحرسونها أما الوزير فصار ينـــدب ابنه مساعد : .

يقول الفتى مسعود عما جرى لـــه   بكيت وبكانـــي الزمان دمـــوع
ولاجـــل مساعد مـــا بقالي جـــلاده   والنار فـــي قلبي تزيد لـــدوع
ومني انقطع ظهري وماتت قوايمي   وانقض مـــن جنبي ثمان ضلـــوع
انا حسرتي طول الزمـــان لاجلـــه   وقلبي بقى دون المـــلا مصدوع

فلما فرغ مسعود من كلامه قال له حسين الجمبري ان فرسي تساوي الفا من ابنك اما ابو زيد فما زال سائرا يقطع البراري والقفار الى ان وصل الى بني

هلال فاستقبله حسن وانشد يقول :

قال الفتى الامــير ابو علــي ولي قلب زاد اليوم بالافــراح
أيــا مرحبا بـك يا امير سلامــه أيا فارس الفرسان يــا جحجاح
أيا مرحبا من طال بالشرق غيبتـه وجانا علـى الحيصـا كبرق لاح
وجاب لنا الحيصا وفـرج قلوبنـا وفعلك علينا دوم فعــل نجــاح
الحمد لله الـذي جيت الينا سالم وجبت الينــا درع ورمــاح
ابو زيد قلي كيف رحت وجيتنـا واحكي لنــا يا امـير بالاصــلاح
رد الفتى المسمى سلامــه وقلـه لي عــزم مثل النمر لما طــاح
انا رحت الى الحيصا سريع اجيبها بدلــق وركوة بحيلــة السواح
تميت أمضــي شهر تا جبت دراهم لفيت علــى رعيانهــا ورمــاح
فقلت لهم سواح قال مرحبا بـك وجيت انا لعين ماءهــا قد ساح
لقيت انا بجنب العين يــا ملـك شجرة كبيرة وحولهــا تفــاح
وانا في حساب والا خيال قد اتى الى العين تحتــه أدهم نطــاح
وشفت ثلاث بنــات مغنــدرات لهــم خدود تشبــه التفــاح
فلما وصل للماء غار علــى النساء هرب منهــم اثنين كالاشبــاح
فقالت لهم الثالثة كيــف تهربوا وتدعونــي وحدي والعقـل راح
فأرادت تروح راح اليهــا جابها وقـــال لها مالك نجــا ورواح
أيــا عليا انت مرادي وطلبتــي اريد وصالك ان يكون سمــاح
فقالت لـــه انت ابـوك وزيرنا امــا تختشي مــن هذه الاقباح
فقال لها حبك دعانــي مسوسح وابـوك عندي مثـل هب ريـاح
وقام رماهــا يا امير على الثرى وعادت علــى ظهرهــا ملقــاح
قالت يــا أجواد مــن يعيننــي اعطيه مــالا وخيــل مــلاح
فزيت مثل السبع اليهم بــلا بطا ضربته بسيفي وراسه قــد طاح
قالت فعلت معــي جميل انا فتى سترت لعرضي كان عرضي قد راح
لكن اخبرني عن أصلك واسمــك ومن اي قوم انت يــا جحجــاح
فقلت لها لي عنــدك حاجــة أريــد قضاها عندك بغير مــزاح
طلبت لها الحيصا فراحت اربعها فجابتهــا بالدرع والاشبــاح
وقالت اركب وصيــح بصوتـك اخذت الفرس والقيــد والمفتــاح
وابـن الوزير مساعد أنــا قتلته وخليت دمــه على الوطــا ساح

فقال حسن يا ابن العم يكون لك مني مائة ناقة ومائة فاطر قال ابو زيد حرام آخذ شي لكن قوموا حتى نجربها فركبها جميع الحاضرين فما كان احد يضبـط فوقها حتى ولا السلطان حسن فقال لهم ما احد يقدر ان يركبها الا الذي جابها .

اما اولاد الوزير اخوة الامير مساعد راحوا الى الصيد والقنص ورجعــوا مسرورين قالت أختهم سعدا اخوكم مقتول وانتم في فرح وسرور فقالوا لها لو عرفنا غريمه ومن قتله اخذنا بثأره قالت غريمه عليا ابنة الامير حسين الجعبري فقالوا لها كيف غريمه عليا قالت لهم قبل اليوم الذي قتل فيه رأيته انا عند عليا وقت المساء وفي ثاني الايام وجدناه مقتول فلما سمع اخوها سعد هذا الكلام سار

الى صيوان الامير حسين الجعبري فلما وصل قال له يا ملك الزمان اخونا قتل في علم ابنتك عليا فقال له الامير حسن ويلك اخوك قتل في علم ابنتي فحينئذ حكى له مثلما قالت له أخته سعدا فأرسل وراء عليا وسألها عن ابن الوزير كيف قتل. لأن اخوه سعد حضر الى هنا وقال أخوي كان وقت المساء عند ابنتك وأصبح مقتول فأشارت تخبره بهذا القصيد وتقول :

مقالات لعليا في بيوت ... اسمع يا ابي هذه الحكاه
وقولي صدق ما به قط كذبا ... وأنا عندي شهود بما جراه
فجتني الست سعدا يا أبوي ... وجتني اختها تغريني أناه
وقالت لي انهضي ثم سيري ... الى الوادي واسمع يا مناه
لنلعب ثم نسبح بالبحيرة ... لان رجب اتى في ابتداه
فزيت وسرت انا معها بليلة ... وقلبي خائف من هجراه
ولما ان اتينا للبحيرة ... اتانا فارس مثل الهباه
لحقني فوق حمرة سباقية ... فصحت بصوت عالي بالوداه
أرماني هو على الارض عاجل ... وأراد الفحش يا ابي كماه
فصحت وقلت يا أجواد الي ... اتاني رجل في صوت وجاه
وغار لنحونا يا ابي سريعا ... وخلى دماءه سايلاه
وقال انهضي وسيري لاهلك ... وأحكي كلما صار وجراه
فقلت انت ترى من أي قوم ... وما اسمك وما اسم الحماه
فقال لا اقلك قط اسمي ... انا رجل غريب من الوداه
فقلت ان كان تطلب مال عندي ... خزاين مال كلها طافحاه
وان تطلب الى الحيصا اجيبها ... بعدتها وسرج متمناه
فقال لي انا ما أريد سواها ... لاني جيت من اجلها أناه
وجبت له الفرس والسرج جملة ... وسيف وترس يتقلد معاه
وقلت له تغدى في جموعي ... وصيح بصوت عالي يا فتاه
وقل انا اخذت للحيصا بواكد ... وقد جاني مساعد للوغاه
ضربته ضربة أرميت راسه ... وخليته على الغبرا هفاه
وقال لي ان تضايقني بضيقه ... فودي لي كتاب لأقراه
أجيك راكب الحيصا بقومي ... طبول هلال خلفي للوغاه
تسعين الف قومي يا صبية ... وتسعين الف ايضا بلا خفاه
وتسعين الف مع تسعين الفا ... كلها شباب نقالة قناه

فلما فرغت عليا من كلامها وأبوها يسمع نظامها قال كيف تقولوا يا قوم في فعل الوزير وأولاده فقالوا ارسل ورا ابو زيد فان جاء وخبر مثل ما قالت عليا يكون صحيح ابقا افعل ما تريد فقال للوزير هذا العمل عملكم وأنتم تطلبون ثار مساعد مني فقال الوزير والله يا امير مالي علم من كل هذا الكلام ولكن الذي تريده انت افعله فقال نرسل وراء ابو زيد فاذا حضر فنظر صحة الامر واشار يستدعي ابو زيد بهذا القصيد :

قـال الفتـى حسين الجعبري
قلبي لمـن فضله علينـا طـاب
يا غاديا مني على متن ضامـر
تسبق هبوب الريـح مثل سحاب
ان جيت الى نجد العدية وارضها
نيخ جوادك يـا فتى بالبـاب
واقري سلامي للامـير ابو علـي
وبديـر والزغبي الامـير دياب
واقري سلامـا مني وألف تحيـة
لابي زيـد اللي يقصده ما خاب
انت عملت معي جميـل وطيب
من اجل عرضي كان راح وساب
لو كنت تأتيني وتطلب حاجتـك
لكنت انا اعطيك فـوق طـلاب
عليك الف أمان مني يـا سلامي
حاشا بأنـك عندنـا تنصـاب
لان عليا قد بقيت لـك زوجـة
هـذه لك مـن أعز الاحبـاب
مالك عندي جزا سوى ارواحنـا
وسلاحنـا واموالنـا واسبـاب

ثم ختم الكتاب وأرسله مع نجاب وبينما هو ذاهب استدعته عليا لتعطيـه مكتوب الى الامير ابو زيد واشارت تقول :

قالت فتاة الحي عليا فـي بيوت
النار فـي قلبي يزيد شعالهـا
يا غاديـا مني على متن ضامـر
تقطع سهول البر ثـم جبـال
ان جيت الى نجد العدية وأرضها
إقرأ سلامـي الى ملوك هـلال
واقري سلامـي للامير سلامـة
قرم غشمشم مـن فروع طوال
اقريـه مني الف الف تحيـة
وخصصه بالفضـل والافضـال
وقـل لـه عليا بهـم وشدة
تقاسي الشدايـد يـا ملك وأهوال
قد ذاب جسمي يا سلامـة والحشا
من نحو سعدا صار هذا الحـال
من اخوهـا يا امير مساعـد
هـذا الذي قد صار يا مفضـال
فقلوا بنتـك يا حسين الجعبري
تعرف غريـم مساعد بالحـال
ما عاد لي خلاص منهـا ولا نجا
تعال لعندي ابو زيد يـا مفضال

ثم أرسلت كتابها مع كتاب ابيها فلما وصل الساعي الى نجد دخل على الامير ابو زيد وقدم له الكتاب فقرأه ثم قرأه السلطان حسن ودياب والقاضي بدير وبعد ان قرأوا المكاتيب قال حسن فما تريد يا ابا زيد قال أريد مائتين من الامراء والابطال يسيرون معي الى بلاد الحسب والنسب والقيطاف لعند الامير حسين الجعبري فقال دياب حبا وكرامة وانا أتكفل بقطع راس الوزير ثم نأتي بعليا وتلعب الخيل قدامها ثم انهم شدوا خيولهم وركب ابو زيد الحيصا ودياب ركب الخضرا وركب القاضي جواده وساروا امام الخيل والفرسان يقطعون البراري والهضاب حتى نزلوا عند الامير حسين الجعبري فاستقبلهم بفرح وسرور وهنأوهم بالسلامة واكرموهم غاية الاكرام وأشار حسين الجعبري يترحب بهم وينشد :

يقول حسين الجعبري أيـا مرحبا
اهـلا وسهلا فـي رجال هـلال
يا مرحبا بـك يا امير سلامـه
يـا قاهر الابطال يـوم المجال
يا مرحبا بـك يا بدير بن فايـد
يا قاضي العربان يـا مفضال
أهـلا وسهلا بالزائريـن كلهـم
عدد مـا مشيتم سهلها وجبـال

ثم ذبح لهم الذبائح وخلع عليهم الخلع الفاخرة اما الوزير مسعود فلم يستقبل بني هلال ولم يحضر الاحتفال بهم بل قال لقومه لنقتل ابو زيد ومن معه ونأخذ بثأر ابني مساعد وان منعنا ابو عليا عنهم نقتله ايضا ونأخذ الاملاك ونسبي الحريم فقالوا له ارسل ابنك سعيد يقتل ابو زيد وننظر ماذا يكون فسار سعيد يدور على ابو زيد فرآه يتمشى خارج القصر فقال له انا لي عندك ثأر لا يمحى الا بقصف عمرك وصار يتهدد عليه بهذه الابيات :

قال الفتى المسمي سعيد بما جرى	النار شبت بقلبي وفؤادي
ابو زيد يا بركات يا ولد الزنا	قتلت اخي واختفيت وسط الوادي
واليوم نأخذ الثأر منك يا ردي	نحن ليوث الحراب بالمطراد
لا بد عن قتلك وقتل رفاقك	ونرمي جثتكم للوحش بواد
رد ابو زيد الهلالي وقال له	لا بد ما تغدي بسيفي بداد
انا ابو زيد الهلالي واسمي سلامه	أرديت اخوك مساعد بالجماد
من اجل فعله القبيح قتلته	واخذت الحيصا ورحت لبلادي

فلما انتهى ابو زيد من كلامه تجاولا ساعة من الزمان ثم ضربه ابو زيد بعرض السيف ألقاه على الارض وخاف سعيد ان يقتله ابو زيد فاستجار به ان يعفو عنه فعفا عنه وأطلق سراحه فحكى لابيه عمار صار فيه فوبخ ابنه ووصفه بأنه جبان ثم امر قومه بالركوب فركبت العساكر خيولها واستعدت للقتال اما حسين الجعبري فسأل ابو زيد عما حصل له مع سعيد فقال له جاء يهددني واراد ان يقتلني فضربته بعرض السيف وقع على الارض فقال سامحني فسامحته واطلقت سراحه فعرف حسين الجعبري ان الوزير مسعود هو الذي حرض ابنه ليقتل ابا زيد فقال لا بد من قتل الوزير ومن يلوذ به وادفع لكم أمواله وخيله هبة لكم ثم انه أمر بدق الطبول وتجهيز العساكر فتحضروا وكان الوزير قد استعد للقتال فلما التقت العين بالعين برز الوزير مسعود الى الميدان وصاح ابن ابو زيد صاحب المكر والكيد فبرز اليه حسين الجعبري وصدمه صدمة جبار ورده الى الوراء وثبت الوزير واشتد بينهما القتال وعظمت الاهوال وضرب الوزير حسين الجعبري فأبطلها بمعرفته وحسن درايته وسحب بيده الدبوس وضرب به مسعود فأتت الضربة على رأسه طيرت جميع أضراسه فوقع على الارض فأسرع قومه اليه وخلصوه من الموت ثم التقت الرجال بالرجال وجرى بينهم حرب شديد يشيب رؤوس الاطفال وكانت وقعة مهولة وكان الرابح الوزير مسعود لانه قتل من قوم الامير حسين الجعبري الف فارس ولم يقتل من قوم الوزير سوى خمسين فارسا ولما وصل الخبر لابو زيد صاح بقومه ساعدوا الامير حسين الجعبري فهبوا كالاسود وتوجهوا الى ساحة الميدان وغاروا على قوم الوزير وقتلوا منهم كثيرا من الابطال والفرسان وردوهم عن قوم الامير حسين الجعبري والتقى الامير سعيدابن بالامير ابو زيد وجرى بينهما قتال عظيم وحرب جسيم وصاح فيه ابو زيد وضربه بالحسام اطاح رأسه على الثرى فبرز اليه اخوه مطر فصال وجال حتى حير عقول الرجال

واشتبك مع ابي زيد في قتال مرير تغلب فيه ابو زيد وضربه على هامه حط راسه قدامه فنزل اخوه علي وصدم ابا زيد صدمة تزعزع الجبال وتقاتلا وتضاربا حتى تعب تحتهما الجوادان وضرب ابو زيد خصمه فجاءت الضربة على عنق الجواد برته كما يبري الكاتب قلمه فوقع على الارض ففار عليه قومه وخلصوه وعلى جواد اخر ركبوه والتقت الابطال بالابطال وجرى الدم وسال وقد فتك ابو زيد وقومه فتك الاسود وأسروا من قوم الوزير ثلاثمائة فارس وربطوهم بالسلاسل والقيود وظلوا في حرب شديد حتى أقبل الظلام فافترقوا الى ثاني الايام دقت طبول الحرب والصدام فبرز الامير ابو زيد الى ساحة المجال فصال وجال ولعب برمحه العسال حتى حير عقول الرجال فبرز اليه الامير ابو علي ابن مسعود فالتقى البطلان كأنهما جبلان وزعق عليهما غراب البين وما زالا في افتراق والتحام الى نصف النهار ثم ان الامير ابا زيد ضربه ضربة جبار على رأسه فوقع على الارض مع جواده اربع قطع فنزل الى الميدان اخوه بدر وتجاول مع ابو زيد ساعة من الزمان حتى قتله ابو زيد وصارت تنزل اليه الفرسان وهو يجندلها في الحرب والطعان حتى قتل من قوم الوزير مقدار الف فارس وفي المساء رجع ابو زيد من الميدان فاستقبله الامير حسين الجعبري وذبح لهم الاغنام ولما اصبح الصباح نزل دياب الى الميدان على ظهر فرسه الخضرا وطلب مبارزة الفرسان فبرز اليه سعدون ابن الوزير وحمل على دياب حملات منكرة تهدد الجبال الراسيات وتقاتلا في ساحة المجال حتى حمي الحر فعندها افترقا عن الساحة بقصد اخذ الراحة ثم عادا الى الحرب والكفاح وضرب الصفاح وكان السابق بالضرب الامير دياب ونزل السيف على سعدون فشقه نصفين فوقع على الارض قطعتين فبرز اليه اخوه وصدم الامير دياب صدمة منكرة وتطاعنا بالرماح وتثلمت بأيديهما الصفاح وما زال دياب يحارب خصمه حتى أتعبه وضربه بالسيف على هامه حط راسه قدامه فعند ذلك صاح الوزير بعساكره خذوهم على أسنة الرماح والتقت الابطال بالابطال وجرى الدم وسال وتقطعت الاوصال وظلوا في حرب الى المساء افترقوا عن بعضهم اما عساكر الوزير فعولوا على الهرب وفي اليوم الثاني نزل الوزير الى الميدان فبرز اليه القاضي بدير وكان الوزير قد يئس من النصر وقد راى جنوده تصرع ورجاله تهرب فقال للقاضي انا أريد ان القي السلاح ولا أريد ان أحاربك على شرط ان تعطوني الامان فقال القاضي عليك الامان مني ومن بني هلال جميعا انت وأهلك ومالك وافترقا على سلام ورجع القاضي من الميدان واخبر الامراء بأن الوزير طلب الامان ويريد الصلح فأجبته الى مبتغاه وارتحنا من الحرب والقتال اما ابو زيد فكان غائبا مع ثلة من جنوده يدبر خطة للهجوم على الوزير وليس معه علم بما اجراه القاضي ففار بمن معه على قوم الوزير وجددوا فيهم ضرب السيف البتار ونهبوا أموالهم وسبوا حريمهم وعيالهم واجتمع ابو زيد بالوزير وقد ظنه هاربا فذبحه ذبح الغنم وشتت قومه في البراري والقفار ولما عادوا من القتال ملطخين بالدماء سألهم حسين الجعبري عن السبب فحكى لهم عما فعلوه بالوزير وقومه فقال

القاضي ان الوزير طلب الصلح والامان فأمناه وحقنا دمه فقال ابو زيد انا ليس لي علم بذلك ولكن هذه ارادة الله حينئذ شكرته جميع الفرسان واثنت عليه فأمر الامير حسين الجعبري بذبح الاغنام ثم قامت الافراح ورقصت النساء والبنات ولما احضروا الموائد اكلوا جميعا وعزموا سائر العربان واما حسين الجعبري فأرسل المكاتيب الى السلطان حسن والى زيد العجاج وزيد ابن شرهان والقاضي مقرب والى الملك الاحمر والى جميع قبائل العربان من كل مكان حتى يحضروا عرس الامير ابو زيد ولما وصلت الاخبار اليهم فرحوا غاية الفرح وتوافدت الرجال من جميع الجهات ومعهم الهدايا من حرير ومال قاصدين ديار الامير حسين الجعبري فاستقبلهم وفرح بحضورهم ودقت النوبات وزلغطت النساء والبنات وسلموا على بعضهم ونصبوا لهم الخيام واحضروا الطعام والشراب وسمعوا ضرب الطبول وصهيل الخيول واذا بقدوم فرسان وابطال على خيول اخف من الغزلان وهم من قوم الملك الاحمر والماضي ابن مقرب ومعهم هدايا يكل عن وصفها اللسان فنزلوا عن خيولهم وسلموا على الامراء سلام الاحباب فترحبوا بهم غاية الترحيب ولما اخذوا راحتهم مدوا لهم مائدة كبيرة وضعوا عليها جميع انواع الطعام فتقدمت السادات على الصفين فأكلوا هنيئا مريئا وقدموا الشكر للامير حسين وللسلطان حسن ولابي زيد ودياب وكانت النساء قد البست الست عليا الثياب الفاخرة والحلي الثمينة ووضعوا في عنقها عقدا من الجوهر وفي يديها اساور زمرد مرصعة بالذهب فكانت كالشمس في رابعة النهار ونصبوا لها صيوانا مرصعا بالعاج والذهب الوهاج والزمرد والالماس والبسوا الامير ابو زيد افخر الثياب وقلدوه بسيف محلى الجواهر الكريمة والمعادن الثمينة ونصبوا له صيوانا عالي الشان عواميده من الرخام وفي أعلاه عشر قبب مرصعة بالذهب على كل قبة طير من الزمرد عيناه من المرجان ورجلاه من الزبرجد وفي فمه جوهرة ثم أحضر القاضي وكتبوا كتاب الامير ابو زيد على الست عليا ثم أدخلوا العريس على العروس بفرح وسرور وباركوا لهما بهذا القران الميمون ولم يزالوا في الضيافة مدة خمسين يوما بعد ذلك طلب ابو زيد من الامير حسين الجعبري الاذن بالذهاب الى الاوطان فدقت طبول الرحيل وحملوا الاحمال على ظهور الجمال وركبت الفرسان ظهور الخيل وشدوا الى الست عليا هودجا مجللا بالحرير الاخضر والذهب الاحمر وأمامهم هوادج البنات وساروا حتى اشرفوا على الديار فأمر السلطان حسن بذبح الاغنام وتحضير الطعام فشكره الخاص والعام .

قصة الملك الديدبان

(قال الراوي) أما الملك الديدبان فكان يسكن في بلاد الهند ويحكم على ثمان كرات من العساكر وله ولدان الاول زعيم الخيل والثاني كاسر الرجال فركب الديدبان في الف فارس وخرج الى الصيد والقنص يقطع البراري والقفار وهو يرمي الارانب والغزلان حتى وصل الى حدود نجد فعلاه الهم والكدر فقال آه يا فرسان يا حبذا صيدة من بني هلال حتى آخذ منهم بالثأر وأزيل العار بضرب هؤلاء الاشرار ثم انشد :

مقال الديدبان عما جرى له ... النار في قلبي تزيد وقادي
بنو هلال أعدانا قديما ... من عهد الاباء والاجداد
أبن عمي سار لعند ابن عمه ... يريد بنت عمه بالوكاد
رآه مخيبر بالبراري ... ابن ابو زيد نسل اجواد
تلاسنوا بالحكي وصار شر ... تعدلت الفوارس للطراد
وابن العم قد قنطر مخيبر ... خلى قومه تولي شرادي
خرج عنده عبد يسمى ... ابا القمصان في صوته ينادي
قتل عند اللقا جملة فوارس ... ادعى دماهم جاري بدادي
وبعده ظهر سيده سلامه ... كنار تهب من الزناد
ودياب الخيل غاير بسرعة ... على خضره تصول على الاعاذي
وصاحوا بالفوارس شتتوهم ... شرايد في جبال وبوادي
هجم ابن عمي على الفوارس ... ضربه ابو زيد قطع منه الايادي
سمع عمي بقتل القوم حقا ... جمع فرسانا يتوه فيها عدادي
جاءهم غائرا من فوق ادهم ... واشتد القتال بيننا وبين الاعادي
قتل ابو زيد عمي سريعا ... وخلى الحزن داخل فؤادي
سألت الله يرميهم بيدي ... حتى أبلغ من هلال مرادي

فلما فرغ الديدبان من كلامه قالوا له لنعد الى بلادنا ونجمع العساكر والابطال ونفاجىء بني هلال بحرب لا تبقي ولا تذر فقال لولديه خذا معكما شرذمة من الفرسان ودوروا في البلاد لعلكم تجدون احدا من بني هلال فاقتلوه واحفظوا انفسكم وانا راجع الى البلاد أجمع لكما العساكر والجنود ثم ركب بمن معه من قومه وعاد الى بلاده اما ولداه زعيم الخيل وكاسر الرجال فانهما سارا بثمانمائة فارس في اراضي نجد فوصلوا الى وادي الغزلان فرأوا جماعة من بني هلال في الصيد والقنص وهم الامير زيدان والامير مخيبر واخوه وأولاد ابو زيد وموسى ابن الامير دياب وحسن ابن مزيد وباقي الشباب وقد بلغ عددهم خمسين اميرا وكانوا يشوون لحم الغزلان ثم وضعوا الطعام وجلسوا يأكلون اما عكرمة ابن ابو زيد فلم يجلس على الطعام وقال لهم ان قلبي يحدثني عن وجود اعداء ينزلون علينا وفجأة اقبلت عليهم الخيل مثل الجراد فصاح عكرمة بالشباب دونكم وهؤلاء الاعداء ثم اطلق جواده وارخى عنانه وانقض على الخيل فقتل منهم خمسين فارسا فتقدم اليم زعيم الخيل وقال لهم من انتم فقال له نحن شباب بني هلال فقال له انتم طلبنا وقد وقعتم بيدنا وما بقي لكم خلاص ثم انشد :

يقول القرم زعيم الخيل	والنار في قلبي تهب وتضرمي
لنا عندكم ثارات قديمة	نريد اخذها وزيادة مغنم
لا بد ما أدعيكم قتلي على الثرى	وتذوقوا كاس سم الأرقم
وبناتكم تبقى سبايا عندنا	ان كنت عايف روحك قدم
رد الامير ابن ابو زيد وقال له	انا عكرمه في الحرب قرم غشمشم
لو ترى زيدان شيخ شبابنا	واخاه دياب الخيل يوم الموزمي
اتيت لحربي لا تقل غدرتني	كم فارسا راح مني مرتمي

فلما انتهى عكرمة من كلامه انحدف على زعيم الخيل والتحما بحرب يشيب الطفل الوليد وبدر منهما ضربتان ماضيتان اما ضربة زعيم الخيل فراحت خائبة واما ضربة عكرمة فحكمت على عنق الجواد فوقع على الارض فأدركه اخوه كاسر الرجال واخذه من الميدان والتقت الفرسان بالفرسان والابطال بالابطال وحاقت بني هلال البلايا والشدات لانهم قليلون فصاح زيدان صوتا كأنه الصاعقة نزلت من السماء وصار ينخي قومه على الثبات والقتال فصاحوا الله أكبر على من طغى وتجبر وهجموا على زعيم الخيل واشتد القتال وجرى الدم وسال واشتبك زيدان مع زعيم الخيل وتقاتلا اشد قتال نحو ساعة من الزمان وما زال السيف يعمل والدم يبذل الى المساء فرجعت الفرسان من المعركة وباتا يتحارسان وفي الصباح ركب زيدان بمن معه من الابطال والتقت الرجال بالرجال فما كنت ترى الا رؤوسا طائرة وخيولا غائرة وقد اشتد القتال على بني هلال فخاف زيدان من عواقب الاحوال فقال لموسى بن دياب اركب واقصد نجد واعلم السلطان حسن بما اصابنا حتى يدركنا بالفرسان والابطال فركب موسى واسرع الى نجد فدخل على السلطان حسن وأعلمه بما جرى عليهم من المصائب فعند ذلك امر السلطان بالاستعداد

للحرب فركبت الفرسان وركب السلطان حسن مع باقي الامراء وخفقت الرايات وجدوا في المسير فلما وصلوا وجدوا عساكر الديدبان متفوقة على بني هلال من كل جانب ونازلين عليهم ضرب مثل زخ المطر وهم يحتمون وراء الصخور والاشجار فصاح ابو زيد بالعساكر عليهم ايها الابطال خلصوا رفقاءكم من الهلاك وهجم ابو زيد على عساكر الديدبان بمن معه من الابطال والفرسان وصاح انا فارس الفرسان ومبيد الشجعان انا ابو زيد ليث الميدان وحكم فيهم ضرب السيف وطعن النبال وتقدم الامير دياب في بني زغبي وانطبق على عساكر الاعداء فمزق الصفوف وشتت الالوف وجرت موقعة عظيمة قتل فيها خلق كثير وهجم زعيم الخيل على ابو زيد وهجم كاسر الرجال على دياب بضرب السيف وطعن الرماح وكان دياب أشجع وأعرف بمواقع الطعن فضرب كاسر الرجال بسيفه وقطعه نصفين فترك زعيم الخيل خصمه وهجم على دياب وتلاحما في ساحة الميدان وطعن زعيم الخيل دياب بالسنان فغطس دياب تحت بطن الجواد فصابت الطعنة الجواد فوقع دياب على الارض فأحضر بنو هلال له جوادا اخر فركبه وصاح في خصمه وهجم عليه كسبع الغاب واخذا في الطعان والصدام مدة ساعة من الزمان ولله در الامير ابو زيد فانه هجم على الاعداء ونكس الرايات وقتل كثيرا من عساكر الديدبان وكان قد ولى النهار بالاعتكار فدقت طبول الانفصال فافترقت العساكر عن القتال ورجع دياب مقهورا لانه لم يحصل على بلوغ المراد وفي الصباح ركبت الفرسان ظهور الخيول وقصدوا ساحة الميدان واشتبك القتال بين الفريقين والتقى زعيم الخيل بالامير دياب وتقاتلا قتالا عظيما فاستظهرت بنو هلال على عساكر الديدبان وأبلوهم بالذل والويل فكتب زعيم الخيل الى ابيه يطلب منه المساعدة فأنشد يقول :

يقول زعيم الخيل عما جرى له	ونيران قلبي زايدات الشعايل
أتتنا قروم هلال من كل جانب	على خيول ضامرات أصايل
عقيدهم زيدان شيخ شبابهم	امير جليل حاوي للفضائل
اتانا الفتى الزغبي دياب الغانم	قتل كاسر خلى دمه سايل
فان لم تنجدنا هلكنا جميعا	لم يبق منا واحد يقاتل

ثم أرسل الكتاب الى ابيه الديدبان فلما وصل اليه الكتاب وقراه تأكد صدق المنام لانه بعد ان ارسل ولديه راى مناما ازعجه وهو ان سبعا قطع احدى يديه وهجم عليه سبع اخر فأعدمه الحياة فلما نهض من نومه مزعوجا طلب الرمّال فلما حضر قال له فسّر لنا هذا المنام وحكاه له فقال اعطني الامان لأفسره لك على حقيقته فأعطاه الامان فأنشد :

يقول زريق من قلب حزين	ودمع العين فوق الخد جاري
ضربت الرمل فبانت لي حروفه	ونجم العكس ظاهر كالنهار
رأيت اولادك في ضيق عظيم	وكاسر مات في وسط البراري
فادركهم بجيشك يا مليكي	وخلصهم من ضيق وانكسار

فانشغل بال الديدبان على ولده وباقي الفرسان بعد ان بكى على ولده ثم جمع العساكر والابطال وأرسلهم مع ابن اخيه الغضبان فجد السير في هذا الجيش وقطع الروابي والتلال قاصد بني هلال الذين تغلبوا على زعيم الخيل وأحاطوا به وبجيشه من كل مكان فصاح زعيم الخيل بقومه قائلا تشجعوا ايها الابطال وقاتلوا الاعداء قتال الموت قبل ان يقتلوكم او يأسروكم فالتقت الابطال بالابطـــال وعظمت الاهوال وجرى الدم وسال وهجم ابو زيد والامير دياب وباقي الفرسان هجوم ليوث الغاب وما انتصف النهار حتى تأخر زعيم الخيل وأيقن بالهلاك والدمار واذا بغبار قد ظهر وبان من تحته عساكر وأبطال بعدد الرمال يتقدمهم بطل مسربل بالحديد فصاح على بني هلال اليوم ترون منا الاهوال فقد اتاكم الغضبان ثم انه حمـــل عليهم وتبعته فرسانه وطعنوا بني هلال وقتلوا منهم عدة رجال فتصدى زيـدان للغضبان وصدمه صدمة قوية واقتتل معه الى نصف النهار وكان زيدان قـــد ضايقه وسد عليه جميع الطرق وطعنه بالرمح في صدره خرج يلمع من ظهره فلما رأت عساكره ما حل به حملت على بني هلال مثل السباع فالتقت الرجال بالرجال وتقطعت الاوصال وجرى الدم وسال وعند المساء رجعت الفرسان عن الحرب وكان الديدبان اتى للميدان واجتمع بولده زعيم الخيل فسلم عليه وأعلمه بما جرى على الغضبان من الامير زيدان وفي الصباح ركب الديدبان بالفرسان وطلب ساحـــة الميدان وركب السلطان حسن بفرسان بني هلال اشتد القتال وعظمت الاهوال وهجم الملك الديدبان على العساكر هجوم الاسود وفعل أفعال نمرود وكانت الرجال تبتعد عنه أما الامير دياب فالتقى بزعيم الخيل فتجاول معه في معركة الصدام فأذاقـــه العذاب الاليم وطعنه بالرمح في صدره خرج يلمع من ظهره فلما رأى الديدبـــان مصرع ابنه عظمت مصيبته واسودت الدنيا في عينيه وحمل على دياب واقتلعه من على ظهر الخضرا ورماه على الارض فأسرع ابو زيد وصاح بالديدبان اتـــاك ابو زيد فترك الديدبان دياب والتفت الى ابي زيد وأنشد يقول :

يقول الملك الديدبان بما جـــــرى ... انا فارس الهيجـــا انا المغـوار
أنا البطل الصنديد في حومة الوغا ... أبيـــد الفوارس ميمنة ويســـار
فمن أنت يا كشحان تبرز للقــــا ... فلا بد عن قتلك يـــا غـــدار
ولا بد ما أفنيكم في ساحة الوغــا ... وتذوقـــوا مني علقمـــا ومـرار

فلما فرغ الديدبان من كلامه اجابه ابو زيد يقول :

يقول ابو زيد الهلالي سلامــــــه ... ونيران قلبي زايـــدات شعـــال
أيا ديدبان أنت اليوم فريستـــي ... ولا بد عن قتلـــك بغير محـــال
ونقتل جيوشك كلها بسيوفنـــــا ... ونملك بـلادك سهلهـــا وجبـــال
ارجع من الميدان من قبل الفنـــا ... واسلم بروحك من سيوف هـلال

فلما انتهى ابو زيد من تهديد الديدبان حمل عليه وتقاتل معه أشد قتال وكان

الحرب قائما بين العسكرين حتى ارتجت البطاح من الزعيق والصيـــاح وضرب السلاح وما زالوا في حرب وصدام حتى استطال ابو زيد على الديدبان وطعنـــه بالرمح في صدره خرج يلمع من ظهره فلما رات عساكره مصرعه ولوا الادبار وفروا من المعارك فتبعتهم بنو هلال حتى اوصلوهم الى بلادهم فكسبوا غنائمهم واموالهم وملكوا بلادهم ثم انهم جعلوا الامير خوجند ملكا على الهند بشرط ان يعدل فـــي الاحكام ويدفع الجزية في كل عام لبني هلال ثم رجع بنو هلال بالعز والنصر الى بلادهم فاستقبلتهم النساء والبنات بالافراح والمسرات وطابت لهم الاوقات واتتهم الهدايا من جميع الجهات واستراحوا من الحروب والقتال .

قصة زين الدار

(قال الراوي) بينما كان السلطان حسن جالسا في الديوان دخل عليه ثلاثة من الشعراء فدعوا له بالعز والنعم وبعد ان اكرمهم سألهم من اي البلاد انتم فقالوا له نحن من بلاد الحجاز وقد سمعنا بجودك وكرمك فقصدناك طمعا بجوائزك ثم ان الشعراء مدحوا السلطان بقصائد بليغة فأنعم عليهم بألف دينار فشكروه شكـــرا جزيلا ثم ذهبوا لصيوان الامير زيدان شيخ الشباب ومدحوه بالاشعار فأكرمهم وخلع عليهم الخلع الحسان ثم قال لهم هل سمعتم او رأيتم بنتا بديعة الجمال موصوفة باللطف والكمال وحسن الخصال فقال مفراج يوجد في بلاد الهند بنت أزهى من البدر وليس لها نظير في الجمال ومحاسن الصفات وهي زين الدار بنت الملـــك الغطريف ثم أنشد يقول :

طفت البلاد شرقـــا ومغربـــا — حتـــى وصلت الهند والاطـــلال
مدحت سيدها وحامي قطرهـــا — شهـــم كريم بالسخـــا مفضـــال
رأيت بنتـــه يا امـــير كأنهـــا — بـــدر السما بالحسن وجمـــال
لها قامة مثـــل الرديني طولهـــا — ما شافها احد الا وعقلـــه زال

فلما انتهى الشاعر من كلامه هام زيدان بحب زين الدار ثم اكرم الشاعـــر وصرفه فصمم على السفر ليرى زين الدار فركب وسار دون ان يعلم احدا من بني هلال وليس معه احد سوى عبده مفتاح وبعد ان قضى بالسفر عشرة ايـــام اجتمع بالامير عجاج ابن زيد العجاج فقال له لماذا يا امير زيدان انت وحدك في هذا المكان فقال له انا قاصد الهند لاتزوج زين الدر بنت الملك الغطريف فتعجب الامير عجاج وقال لزيدان ان الطريق كثير الاخطار واني لا أدعك تلقي نفسك في

المهالك واذا كان لا بد لك من الذهاب فاني أذهب معك ثم أمر عجاج خمسة وعشرين فارسا ان يركبوا معهم وجدوا في قطع البراري والقفار حتى وصلوا الى بلاد الهند ولما قربوا من مدينة الغطريف نزلوا بمكان يبعد عن المدينة سبع ساعات فقال زيدان الامير عجاج أقم انت هنا مع العساكر حتى ادخل انا البلد وأستخبر فقال افعل ما تريد فدخل البلد وصار ينتقل في شوارعها فرأى امرأة عجوزا فسلم عليها وسألها عن اسمها فقالت عطر الورد من قبيلة الملك الهيدبى من بلاد نجد فقال اني سمعت بمحاسن زين الدر فعشقتها فهل تساعديني على الوصول اليها ولك الف دينار قالت سأجمعك عن قريب وسأذهب اليها وأعود اليك بالجواب ولكن غير ثيابك حتى لا يعرفك احد فغير ثيابه وسار حتى دخل على الغطريف وهو جالس على كرسي مرصع بنفيس الدرر والمرجان ودخل على الغطريف اربعة اشخاص خطبوا منه زين الدار وكل واحد يريدها لنفسه وحصل بينهم النزاع فاتفقوا مع ابيها على ان يحضروها غدا ويعملوا قرعة عليها والذي تقع القرعة عليه يتزوجها فلما سمع ذلك زيدان خاف ان تفوته الصبية فعاد الى العجوز فرآها تنتظره وقالت له ذهبت الى زين الدار ومدحتك امامها وان مرادك ان تتزوجها فمال قلبها اليك ولم تمانع بحضورك الى عندها ففرح زيدان ببلوغ المراد وسار ليلا مع العجوز ودخل على زين الدار فاستقبلته بالترحيب ولاطفته بالحديث وقالت له لقد بلغني طرف من أخباركم لما حاربتم الديدبان احد ملوك الهند وانتصرتم عليه وسمعت عنك وعن بطولتك ولطفك الشيء الكثير فتمنيت ان اراك والحمد لله رأيتك فقال لها ان اولاد عمك خطبوك من ابيك واخاف ان تتزوجي احدهم فهل تذهبين معي الى خارج البلد عند جماعتي قالت نعم اذهب معك ثم انها لبست لبس الرجال وملأت خرجا من الجواهر والاموال وركبت جوادا وسارت مع زيدان بعد ان اعطت العجوز دينار ولما وصلوا عند عجاج استقبلهم بالفرح والسرور وتعجب من هذا التوفيق ثم انهم ركبوا وساروا اما الملك الغطريف فانه عند الصباح دخل عليه اولاد اخيه فأرسل يطلب زين الدار فلم يروها فرجعوا وأعلموه بأنها غير موجودة فانشغل باله وقال لقد ذهبت زين الدار وخلفت لنا الذل والعار ثم انه أمر العساكر ان يفتشوا عليها ويحضروها حالا فركبوا وساروا يقتفون الآثار حتى ادركوهم فصاح زيدان لقد ادركتنا العساكر ولم ينجنا سوى القتال وسلم زين الدار الى عبده مفتاح وأمره ان يواريها عن العيان ولما اقتربت القوات الهندية برز الى الميدان طالب بن مختار وهو ابن عم زين الدار وصاح ببني هلال ويلكم اين زين الدار احضروها وإلا نفنيكم عن اخركم فبرز اليه الامير زيدان وصدمه صدمة هائلة وجرى بينهما القتال الى المساء دقت طبول الانفصال فافترقا على سلام فقال زيدان لقد وقعنا في الخطر وقد قاتلت طالب بن مختار فوجدته فارسا صنديدا ولا بد ان يهاجمونا غدا واذا دام القتال عشرة ايام ظفروا بنا ونالوا المرام فقال عجاج سأرسل الى ابي زيد الحجاج وأطلب منه ان يمدنا بالجيوش والعساكر فكتب لابيه هذه الابيات :

يقول الفتى عجاج من قلب موجع ونيران قلبي زايدات اللهايب

لما خرجنا من البلاد مع ربعنـــــا لاجل صيد الوحش ثـــم الارانب
وجدنا الفتى زيـــدان بن غانـــم قاصد بلاد الهند وتلـك السباسب
طالب لزين الـــدار بنت مليكهـــم اوهـــا الغطريف قرمـــا محارب
فسرنا معهـــم قاصدين بلادهـــم ولمـــا وصلنا قد رأينا العجائب
اخذ الفتى زيدان بنتـــه بالعجل وسرنـــا بعد مـــا نلنـــا المآرب
اتتنـــا جموع ليس يحصى عددها فأسرع الينا قبـــل وقوع المصائب

ثم طوى الكتاب وارسله لابيه مع نجاب فلما وصل سلمه الكتاب فلما قرأه زيد العجاج جمع الجنود والعساكر والامراء وقال لهم استعدوا للحرب والقتال ثم ارسل كتابا الى ابن عمه زيد بن شرهان يعلمه بما جرى لولده في هندستـــان ويطلب منه المعونة والامداد فدقت طبول الحرب وركبوا ظهور الخيل وسار زيد العجاج الى ان وصل الى الامير زيد بن شرهان فسلم عليه وشكره على اهتمامه ثم ساروا بالعساكر والابطال وبعد عشرة ايام من المسير ارسل زيد العجاج يعلم بني هلال بما جرى على ولده وعلى الامير زيدان في بلاد هندستان وكيف انه قاصد تلك البلاد بالعساكر والجنود وهذه صورة الكتاب :

يقول الفتى زيد العجاج بما جرى النار فـي قلبي تزيـــد وقيـــد
اتاني مكتوب من ولدي عجـــاج يخبرنا عن زيدان الفتى المجيـــد
قاصد بلاد الهند حقا بـــلا خفـــا طالب لزين الـــدار بالتأكيـــد
فسار ولدي عجـــاج برفقتـــه وعادوا لزيـــن الدار يـــا صنديد
اتتهـــم عساكر كالرمـــل عددها وقـــد قاتلوهم قتـــالا شديـــد
الا يـــا حسن اجمـــع جيوشـــك واتبعنا بكـــل قـــرم عنيـــد

ثم ارسل الكتاب الى السلطان حسن فلما قراه تأثر من زيدان لانه ذهب ولم يعلمه وقرا الكتاب على الامراء فقالوا من الواجب ان نذهب كلنا الى هندستان فأمر السلطان حسن بدق طبل الرجوع فدقوه بالحال واجتمعت الابطال والفرسان فركب الامير دياب بتسعين الفا من بني زغبي والامير ابو زيد بتسعين الفا من بني زحلان والامير حسن والقاضي بدير كل منهما بتسعين الفا وجدوا في قطع البراري والتلال حتى اجتمعوا في زيد العجاج وزيد بن شرهان على الغدران اما الامير زيدان والامير عجاج فانهم ظلوا يحاربون ويناضلون حتى احاط بهم طالب من كل جانب فثبت زيدان ثبات الاسود وتقدم اليه طالب وأراد ان يأسره وصاح به ارم سلاحك واسلم بروحك فقال زيدان خسئت يا جبان وطعنه بالرمح فـــي صدره خرج يلمع ما ظهره فحملت الهنود على اعدائها واشتبكوا معهم في قتال مرير ولكنهم لم يثبتوا بل فروا من المعركة فتبعتهم بنو هلال وكسبت من الاموال ما لا يعد ولا يحصى وفي الصباح دهمتهم الجيوش من نواحي هندستان وذلك ان الملك الغطريف جهز خمسمائة الف بطل وسار بهم حتى التقى زيدان في ذلـــك المكان واحاطوا بزيدان وبني هلال من اليمين والشمال فصاح زيدان برفاقه دونكم وهؤلاء الانذال فهاجت الشباب وهجمت على عساكر الغطريف كالذئاب وانقـــض

زيدان على الاعداء يبري الرقاب فما كنت ترى الا رؤوسا طائرة وفرسانا غائـــرة وادمية فائرة وقد دام القتال على هذا الحال حتى ضعفت قوة زيدان لكثرة عدد الدشمان فيئس الامير زيدان من الخلاص خصوصا لما رأى كثرة الجرحى والقتلى من قومه وفيما هو يتلقى ضرب السيف بترس البولاد خوفا على حياته علت من ورائهم الاصوات وتطايرت الرؤوس عن الابدان وتفرقت عساكر الغطريف واندحرت وذلك ان عساكر بني هلال قد وصلت الى ساحة القتال يتقدمها الامير دياب حذاف الرقاب فهجموا على عساكر الغطريف وهجم ابو زيد بعساكره وزيد العجاج وزيد بن شرهان والقاضي بدير والسلطان حسن وفاجأوا عساكر الغطريف من جميع الجهات بضرب السيوف وطعن الرماح وثبت الغطريف في الميدان فتقدم اليه الامير دياب واشتبك معه في القتال والنضال وكانا تارة يفترقان وتارة يلتحمان الى المساء دقت طبول الانفصال فافترقوا عن بعضهم يتحارسون الى الصباح نزل الغطريف الى الميدان فنزل اليه ابو زيد وصاح به يا طاغي يا جبان اعلم اني نزلت اليك لأقطع رأسك وأخمد انفاسك يا غدار ثم هجما على بعضهما وتطاعنا بالرماح وتضاربـــا بالسيوف الى المساء دقت طبول الانفصال وعند الصباح برز الملك الغطريف الى ساحة الميدان وطلب مبارزة الفرسان فنزل اليه ابو زيد وحمل عليه بقوة فصمد الغطريف واكثر الضربات المتواليات على ابي زيد ولم يزالا في القتال والنضال الى ان كلت منهما الزنود وتعبت تحتهما الخيل وحان عليهما الحين وزعق عليهما غراب البين واما ابو زيد فانه رأى خصمه قد كل ومل وبعد عزه قد ذل فضربه بالسيف على عنقه فأطار رأسه من بين كتفيه فهجمت عساكره على ابي زيد ومالت عليّه من كل جانب فخاف دياب على ابي زيد وصاح في بني هلال وحمل هو والسلطان حسن وزيد العجاج وزيد بن شرهان وباقي الابطال واشتد الحرب والقتال وجرت الدماء كالانهار وانكسرت عساكر الغطريف وولت الادبار وصاحوا الامان وتقـــدم راشد ابن الملك الى السلطان حسن وطلب منه العفو والامان فأعطاه الامان وجلس حسن على كرسي الملك الغطريف مقدار ساعة ثم أجلس راشدا وجعله ملكا وشرط عليه ان يدفع الجزية كل عام لبني هلال ثم أمر بالركوب فركبت الفرسان خيلهم وضربت النوبات والطبول امامهم وساروا بعز وافتخار ثم ارسلوا البشائر بقدومهم فخرج لاستقبالهم الامراء والسادات في المزاهير والدفوف وخرجت النساء والبنات يرقصن ويزلغطن فلما دخلوا نجد ابتدأوا في كتب كتاب زيدان على زين الدار ثم ابتدأوا بالاستعداد للعرس وحضرت لفرحهم المغنيات واجتمعت الامراء والسادات والنساء وهم بأفخر الحلي والحلل وبعد ذلك وضعوا الموائد وعليها من انواع المأكولات ما لذ وطاب وداموا بعز وانشراح وأمان .

قصة غصن البان

(قال الراوي) لما قتل بنو هلال الملك الغطريف لعبت الفرسان ملاعيب اذهلت المتفرجين فبينما كانوا مجتمعين عند الامير زيدان قال لهم من اراد الذهاب معنا للصيد فعليه ان يتجهز للسفر فبعد ثلاثة ايام يكون المسير وفي اليوم الرابع ركبوا وهم مخيبر وعكرمة ولدا ابي زيد ومرشد وموسى ولدا دياب وحسن المزيـــدي وسار معهم اربعون فتى من أولاد الامراء وركب في مقدمتهم زيدان شيخ الشباب وساروا الى ان خرجوا عن حدود البلاد وصاروا يصطادون الطيـــور والارانب والغزلان فوصلوا الى برج الحدود وهو في حكم الملك كاسر الرجال وكان يحكم على ستة اقاليم وكان من جملة أتباعه الملك الديدبان والملك سليم والملك النعمان وجملة من الملوك العظام وكان كاسر الرجال فارسا عنيدا وبطلا مجيدا لا يهاب القتال وله ابنتان جميلتان غرة الصباح وزهرة الايام وكان الملك النعمان يدفع الجزية كل عام لكاسر الرجال فاتفق في تلك السنة ان كاسر الرجال اضاف مبلغا عظيما علـــى الجزية وطلبها من النعمان فامتنع عن دفعها لان الطلب كان زائدا عن العادة فلما بلغ كاسر الرجال ذلك الخبر جمع العساكر والابطال وركب بهم وهجموا على مدينة النعمان فقامت الصيحات وعلت الاصوات وبكت النساء وحملت الرجال السلاح وكانت ساعة رهيبة على قوم النخمان فالفرسان غائرة والرؤوس طائرة والدماء فائـــرة .

ولما أظلم الظلام ارتدت العساكر عن بعضها اما الملك كاسر الرجال فانه قسم العساكر الى ثلاثة أقسام وعند الصباح هجمت العساكر والتحم القتال وتضاربوا بالرماح والنصال وجرى الدم وسال فانهزم قوم كاسر الى الوراء وتبعهم قـــوم النعمان وظن النعمان انه انتصر فتبعهم في تلك الصحراء فتمكن القسم الثاني من

الهجوم عليهم وصاحوا بهم وضربوهم ضربات قاسيات وقتلوا منهم عددا كثيرا وارتد القسم الاول المنهزم والتقت الرجال بالرجال وجرى الدم وسال وكثر على قوم النعمان الفزع والاهوال وانشغال البال وكان الوزير صندل في ساحة الميـــدان فالتقى بالملك النعمان فتقاتلا ساعة من الزمان حتى تمكن الوزير من النعمان فطعنه بالرمح في صدره خرج يلمع من ظهره فلما قتل النعمان غاروا على قومه ذات اليمين وذات الشمال حتى ابلوهم بالذل والعار وكان القسم الثالث دخل البلد وقتل ما بقي من الرجال والفرسان المحافظين على الديار والنساء ثم اخـــذوا الاموال وسبوا الحريم والعيال وكان من جملتهن غصن البان فتقدمت اهالي البلد وطلبوا العفو والامان من كاسر الرجال فأجابهم الى طلبهم واقام احد وزرائه ملكا عليهم وأمر عسكره بالركوب فركبوا وقصدوا الاطلال وبصحبتهم الاموال والتحف الغوال فاستقبلتهم النساء والبنات بالمزاهر والدفوف واستقبلوا غصن البـــان بالاكرام فأدخلها كاسر الرجال بين حريمه وقد هام بحبها ففي احد الايام دخلت بنات الملك على ابيهن وسألنه ان يسمح لهن بالذهاب الى بستان الورد فسمح لهن واحضر لهن خيمة من الحرير مرصعة بالدر والجوهر فخرجن من القصر وهن غرة الصباح وزهرة الايام وغصن البان وركبن وذهبن الى بستان الورد وكان جهال بني هلال قد وصلوا الى عين الورد وهي بجانب بستان الورد وبينما هم في بســط وانشراح اذ سمعوا ضجة واذا ببنات الملك وغصن البان دخلن مع المماليك الى تلك الخيمة فتفرعن ونزعن عنهن ثياب الحرير وصرن يتمايلن كأنهن الاقمار فأمـــرت الخادمات ان يهيئن الطعام ثم اخذن يتمشين في ذلك البستان ويقطعن الثمـــر عن الاغصان فرآهن شباب بني هلال فاندهشوا من حسنهن وجمالهـــن وظهروا أمامهن وقال لهن عكرمة اهلا وسهلا بالزينات فأنتن العرائس ونحن العرســـان فأطرقن رؤوسهن من الحياء فقال زيدان لماذا الخجل نحن اولاد عم وقدم لهن ابن اخيه مرشد فلما رآته غصن البان احبته ومالت اليه وزهرة الايام احبت عكرمة وغرة الصباح احبت حسن المزيدي وسلموا على بعضهم فقال زيدان :

يا شباب احفظـــوا ناموسكـــم	انتـــم بنو هلال عاليين النسب
الفعل هذا لا يليـــق بقدركـــم	تنظروا الزينـــات بغير ثيـــاب
ردوا الى الخيمة سريعـــا يا بنات	والبسوا الديبـــاج وعقود الذهب

فلما فرغ زيدان من كلامه عادت البنات الى خيمتهن وارتدين ثيابهن وعدن الى الشباب فأشارت غصن البان تقول :

قالت غصن البان مظلومة الوغـــى	النـــار فـــي قلبي تهب وتوقـــدا
ابي ملـــك النعمان عـــز وغنـــى	دعـــاه الملـــك كاسر يفقـــدا
عشر أعوام بقصر مـــا شفت حـــدا	ما شفت خيل ولا مواشـــي توردا
لا شفت رجال ولا شفت شبـــاب	غـــير سيدي الفتى مرشـــدا
ان رادنـــي منيتي ردتـــه انـــا	دخيلكـــم خلصوني مـــن العـــدا

عند ذلك تحركت النخوة في رؤوس الشباب وقالوا لها روحنا فداك ولا بد عن اخذ الثأر وفيما هم كذلك احاطت بهم فرسان كاسر الرجال فلما شعروا بهم اردفوا البنات خلفهم وانطبقوا على الدشمان وأبلوهم بالذل والنكال وداروا رؤوس الخيل في طريق نجد فرأوا في طريقهم مواشي كاسر الرجال فساقوهـا امامهم فهجمت عليهم العبيد ورئيسهم زلزال فاستقبلوهم بضرب السيف البتار والتقى الامير مرشد بالمقدم زلزال وطعنه بالرمح بين البزين أرداه قتيلا فهرب العبيد طالبين النجاة فساق بنو هلال المواشي وجدوا في المسير اما احد العبيد واسمه فتوح فقد أسرع واخبر الملك بهذا القصيد :

على مـا قال فتـوح المتيم	اسمع مـا جرى يا امـير كاسر
جيت اخبرك مـا صار فينـا	كنا نرعـى البوش وزلزال حاضر
وما كنا للعدا نحسب حسابـا	تركنا المواشي ترعى فـي الجزاير
شفنا خيمة على البعد تضـوي	تداويـر الذهب فوقها جواهـر
عرفناها خيمة الست زهـرة	وغـرة الصباح والغصن باهـر
صاح فينا زلزال صوتا رهيبـا	على العدا كـل واحـد يبادر
قلنا زلزال مـا في الحرب مثلـه	يوم الوغى تشهـد له الحرايـر
ضربه الفتى مرشد يـا ملكنـا	بحد السيـف زوره المقابـر
ومال السيف فينـا بسرعـة	وكاس الموت علينـا صار دايـر
هربنا منهم في البراري جميعـا	لحقونـا وخلوا دمنـا قاطـر

فلما سمع الملك هذا الكلام اغتاظ وتكدر وطار من عينيه الشرر فقالت امرأته ريما ومن الذي تجاسر على هذه الاعمال فقال العبد شباب بني هلال وقد اخذوا معهم البنات الثلاث زهرة الايام . وغرة الصباح . وغصن البان فلما سمعت الملكة ريما هذا الكلام طار عقلها وبكت وصاحت بزوجها اسرع وارسل الابطـال والفرسان يقتلوا بني هلال ويخلصوا منهم البنات وكان له وزير اسمه صقـر الرجال أمره بالركوب بمائة الف خيال فركبوا وجدوا في السير حتى ادركوهـم فقال صقر لخاله خالد بن دفاع أخرج اليهم واخبرهم عن بأسي وسطوتي واعلم ان حسان صار جارنا واكل من طعامنا ونحن نحميه فان اجابك زيدان الى ما تريد فهاته اسيرا وان عصى فاقتله فسار خالد حتى قرب من زيدان فقال له ويلكم ايتها الشرذمة اليسيرة والعصابة الحقيرة انا خالد خال صقر وقد ارسلني اليكم شفقة عليكم فعند ذلك برز مرشد الى الميدان وصاح بخالد ثكلتك أمك يا أخس الرجال فمن انت حتى تهددنا بثرثرتك ثم طعنه بالرمح في صدره خرج يلمع من ظهره فلما رأى صقر ان خاله قتل نزل الى الميدان وساح انا صقر بن هود ولا بد ما افنيكم عن اخركم فاستقبله مرشد وتطاعنا بالرمحين وتضاربا بالسيفين وقام بينهما الحرب على قدم وساق ثم هجمت قوم صقر على بني هلال فصاح زيدان عليهم ايها الابطال ثم تركوا البنات على رابية مع عبيدهن وهجموا على الوزيـر وقومه وأبلوا فيهم اعظم بلاء والتقى الامير زيدان بالوزير صقر وتقاتلا كأنهما اسدان

كاسران وبقيا يتقاتلان سبعة ايام عند ذلك كتب الوزير للملك كاسر الرجال يطلب منه ارسال الجنود والعساكر قال :

يقول الفتى صقر الوزير مما جرى — الجيش من الحرب غدا تلفان
لما طلعنا في سوابق خيلنا — شفنا شبابا رادفين نسوان
انتصب سوق الحرب بيني وبينهم — صار الدما يجري كما الطوفان
معهم بناتك فوق ظهر خيولهم — غرة وزهرة ثم غصن البان
تحاربت انا وزيدان شيخ شبابهم — تاري علينا راجح الميزان
اذا اتيتنا سلمنا من العدا — وان لم تجي عمرنا قد حان

ثم أرسل الكتاب الى الملك كاسر الرجال فلما قراه امر بدق الطبول وركب بأربع كرات وساروا الى نهر الغدير واذا بغبار قد سد منافس الاقطار فسأل عن هذه العساكر فقالوا له هذا الملك سليم اتى من الهند الجواني ليحارب بني هلال ويأخذ بالثأر لانهم قتلوا عمه الملك الديدبان فخرج كاسر الرجال الى لقائه وترحب به غاية الترحيب ثم قرروا ان يركب الملك سليم في عساكره ويسير الى نجد ويكبس أحياءها ولا يبقى من ينفخ نار فضرب طبله وجد السير واما الملك كاسر فانه سار ليخلص الوزير من الاندحار اما بنو هلال فانهم سألوا عن الامير زيدان وبقية الشباب فقال دياب انا لي خمسة اشهر ما وقفت لهم على خبر اما ابو زيد فضرب الرمل فبان له فأنشد يخبرهم عما راى :

يقول ابو زيد الهلالي سلامه — ودمع عيني على الخدود غزير
ساروا لبلاد الهند يم كاسر — نظروا بنات مثل بدر منير
ثلاث عرايس ما مثل صفاتهم — غرة وزهرة وغصن بنت الامير
يا ابو علي دق طبلك بالعجل — شد عزمك من غير تأخير
يا دياب الخيل يا ولد غانم — اخوك زيدان في الوغا ماله نصير

فلما فرغ ابو زيد من كلامه صاح دياب اسرعوا بالركوب فركب كل امير بتسعين الف فارس وانتشرت الرايات والبيارق على رؤوس الامراء والسادات وسافروا يسابقون الطير وما بقي في نجد غير غانم الزغبي والرياشي مفرج وابو ليث الكندي وعرندس ظلوا مع خمسمائة فارس لحماية النسوان اما زيدان فتغلب على الوزير صقر ولو لم يهرب لبطش به وهجموا على قوم كاسر الرجال وابلوهم بالذل والهوان وكانت قد وصلت قوات الملك كاسر فلما راى اندحار جيش الوزير خرج عن دائرة الاعتدال وهجم هو وقومه على بني هلال واحاطوا بالامير زيدان ورفاقه وابلوهم بالذل والهوان ولو لم تأتهم النجدة لماتوا عن بكرة ابيهم فقد سمعوا صوت دياب يقول لبيك يا زيدان وانطبق مع قومه على الاعداء يجزون الرؤوس عن الابدان وبعدهم تقدم ابو زيد وانطبق بفرسانه على الميمنة والقاضي بدير على الميسرة والسلطان حسن دخل مع قومه في وسط المعركة فعلت الصيحات وفارت الدماء

فلله در الامير دياب من بطل جسور فقد فتك في الاعداء وقتل كثيرا من الفرسان وفي المساء دقت طبول الانفصال فافترقوا عن بعضهم وجلس بنو هلال في صيوان السلطان حسن يهنئون بعضهم فالامير ابو زيد عانق ولده مخيبر ودياب سلم على اخيه زيدان وولده مرشد وبينما هم في الحديث دخلت البنات الثلاث وقبلن يد السلطان حسن وسلمن على الامراء وباتوا تلك الليلة وفي الصباح برز الملك كاسر للميدان وطلب مبارزة الفرسان فبرز اليه ابو زيد وانطبقا على بعضهما واخذا في الكر والفر والطعن والضرب وصاح ابو زيد على بني هلال ان يهجموا على الاعداء فهجمت الفرسان بقلوب اقسى من الصوان واعتكر الجو بالغبار وكثر الصياح وجرى الدم وساح وكان يوم اسود من الظلام فما كنت ترى الا تجندل الرجال وهلاك الابطال من شدة الاهوال فثبت الشجاع وهرب الجبان والتقى الامير كاسر الرجال بالسلطان حسن واخذ معه في القتال وما زالا في حرب شديد وضرب جريد يفك الزرد النضيد عند ذلك اخذ كاسر في يده دبوس البولاد وضرب به السلطان حسن فخلا عنه وراحت خائبة وبعد قتال عنيف شعـــر حسن بالتعب فانسحب من الميدان بخفة الغزلان خوفا على حياته فنزل القاضي بدير فقاتـــل كاسر قتال الابطال وجاءت ضربة من كاسر على رقبة الحصان فبراها كما يبري الكاتب القلم فوقع القاضي على الارض وسحبه قومه من الميدان والتقت الرجال بالرجال والابطال بالابطال وتمددت الفرسان على الرمال وتغلبت عساكر كاسر على بني هلال ولما اقبل الظلام رجعت الفرسان عن بعضها وكانت فرسان بني هلال في غاية الذل والعار فقال حسن لدياب لماذا لا تنزل انت للميدان وتكفينا شر كاسر الرجال فقال دياب انكم هجمتم اولا دون ان تفتكروا في بقية الابطال وطلب القاضي بدير السماح من دياب لانه نزل قبله الى الميدان وقال حسن ان كاسر الرجال قد علم علينا وقهرنا وهذه الوقعة ما لها غير دياب حذاف الرقاب فقال دياب ان شاء الله غدا اكفيكم شره ولما اصبح الصباح نزل دياب الى الميدان فنزل اليه بطل من الابطال فقتله دياب بالحال وتقدم اخوه ليأخذ بثأره فطعنه دياب في صدره اماته بالحال ونزل اليه فارس اسمه بلال فألحقه دياب بمن قبله وهكذا حتى قتل عشرة فوارس فانحمق منه كاسر الرجال ونزل اليه بالحال واخذ يهدده بالمقال :

يقول الفتى كاسر قلبي انكـــوى	يـــا دياب الخيل انظـــر موقفي
انا ملكت الهند فـــي عز القنـــا	فعلي علـــى كل الملـــوك مشرفي
كم ميت امير مثلـــك قد غـــدوا	قتلتهـــم في حد سيفي المرهفـي
انتم اعتديتـــم علينا بحربكـــم	اخذتم بنـــات ملـــوك مهفهفـــي

فانطبق عليه دياب كأنه القضاء المنزل فتلقاه كاسر كالاسد واخذا في كر وفر الى وقت الظهر صاح دياب فيه صوتا كالصاعقة وضربه بالسيف على عنقه اطـار راسه فوقع كاسر قتيلا فزلغطت غصن البان وقالت سلمت يداك يا دياب اما الهنود فقالوا يا لثارات كاسر الرجال وهجموا على بني هلال وحصلت معركة هائلة تطايرت الرؤوس فيها عن الابدان ودارت على عساكر الهنود الدائرة وبقي السيف يعمـــل

والدم يبذل الى ان ولت قوم الهنود هاربة وبنو هلال وراءهم حتى أدخلوهم بلادهم وغنمت بنو هلال الاموال والتحف الفوال وحكموا الامير جفال بن الليث الكندي أما الامير دياب فقال انا فكري مشغول على البلاد والحريم لانه ليس موجودا عندهم احد فركب دياب في بني زغبي وأسرعوا في المسير الى نجد فرأى الهوادج خارجة من البلاد مع العبيد والخيل والجمال ولكن الخضرا فتقدمت نحو الهوادج فرأى زين الدار رعوسة اخيه زيدان فصاحت به خلصنا يا دياب فبرم الدبوس وضرب العبد على رأسه أخمد أنفاسه فزلفطت وطفا لما رات أباها دياب وصاحت عليـــا امرأة ابو زيد يا حامي البنات يا دياب فصار يقتل العبيد واحدا واحدا حتى خلص البنات وجميع الهوادج وفك أباه واعمامه من القيود وأركبهم على الخيول وظهرت بيارق سليم المعتدي على الحريم وفاجأه دياب وبنو زغبي بهجوم صاعق يذبحون فرسانهم ذبح الغنم والتقى دياب بالامير سليم وصاح به ما الذي حملك على هذه الاعمال يا ابن الانذال فقال جئت آخذ بالثأر وأفنيكم كبار وصغار فصاح به دياب خسئت يا جبان وهز في يده عود الزان وطعنه في صدره خرج يلمع من ظهره وحملت العساكر على العساكر وحصلت معارك عظيمة وقد وصلت فرسان ابو زيد وحسن والقاضي وحصروا عساكر سليم ونزلوا بهم ضرب يقصف الاعمار وعظمت الاهوال وارتجت الروابي والبطاح ولم تكن غير ساعة من الزمان حتى انكسرت عساكر سليم وطلبت الهزيمة فلحقتها بنو هلال وشتتها في البراري والقفار وأخذوا خيولهم وأسلحتهم ورجعوا الى نجد في زلاغيط ولعب جريد ثم ابتدأوا بعرس اولاد الامراء ونصبوا برجاس خيل وزفوا غصن البان على الامير مرشد وزهرة الايام على عكرمة وغرة الصباح على حسن المزيدي .

قصة سعد الرجا

(قال الراوي) بينما سادات بني هلال جالسين في صيوان السلطان حسن اذ دخل عليهم ثلاثة شعراء فقبلوا يد السلطان وسلموا عليه وعلى جميع الامراء فأمر لهم بالجلوس فجلسوا وقالوا نحن من اليونان من بلاد الغضبان حاكم اليونان فسمعنا بعدلكم وكرمكم فأتينا قاصدين فقال لهم ابشروا بالخير وبدأوا يمدحون السلطان بأشعار بليغة فأنعم عليهم واكرمهم فخرجوا من عنده شاكرين وداروا على امراء بني هلال فأكرموهم ثم دخلوا الى صيوان مخيبر بن الامير ابو زيد فسلموا عليه وترحب بهم ثم قال لهم هل سمعتم ورأيتم اجمل بنت في الدنيا فقال ذلول ان اجمل بنت موصوفة بالحسن والجمال والقد والاعتدال هي سعد الرجا بنت الملك الغضبان حاكم بلاد اليونان فقال مخيبر هل رأيتها قال نعم رأيتها واكرمتني اكراما جزيلا قال صف لي اياها على حقيقتها ولا تبالغ بالمدح اذا لم تكن موصوفة به فقال الشاعر ذلول :

يقول الاديب دلول عما جرى لــــه ... شاعر يرتجــل شعرها وقصيدها
يخبر كل مــن كان مولع بالهــوى ... عن زينات يسبى حسنها وجيدها
سعد الرجا بالحسن فايــق جمالها ... عليها من الملبوس اغلى جديدهــا
ولا مثلها بالسند والهند واليمــن ... ولا في بلاد الترك يوجد نديدهــا
القامة مثل الغصن يعشق للنــدا ... والورد فتح فــوق أعلى خدودهــا
والخصر كعود الزان ان كان مايل ... او مثــل رمح بيد قرم عنيدهــا
فاقت نساء الارض بالحسن والغوى ... من شافها يا مير يمسي فقيدهــا
وما قلت يا امير ربــع وصفهــا ... خوفي على عقلــك يروح شريدها

فلما فرغ الشاعر من كلامه اكرمه الامير مخيبر وتعلق قلبه في حب سعد

الرجا وفي ظلام الليل اخذ معه جواهر ومعادن وعقودا ومصاغا وركب جـواده وتسلح وسافر حتى أشرف على غدير فجلس لاخذ الراحة فأكل وشرب وسقى جواده وبينما هو كذلك اذ اقبلت على الغدير بنات كأنهن النجوم الطالعات وتقدمت الى مخيبر ابدعهن منظرا والطفهن ذاتا وسلمت عليه وسألته عن اسمه ومن اي البلاد هو فقال اسمي الامير مخيبر بن الامير ابو زيد من نجد العدية فمن انت يا سيدة النساء فقالت اسمي هلالة وانا من نجد فأخبرني عن قصدك ومرامـك فأنشد يقول :

يقـول الفتـى الامـير مخيبر	ودمـع العين فوق الخد سايـل
هلالـة انا اليوم قاصد محلـك	انا مـن نجد من قوم أفاضـل
وفي سعد الرجا قلبي تعلـق	والغربـة مضيعة الشمايـل
مرادي تجمعي شملي بشملهـا	وأعطيـك ما تريدي طلب كامـل

فقالت له اعلم ايها الامير ان سعد الرجا من اجمل النساء وابوها الملك غضبان فارس صنديد وبطل عنيد وله ثلاثمئة الف فارس فانتظرني هنا حتى أرجع البنات الى البيوت ثم آتي وآخذك الى داري الى ان تتيسر الامور ثم انها اوصلت البنات الى بيوتهن وعادت اليه وأخذته الى دارها وأكرمته ثم ارتدت أفخر الثياب وقالت له انا سائرة الى سعد الرجا ولما وصلت الى القصر دخلت على سعد الرجا وسلمت عليها وقالت لها اتتني بنت من نجد ضافت عندي وهي ذات حسن وجمال تحفظ قصص المتقدمين وحكايـات المتأخرين وتسلي بعذوبة لفظها قلـوب المحزونين والعاشقين فأحببت ان أحضرها اليك لتسليك ولكني قلت أشاورك اولا فهل تميلين الى رؤيتها والاجتماع بها فقالت لها هل هي حقا من نجد قالت نعم فقالت اني رأيت مناما كأني حمامة طائرة في البر اتاني طير اسمر والف علي فسرت انا معه نحو نجد فأتتنا طيور فقاتلونا فانهزمنا في البراري والقفار وطيري وقع على الارض وخفت عليه وصرت أصرخ وأصيح وانتبهت على صراخي وبكائي فقالت لها ان هذه الفتاة النجدية تفرج همك وتفسر لك المنام لانها أعجوبة الزمان ونادرة العصر والاوان تضحك بكلامها الثكالى وتزيل الهم عن القلوب والقلق عن الافكار فقالت لها اذهبي واحضريها ففرحت هلالة وسارت الى مخيبر وأعلمته برضائها ثم انها نزعت ثيابه وألبسته بدلة ثمينة من افخر ثيابها وزينته بأنواع المصاغ وكان مخيبر حلو الشمايل بوجه مستدير فصار اجمل من البنات وأحلى من العروس فأخذته هلالة الى سعد الرجا فلما رأته ظنت انه بنت فتعجبت من حسنه وجماله وسلمت عليه وترحبت به فرد عليها السلام بأفصح كلام وهام بحبها فأجلسته بجانبها وقالت لها يا بنت الكرام قد شرفتنا بحضورك وأسرت قلوبنا بحسنك وكمالك فاعلميني ايتها الصبية عن اسمك فقالت اسمي خبورة بنت سلامة الهلالي ولما طالت السهرة وهن في بسط وانشراح قالت هلالة لخبورة قومي يا بنت عمي حتى نرجع الى البيت فمن

يجالس سعد الرجا لا يمل من مشاهدتها وحديثها فقالت سعد الرجا دعيها تزور عندي ثلاثة ايام لان قلبي احبها فقالت هلالة كما تريدين وتركتها وذهبت وبقي مخيبر مع سعد الرجا يلاطفها بالكلام ويمدح لها بلاد نجد فقالت لها لقد شوقتني يا خبورة الى اهلك وبلادك فقولي لي ما سبب مجيئك الى هذه البلاد فقالت لها لقد اتى شعراء الى اخي مخيبر فسألهم عن اجمل بنت على الاطلاق فوصفوك له بأنه لا يوجد مثلك في الدنيا فقال يلزم ان اذهب اليها واراها فقلت له انا اذهب اليها واخبرك عنها وبعد هذا الكلام قامت سعد الرجا الى تختها لتنام وأشارت لخبورة الى تختها فقام مخيبر الى تخته وهو يصبر نفسه من فرط العشق والهيام وبعد ثلاثة ايام قالت خبورة لسعد الرجا انا ذاهبة الان وارسل لك هلالة تعلمك بواقعة الحال فزاد سرور سعد الرجا وانشرح خاطرها فتركها مخيبر وسار لعند هلالة فكتمت امره وأخفت جواده وذهبت لسعد الرجا فرأتها مصفرة اللون ومتغيرة فقالت لها ما بك فقالت من خبورة ظلت تمدح لي مخيبر طول الليل وهي تقول مخيبر اجمل من خبورة حتى تعلق قلبي بحبه وهمت به هيام الجنون وتغيرت كأني مريضة من شهور فقالت لها هلالة كوني مطمئنة القلب والخاطر فقد سمعت ان مخيبر دخل هذه البلاد يفتش على اخته ويريد ان يراك وقد اجتمع بخبورة وسألها عنك فان كنت تريدين ان تجتمعي به فأنا أذهب الان وارسله لك فقالت لها احضريه عندي بوقت لا يراه فيه احد فسارت هلالة الى الامير مخيبر وبشرته برضاء المحبوب ولما دب الظلام ومضى نصف الليل والناس نيام أوصلته هلالة لعند سعد الرجا فلما رأته ورأت ما فيه من الحسن والجمال والشباب أحبته ولكنها اظهرت الحياء وأدارت وجهها عنه فأنشد :

مخيبر قـــال تبـــدي جفـــاك	للفتـــى لمـــا يطلب لقـــاك
اتيت انا من نجـــد العديـــة	الى هـــذا الحمى حتـــى اراك
انا ما جيت دارك يـــا مليحـــة	ولا خاطـــرت الا برضـــاك
ولست انـــا من اهل الرذايـــل	ولا خايـــن ولا فتـــاك
ومهما تطلبين اليـــوم قولـــي	فـــان الروح يـــا سعـــدا فـــداك
الم تعرفـــي انـــي كنت معـــاك	ثلاث ايام قاعـــد حـــداك

عند ذلك التفتت اليه وقالت اهلا وسهلا في خبورة المحتالة ولكن :

لقد هام الفـــؤاد الى لقاكـــا	وذاب الجسم منـــي في هواكـــا
وعمري انـــا مـــا حبيت غيـــرك	ولست اريد لـــي بعـــلا سواكـــا
تعاتبني بشعرك يـــا مدلـــل	امـــا تعلم ان روحي فداكـــا

عند ذلك فرح مخيبر وصالحها وتعانقا ثم اتفقا على ان تذهب معه الى بلاده وهناك يكتبون كتابها عليه ويصير العرس فقامت لبست بذلة من ثياب الرجال وأتت بجوادين من أطيب الخيل وانعمت على هلالة بأموال جزيلة وجدوا في قطـــع

البراري والسهول حتى أشرفوا على غدير فنزلا لاجل الراحة ثم اكلا وشربا وناما. اما الملك الغضبان فانتظر من سعد الرجا ان تقدم له القهوة فما اتت فسأل عنها الجواري فقالوا كان عندها شاب غريب وعند الصباح لم نجد لهما اثرا فغضب ابوها عليها غضبا شديدا وصارت عيناه تقدح الشرر وكان يعرف ضاربة رمل تكشف له عما يجهله فأرسل عبده ليأتي بها فأحضرها بين يديه فقال لها اخبريني ايـــن ابنتي سعد الرجا فضربت الرمل وولدت البنات من الامهات وكانت عرفت ما حصل بين مخيبر وسعد الرجا فأنشدت :

تقول فتاة الرمل والقول صـــادق ... وعلم الغيب الله يعرف احوالهـــا
ضربت الرمـــل وبانت لي حروفه ... وبراج النحس هفهفت أذيالهـــا
عطارد اليوم دخـــل في بلادنـــا ... والزهرة الفراء بـــدا اذلالهـــا
وقد اتصل فيها ومعه قد غـــدت ... وكوكب المريـــخ بالفلا حمى لهـــا
قلت اين سعد الرجـــا قد سرت ... قال الى نجـــد سينتهي مشالهـــا
واللي اخـــذ بنتك يا ملك المـــلا ... امير مخيبر غنمهـــا وربـــح مالها

فلما فرغت المنجمة من كشف المخبأ أمر اولاده ان يركبوا في خمسين الف فارس ويقصدوا بلاد نجد ويسبوا الحريم ويقتلوا الرجال والاطفال وينهبوا المواشي والاموال ويقبضوا على مخيبر وسعد الرجا ويأتون بهما حتى اذبحهما بيدي ذبح الغنم فامتثلوا امره وركبوا في خمسين الف فارس وساروا طالبين نجد وهـــم يفتشون على مخيبر وسعد الرجا اما الامير زيدان فقد عزم على الصيد فجمـــع الشباب فلم يجد مخيبر فسأل عنه ابو زيد فأحضر طبقا من نحاس ملأه ماء ثم قرأ ودمدم وهو ينظر في الماء فوجد ولده مخيبر عند سعد الرجا نائمين على الغدير فقال لزيدان اركب حالا برجالك وسر اليه ونحن نتبعك بالفرسان فدق زيدان طبله فاجتمعت الرجال وركبت خيولها وتقلدت بسلاحها وساروا يقطعـــون البراري والقفار ولما استيقظ مخيبر وسعد الرجا من النوم قال لقد اخطأنا في نومنا هنا ولا بد من وقوع حادث عظيم ثم انهما ركبا وسارا حتى اشرفا على وادي الغيلان واذا بغبار قد ثار وخيول أخف من الغزلان فقالت سعد الرجا هي عساكر ابي الملك الغضبان وفي صحبتهم اخوتي غيلان ومقبل وحامد وعابد وراشد وزامل ومنجد وصخر ومنعم فقال لها تواري انت عن العيان واختبئي بحيث لا يراك انسان اما مخيبر فاقتحم الميدان بقلب اقسى من الصوان وصاح هل من مبارز فصارت تبرز اليه الفرسان فيجندلها بسيفه البتار حتى قتل عشرين فارسا عند ذلك حملت عليه الابطال من اليمين والشمال وعظمت الاهوال وضاق على مخيبر المجال فهتف إلهي تنجدني بفرسان بني هلال واذا برؤوس قوم الغضبان قد تطايرت عن الابدان وذلك ان الامير زيدان والامير دياب حذاف الرقاب وعساكر بني هلال قد وصلوا الـــى الميدان وبدأوا بالحرب والطعان وهم يصيحون الله أكبر على من طغى وتجبر ابشر

يا مخيبر بالنجاة وبلوغ الوطر ثم هجموا على الخيل ومالوا عليها كل الميل وكان الامير زيدان غار على الميمنة وحسن المزيدي على الميسرة ودياب وعساكره في القلب وقد انفسح المجال امام مخيبر فجدد الهمة والعزم وصار يهجم على الاعداء ويفتك بهم ودارت على قوم الغضبان الدائرة فولوا الادبار والتفت زيدان الى مخيبر وهنأه بالسلامة وقال له اين سعد الرجا قال انها مختبئة فسار اليها وطمأنها بالنصر واتى بها فسلمت على الامراء فردوا عليها السلام ثم انهم نصبوا الخيام ووضعوا موائد الطعام وبعد الانتهاء من تناول الطعام والشراب قال زيدان لمخيبر انك قاسيت الاهوال في هذه الغربة ولكنك حصلت على صبية آية في الحسن والكمال واللطف والدلال فشكره مخيبر وأثنى عليه .

(قال الراوي) لقد وصلت الاخبار الى الملك الغضبان انه قتل له ثلاثة من اولاده وانكسرت عساكرهم فلما سمع هذا الخبر غاب عن الصواب واقسم بالنار ان لا يبقى من بني هلال لا كبير ولا صغير ثم كتب كتابا الى اخيه عنان صاحب بلاد العراق فأعلمه بواقعة الحال وطلب منه النجدة والمعونة على حرب بني هلال وكان عنان يحكم على ثمانمائة الف فارس فلما بلغه هذا الخبر أمر العساكر بالاستعداد ثم ركب وسار بالجيوش حتى أشرف على بلاد اخيه فاستقبله وترحب به ونزلت العساكر خارج المدينة فقال له الغضبان أريد منك ان تسير بعساكرك الى بلاد نجد وتسبي الحريم وتقتل الرجال وتنهب المواشي والاموال وأنا اسير بعساكري الى قتال الفرسان فركب عنان بالابطال والفرسان قاصدا بلاد نجد وركب الغضبان في اربعمائة الف فارس وسار طالبا خلاص ابنته وقتل زيدان اما الامير ابو زيد قال لدياب من الصواب ان نركب ونلحق بزيدان ومخيبر وأنا ابقى هنا لان الملك الغضبان ربما يرسل العساكر لحربنا فاذا أمنا من هذه الجهة فأتبعكم بباقي الجيش فجمع دياب الابطال والفرسان وركب في تسعين الف فارس من بني زغبي وجد في قطع البراري والقفار طالبا بلاد اليونان اما الامير زيدان فسار طالبا الديار واذا بغبار قد ثار حتى سد منافذ الاقطار وبان من تحته عسكر جرار وهو عسكر الملك الغضبان قد ادرك القوم في ذلك المكان فصاح زيدان بالابطال والفرسان وأخذ يشجعهم على الحرب والقتال وقال لهم هذا اليوم من اعظم الايام فاستعدوا للحرب واصبروا ان الله مع الصابرين فسلوا سيوفهم وهجموا على العساكر المقبلة عليهم وهجمت العساكر على العساكر وتقاتلوا واختلطوا بعضهم البعض والتقى الملك الغضبان بالامير زيدان وأخذا في الحرب والصدام فيا لهما من بطلين عظيمين وأسدين درغامين فاقتتلا أشد قتال اما الغضبان فضرب زيدان بالدبوس على رأسه طبق الخوذة وأراد ان يكمل عليه فهجم عليه مخيبر وعكرمة وحسن المزيدي وضربوه ضربات قاطعات فابتعد عن زيدان وانطبقت عليهم قوم الغضبان وجرى وقعة لم يجر مثلها اندحر فيها بنو هلال وذاقوا الاهوال واذا بغبار قد علا وثار ثم ظهر ابطال وفرسان كأنهم مردة الجان وفي مقدمتهم الامير دياب وأبطاله الانجاب وهو راكب فرسه الخضرا ثم اقتحم الميدان بالابطال والفرسان

وضربوا الاعداء بالسيوف وطعنوهم بالرماح وخلصوا زيدان من قلب المعركة وفي المساء دقت طبول الانفصال وافترقت العساكر عن بعضها وفرح بنو هلال بقدوم دياب وشكر الامير مخيبر الامير دياب وقال له لولا مجيئك كنا بأوشم حال وباتوا تلك الليلة يتحارسون ولما اصبح الصباح وضاء نوره ولاح دقت طبول الحـــرب والكفاح فنزل الغضبان الى ساحة الميدان فبرز اليه الامير دياب وصدمه صدمة تزعزع الجبال فقال له الملك الغضبان من انت ؟ قال انا الامير دياب بن غانم ولا بد من قتلك فمال عليه الغضبان والتقى البطلان كأنهما جبلان وقدحت حوافـــر خيلهما شرر النار وضرب دياب الغضبان وجرحه فاقترب من دياب واقتلعه عن ظهر الخضرا وخبط به الارض فصاح زيدان والشباب على الغضبان وهجموا على دياب وخلصوه من الغضبان وحملت الفرسان على الفرسان وجرى بينهم حرب وقال الى ان انكسرت عساكر الغضبان وكان قد امسى المساء وفي الصباح قال دياب لا بد لي ان ابارزه وأقطع رأسه وبرز الى الميدان فنزل اليه الغضبان وجرى بينهما قتال شديد دام سبعة ايام الى ان انكسرت بنو هلال فجمعهم دياب وقال لهم اصبروا وعن قريب يحضر ابو زيد وبنو زحلان ونهجم جميعا على عساكر الغضبان وننتصر عليهم باذن الله فصبروا وثبتوا يتبارزون مع الاعداء . اما ابو زيد فأمر بني زحلان في الركوب فركبوا وكانوا تسعين الف ، وجدوا في قطع البراري الى ان ادركوا القوم فصاح ابو زيد هذا يومكم يا أبطال فهجموا على الاعداء واشتبكوا معهم بالضرب والطعن فعظمت الاهوال وجرت الدماء وقد فرق الامير ابو زيد بهجومه الاعداء بضربات قاطعات فنكس البيارق فلما رأى دياب ابو زيد فرح واستبشر بالنصر وتشددت العزائم وفتكوا بالاعداء وكانوا كالاسود الضرائم والتقى ابو زيد بالغضبان واشتد بينهما القتال الى ان انجرح ابو زيد في يده وصاح الغضبان على الابطال واشتبك القتال فلله در ابو زيد ودياب فانهما قاتلا قتالا عظيم تعجـز عنه الاسود والتقى الامير دياب بالغضبان بقلب لا يهاب وتقاتلا قتالا عظيما وهجمت عساكر بني هلال على عساكر الغضبان من كل جانب ومكان حتى ابلوهم بالـذل والهوان ولما رأى ابو زيد ان دياب لم يقتل الغضبان هجم ابو زيد يساعد دياب وضربا الغضبان ضربات قاطعات ونشط دياب بمعاونة ابي زيد وضرب الغضبان فشقه نصفين فوقع هو والحصان وانكسرت عساكره وولوا هاربين فلحقهم بنو هلال وشتتوهم في البراري والتلال حتى وصلوا الى الديار فنهبوا الاموال وغنموا المواشي والجمال فحينئذ اجتمعت النساء والبنات وهن باكيات وطلبوا الامان من ابي زيد ودياب فأمنوا الرجال والنساء وأقاموا عليهم صخر بن الملك غضبان حاكما مكان ابيه وأن يرسل لهم الجزية كل عام وبعد يومين دقت طبول الارتحال فركبوا وعادوا قاصدين نجد العدية ورايات النصر تخفق فوق الرؤوس وهم في جذل وسرور اما عنان الذي ارسله الغضبان الى نجد بأربع كرات فانه جد في قطع البراري والتلال قاصدا بلاد بني هلال وكان السلطان حسن رأى مناما فأنشد يرويه امام الاكابر والاعيان :

يقول الفتى حسن الهلالي ابو علي بدمع جرى من مقلة العين سايح
رايت مناما هد حيلي وقوتي فقمت انا مرعوب والعقل رايح
رايت أفاعي قد اتت بلادي ومعهم قروم مصفحة بالصفائح
دخلوا لصيواني فزادت لوعتي وزادت هلال بالبكا والنوايح
وقامت علينا ضجة ما أمرها وكم فارس عاد على الارض طايح

فقال القاضي بدير الله يجبرنا من هذا المنام لانه يدل على حروب داخل البلاد فيجب علينا ان نستعد لغدرات الزمان ونصد اذى العدوان فجمعوا العساكر والجنود فكانت مائة وثمانين الف مقاتل تسعون الف مقاتل برسم القاضي وتسعون خاصة بالسلطان حسن فلما وصل الملك عنان بفرسانهم التقتهم بنو هلال بالسيوف والرماح واشتبك بينهم القتال وكان يوما من اعظم الايام ووقعة يشيب من هولها رأس الغلام فالفرسان مشتبكة والخيول غائرة والرؤوس طائرة وقد اشتركت بعض النساء الهلاليات في هذه الحرب الضروس فحملن السيوف وهجمن على الاعداء ولكن الاعداء تغلبوا على بني هلال وضايقوهم في ساحة الميدان حتى كسروهم وأدخلوهم البيوت فكثر الصياح وعلا النواح وولت البنات هاربات باكيات وانقضت عساكر عنان على السلطان حسن والقاضي بدير وبقية السادات وأسروهم ونهبوا خيرات نجد وأسروا القبيلة عن بكرة ابيها وعادوا الى بلادهم راجعين كاسبين غانمين فأشرفوا على مرج أخضر فنصبوا الخيام ونشروا الرايات والاعلام فقال حسن للقاضي ما العمل ومن يفكنا من الاسر فقال له ارسل كتابا الى زيد العجاج وزيد بن شرهان واعلمهم بما جرى واطلب منهم المعونة والنجدة فكتب اليهما على غدر الاعداء ببني هلال ثم قال لهما اسرعا وخلصونا من الاسر والاعتقال ثم اعطى الكتاب الى عامر الهجان وأسرع بسيره الى ان وصل الى زيد العجاج واعطاه الكتاب فلما قراه غضب غضبا شديدا وأمر العساكر ان يستعدوا بسرعة الى القتال ثم كتب كتابا الى زيد بن شرهان قال فيه :

يقول الفتى زيد العجاج الفاضل بدمع جرى فوق الخدود سجام
يا غاديا مني على متن ضامر تسبق هبوب الريح في الآكام
سلم على زيد بن شرهان خبره وقبل اياديه مع الاقدام
وقل له يا أفخر الناس كلهم يا عز من نقل القنا وحسام
اتوا الى نجد قروم عوابس كفار دينهم يعبدوا الاصنام
ومسكوا حسن وبدير والقبيلة واسروا رجالا وكل غلام

ثم قال لا يكون الجواب الا الركوب والحرب فلما وصل اليه الكتاب قراه فبكى على بني هلال وأمر بدق الطبول وجمع العساكر وسار بهم الى جبل الازرق فالتقى هناك بالملك عنان ومعه بنو هلال مأسورين فصاح في قومه اليوم يومكم يا فرسان فابذلوا جهدكم بالفتك بالاعداء حتى تخلصوا السلطان حسن ومن معه فشدوا عزائمهم وصاحوا الله اكبر وهجموا هجوما صاعقا على الاعداء فهبت عساكر عنان

مذعورة وحملت السلاح وسل عنان سيفه وهجم مع جنوده فالتقى بزيد بن شرهان وصاح به ما سبب قدومكم وماذا تريدون فقال له يا عدو الله سوف ترى ما يحل بكم من الاهوال لانكم اعتديتم على بني هلال ووضعتموهم في الاسر والاعتقال فلما سمع عنان كلامه التقى البطلان كأنهما جبلان وجرت بينهما حرب تدهش الابصار واشتد بينهما القتال واعتدل زيد على حصانه وضرب عنان بالسيف على عاتقه فتلقى الضربة بطارق البولاد فوقعت على عنق الجواد فوقع على الارض وهجم قوم عنان وخلصوه من الموت ثم التحم القتال وجرى الدم وسال واختلطت الرجال بالرجال وكان عنان قد ركب جوادا وغار على بني هلال فتلقاه زيد وأخذ معه في الحرب والصدام واذا بغبار علا وثار وانكشف على عساكر زيد العجاج وامامهم فارس بالحديد غاطس فصاح بالاعداء الله أكبر اتاكم زيد العجاج واقتحم الميدان بقلب اقوى من الصوان وانطبقت الرجال بالرجال فالسيوف تقطع الرؤوس والرمـــاح تخرقِ في الصدور وما زالوا في قتال الى نصف النهار وغار زيد العجاج على عنان وضربه بالسيف اصاب الحصان وهجم دهقان على زيد العجاج فتلقاه بالسيف قطعه نصفين وصاح سنان اخو دهقان بزيد بن شرهان وهجم عليه فضربه زيد قطعه نصفين فعندها دقت طبول الانفصال اما ابو زيد ودياب وبنو هلال فانهم بعـــد رجوعهم الى نجد وجدوا القبيلة خالية من الرجال والنسوان والنوق والمواشـــي والبيوت مفتوحة والقتلى ملقوحة فحزنت بنو هلال حزنا عظيما فقال لهم ابو زيد الراي عندي ان يبقى قسم من الفرسان لحفظ الغنائم والاموال ونركب نحن بباقي الرجال لخلاص السلطان حسن وجميع المأسورين فركبت الفرسان بتسعين الفا من بني زحلان وفي مقدمتهم ابو زيد وركب دياب بتسعين الفا من بني زغبـــي وبجانبه زيدان في ستين الفا من الشباب وجدوا في قطع القفار طالبين الاعداء فلما أشرف ابو زيد على المعارك رأى عساكر الملك عنان محيطة بزيد العجاج وزيد ابن شرهان فاقتحم معركة القتال وتبعته الابطال والفرسان وغاروا على الاعداء يقطعون الرؤوس ويطعنون في الصدور فلما رأى عنان ما حل بقومه هجم على بني هلال وعقيل واذا بغبار قد ظهر وبان من تحته عساكر دياب وزيدان وصاحوا الله أكبر وهجموا على عساكر عنان وغار ابو زيد على الملك عنان وطعنه بالرمح فـــي صدره خرج يلمع من ظهره وانكسر جيش عنان وما سلم منهم غير الذي هرب ثم تقدم ابو زيد ودياب وفكوا السلطان حسن وجميع المأسورين فشكروهم على شجاعتهم وبطولتهم ثم ركبت الفرسان وساروا الى الاوطان وباشروا بزواج مخيبر ابن ابي زيد على سعد الرجا وداموا في فرح وسرور في أرغد عيش وأهنأه وعلى احسن حال .

قصة الست ريما بنت الملك صخر بن علقم

وما جرى لها مع محبوبها الامير مرشد بن الاميرذياب

(قال الراوي) انه بعد زفاف الامير مخيبر على سعد الرجا غار مرشد بن دياب وقال ان اولاد الامراء يأتون بالنساء الحسان ويتزوجون بهن وينالون الافتخار وأنا جالس في البيت مثل النساء ثم انه اقسم انه سيغزو ويأتي ببنت تكـــون زائدة في الحسن والجمال عن بنات الملوك بعيون بابلية وخدود وردية واسنان لؤلؤية ومراشف سكرية ونهود عاجية ثم انه امر عبيده سالم وسليم بتجهيز ما يلزمهما للسفر معه وفي الصباح ركب جواده وتقلد السيف اليماني وحمل العود الرشاوي وفي راسه حربة تلمع وطلع يطوي البراري والقفار الى ان اشرف على بلاد زيد العجاج ودخل الصيوان وسلم على زيد العجاج وعلى امراء بني عقيل فردوا عليه السلام واجلسه زيد العجاج بازائه وبدأ يسأله عن بني هلال وإذ أقبل عليهم شعراء ثلاثة فترحب بهم زيد العجاج فأمر باحضار الطعام فوضعوا الموائـد وجلست الناس تأكل ثم قدموا القهوة وكاسات الشراب وبعد ذلك قال زيد العجاج للشعراء هاتوا ما عندكم من بديع الشعر وشنفوا منا الآذان بقصائدكم الحسان فقالوا حبا وكرامة وتقدم كبيرهم وانشد :

قال جبر بن جابـــر يا كـــرام ... اتينـــا اليكم نبتغـــي الانعـام
قد امحلت بلادنـــا يا مير المـلا ... دقنا بهـــا المر والمرض واسقـام
اتانا المحل يـــا زيد فوق فقرنـــا ... انقطع مني العزم وحالي كالعـدام
سمعنا بصيتك يـــا ابا فاضـــل ... يا كنز العطا والفضل يا همـــام
اعطنا يا زيـد واجبر قلوبنـــا ... لنمدحك بين الناس على الـــدوام

قال زيد العجاج اهلا وسهلا بكم يا شعراء ، قد أمرت لكل واحد منكم بمائة ناقة محملة والف دينار فشكروا صنيعه ودعوا له بدوام العز والبقاء والنعم فلما انحل الديوان ذهب زيد العجاج الى منامه لعند الست ام السعود بنت جابر وبقي في الديوان مرشد بن الامير دياب وفاضل ابن زيد العجاج والشعراء فسأل فاضل مرشدا عن سبب مجيئه من نجد فقال له معلومك ان شباب بني هلال يغـــزون ويأتون بالبنات الجميلات ويفتخرون بشجاعتهم وبطولتهم ويتزوجون بالابكار بنات الملوك ولا يخفاك اني شاب جاهل ولست امراة حتى أجلس في البيت لذلك فاني قد عولت على مغامرة لاجلب لي عروسا تفوق بالحسن والجمال كل ربات الجمال ثم التفت مرشد الى كبير الشعراء وقال له لعلك تهديني على بنت احد الملوك ولك مني الاكرام الزائد فقال له لقد مررنا على بلاد نبت الزهور وحاكمها الملك صخر بن علقم وليس له اولاد سوى بنته ريما وهي فوق حسنها وجمالها عالمة واديبة فلما سمعت بنا ارسلت الينا طالبة ان ننزل ضيوفا عندها فلبينا طلبها وضفنا عندها سبعة ايام نسليها بالقصص الادبية والاشعار وحكايات العرب فأكرمتنا اكرامـــا زائدا والحقيقة يا مرشد ان الست ريما لا نظير لها في الدنيا ولا رأت عيني اجمل منها ويسمى مكان ابيها ريم الجافل ثم عدل الشاعر الرباب وشرع يوصف الست ريما في هذا القصيد :

على ما قال الشاعر ابن جابـــر ... ناظم فنون الادب مرتجـــل أقوالها
ان ريما ليس يوجـــد مثلهـــا ... ولا يوجد نظيرها فـــي جمالها
الخشف متل الريم مين قدر يعادله ... والوجه مثـل البدر حائـز كمالها
كل من نظرها تاه عقلـــه بالغوى ... يغدو مع السواح في سوء حالهـا
ما احد حاز بهاها ولا انوجـــد ... هنيئا يـا مرشد لمن صار حلالهـا
ريما رمت بالقلب علـــة طوبلـــة ... ريما يليق لمرشد يكون غزالهـــا

عند ذلك أكرم مرشد الشعراء وانتظر الى الصباح وقال لفاضل مرادي أذهب الى نبت الزهور لعلي ارى الست ريما فقال فاضل سأذهب معك فركب مرشد وعبيده وفاضل وعبيده وساروا الى نبت الزهور وكان ملك تلك البلاد جبارا عنيدا وقد خطب ابنته اولاد الملوك فأبى ان يزوجها فكانت تتأثر من ابيها وتستجير من ظلمه وعناده فأتاها الخضر عليه السلام وقال لها لا يخلصك من ظلم ابيك الا بنو هلال فقالت له ومن انت قال لها انا الخضر ابو العباس عند ذلك كتبت كتابا الى بني هلال تستجير بهم من ظلم ابيها وقالت لعبدها سعيد أوصله الى بني هلال وادخل الديوان وسلمه الى اي امير تجتمع به وهذه صورة الكتاب :

تقول فتاة الحي ريما الحزينـــة ... بدمع جرى فوق الخدود وعـــام
ايا غاديا مني خذ لي رسالتـــي ... مرقومة فـــي حسن خطها ونظام
اذا رحت الى بني هـــلال وعامر ... فادخل الحي واقصد قوم كـــرام
تجد به حسن الهلالي ابو علـــي ... وبو زيد الى خيل العدا صـــدام

وقل لهم يا عزوة الجـود والعطا يا من ثناكم عالي على الاعـلام
والدي تـرى جابرا عنيـدا! ذقت منه العنا والهول والاسقـام
رايد يبورنـي بفكـره والـدي فخلصوني منه بكـل بطل درغـام

ثم اعطته للعبد فركب جواده وأسرع في السير الى ان وصل الى عين مـرج الازهار فرأى على العين مرشد وفاضل وعبيدهما فسلم عليهم فردوا عليه السلام فسأله مرشد من اين يا صاح والى اين مسافر فقال الى بني هلال أعطيهم رسالة فقال له ابشر انا مرشد بن الامير دياب فهات الكتاب ، فناوله اياه فلما قراه اعطاه لفاضل فسأل العبد عن قصر الست ريما اين يقع فقال في مكان يسمى دليـل الغريب فقال مرشد لفاضل لنسرع الى ذلك المكان فركبوا خيولهم وأعطوا الكتاب للعبد وقالوا له لا تقل لاحد انا قرانا الكتاب ولكن قل لهم تركت مرشد وفاضل في نبت الزهور وهيهات تدركوهما ثم ذهب كل فريق لقضاء حاجته فلما وصل مرشد الى مكان دليل الغريب طلع الى قصر الست ريما وطـرق الباب ففتحت جاريتها الباب وقالت لمرشد ما الذي اوقفك امام قصر بنت الملك اما تخاف من ابيها ان يقتلك فقال لها انا مرشد ابن الامير دياب قد وقعت في هوى الست ريما واريد ان اراها فعادت الجارية وقالت لستها ريما ان الذي قرع الباب شاب من احسن الشباب ظريف القد حلو المبسم فسألته عن اسمه وما يريد فقال اسمه مرشد بن الامير دياب وهو يهواك ويريد ان يراك فقالت لها احضريه فأحضرته فلما راته الست ريما دهشت من حسنه وجماله فهو حلو المبسم بخدود وردية ووجه كالقمر فلما دخل مرشد ورأته نهضت واقفة واستقبلته بفرح وابتسام وارادت ان تضمه الى صدرها فقال لها انتظري فأنا سأبذل جهدي وآخذك بالحلال ثم انه أعلمها بمكانه في برج العمارة وأقام عندها مقدار ساعة ثم ودعها وعاد الى مكانه وأخبر ابن عمه بما صار ثم قال له مرادي ان نسوق مواشي الملك صخر ونصيح على ملك الزهور لنصلي الحرب بيننا وبينه فقال ابن عمه غدا صباحا نركب مـع العبيد ونحارب . وفي الصباح ركبوا وقصدوا المواشي وساقوها فهبت عليهـم الرعيان واشتغل الضرب بالسيف والطعن بالرمح وقتل من الرعيان عدة اشخاص والباقون هربوا ودخلوا على الملك صخر واخبروه بأن المواشي قد نهبت والرعيان قد قتلت فصاح بابن اخيه قاهر العدا وامره بركوب الخيل وان يقتل الاعادي ويرد المواشي فركب في جملة من الابطال وجد المسير حتى وصل الى برج العمـارة وصاح بالاعداء ارفعوا أيديكم وسلموا انفسكم قبل ان نأخذكم على شفار السيوف فارتد عليهم مرشد وابن عمه والعبيد ووقع بينهم الكر والفر والطعن والضرب فهز قاهر العدا بيده عود الزان وطعن به مرشد فغطس تحت بطن الجواد ثم اعتدل بسرعة وضرب خصمه فحكم الضرب على طارقة البولاد واعتدل قاهر العدا على ظهر الجواد وطعن مرشدا بالرمح فخرجه في زنده فوقع على الارض فحمله جـواده واخرجه من الميدان فتصدى لقاهر العدا فاضل وتقاتل معه مقدار ساعة فما نال

منه المراد فندما على ما فات منهما ودخلا مع عبيدهما الى برج العمارة واغلقـــوا الابواب . أما قاهر العدا فأرجع البوش الى نبت الزهور وذهب الى عمه وأعلمه بما جرى . أما مرشد فأرسل العبد الى الست ريما يطلب منها مرهما فذهب وقرع الباب وقال للست ريما اعطني مرهما لمرشد يداوي جرحه واخبرها بمـــا جرى فبكت ولطمت خديها وندبت سوء حظها ثم اعطته المرهم وقالت له سلم على سيدك فأخذ المرهم واسرع فأعطاه لمرشد فوضع منه على الجرح وربطه . امـــا الست ريما فأرسلت عبدها الى بني هلال وقالت لهم اسرعوا الى نبت الزهـــور وخلصوا مرشد وفاضل من كيد العدو فهما محاصران في برج العمارة فلما وصل العبد دخل الديوان وسلم على السلطان حسن وعلى الامراء واعطاهم الكتاب فقراه ابو زيد فلما سمعوا ما حصل لمرشد وفاضل امروا بالركوب حالا فركبت الفرسان وقرع الطبل وجدوا بالمسير . اما دياب لما قرأ الكتاب صاح في بني زغبي شدوا الركاب اما زيدان فقد سبق الجميع حتى أقبل على بلاد نبت الزهور فلما راى مرشد غبار الخيل وسمع الطبل يضرب هبت به الاشواق وانشد :

يا ريح خذ سلامي وجد يراعـــي ... لنجد دار لنـــا عز المنازيلـــي
تلاقي بها ليث جسور ذكره شاعي ... يسمى ابو زيد شيال المحاميلـــي
والاب يسمى دياب السبع له ضاعي ... يا والدي قل عزمي وانقطع حيلـــي
وبدر بن غانم سياج البيض نفاعي ... بيوم تنادي له بنت وارامليـــي
زيدان يـــا عم ابن الاخ قد ضاعـــي ... حملي وقع ما احد للحصل بيشيلي
ان مت يا عم خذ لي الثأر يا راعي ... من قاهر الخيل لا تبقى لـــه حيلي
حولك صناديد تشبه وثبة سباعي ... عقل ابن هولا متى الكون يوميلـــي
يا عقل عقلي غدا والصبر قد ضاعي ... جراح شتي ومالي من يداوي لـــي
يا حسرتي ما احد للقول سماعـــي ... لو كان زيدان عمي كان يناديلـــي
يا اهل الوفا انجدوني العقل ضاعي ... فـــي حب ريما دابت مناديلـــي

فلما فرغ مرشد من كلامه وسمع زيدان نظامه قال يا ابن اخي اتاك عمـــك زيدان فنهض مرشد وفتح الباب فدخل زيدان ودخلت وراءه الشباب فسلموا على بعضهم وأخبرهم مرشد بما تم وجرى . وقد وصل الخبر الى الملك صخر بـــأن الفرسان في برج العمارة كانوا ستة فوارس فأصبحوا اليوم ستين الفا فلما سمع هذا الكلام غضب غضبا شديدا وامر ابن اخيه قاهر العدا بركوب الخيل فركبوا بمائة وخمسين الفا وساروا الى برج العمارة فصاح عقل بن هولا اخذتنا عساكر الدشمان فلما سمع زيدان ذلك الكلام نهض واثبا وصاح : الخيل يا ركابها والاعداء يا طلابها فركبوا واستعدوا للقتال واصطف الجيشان وبرز قاهر العدا الى الميدان وصال وجال وطلب لقاء الابطال فبرز اليه فارس كأنه الليث العابس وقال انا الامير زيدان شيخ الشباب وهجم على قاهر واشتبكا في القتال والنضال حتى انجرح زيدان فأتاه مرشد وقال انا لي عنده ثأر وهز في يده عود الزان وطعن قاهـــر

العدا في عنقه خرج الرمح يلمع من قفاه فوقع قتيلا وصاح مرشد دونكم الخيل فسبق الامير مناع على اول الخيل فأبلاها بالويل وما زال الهلاليون يضربـــون اعداءهم حتى شتتوهم وقتلوا منهم عددا كبيرا وغنموا مكسبا عظيما ولما سمـــع الملك ان ابن اخيه قتل صار الضياء في عينيه ظلاما وقال وحق من ولاني علـــى رقاب العباد لا بد ان افتك فيهم وأمحي أثرهم واحضر اخا قاهر الرجال وهـــو الغضبان وأمره بمهاجمة الاعداء وان يأخذ بثأر اخيه فسار بالجيش الى برج العمارة واصطف الفريقان وتقابلت الفرسان وقام الحرب على قدم وساق والتقى زيدان بالغضبان وتقاتلوا مقدار ساعة من الزمان انجرح زيدان بعدها في يده ونزل عليه الغضبان بطعن مثل لسع النار الى ان دقت طبول الانفصال وتوقفوا عن القتال .

(قال الراوي) بينما كانوا الامراء جالسين في صيوان السلطان حسن قـــال دياب لابو زيد ما اتى لنا علم عن الامير زيدان ولا بد من الركوب ونهض مـــن المجالس وصاح بفرسان بني زغبي وأمرهم ان يركبوا خيولهم فركبوا واعتلى دياب الخضرا وسار بتسعين الفا وفعل ابو زيد مثل دياب وسار في بني زحلان وهو راكب على الحمرا ثم ركب القاضي بدير بتسعين الفا من بني عامر وركب السلطان حسن بتسعين الفا من بني دريد وأمر بضرب الطبل الرجوج فبقيت الارض تموج وتهوج وساروا يقطعون الفيافي والقفار حتى اشرفوا على العين الباردة فنزلوا لاخذ الراحة فقال ابو زيد ان فاضل ابن زيد العجاج موجود مع مرشد في نبت الزهور ومرادي ارسل كتابا الى زيد العجاج وهو يرسله الى زيد بن شرهان وهو يرسله للماضي بن مقرب ويكون ملتقاهم على العين الباردة فكتب الكتاب وأعطاه الـــى عبده ابو القمصان فأوصله لزيد العجاج فلما قرأه أرسل المكاتيب لزيد بن شرهان والى الماضي بن مقرب فركبوا وساروا جميعا الى العين الباردة فوجدوا امراء بني هلال نازلين هناك فبعد ان استراحوا قليلا أمر السلطان حسن بالركوب فركبوا وجدوا المسير حتى اقبلوا على نبت الزهور فوجدوا زيدان في أشد الضيق فتقدم ابو زيد بفرسانه وهجم دياب بأبطاله وزيد العجاج وزيد بن شرهان برجاله والماضي ابن مقرب والقاضي بدير والسلطان حسن وصاحوا بالاعداء اصواتا ارتجت لهـــا الوديان والجبال وضربوا العدو من جميع الجهات وحصل الكر والفر وطبقت الخيل على بعضها والرؤوس تتساقط مثل اوراق الشجر في ايـــام الخريف فلما رأى الغضبان ما حل بقومه ارسل لعمه صخر يقول له ان بني هلال فتكوا بعساكرنـــا وما ابقوا على احد فلما وصل الخبر للملك صخر صار الضياء امامه كالظلام وأمر بركوب العساكر وركب هو على جواد أشهب وجدوا المسير حتى اقبلوا على برج العمارة فصاح الملك صخر بأعلى صوته اين تذهبون يا بني هلال وصار هو وجنوده يجندلون الرجال ويدحرجون الرؤوس فوق الرمال ثم وقف في الميـــدان وطلب مبارزة الفرسان فانحدر اليه ابو وطفا الامير دياب ووقع الكر والفـــر والضرب والطعن والكسر ومن عزم الضرب انقطع سيف الملك صخر قطعتين وارتمى عليـــه دياب كأنه الصاعقة وطعنه بصدره فجرحه وتألم منه ودقت طبول الانفصال وعند

الصباح نزل الملك صخر الى الميدان فانحدر اليه ابو زيد وانطبق عليه وتقاتلا وتضاربا حتى كلت منهما السواعد وقام الملك صخر في عزم الركاب وهز بيمينه عود الزان وطعن به ابو زيد فغطس ابو زيد تحت بطن الحمراء راحت الطعنة خائبة ثنى عليه بالسيف اخذها في ترس البولاد وجرح ابو زيد ، عند ذلك انسحب ابو زيد من الميدان فنزل زيد العجاج وتقاتل مع صخر مدة ساعة من الزمان . اما زيد بن شرهان والماضي ابن المقرب والقاضي بدير فقد خافوا على زيد العجاج فانحدروا الى الميدان يضربون صخرا فرد عليهم بطعن جريء وضرب اليم وهجمت عساكره وجنوده على بني هلال وردوهم سبع مراحل الى الوراء وكان ينزل صخر الى الميدان ويطلب مبارزة الفرسان فما احد يقدر عليه فأرسل يقول لبني هلال :

يقول الملك صخر فيما قد جرى	كم فارس اتاني وراح عادم
يا غاديا مني على متن ضامر	تسبق هبوب الريح مثل النسايم
سبعة ليالي ما اتى معكم خبر	ولا بان منكم يا هلالي علايم
يا حيف ظعن هلال يغدي في الفلا	ويا حيف تبقوا في البراري هزايم
ايـن هـلال اين ديابكم	اين ابو زيد وكبار العزايم
انا مطلوبي دياب يجيء لعندي	ومقصودي خضرة دياب الغانم
مرشد يجيبها ذليل وخاضع	يخش الحمى يكون في البيت خادم
انا صور الزينات انا قاهر العدا	ما اظن اخلي ابن يومين سالم

ثم أرسل الكتاب الى زيد العجاج فلما قراه ذهب لديوان السلطان حسن وأعطاهم الكتاب فقراه ابو زيد على الجميع فقال دياب ان تركناه يتبعنا الى نجد ويخرب ديارنا ولكن النصر من الله تعالى وقال ابو زيد انا ارى ان نركب غدا والناس نيام فيركب دياب ويضرب البلاد من جهة الشرق وانا أركب من جهة الغرب ويركب الماضي بعساكره من الشمال والسلطان حسن والقاضي بدير من الجنوب وزيد العجاج وزيد بن شرهان يضربان سراية الملك والامير زيدان يضرب الخيام فقالوا هذا رأي صائب وعند انتصاف الليل ركبوا وكبسوا العدو وتعالت الاصوات وحملت الرجال وجرى الدم وسام وقتل من عساكر العدو ما لا يعد ولا يحصى وفي الصباح اجتمع الامير دياب بالامير ابو زيد وطلعا لخارج المدينة واذا بزيدان هاجم على خيام الملك الغضبان فأقبل الامير دياب على المقدمة من اليمين وصار يضرب الرقاب ويدحرج الرؤوس وفعل ابو زيد مثله وكان زيدان قد وصل الى الغضبان وضربه بالسيف قطعه نصفين ودام الضرب والطعن مدة من الزمان وهو على هذا الحال طلع صخر بن علقم على بلاد نبت الزهور ولما رأى الغضبان مقتولا هاج وماج وقصد زيدان فأمسكه من أطرافه وخبطه على الارض رضرض عظامه واراد ان يكمل عليه فهجم عليه دياب على ظهر الخضرا وطعنه بالرمح بين بزيه خرج يلمع من بين لوحيه وثنى عليه بالسيف قطع راسه وغارت بنو هلال على الاعداء مثل الاسود فقتلوا منهم خلقا كثيرا فدخلوا بلاد نبت الزهور ووضعوا حاكما من

تحت امرهم بشرط ان يرسل لهم عشر المال في كل عام . اما مرشد فذهب الى قصر الست ريما وشد لها هودجا فأخذت خفيف الحمل غالي الثمن وعاد الامراء الى ديارهم كاسبين غانمين ووزع السلطان حسن الخلع وعمل الولائم ولما وصلوا الى نجد استقبلتهم الجازية مع بنات بني هلال بالرقص والزغاريد ورات الجازية مرشدا قابضا زمام ناقة الست ربما فقبلته واخذت زمام الهودج وادخلته صحبة سيدات بني هلال فأحضروا القاضي بدير بن فايد وعقدوا عقد الست ريما على مرشد ثم دخل عليها وباتوا بالافراح والليالي الملاح .

قصة بدر النعام بنت الملك صادر وما جرى لها
مع محبوبها جبر المزيدي

(قال الراوي) بعد ان تزوج الامير مرشد بالست ريما وداموا في أفراح وسرور ورقص وغناء وكانت الشعراء تتوارد على مجلس السلطان حسن يمدحونه بالاشعار وينالون منه الجوائز الحسان وكانت الجازية اخت السلطان حسن مرة في الديوان تسمع مديح الشعراء والدق على الرباب فرآها احد الشعراء فمدحها بدر النعام مدح السلطان مدحا بليغا وانها اجمل فتاة رآها في حياته ثم مدح بدر النعام بنت الملك صادر وبالغ في حسنها وجمالها وقدها واعتدالها وادبها وعفتها وحــلاوة لفظها ومنطقها فقالت الجازية بنفسها انها تصلح لابن أختي جبر المزيدي ولمـــا انفض الديوان ذهب السلطان الى غرفة نومه ونام فراى في منامه غرابا اسود دخل نجدا ، ثم ذهب وعاد ومعه اغربة مثل الجراد وانتشرت في ارض نجد فأكلت الاثمار والزهور والاعشاب وأصبح اهل نجد بضيق فرحلوا من أوطانهم فانتبه السلطان من نومه منزعجا ولما جلس في وحوله الاكابر والاعيان وحكى لهم مـــا رآم في المنام في هذه الابيات :

يقول الفتى حسن سرحان ابو علي … صرف الليالي زايــدات غيوبهـــا
رايت منامـــا هد حيلي وقوتـــي … أريد اهـــل العلم تشرح فنونهـــا
رايت غراب اسود اللون باشــــع … اتى يمي ومـــا خشي من عيونهـــا
وغـــاب عني ثم عاد بسرعـــــة … ومعه غربان مثـــل الفحم لونهـــا
اتتنا عقبان مثـــل جـراد وأكثر … وبازاتنا مـــن نجـــد غايبونهـــا
وساقوا جميع الظعن يا اهل عامر … ومالي ورزقـــي العدا اخذونهـــا

فلما فرغ السلطان حسن من كلامه عرف ابو الليث تفسير المنام ولكنه ما اراد ان يفسره بالشر والضرر فأشار لابي زيد ان يفسره فعندها بدأ ابو زيد يفسره فقال:

أما الغراب الاسود فهو جاسوس دخل الحمى رأى رجالنا ونساءنا ولما غاب عاد ومعه ملك الاعداء وجيوشه وعاثوا في الارض فسادا وسبوا النساء والبنات وبعد العز نصير أذلاء لا سمح الله وسبب ذلك ان بعض شبابنا يشتد به الغرام بحب احدى بنات الملوك ويرمينا بالاهوال والحروب . فقال السلطان حسن والله ما أبقيتم لنا صاحب ولا صديق في الدنيا ومرادكم تملكوها بالطول والعرض وتسبوا نساءها فلا تلوموني ان تركت لكم بلادي وسافرت لعند ابن عمي زيد العجاج فقالوا له تخاف من الاعداء ونحن نفديك بأرواحنا ويقول الناس انك خفت من المنام وانهزمت من البلاد فقال حسن صبر جميل وبالله المستعان اما زيدان فكان في الصيد ومعه مئة فتى من الشباب فراوا شرذمة من الفرسان فهجمت الشباب عليهم وضرب جبر بن مزيد عقيل الخيل فقتله وغنموا خيولهم وعادوا مسرورين وكان في بني هلال اربعة شباب في غاية الحسن والجمال وهم جبر المزيد ومرشد بن دياب وعلي بن ابو العوف وعلي بن السلطان حسن فلما عاد الشباب من الصيد استقبلوهم باحتفال عظيم وبنوا براجيس الخيل امام صيوان السلطان حسن ونزل الامراء الشباب الى الميدان فنزل السلطان حسن وأبو زيد ودياب والقاضي بدير وعرندس وطي بن مالك والرياشي بن مفرج من جانب ونزل زيدان ومخيبر وعكرمة وجبر المزيد ومانع وتامر وسنان من جانب اخر وصار ضرب الجريد بينهم ونزلت الجازية ومعها البنات بالغناء والمزاهر وهن فتنة وغنة وريا وجمال الظعن والمارية وكانت الجازية توصف البرجاس بهذه الابيات :

تقول الجازية اخت المكني	حسن سلطان على جملة هلال
حسن ملك القبايل كلها	غرب وشرق وقبلي وشمال
ومن بعده الفتى الهلالي	ابو زيد شيال الحمال
والزغبي دياب بن غانم	مردي الضد في دز العوال
ابو درغام يوم الكون فارس	سوق الحرب ليس له مثال
مخيبر ابن ابو زيد اتى	بسعد الرجا وذاق الهوال
ومرشد ابن الامير دياب	غزا وجاب ريما بنت الدلال
وحسن المزيدي راح لحسنا جابها	لها وجه يضوي كفي هلال

فلما فرغت الجازية من كلامها قالوا لها بارك الله فيك . اما جبر المزيد فقال ان الجازية وصفت شباب بني هلال ولم تذكر اسمه وذهب لعند الجازية وقال لها لاي سبب ما ذكرت جبر قالت له اني وصفت الابطال الذين حاربوا وانتصروا واتوا بالبنات اما انت فاجلس عند امك حتى تصير رجلا وبعدها تعال عندي حتى اصف لك بدر النعام . فقال لها اوصفيها لي الان فقالت له يا ابن اخي ان بدر

النعام تربت في بلاد النعام وأنا اصفها لك كما وصفها الشعراء تماما :

قالت بنت سرحان الدريدي — ونار العشق زادتني سعار
جيت أخبرك وأنت قادر — على بدر النعام بنت صادر
أصيلة من اهل قوم أكابر — بديعة ومن سلالة حرابر
لها قامة كعود الزان واحلى — خطيب ان شافها ساح في الفلا
اذا بدر النعام وقفت قبالك — عقلك والصبر يا جبر ولا
اذهب يا جبر وشد حيلك — تصلح لك وما تصلح لغيرك
اغزي جيوش الملك صادر — وبدر النعام تكون حليلتك

فلما فرغت الجازية من كلامها ودعها وذهب وقال في نفسه حرام علي ان اسكن في ارض نجد اذا لم أر بدر النعام وأتمتع بحسنها وجمالها وقدها واعتدالها ثم شد على ظهر جواده وسار الى ان أشرف على وادي المعمر فرأى عكرمة ابن ابو زيد ومعه عشرون خيالا فسلم عليه فرد السلام وقال له اخبرني الى اين ذاهب فأنشد جبر يخبره بهذا القصيد :

يقول جبر الخيل خليفة مزيدي — النار في قلبي تهب وتوقدي
يا عكرمة الجازية ام النقاب — تمدح ابو زيد والزغبي دياب
ثم زيدان مع باقي الشباب — مخيبر ومرشد وحسن المزيدي
سألتها يا خالتي ما هو الخبر — قد وصفت الكل ما قلت جبر
ردت علي ثم قالت يا جبر — مانك من الفرسان حتى تنشد
وبختني يا ابن عمي بالكلام — قائلة اسرع الى بدر النعام
بنت الملك صادر اذا زاح النقاب — الف عاشق مثل جبر ممددي

قال له عكرمة روحي فداك ولا تشمت بك أعداك ثم ارسل ورقة بيضاء باسمه واسم جبر الى الامير زيدان قائلا اقرأ لنا الفاتحة ثم سار جبر وعكرمة واخذوا معهم ابن ابو القمصان اما عنان فأعطى كتاب عكرمة الى زيدان ففتحه واذا هو ابيض ومكتوب اقرأ لنا الفاتحة . عند ذلك امر الشباب بالركوب اما جبر وعكرمة فجدوا بالمسير ومعهم ابن ابو القمصان قاصدين بلاد الملك صادر الذي يحكم على مائة الف خيال وهو يحكم من تحت امر الملك الجبار صور ابن زرد من بني قحطان يحكم على عساكر لا تعد ولا تحصى وكان يعبد النار واين ما سمع ببنت امير او ملك يرسل من يأتي بها رغما عن ابيها وقومها فدخل عليه رجل وقال له البشارة يا مولاي فقال له قل ما عندك من الاخبار قال اني رايت فتاة رائعة في الجمال والقوام فصيحة اللسان اديبة لبيبة ونادرة من نوادر الزمان لم يوجد مثلها في سائر البلدان وهي بدر النعام بنت الملك صادر فقل لابيها ان يرسلها لك بالحال فقال له الملك لقد سمعت بمحاسن هذه الفتاة وأبوها صادر من أتباعنا وفي كل عام يرسل لنا عشر المال على كل لقد ذكرتني بها فخذ هذه بشارتك وأعطاه مالا جزيلا ثم كتب

رسالة الى الملك صادر يطلب منه ان يرسل له بدر النعام وانشد :

يقول الفتى صور حاكم الـــورى — يوم الوغـــى أخلي الشجاع ذليل
نعم ايها الغادي على متن ضامـــر — تسبق هبوب الريـــح حين تشيل
جد السرى من فوق جواد سابق — وانزل عنـــد صادر في تعجيل
وقل له الملك صور يقول لكـــم — ارسلوا عشر المال بـــلا تطويـــل
وأرسل لنا الف مهرة أصيلـــة — والفين شقـــرة والفين فيـــل
والفين بيضا مـــن خيار بناتكم — دوالـــع مكحلات مـن دون ميل
واريد بدر النعام تكون حليلتـــي — شاعل بورد خدهـــا قنديـــل
وإيـــاك تهمل كـــل شيء ذكرتـــه — فيجري فيكـــم القتـــل والتقتيل

فلما فرغ صور من كلامه أرسل الكتاب الى الملك صادر فلما قراه تغيرت الوانه وقال للوزراء ان الملك صور طالب منا عشر المال وطالب الفي بنت من بناتكم وبنتي بدر النعام فهاجوا وماجوا وقالوا هذا لا يمكن ابدا فعند ذلك ضربوا العبـــد وطردوه فلما عاد دخل على الملك صور وهو يبكي فقال له من ضربك وأهانك فأنشد يخبره بما جرى عليه بهذا القصيد :

قال مسعـــود الشقـــي المحزون — دمعـــي جرى من مقلتي وعيونـــي
بجنح الليل سافرت لبلاد النعـام — على الملك صادر بالحال دلونـــي
قبلت يديـــه ثم ناولتـــه الكتاب — بعد ان قري كتابكـــم ضربونـــي
أمر علـــي بألف جلدة يـــا ملـــك — استجرت فيهـــم فما جارونـــي
قال الـــذي صابته سهام النيـــا — بضربـــات العصي قد كسرونـــي

فلما سمع الملك ما جرى على العبد امر ان يشدوا على الخيل فركب الوزير عامر وركبت الفرسان وساروا الى بلاد النعام يقطعون البراري والآكام اما الملك صادر فأمر بارسال بدر النعام والبنات اللواتي عليهن الاعتماد الى قصر البنات وهو يبعد عن البلاد مقدار خمسة ايام ثم قال نحن نقاتل الاعداء فان انتصرنا عليهم نبقى في بلادنا وان انكسرنا نجعل طريقنا على قصر البنات فنأخذهن معنا وركبت بدر النعام وركبت معها البنات وساروا بهن الى قصر البنات وحطوا عندهن الجواري يخدمنهن وتحضروا للحرب وصد العدوان وكانت فرسان الوزير عامر قد وصلت واصطفت العساكر وانحدر الوزير عامر الى الميدان فبرز اليه الملك صادر وتجاولا في الحرب والقتال وتضاربا بالسيوف والنصال فيا لهما من أسديـــن درغامين وبطلين همامين ودام القتال بينهما للمساء افترقا على سلام . اما جبر وعكرمة ابن ابي زيد فساقتهم التقادير على قصر البنات الذي فيه بدر النعام فنزلوا عن خيولهم عند العين فجلسوا تحت شجرة نخل فخرجت جارية من القصر لتملأ جرتها فنهض جبر ومشى نحوها وسلم عليها فردت عليه السلام فسألها عن اسمها قالت زهر الروض قال هل عندكم لبن قالت نحن فقراء وغرباء فقال لها كيف تركتـــم أوطانكم وبلادكم وسكنتم في البر قالت ركب علينا الاعداء وطردونا من بلادنا ثم

بكت ولطمت خدها فلما رآها تبكي بدأ يخفف عنها ويطيب خاطرها بهذه الابيات :

يقول المزيــدي جبر المكنــا ورمحــي طعن كل فارس معدود
زهر الروض يــا بنت الاكابــر شريفــة الآبــاء ثــم الجدود
زهر الروض يــا فتنة الليالــي مليحة الوجــه ناعمة الخــدود
سلطاننا يسمــى حسن الدريدي ولد سرحان علــى الاعدا يسود
ابو زيــد المكنــى ابو مخيبر لــه في ملتقى الفرسان صمود
والزغبــي دياب ابــن غانــم يخلي دمــا الاعدا عالثرى يجــود
زهر الروض اريــد تعلمينــي عن بدر النعــام بارزة النهــود
لاجلهــا انا اجــرد حسامــي أبري رقاب أعداهــا والحســود

فلما فرغ جبر المزيدي من كلامه ابتسمت زهــر الروض وقالت له سمعت رفقائي يذكرون اسمها ويتحدثون عنها فانتظر هنا قليلا حتى اعود اليك بالخبر الشافي ثم انها ملأت الجرة وذهبت فلما وصلت سألتهــا بدر النعام عن سبب تأخيرها على العين فقالت لها رأيت شابين ومعهما عبد فتقدم احدهما وكلمنــي بلطف وأدب وألفاظ تسر الخاطر وتشرح الصدر وقد سألني عنك ثم انشدت تقول:

زهر الروض غنت فــي نظامــي ونار الشوق فــي قلبي ضرامــي
يا ستي مــرادي تسمعيلــي أخبــار الصدق تأتيــك علامي
لمــا نزلت انــا لعين الميــه شفت زولهــم مقبــل علــي
شب مليــح قال يــا بنيــة مــا هو الاسم قولــي بالتمامي
قلت له زهر الروض يــا سيدي يا خياه قــل لي ما تريــدي
قال مــن بهذا القصر افيــدي أظنــه فقير مــا عنده اغنامــي
لمــا رآنــي هلت دموعــي علــى الخدين تجري كالنبوع
قال ابشري زيــن المعاطــر انــا المعروف جبــار الخواطــر
وحق الــذي اليــه الحج زايــر لزيــح الضيم عنكــم بالحسام
وجيت انــا يا ستــي لعنــدك وقــده يــا مليحة مثل قــدك
تمنيت انــه يقطــف ورد خــدك بنت الجيــد لابــن الكــرام

فلما فرغت زهر الروض من كلامها قامت بدر النعام هي ورفيقاتها الى الشباك فتحت بدر النعام نافذة قصرها وأطلت لترى منها جبر المزيد ثم قالت لجاريتها اذهبي الى جبر واحضريه حتى أسأله عن سبب مجيئه لبلادنا ولا تقولي له سيدتي في القصر فنزلت الجارية وقالت له ستي طلبتك وهي تدلك على بدر النعام فمشى الى القصر والتفت الى اعلى فرأى حورية من حواري الجنة عنقها عنق الغزال صدرها بلاط الرخام نهداها رمان خدها تفاح شامي فلما رآها جبر قال لابن عمه نحن مرادنا نرى بدر النعام فحظينا في هذه الخلقة البهية والمحاسن الظريفة فان كانت هذه بدر النعام تم المرام وان لم تكن هي حرام علي ان أفتش على بدر النعام فقالت له صباح الخير ايها الشاب الظريف فقال لها صباح الخير والرضا فقالت

له ما سبب مجيئك الى بلادنا فاخبرني بالصدق فأنشد يغني وهي تسمع :

يقول الفتى جبر الحزيـــن الهايم | النار فـــي قلبي تزيـــد شعالي
جـــرح الهـــوى مـــا له دوا | هـــد القوى والحب غـــير حالي
لي خالـــة تسمى الجازيـــة | مدحت بـــدر النعام بقصيد عالي
رايـــد تعطيني الاخبـــار السالفة | عـــن اهلك وأبطـــال الرجـــال

ولما سمعت مقاله بدأت تخبره عن حالها بهذه الابيات :

قالت فتاة الحـــي فيما قد جرى | انا اميرة مـــن فروع طـــوال
يا جبر انا بدر النعـــام بذاتهـــا | بنت الملك صادر صاحب الافضال
كانت لي هيبة اصبحت غريبـــة | ابـــي قوتـــه ضعيفة فـــي النزال
راكب علينا يـــا جبر قرم عنيـــد | صور بن زرد الفتـــى المتعالـــي
رايـــد يأخذنـــي يـــا امير غصيبة | يقول بدر النعام والله حلالـــي
قام ابـــي من خوفـــه نفانـــي | وحطني في هذا الحصن مأوى لي
لا ادري ظعون ابي كيف أحوالهـــا | يا جبر لا تعطي قفـــا يا غالـــي
الشب مثلـــك يا امـــير جبر | يشهر حسامـــه للقـــا وانـــزال
فاقتل الملك صور في ساحة الوغا | تبقى بدر النعام الـــك حلالـــي

فلما فرغت بدر النعام من كلامها فرح الامير جبر واستبشر بالخير وصاح الله اكبر على من يعادي أباك . وفجأة سمعوا الصياح ورأوا الخيل هاربة والفرسان سايبة وذلك ان عساكر الملك صور تغلبت على عساكر صادر وشتتوهم في البراري والقفار فلما رات بدر النعام أباها في هذه الحالة صاحت بأعلى صوتها يا جبر اليوم يوم المروءة والشجاعة وذبح الاعداء فصاح لعينيك يا بدر وانحدر هو وعكرمة على القوم ودخلوا بين الملك صادر والوزير ومالوا عليهم بضرب السيوف وطعـــن الرماح حتى ردوا الاعداء الى الوراء مسافات ، وكان قد امسى المساء فافترقوا عن بعضهم واستقبل الملك صادر جبر وعكرمة بالاحضان وقبلهما وشكر فضلهمـــا وشجاعتهما ثم قال تكرما علي بأسمائكم لعلنا نكافئكم ونقضي لكم حاجتكم فقال جبر نحن من بني هلال وأنا اسمي جبر المزيدي ورفيقي عكرمة ابن ابو زيد اتانا شعراء فذكروا لنا بدر النعام فأحببت ان انال الشرف بطلبها من جنابكم زوجة لي فقال صادر هي لك يا ولدي وأنا ليس لي قدرة على قتال الملك صور ووزيـــره وعساكره لا تعد ولا تحصى فان كان باستطاعتكم محاربة اعدائنا والنصر عليهم فافعلوا . فقال عكرمة انا أشور عليكم ان ترسلوا كتابا الى بني هلال وتطلب من السلطان حسن وأبي زيد ودياب وزيدان ان ينجدونا ويخلصونا من الاعداء فطاب خاطر الملك صادر واستبشر بالنصر وكتب يستجير ببني هلال في هذا القصيد :

يقول الملك صادر على ما جرى لـــه | وهموم قلبـــي شاعلات نـــيران
أيهـــا الغادي على متن ضامـــر | تسبق هبـــوب الريـــح بالوديان

ادخل الى صيوان الامير ابو علــي حسن المكنا ولــد سرحــان
قــل له يا سيد الناس كلهــم يــا من حوى الجود وعـز وشان
راكب علينا عدو ابــن حــرام صور ابن زرد مــن قحطــان
وفي يوم من الايام اتانــا فوارس جبر المزيــد وعكرمة ابو شيبان
لهم همة اذا جالت الخيــل القا حموا جيشنا والبوش والنســوان
لأن هذا الخصم مــا نحن قــده واقع عليكــم تنجدونــا يا اخوان

فلما فرغ الملك صادر من كلامه أرسل الكتاب مع عبد عكرمة الى بني هــلال فركب ناقة عشارية وجد السير فاجتمع بالامير زيدان فسأله عن جبر وعكرمة فقال بخير وهما تحت خطر العدو الملك صور ثم ناوله الكتاب فلما قراه صاح بالشباب الخيل يا ركابها والعدا يا طلابها فركبت الشباب وركب الامير زيدان . أما جبر المزيدي فنزل الى الميدان فنزل اليه نمر الجارح فاستقبله جبر بضرب السيف اطاح رأسه فانحدر اخوه فجاءه عكرمة وطعنه بالرمح في صدره خرج يلمع من ظهره فانحدر الوزير فنزل اليه جبر المزيدي فانعقد الحرب بينهما الى المساء افترقا على سلام . اما بدر النعام فقالت لجاريتها زهر الروض صار لجبر اربعة ايام غايب عنا وأخاف ان يغلبه الوزير ويقتلوا ابي ويأخذوني سبية وشقت ثوبها وأرخت لثامها ولطمت على خديها وبكت وفاح مسكها وبان نهدها فقالت لها زهر الروض اصبري حتى اجيب لك الخبر الشافي فانحدرت زهر الروض فذهبت لعند جبر وقالت له صار لك اربعة ايام غائبا عنا فانشغل بال بدر النعام عندك فقال لها روحي خاري ستك وطيبي خاطرها فذهبت زهر الروض وركب جبر وانحدر الى الميدان فانحدر الوزير الى جبر وصار يهد عليه ويقول :

قال الفتى عامر مــن فؤاد أنشدا النــار في قلبي تهب وتلهب
ما شفت ما قد صار قبلك بالعدا صادر وربعــه من لقانا هــارب
ان كنت قاصــد الى حربنــا اين تغدو من سيفي الاحــدب
رد جبر الخيــل ما فينا خبــا نحنا رجال الحرب وفيهــا نرغب
سلطاننــا حسن الهلالي ابو علي حكمه مطاع في شرقهــا ومغرب
سيفي بيدي مثل نسف الصاعقة وسنان رمحي مثل لسع العقرب

فلما فرغ جبر من كلامه هجم على الوزير عامر واشتد بينهما القتال وتكامشوا على ظهور الخيل ثم وقعوا على الارض فانحدر صقر الرقاد عن الملك وضرب جبر اصابه في فخذه فانحدر عكرمة الى صقر وضربه بالسيف أرداه قتيلا وهجمت الفرسان على عكرمة وجبر ليأخذوهما بشفار السيوف ولكن ما بال رؤوسهــم تتطاير عن أجسادهم والخيل تجفل والفرسان تقع تحت حوافر الخيل فالتفت عكرمة فرأى بني هلال وفي مقدمتهم الامير زيدان هاجمين على الاعداء يقطعــون الرؤوس ويطعنون في الصدور الى ان وصلوا الى عكرمة وخلصوه من الاعــداء وضمدوا جرح جبر وربطوا فخذه وكان قد امسى المساء فدقت طبول الانفصال وافترقوا عن بعضهم . أما بنو هلال فأخذهم الملك صادر الى دار الضيافة وترحب

بالامير زيدان غاية الترحيب اما وزير الملك صور لما رأى جيشه على وشك الانذحار أرسل يخبر الملك صور بهذا القصيد :

يقول الفتى عامر على ما جرى لـه ... شفنا اهوال الحرب شفنا عجايب
ايها الغادي على متن ضامـــر ... جد السرى في برهـــا والكتايب
اذا جيت الى صور بن زرد فقل له ... وزيرك عامر ذاق اعظـم مصايب
شبين جونا عندما اغرب المســا ... ضرباتهـم تلسع مثـل العقارب
من بعدهم جونا قــروم عوابس ... فتيان مــا فيهم رجـل شايب
فان جيتنا يــا صور نلنا مرادنـــا ... وان لـم تجي غدونـا هرايب

فلما فرغ الوزير عامر من كلامه أرسل الكتاب الى الملك صور وفي الصباح انحدر جبر الى الميدان فبرز اليه الوزير وضربه بالسيف اخذها بترس البولاد فوقع السيف على رقبة الجواد فقطعها فأسرع زيدان وصاح بالوزير صوتا كأنه الرعـد فترك الوزير جبر والتفت الى زيدان والتقى البطلان كأنهما جبلان او اســدان درغامان وتقاتلا قتالا شديدا حتى انكسر سيف الوزير فصاح به زيدان وضربـه بسيفه شقه نصفين فوقع الوزير على الارض قطعتين اما زيدان فأشار الـى الفرسان ان يهجموا فتسابقت الخيل وكثر البلا والويل ولم يزل الحرب عاقدا حتى خيم الظلام فرجع بنو هلال كاسبين منتصرين فرحانين فأمر الملك صادر بذبـح الاغنام وعمل الولايم ولعب جريد وامر زيدان بالركوب الى نجد ففزع الملك صادر فزعا شديدا وقال لزيدان قطعت ذنب الحية وتركت رأسها غدا يحضر الملك صور ويملك بلادنا وصار يحشمه وينخيه فعندها قال للملك اطمئن فاننا لن نذهب الان ومرادنا نكتب الى ابو زيد يجينا بالابطال فكتب زيدان يقول :

يقول الفتى زيدان ولد غانـــم ... ولا عاش من يحوي الردى بـلاش
ايها الغادي على متن ضامـــر ... تقطع اراضي برهـــا وحراش
خش نجد العديـة وارضهـــا ... سلم على ابو زرد في الحرب هواش
نحن فـي بلاد النعام وارضهـــا ... في حي صادر كـم يتيم عاش
راكب علينا ضد يسمى بكنيتـــه ... صور ابن زرد الفارس الهـواش
ابو زيد ان وجهت الظعن صوبنـا ... اخذنـــا غنائمهم وكـل قماش
وان تعطينـــا قفا يا سلامـــه ... لا تقول واحـد من اولادك عاش

ثم طوى الكتاب وارسله الى ابو زيد اما الملك صور فأتاه خبر ان بني هـــلال صاروا في بلاد النعام فغضب غضبا شديدا وجمع العساكر والجنود ثم اتاه خبر ان وزيره قتل وهلك جيشه فهاج وماج ثم قال لمسرور بن جابر انا كنت اقسمت ان لا أدخل الى بلاد النعام حتى استولي على نجد كلها فالمراد منك الان ان تدور لنا بلاد نجد وتعرف جميع ابطالها وفرسانها وتدلني على أسهل طريق لاحتلالهـا والملتقى بيننا في وادي المعمر فشد مسرور ناقته وودع الملك وجد السير اما الملك صور فركب في جيوشه وعساكره ونزلوا بوادي المعمر ينتظرون مجيء مسرور الذي

دخل نجد وصار يتجول في شوارعها وبين الدور والبيوت ودخل صيوان السلطان حسن فرآه مرفوعا على مئتي عامود مزينة بالحرير الاخضر مما يدهش النظر وكانت الموائد لا تنقطع للضيوف من رز ولحم والسلطان حسن جالس على عرش مرصع بالجواهر واليواقيت والمرجان ولعى راسه تاج يلمع مثل الذهب والالماس ، ابو زيد عن يمينه ودياب عن شماله وبني هلال صفوف صفوف ودخل فتاح عبد زيدان وقبل يد السلطان حسن واعطى كتاب زيدان الى ابو زيد فقرأه ثم اخفاه في عبه وقال هذه مكاتبة بيني وبين زيدان فقال السلطان حسن إحك لنا بالامر الواقـــع فأنشأ يقول :

يقول ابو زيد الهلالي سلامـــــه — وكم علة تأتي على غـــير خاطـــر
اتانـــي خبر ما عاد لـــي صبر — فكم خيـــل غاير وكم سيف شاهر
جبر ابن مزيد وابنـــــي عكرمـة — لاجل بدر النعام واقعين بالمخاطـر
وفي في ضيق وشدة عظيمـــــة — وإلا ابو درغـــام زيـدان حاضر
وبعدها بـدت علايـــم شنيعـــة — الملك صور هاجـــم بالعساكـــر
ولمـــا وصلت الاعادي لصـــادر — كتب ابو درغام مكتوب ظاهـــــر
يـــا اهل الحـــي ويا سلامــــه — هذا اليوم يـوم هلال وعامـــــر
وان كان مـــا تجونـــا جميعـــا — وإلا غدونـــا فـــي لحود المقابـر

فلما فرغ ابو زيد من قراءة المكتوب قال السلطان حسن ان المنام الذي رايته في العام الماضي بدأ يتضح ويظهر ثم انشأ يقول :

يقول الفتـــى سرحان ابو علـــي — لكـــل زمان دولـــة ورجالهـا
قد حالت الدنيـــا كفى الله شرها — توطـــي كبار القوم ترفـــع نذالها
انتم تريـــدوا تلحقوا اولادكـــم — فنوقع بشدة مـــا نلاقي دوالهـــا
يجي الينا ابـن زرد بقومــــه — يسبي حريمنـــا ويقتـــل رجالها

فلما فرغ السلطان حسن من كلامه قال دياب اسمحوا لي بالذهاب والـذي يسير معي فأهلا به والذي لا يريد ان يحارب معي فهو معذور ثم انه امر بني زغبي بالركوب فاجتمعت الفرسان والابطال وركب دياب على الخضرا وتقدم الى بـــاب الديوان وأنشد يطلب الاذن من السلطان ويرغب الابطال والفرسان بالحرب والقتال:

يقول الزغبي دياب بن غانـــم — اسمع كلامي يـــا عقيد هلالهـــا
فرسان حولـك تحمي نجد والحمى — ما منهـم واحد ردي لخالهـــا
وأنت تفـــزع من ملاقاة العـــدا — وتقول بنومـــك نظرت هوالهـا
مين يزاحـــم نجد في يوم اللقا — وأبو مخيبر فـــي الوغا خيالهـا
بدر ابن غانم بالمعارك يرتمـــي — الله اكبر اذا انحـــدر زيدانهـــا
دق طبلك وانشرح يـــا بو علـــي — نحن الى كل العـــدا مفوارهـــا

فقال حسن جدوا المسير الله ينصركم ويعيدكم سالمين ثم امر بدق طبـــل

الرجوع فعادت الفرسان تهوج وتموج وركب الامير ابو زيد بقومه وساروا مع دياب الى بلاد النعام ووصلت البشائر الى الملك صادر وركب هو والامير زيدان واستقبلوهم في عراضة عظيمة لعب جريد وغناء ورقص وامر الملك صادر في احضار الموائد وبعد ان اكلوا وحمدوا المولى قعدوا ينتظرون قدوم الملك صور بن زرد اما مسرور ابن جابر فحين رأى ركوب دياب وابو زيد انسل من نجد وأسرع الى وادي المعمر يجد الخيل في الوادي والملك صور بانتظاره فتقدم وقبل يديه وقال له البشارة يا ملك الزمان فقال له هات ما عندك من الاخبار فأنشد يقول :

على ما قال مسرور بن جابر	وسعدك يا ابن زرد طلا
لما دخلت الى نجد العدية	شبه سواح قلت العقل ولا
سلطانهم حسن الهلالي	حاكم في اراضي نجد كلا
تسعين الف ركوبة سلامة	وضده يلتقي منه المذلا
دياب الخيل يكنى ابن غانم	راكب فوق خضرا قد تعلى
زيدان ابن غانم عند صادر	يحارب في الوغا عمره ما تولى
انا يا امير في نجد العدية	ركب ابو زيد ودياب تعلا
وساروا نحو زيدان الغانم	على بلاد النعام الكل جمله
وجئتك يا ملك طالب بشاره	بهم زينات تضي مثل الاهله
اركب في جيوشك يا ملكنا	بجنح الليل خليهم أذله

عند ذلك أمر صور بالركوب فركبت العساكر وانتشرت البيارق وساروا ومسرور دليلهم فلما وصلوا الى نجد دخلوا عليها من اربع جهات فعلا الصياح وكثر النواح والبكاء وقام الحرب بينهم وتغلب العدو لكثرته واسروا السلطان حسن وابو ليث الكندي وطي المالك وعرندس وغانم الرياحي وبدر الغانم والقاضي بدير وجميع الامراء وغنموا نجد بما فيها من مال ونساء وبنات وساقوا الجميع وأمر صور ان يعرضوا عليه الاسرى وهو يقول وحياة راسي ما انا عاتق احدا منهم اما الامير حسن فقال لعبده راشد احفظ هذه الابيات واقرأها امام ابو زيد ودياب :

يقول الفتى سرحان ابو علي	ونيران قلبي زايدات لظاه
غدرني زماني وبدموع بكاني	هدم تخت عزي وحرمت ضياه
الا ايها الغادي على متن ضامر	تقطع فيافي برها وفلاه
ودي كتابي للأمارى جميعا	ابو زيد انظر لعقلي تاه
ابو زيد احكي لدياب بن غانم	دياب انجدني ما قطعت رجاه
طبق علينا صور من كل جانب	وحاشونا مثل الغنم بالعصاه
فأول ما مسكوا الهلالي ابو علي	وضيق الصدر عاناه يا ويلاه
وبدر خالك يا دياب انشده	وبدر بن غانم بالحبل ذاق اذاه
تسعين امير جذبونا جميعا	وساقوا مواشينا في الفلاه
وقعت بنا نكبة وضجة عظيمة	زماننا الذي مضى يا محلاه

فلما انهى السلطان حسن الرسالة احفظها العبد وانسل بخفة وركب ناقة

عشارية وجد السرى وكتب غانم الرياحي رسالة الى زيد العجاج والى زيد بن شرهان قال ابو زيد الرياحي : صرنا في ذل وبراح . ما بقي لي حيل انهض . من ألم عظم الجراح . جد سيرك يا رسولي . وجوز وديانها والسهول . خش حمى نجد وجولي . غانم ابو بدر الرياحي . راحوا بلاد النعام . صاير على صادر زحام . ربطونا بالحبال بعد عز ودلال . لو تشوف حسن الهلالي . محصور من اربع نواح . صور قد كبس حمانا . ما بطل حاضر معانا . تعال انظر نسانا . في البكا ثم النواحي .. فلما فرغ غانم من الرسالة سلمها لعبده فأخذها وجد في السير حتى وصل الى زيد العجاج وكان زيد ابن شرهان في ضيافته فناولهما المكتوب فلما قرأوه بكوا على اسر السلطان حسن والنسوان فلما وصل الخبر لزوجة العجاج اتت الى الديوان وبدأت تشجعهم على الحرب والطعان وفك السلطان حسن من الذل والهوان فأنشدت :

تقول ام السعود ابيات ملاح	ونار الاسى زادت شعالا
ابو فاضل اسمع يا مكنّا	ودايم انت شيال الحمالا
اركب وانجد السلطان عنا	حسن يا زيد شدوا له الحبالا
ابو فاضل لا تحطها وطيه	اركب وسير لنجد العديه
وان كان خايف ردها علي	بسوق الحرب يا محلى المجالا
انا لا صور اهدم تخته وصوره	وأخرب بلاده وأهدم قصوره
يا زيد العجاج الموت احلى	ولا تطلب عز بعد الهلالي
يجوا العدا لنجد يملكوها	ونصير بعدها بسوء حال

فلما فرغت ام السعود من كلامها هبت مروءة الرجال براس زيد العجاج وقال لزيد بن شرهان قد صرنا معيرة للنساء فقم اجمع رجالك وفرسانك وأنا كذلك ونجد السير ونهجم على عساكر صور ونخلص السلطان حسن والاسرى والله تعالى ينصرنا على الاعداء فنهض زين بن شرهان وامر في الركوب فركبت العساكر وركب زيد العجاج وساروا . أما عبد السلطان حسن فانه أوصل الكتاب الى ابو زيد فلما قرأه على الجماهير المحتشدة هاجوا وماجوا وصاحوا بصوت واحد الله أكبر وركبوا حالا وأطلقوا الغارة وساروا ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا الى وادي الصباح فاجتمعوا بزيد العجاج وزيد بن شرهان وبعد السلام ساروا مجدين الى ان وصلوا لوادي المعمر فهجموا على الاعداء من جميع الجهات ضرب بالسيوف وطعن بالرماح حتى وصلوا الى قرب السلطان حسن والاسرا فسمعوا البكاء والنواح وكان حسن يندب حظه ويقول :

حسن الهلالي شكا من وقعة كأنها	سم السقطري مزج البين مشروب
وقعة عظيمة ارتحي من خالقي	تخرج همومي وهموم كل مرعوب
لا تقطع رجانا يا إلهي	هات ابو زيد مثل الريح وهبوب
ودياب من فوق خضرة محنجلة	والسيف في يده يكون مسحوب
دياب لو شفت بدر ابن والدك	مع بدير يصيح مغلوب
وبناتنا نايحه لاجل فرسانها	غانم مكتف ورزق الخيل مجذوب

فلما سمعوا صوت حسن صاحوا جئناك بالفرسان والابطال فتهللت وجـوه النساء والرجال والتقى الجيشان بالحرب والقتال وطبق ابو زيد ودياب عى الميامن والمياسر ثم فكوا الاسرا وخلصوا البنات من الاسر والاعتقال وكان الملك صور قد وصل بجيوشه وعساكره وانحدر الى الميدان وطلب مبارزة الفرسان فنزل اليه زيد العجاج ولم يزالوا في ضرب سيف وطعن رمح الى الظهر عند ذلك صاح زيد على أمراء بني هلال فنزل ابو زيد وصاح على الملك صور والتقى البطلان كأنهمـا جبلان وظلا يتقاتلان ويتكامشان حتى وقعا على الارض والخيل غايرة والفرسان متبادرة ثم نهضا وافترقا على سلام وفي الصباح نزل صور الى الميدان فنزل اليه دياب وهز في يده عود الزان حتى التوى الكعب الى السنان ثم انشد يقول :

قال دياب ابو وطفـا الزغبـي	مـن أماق العين الدمـع فاض
فاض دمعي لمـا شفت الناعمات	راخيـات جعودهن وسالبـات
والعدا حاشوا العذارى والبنـات	فذوى ورد البهـا والبيـاض
وهاج ابو وطفا على العدوان هـاج	شبه نار شاعله وسط الريـاض
كـم ملك مثلك قصـد نجدنـا	مات من ضرب قوي من ديـاب

فلما فرغ دياب من كلامه هجم على صور هجوم الذئاب فاستقبله صـور بضربات متواليات وجرى بينهما قتال عنيف وهجمت العساكر على بعضها فالرؤوس طائرة عن الابدان والخيل شاردة في الوديان الى المساء افترقوا عن بعضهم اما الملك صور فقال لقومه انا طول عمري ما لقيت اقوى من دياب ولا أفرس منه في الحرب والقتال ولكني سأبذل جهدي غدا وأقتل دياب وفي الصباح نزل دياب الى الميدان وطلب الملك صور فنزل اليه والتقى البطلان كأنهما جبلان وصاح دياب بالملك صور واعتدل على الخضرا وضربه بالسيف على هامه القى رأسه قدامه وأشار الى بني هلال فصاحوا صيحة واحدة الله أكبر وصالوا على الكفار ولحقهم زيد العجاج وزيد ابن شرهان ومالوا عليهم بضرب السيف حتى ادخلوهم الى بلادهم بعدما قتل منهم خلق كثير وغنموا أموالهم ونساءهم ثم سلطنوا الملك صادر في بلاد الملك صور ورجع بنو هلال الى بلادهم وقعدوا بأحسن حال وبعد ذلك زفوا بدر النعام على الامير جبر المزيد وحضرت الامراء والسادات وذبحوا وأولموا الولائم ووضعوا الموائد فأكلوا حتى شبعوا ثم لذوا وانطربوا ودقت الطبول ونفخت الزمور ورقصت النساء والبنات واستمر الحال على هذا المنوال في فرح وسرور وغبطة وحبور مدة من الزمان فطلب زيد العجاج وزيد ابن شرهان الاذن من السلطان حسن بالمسير الى بلادهم ثم ركبوا وساروا مع عساكرهم وجنودهـم وعاشوا مرتاحين مـن الحروب والاهوال .

قصة جوهرة العقول

(قال الراوي) بعد ان تم عرس جبر المزيدي على بدر النعام وهم في بسط وانشراح ولعب ومزاح وفي ارغد عيش واحسن حال الى ان اشتاقوا لسماع الآداب وقصائد المديح والحب والغرام يتلونها عليهم الشعراء اللمعاء ارباب الفصاحة والبيان المطلعين على أحوال الملوك والامراء وعلى جمال الفتيات الحسان وفيما هم ينتظرون جماعة منهم اذ دخل اربعة شعراء الى ديوان السلطان حسن فسلموا عليه وقبلوا يديه وسلموا على الامراء والاعيان ثم جلسوا واخذوا يتناشدون الاشعار ويتحاورون في القصائد البليغة الى ان ذكروا انه يوجد ملك عظيم الشان ذو عز وسلطان وخدم وأعوان وهو سهيل بن سيان له ولد اسمه مزيد وبنت واحدة كأنها البدر التمام اسمها جوهرة العقول وقد تعلمت سائر العلوم وكانت اديبة لبيبة ذكية اخلاقها حسنة وصفاتها مستحسنة ذات عقل وافر وادب باهر تهوى المنادمة برقائق الاشعار ونوادر الاخبار فأحبها ابن عمها الامير بولاد وقد عشقها وازدادت رغبته فيها وطلب من ابيه الملك دولاب الذي يحكم على جبل التمر والهضاب الحمر ان يخطبها له من عمه فقال له ابوه اركب يا بني في الف فارس من الابطال وخذ معك ما تريد من المال وقدم له الفضة والذهب والخيل الحسان والعبد والغلمان مهرا لجوهرة العقول فان ابى وامتنع فأنا آخذها لك غصبا عنه ففرح الغلام وايقن ببلوغ المرام وركب في جماعة من صناديد الرجال وسار في تلك الاطلال وهو ينشد الاشعار ويتغزل بجوهرة العقول ويغني ويقول :

أهيم في غمرات لا انقطاع لها ... ولم اجد مسعفا يا قوم يسعفني
وكم ابيت وجنح الليل منسدل ... اكرر النوح في سري وفي علني
ولم اجد لي سلواً عن محبتها ... وكيف اسلو وصبري في الغرام فني

ولما اقترب من بلاد عمه ارسل مبشرا لعمه بقدومه ففرح عمه بزيارة ابن اخيه وخرج لاستقباله مع جماعة من ذوي الفضل والعلم ولما رآه رحب به وعانقه وأدخله الى القصر باحتفال مهيب وبعد مرور ثلاثة ايام بالضيافة قال لعمه انه يرغب ان يتشرف بطلب جوهرة العقول زوجة له فلم نمانع عمه بل قال له ذلك غاية مرادي ولكني يا ابن اخي كنت قبل ان أرزق هذه البنت قد رأيت حلما هائلا اقلقني ، رأيت في منامي شرارة خرجت من ظهري وارتفع دخانها وملأ البراري والجبال والوديان وأنا خائف ان يتفسر حلمي بزواجها فقال له بولاد ان هي الا اضغاث احلام وما يراه الانسان في نومه لا يؤخر اعماله ولا يغير شيئا من أموره وأحواله اما المنام الذي تظهر نتائجه في اليقظة فهذا نادر والنادر لا حكم له وما زال يقنع عمه بمثل هذا الكلام حتى أنعم عليه وأجاب طلبه فزينوا جوهرة العقول بأحسن زينة وأحضروا القاضي والشهود وكتبوا كتاب بنت الملك سهيل على ابن عمها بولاد وفرحت الاحباب وعملوا الولائم والدعوات ولما دخل عليها وجدها جوهرة ما ثقبت وكانت بديعة الحسن والجمال فكانت لياليه من احسن الليالي وأيامه من أبهج الايام وبعد ذلك طلب من عمه ان يسمح له بالعودة الى وطنه مع بنت عمه جوهرة العقول فجهزها ابوها احسن جهاز وأركبها في تخت من الذهب مرصع بالدر والجوهر وركبوا معها لوداعها ثم أمر ابوها ابنه مزيد ان يسير مع اخته الى أوطان عمه في جماعة من الابطال ولما عزم الملك سهيل على الرجوع مع زوجته زهية اوصى ابن اخيه بولاد على ابنته وتقدمت امها وعانقتها وانشدت تقول:

يقول زهية ام مزيد أيا لوعتـــي	اجفان عيني هاطـــلات دمـــوع
على جوهرة العقول ايـــن غـدت	وجوهر عقلـــي غـــدا مصروع
يا ليتني قد مت قبـــل فراقهـا	انا صار جسمي والحشا ملـــدوع
مزيد جد السير مـــع ابن عمـك	واحذر بني هلال يخلوك موجـوع
بالك من زيدان تغفل وتلتهـــي	بنو هلال أعـــداء لابسين دروع

فلما فرغت زهية من كلامها رجعت مع زوجها الملك سهيل الى الديار . امـا زيدان الهلالي فكان في الصيد مع مئة فارس فلما رأى بولاد ومن معه طمع بهم وأنكر امرهم وسمع جوهرة العقول تقول لبولاد دونك وهؤلاء الانذال ابطش بهم في الحال فعند ذلك صاح بهم بولاد من انتم ايها الفرسان ومن اي قبيلة من العربان فأجاب زيدان نحن من بني هلال صناديد الرجال فقال بولاد انتم لنا من الد الاعداء وهجم على زيدان هجمة الاسد فثبت امامه زيدان وقال له سر في طريقك ولا تتعرض لنا فتندم ولا تسبب الاذى والضرر لجوهرة العقول والبنات الابكار ونحن لا نريد منكم شيئا لا نساء ولا مال ولا ترم نفسك في الذل والعار وان كان لا بد لك من القتال فانا مستعدون لقتالك وسبي جوهرة العقول والبنات فقال بولاد وقعتم بيدي فاستسلموا لنا قبل ان نأخذكم على حد السيوف ثم انطبقا على بعضهما البعض وأخذا في العراك والصدام وكان الامير زيدان اقوى من بولاد فضربه بعرض

السيف القاه على الارض فصاح مزيد اخو جوهرة العقول على رجاله وهجم بقلب اقسى من الصوان وسحب بولاد من الميدان وأركبه على الجواد ولم يزل الحرب يعمل والدم يبذل والرجال تقتل والتقي عكرمة ابن ابو زيد ببولاد فأشار يقول :

بولاد اثبت امامـــي بعزم شديد — والقـــي ضروبي وانظر مطار يدي
بفكرك تنال المفاخر عند الفوارس — وتظن انك لأبطال هلال تصيـدي
انا عكرمة مفتاح حـــرب الهلالـي — ويـــوم المعامع بطل عنيــدي
بولاد رايد هـــذا اليوم تملكنـــا — وخلفك بنـــات دلع كلهن غيـــدي
جوهرة العقول ابن العم حارسهـا — الوجه يضوي وعالقناديل يزيـــد
والعنق ريما جـــل الله خالقهـا — مثلها مـــا ربي بقصور العواميـد
لا بد ما جيبها قهرا مـــن العدا — وخلي الدما تجري بالفلا والبيـــد

فلما فرغ عكرمة من كلامه اجابه بولاد يقول :

يقول الفتى بولاد عمـــا جرى لـــه — ودموع عيني عالخدود بـــدودي
على فقد خلاني وباقي رفقاتـــي — قلبي عليهم والحشا مكمـــودي
اما جوهرة العقول فمحروســـة — بولاد حاميهـــا مـــن كل فتى عنيدي
لنا عندكـــم ثـــارات سالفــــة — حان الوفا بقتل فرسانكم والجنود

ثم التقيا في ساحة المجال وتضاربا بالسيوف وتطاعنا بالرماح الى ان اختلف بينهما ضربتان فاصلتان كان الامير عكرمة أسبق وأخبر بمواقع الضرب فأتت ضربته على رقبة الجواد فوقع بولاد على الارض فهجم ابطاله على عكرمة من كل مكـان وصاح زيدان بالابطال والشجعان والتقت الرجال بالرجال وتقطعت الاوصال وحملت عبيد بني هلال على عبيد بولاد وما زال السيف يسل والدم يبذل والرجال تقتل حتى استظهرت بنو هلال على الاعداء فهربوا وهجم بنو هلال على خيامهم فسبوا النساء والبنات ورأى الامير درغام جوهرة العقول راكبة في الهودج والعبد يقود زمام ناقتها ومراده يهرب بها فضربه بالسيف قطع راسه ورجع كل واحد من بني هلال ومعه بنت بكر اما مزيد اخو جوهرة العقول فقال لبولاد انت رميتنا بهؤلاء القوم فاكتب لابيك حتى يساعدنا فنأخذ بثأرنا ونخلص البنات فكتب لابيه يقول :

يقول بولاد عمـــا جرى لـــــه — بدمـــع جرى من مقلة العين نازلي
يا ريح ودي كتابي وقصتـــــي — وسافر بها يا ريح للجو واعتلـــي
الى بلاد كربج جد سيرك يا فتى — اسأل على صيوان بولاد وانـــزل
جبنا جوهرة العقـــول بخدرهـــا — لقينا شباب هلال بالصيد راحلي
طمعنا بهم وقلت هدول مكسبـــي — اجيبهم اسرى الى وسط منزلـــي
هجمنا عليهم بسيوفنا ورماحنـــا — غاروا علينـــا وخلونـــا بمعـــذل
وحاشوا النسا منـــا وفرفحـــوا — وجوهرة العقول راحت هرولـــي
دولاب جد السير ايـــاك تمهـــل — واضرب بني هلال بالوغـــا لا تهمل

فلما فرغ بولاد من كلامه ارسل الكتاب الى الملك دولاب فلما قراه دقوا الطبول وركبوا الخيول وركب الملك دولاب ونشرت فوقه الرايات ثم ارسل يطلب النجدة من اخيه سهيل قال :

يقول الملك دولاب عما جرى لـــه ... بدمع جرى من مقلة العين سالهـــا
يا غاديا منـــي على متن ضامـــر ... تطوي الفيافي سهلها وجبالهـــا
أقري سهيل الأخ منـــي تحيـــة ... واعطيه كتابـــا ينبي عما جرى لها
لاقوا رجالنا شباب هلال في الفلا ... على منهل من الماء صافي زلالهـــا
انحدر بولاد عليهـم من فوق ضامر ... مثل جلمود صخر انحدر بجبالهـــا
وازدحموا الجيشين في حومة الوغا ... انكسرت عساكرنـــا وربحوا هلالها
اخذوا جوهرة العقول بخدرهـــا ... وميتين بنت منـــا في مثالهـــا
اركب ولاقيني بأرض الروح عاجـل ... هيء رجالك يـــا ملك وأبطالهـــا

ثم ارسل الكتاب الى اخيل سهيل مع نجاب اما ابو زيد فسأل عن زيدان فقالوا له ذهب الى الصيد منذ عشرين يوما عند ذلك انشد يقول :

قال ابو زيد الهلالي يـــا ديـــاب ... شاب راسي من امور الدهر شاب
دق طبلك هيـــا اسرع للقـــا ... انده بنـــي زغبي وبقيـــة الشباب
نحو ارض الروح سافـــر بالعجل ... يمكن واقعين بالوغـــا يـــا ديـــاب
آخذين جوهرة العقـــول سبيـــة ... وامـــور الدهر غدراتـــه عجاب

فلما فرغ ابو زيد ركب في تسعين الفا من بني زحلان وركب دياب في تسعين الفا من بني زغبي وبقي السلطان حسن والقاضي بدير في البلاد يحفظونها مـــن الاعداء وركب الشاب وساروا على غير طريق وسبقوا العساكر . أما الامير زيدان ومن معه من الفرسان فبرز اليه بولاد واخذا في القتال والصدام وكان بولاد قد كل ومل وضعف عزمه وانحل فضربه عقل على راسه شقه نصفين فوقع قتيـــلا فعند ذلك حملت الشباب على اليهود فضربوهم بالسيوف ويطعنونهم بالرماح فلم يستطيعوا الثبات فولوا هاربين وكانت عساكر بولاد قد وصلت فالتقى بالمنهزمين فسألهم اين بولاد فقالوا قتله هلال وكسروا عساكره وجنوده فحلف دولاب انه لا يبقي من بني هلال ديارا ولا من ينفخ نارا ثم صاح بالعساكر عليهم ايها الابطال خذوا بثأر الجنود الذين قتلهم بنو هلال فهجموا على بني هلال من اليمين والشمال وفي ذلك الوقت وصلت الشباب فراوا التحام العساكر والحرب قائمة على قدم وساق فاقتحموا المعارك وطعنوا صدور الاعداء وقاتلوا أشد قتال وما زال السيف يعمل والدم يبذل الى ان رأت جوهرة العقول ان بني هلال قد ضعفت مقاومتهم وكانت رغبت في عبادة رب الانام وكرهت عبادة الاصنام فبدأت تشجع بني هلال في هذه الابيات :

تقول جوهرة العقول بما جرى ... ونيران قلبي زايدات لظاه
يا ابو درغام انا بحيكم نازلي ... انجدوني بعزمكم يا اهل السخاه
يا عكرمة انت الفتى عند اللقا ... وأخوك مخيبر بطل لا أنساه
عقل بن هولا كاسر الخيل بالوغى ... مثل ديب سارح بالفلاه
مناع لك صولات ما شفت مثلها ... كما نار هبت بجنح الدجاه
عليك سلام الله يا خير هادي ... شفيع المذنبين والرب اعطاه

ثم صاحت جوهرة العقول ببني هلال انا بعرضكم لا تفوتوني . فلما سمع الشباب نداءها صاحوا يا عزيز يا وهاب وهجموا على الاعداء وصاح الامير زيدان اليوم ولا كل يوم ثم غاروا على اليهود يمين وشمال وكثرت القتلى وصارت الخيل تتعثر بالجثث وصاح دولاب على القوم ومالوا على الفرسان بضرب السيف وطعن الرمح وكان قد قتل من اليهود مائة الف وقتلوا خمسين فارسا من عساكر زيدان وتجرحت اكثر الشباب . اما الملك سهيل لما قرأ كتاب اخيه جمع العساكر وسار طالب نجد بأربع كرات وارسل الوزير روفائيل بأربع كرات فسار يطوي الفيافي والقفار حتى أشرف على ارض الرمح يجد العساكر والملك دولاب والشباب في أشد قتال فحمل الوزير وحملت فرسانه فتلقاهم الامير زيدان وانحدر الى الميدان فانحدر اليه روفائيل والتقى البطلان يتقاتلان في ساحة الميدان وصاحت الشباب في الامير زيدان اليوم يومك يا فارس الفرسان فعند ذلك ضرب زيدان الوزير بسيفه البتار اخذه بترس البولاد ثنى عليه بالرمح صابه في فخذه ووقع الى الارض فعند ذلك حمل الملك دولاب وحملت عساكره واشتد القتال وعظمت الاهوال فلله در عقل فانه دحرج الرؤوس وطعن الصدور وكان عدد الاعداء عشر كرات وبني هلال ستين الف واذا بالغبار قد على وثار وبان من تحته عساكر بني هلال وفي مقدمتهم ابو زيد الهلالي والامير دياب فلما رأوا الحرب يعمل والدم يبذل والرجال تقتل صاحوا من كل مكان وردوا اليهود عن الامير زيدان ومن معه من الفرسان وفعلوا أفعالا تعجز عنها مردة الجان وعفاريت سيدنا سليمان فالرؤوس مقطوعة والدماء مسفوكة والابطال ثابتة والجبناء هاربة والتقى ابو زيد بالملك دولاب فراح يهد عليه ويقول :

لما قال ابو زيد الهلالي ... سيفي يجز هامات الرجال
انا ابو زيد تشهدلي العذارى ... حامي البيض زينات العوالي
وقعت اليوم في بحر عميق ... انا باز اصول وأنتم حجالي
هجمنا عليكم يا دولاب جميعا ... بخيل تسبق ريح الشمال
شباب هلال نطاحة رجال ... بحد السيف ورماح طوال
انا ابو زيد ياما لي وقائع ... على حمرا شبه الباز عالي
ولا بد اخليكم لجايا ... بالوديان تضيعوا تحت الجبال

فلما فرغ ابو زيد من كلامه حصل بينهما حرب وقتال يشيب راس الاطفال ولم يزالا في اخذ ورد وقرب وبعد الى ان كلت منهما الزنود وكان قد امسى

المساء فافترقا على سلام اما الملك سهيل فسار طالبا ارض نجد بذلك الجيش الكبير فلما أشرف على ارض بني هلال رأى نعما وخيرات لا تعد ولا تحصى فعند ذلك غارت الفرسان على الاهالي وقام سوق الحرب وكان معهم المدافع فأطلقوها دفعة واحدة وأحاطوا ببني هلال ونهبوا الاموال وسبوا الحريم وقتلوا مقدار عشرة الاف من بني هلال وأسروا خمسين الفا والباقون تشتتوا في الجبال والوديان فبكى السلطان حسن على الاهل والوطن وكيف وقع في الاسر والهوان فطلب من الموكل به ان يسمح له بكتابة رسالة فأشفق عليه وقال له اكتب ما تريد فكتب يقول:

يا ريح اطوي جبال الارض مثل سحاب ... خذ كتابي وخبرهم بما كان
سلم على الاسمر المعروف ثم دياب ... وقل لهم طير البوم قد جاني
جانا سهيل بجيش متل فيض سحاب ... صوت المدفع يرج الارض والحيطان
اكثر الناس راحت بالفلاة هراب ... اخذ حريما لكم وبنات نعساني
الست عليا تنادي سبع الغاب ... غابت رجالي وأولادي وخلاني
ميا تنادي اين راح الامير دياب ... وعدلا تقول يا عكرمة ما عدت تلقاني
سعد الرجا يا مخيبر عقلها قد غاب ... والست ريما صادوها صيد غزلاني
جبر ابن مزيد مارس ما يرتاب ... بدر النعام غدت في اول اظعاني
زيدان بنتك حسنا عرضها قد ساب ... أن كان ما تجيها تروح خسران
يا امير ابو زيد عجل على الدولاب ... اسرع الينا وخلصنا من العدوان
ولا تنسى ترسل للامير دياب ... يجيب شباب زغبي وكل الفرسان
حسن سرحان يا ابو زيد عقله غاب ... من صريخ اطفال ومن صريخ نسوان

ثم أرسل الكتاب الى ابي زيد اما الملك سهيل فوضع الاسرى بالسجن وأحضر النساء بين يديه واختار منهن سبعة وهن بدر النعام وزينب بنت حماد وسعد الرجا وزين الدار وثمرة بنت الملك سيقع ووطفى بنت دياب والست ريما وسلمهن الى الخدم ثم ساروا الى مرج الزهور اما ابو زيد لما قرأ الكتاب اعاد قراءته على الجنود والعساكر فضجوا وصاحوا الله اكبر وقال زيدان انا أكفيكم شر الملك سهيل فصاح دياب والله لا يذهب اليه غيري فقال زيدان خذ معك الامير عقل وعكرمة ومناع وحسن بن مزيد وفايد بن القاضي فأخذ دياب المذكورين وسار ببني زغبي الى مرج الزهور واذا بالعبيد سائرين وساحبين الهوادج فهجم عليهم فضرب الاول بالسيف قطعه نصفين فزغردت بدر النعام ثم ضرب العبد الثاني فقتله واذا بالهودج الست ريما ثم كمل على العبيد وخلص البنات ففرحن بخلاصهن من الاسر فقال ما الذي جرى عليكن فقالت ميا تخبره :

تقول فتاة الحي ميا التي شكت ... بدمع جرى فوق الخدود بدود
كسبنا سهيل بن الهزير بجيش ... ومعه مدافع تلفظ البارود
وحاشوا الى الزينات من كل ناعسة ... بنات مهفهفات راخيات جعود
رد الفتى الزغبي بن غانم ... انا قاهر الفرسان وبالحرب معدود
خلصت بالسيف بناتنا كلهم ... وقتلت عبيد سهيل السود

ثم أطلق الخضرا نحو عساكر اليهود وحملت معه الابطال والفرسان واشتد القتال والحرب والنزال من اليمين والشمال ثم تقدم الامير عكرمة وعقل وحملوا على اليهود ومزقوا الكتائب واظهروا العجائب وصاحوا صيحات مرعبة فاتسع المجال على دياب وقاتل قتال الجبابرة الى المساء دقت طبول الانفصال فافترقوا عن بعضهم وفي الصباح نزل الملك سهيل الى الميدان فنزل اليه دياب وتقاتلا قتالا حير الابطال والفرسان وصارت الشباب تشجع دياب فصاح بالملك سهيل خذها من يد دياب وضربه بالسيف شقه نصفين ووصل السيف الى الجواد فاختلطت جثة سهيل بجواده فلما قتل سهيل حملت اليهود على دياب فالتقتهم بنو هلال وحكموا فيهم السيوف والنصال وما ولى النهار حتى استظهرت بنو هلال على اليهود وشتتوهم في البراري والقفار وتقدم دياب وفك السلطان حسن والاسرى وهنأهم بالسلامة فشكره السلطان على شجاعته . أما دولاب وأبو زيد فقد التقيا في ساحة الميدان واخذا في الضرب والطعان ساعة من الزمان بعد ذلك ضرب ابو زيد بسيفه الملك دولاب شقه نصفين ثم هجموا على اليهود وفتكوا فيهم فتك الذئاب بالغنم وما زال السيف يعمل والدم يبذل الى ان هرب اليهود وتبعتهم بنو هلال حتى فرقوهم بالبراري والقفار ثم جمعوا الاموال والنوق وعادوا الى نجد وهنأوا بعضهم بالسلامة والنصر ثم اقاموا عرس جوهرة العقول على الامير درغام ابن زيدان فاحتظى بالحسن والجمال وقامت الافراح والليالي الملاح ثم ارسلوا مزيد الى بلاده واتفقوا معه على ان يرسل لهم الجزية كل عام ولما وصل الى بلاده أجلسوه على تخت الملك واتته الهدايا من كل مكان .

قصة الست عدلا مع حبيبها الأمير مفلح

(قال الراوي) بعد زفاف الامير درغام على جوهرة العقول كان الامير زيدان في الصيوان وحوله الجنود والفرسان اذ دخل عليهم شاعران اسم الاول نادر من قبيلة عامر واسم الثاني مروان من قبيلة قحطان فسلما على الحاضرين فـــردوا عليهما السلام واجلسوهما وهم يقولون لهما حلت علينا البركات ثم احضروا لهما الطعام والشراب فأكلا حتى اكتفيا ثم ارتجل مروان هذا القصيد :

قال الفتى مروان من ألـم الحشا — النار فـــي قلبي تريـــد وقيـــد
دستوركم يا اهـــل المكارم اسمعوا — اريـــد احكي قصتي بنشيـــــد
بنت النذل أوصيك لا تقرب لهـــا — ولو كان معهـــا أموال ثم عبيد
أن شح عنها الخير يـــوم واحـــد — ترميك في ضيقة يا فتى أكيـــد
لو كنت اوصف فعلها وخصالهـــا — لطال فيهـــا الشرح والتعديـــد
الجيدة بتزيـــد في أفعالهـــا — عن الذهب والـــدر النضيـــد
ومن يروم الحسن يقصد عـــدلا — بنت الملك خطاف قرما عنيـــد

فلما سمع الامير مفلح كلام الشاعر عزمه ان يضيف عنده فقبل دعوته وصار يوصف له الست عدلا بهذا القصيد :

قال الفتي مروان عما قد جـــرى — تا اخبرك يـــا امير في صدق المقال
لها مقامة كالغصن وخدود مورده — والوجه مشرق كأنـــه نور الهلال
شفت الذوايب كأنها خصال الحرير — مثل سواد الليـــل زادتها جمال
والحواجب نون من فوق العيـــون — والعيون السود تجرح كالنصـــال
والسنان لولـــو شبـــه البرد — والشفاف ريحـــان مع ريق العسال
والخصر ممشوق بيميل يسبي الفؤاد — كل مـــن شافها أضحى خيـــال

فقال له مفلح كيف توصلت لمعرفتها قال كنت مارا تحت قصرها وبيدي رباب كنت ادق عليها فاستدعتني وطلبت مني ان ادق امامها الرباب ففعلت ولكني لم اقدر ان احقق النظر بها لفرط جمالها وعظم بهائها ولما انتهيت من الانشاد انعمت علي ببذلة من الحرير وجوادين . اما الامير مفلح فزاد به الشوق والغرام وقال لخادمه مسعود انت رفيقي اركب جوادك فركب العبد جواده حسب الامر وركب مفلح المهر وساروا في البر الاقفر ولم يعلموا احدا الى ان وصلوا الى بـــلاد السجاف فنزلوا خارج المدينة على نهر ماء فرأوا جملة من الرعيان وكان كبيرهـم يسمى منصور فسأل مفلح عن اسمه وبلاده فقال له انا الامير مفلح من بلاد نجد ثم تذكر مفلح اهله وبلاده فصار يودع نجد وأهلها بهذه الشروقية :

قال مفلح ودمعات العيون حـدور … فوق خدي شبيه النهـر بتسيلي
والنار بالقلب كالدولاب بتـدور … جـوا حشاي وحرقت المفاصيلـي
ريح الصبـا روح يم البلاد وزور … واهدي سلامي الى اهلي المفاضيلي
اهدي سلامي بنفح المسك والكافور … لا يم ربعـي مع باقـي المنازيلـي
وقبل أيادي كل شخص شبه بدور … يا من يصلي بوقت الصباح يدعيلي
ربعي واخوتي والاهـل والجمهور … زيدأن يوم الوغا شوفك تناديلـي
لعل يا ترى أرجـع انا مسرور … شباب هـلال يبقوا يلاقولـي
يا رب يسر يا رحمان انت الغفـور … سهل لنا الاحوال يـا رب تسهيلي
لعلي اصطاد وارجع في دجا وسحور … صيدة ثمينة اصيدها بأول الليلي
لا بد عنها لو كانت بقلعة او صور … كرمال عـدلا اظهر مراجيلـي
واهجم هجمة الباشق على العصفور … في حد سيفي انا لكردس الخيلي
ولو كانت الخيل تملي برها وبحور … في عون ربي أقطع منهـم الحيلي
من صغر سني على الشدات منصور … قدام عـدلا لأصبغهـم انا بالنيلي

ثم اجتمع الرعيان حول المائدة فقال احدهم لمنصور اذا حلفناك بحياة عدلا انك لا تأكل فما تعمل فقال اعيش بلا طعام فقال له مفلح لاجل عدلا تهلك نفسك وهل هي زائدة بالحسن والجمال فقال له اخاف عليك اذا رأيتها ان تسوح في الدنيا لاجلها فقال له مفلح صف لي عدلا كما تعرفها تماما فقال :

قال الفتى منصور وعبراتي سكيب … والنار في قلبي يزيـد لها لهيب
على خشف مـر عايش بالفـلا … حارت الافكار لوصفـه ان تجيب
ان أقبلت تمشي وتتبختر غـوى … يا وجعتي بالقلب مـا لها طبيب
في قدها مـع خدها مع ندهـا … جرح الهوى واللـه شيء غريب
الراس شبه الكاس والورد بخدود … والجدايل عالكتاف تكـوي اللبيب
والحواجب كأنهـا سيف صقيـل … صنعة الخلاق لا شخص الحبيب
والعيون السود من غير تكحيـل … تقول نجم سهيـل وقت المغيب
ريقها ترياق مـن ارض العراق … دوا للمشتاق من جروحـه يطيب
والنهد رمـان قد يسبي العقـول … والبطن طـي الحرير للمستفيد
والخصر ممشوق بيميـل للنسيم … يا هنـا من حازها فهو السعيد

فلما فرغ الراعي منصور من وصف الست عدلا انسر منه الامير مفلح واكرمه ثم قال له انا من قبيلة بني هلال وامير زغبة وانا قاصد ان اذهب الى الست عدلا فهل تساعدني على رؤيتها وعلى الاجتماع بها لان مرادي ان اتزوجها وانا اعطيك عطاء من لا يخشى الفقر فقال له وهل احضرت لها معك هدية فقال مفلح هذا عقد جوهر يسوى ملك الدنيا فأخذه منه ودهش من منظره ثم قال له ان عدلا تخرج كل يوم جمعة للجنينة فضع هذا العقد امام باب الجنينة فتأخذه عدلا وتتأمل فيه وتندهش من مرآه ولا بد ان تقرأ اسمك المكتوب عليه فاستصوب مفلح كلامه ووضع العقد عند باب الجنينة ولما اقبلت عدلا كان معها ست وصائف وثلاث سراري فرأت عدلا العقد فتناولته وانبهرت من حسنه ولمعانه ثم قرات اسم الامير مفلح فسألت الوصيفات من هو صاحب هذا العقد فقلن لها لا ندري فلما رجعت عدلا من نزهتها انشغلت افكارها وتمنت ان تعرف صاحب العقد من هو يا ترى ولما نامت رأت في منامها طيرا جلس معها ينادمها ثم سافرت هي واياه وتبعتها الطيور لتقتل الطير فارتد ذلك الطير على الطيور ينتف ريشها فارتعبت عدلا وأفاقت من النوم فحكت لجاريتها عبلة ما رأت في منامها ففسرت لها المنام بأنه يحصل حرب وصدام وبعدها حب وغرام فحصل لعدلا ضيق صدر وجلست في نافذة قصرها تشم رائحة الورود مع النسيم العليل فرأت نارا تشب على العين فقالت لعبلة خذي القربة واملئيها من العين وانظري من هناك يوقد النار فذهبت عبلة الى العين وسلمت على مفلح فرد عليها السلام فقالت من اين انت ايها الامير فقال لها انا من بلاد نجد واسمي الامير مفلح وقد اكتوى قلبي من الحب فقد سمعت الشعراء يمدحون الست عدلا وانه لا يوجد لها مثيل في الدنيا فقالت انا خادمة الست عدلا وسأخبر سيدتي بأنك الامير مفلح صاحب العقد واسأل الله ان تنال مبتغاك ثم تركته وملأت القربة وعادت الى القصر وقالت لسيدتها عدلا لما وصلت للعين رأيت فتى جميل الطلعة باهي المحيا شاب شديد البأس بحواجب مقرونة وعيون سود وخدين مثل الورود فسألته عن اسمه فقال انا الامير مفلح من بلاد نجد وحكى لي عن مقصده وسبب سفره وهو انه يحبك ويهواك وهو صاحب العقد فقالت لها وما هو رأيك يا عبلة قالت اجتمعي به وتعرفي عليه لانه قاصدك من بلاد بعيدة ولم يعشق بنتا غيرك فقالت لها احضريه الى الجنينة فذهبت عبلة وبشرته بأن ستها تريد ان تجتمع به في الجنينة فدخل مفلح الى الجنينة وغلامه معه ولما حضرت عدلا الى الجنينة استقبلها مفلح بشوق وهيام وسلموا على بعضهم سلام الاحباب وجلسوا يتسامرون طول النهار فقال لها وكيف نكتب الكتاب قالت اذهب الى بلادك واحضر اكابر قومك يطلبونني من ابي فان ابى نبقى ندبر حالنا فلم يقبل مفلح ذلك الرأي وقال انا لا اذهب الا وانت معي ولما راته مصمما على رأيه طلعت الى القصر واخذت ما فيه من خفيف الحمل وغالي الثمن ولبست لبس الرجال والبست عبلة لبس خادم ونزلت الى الاسطبل واخذت اربعة جياد واعطت السايس خمسين دينارا وركب الاربعة الخيول وهم مفلح وعدلا ومسعود وعبلة

وجدوا المسير حتى وصلوا لعند منصور الراعي فقالوا له اذهب معنا فذهب معهم
وساروا قاصدين ديار بني هلال ولما وصلوا الى وادي الفرور نزلوا علـــى العين
فأكلوا وشربوا وناموا . اما جواري الست عدلا فانهن انتظرن ان تصحو الست عدلا
من النوم فلم تنهض ومضى نصف النهار وما افاقت من نومها وأبواب القصر مغلقة
فذهبت جارية الى السيدة فتنة أم عدلا وأخبرتها بأن ابنتها لم تنهض من النوم
الى الان ولا ندري ما هو السبب فأسرعت فتنة ملتاعة الى قصر ابنتها وفتحت
الباب فلم تجد بنتها عدلا فسألت الجواري اين ذهبت ستكم فقالوا لم نعرف اين
ذهبت فصاحت والدتها ولطمت خديها وندبت ابنتها وقالت يا ترى اين ذهبت وما
اصابها فهل وقعت من النافذة وصارت تقول يا دار اين عدلا ثم بكت وانتحبت
وذهبت الى زوجها واخبرته بأن عدلا مفقودة فغضب غضبا شديدا ثم استدعى
اكابر قومه واتهمهم بالمؤامرة على خطف عدلا لانه لم يزوجها لاحد منهم فقالوا له
ليس لنا علم بها وانت عندك نعمان الرمل فأحضره وهو يعرف ما جرى عليهـــا
فأمر باحضاره فلما حضر أمره ان يضرب الرمال ويعرف اين ذهبت عدلا وكان الرمال
دائما يتجسس الاخبار ويكتم الاسرار ويبينها عند اللزوم ليظهر براعته وليكسب
الاموال بتدجيله وهو يعلم ان عدلا قد ذهبت مع مفلح لانه رآهم لما ركبوا الخيل
فلما أمره الملك بضرب الرمل فتح الكتاب وقرأ ودمدم وولد البنات من بطـــون
الامهات ثم قال مولاي ، ان الرمل يدل على ان الست عدلا ذهبت لجهة الشمال الى
نواحي بلاد هلال مع امير اسمه م ف ل ح يعني مفلح ونجم المريخ يدل على انهم
نائمون عند عين السباع لاخذ الراحة فادركهم يا مولاي قبل ان يجتازوا الحدود
عند ذلك أمر الملك ابن اخيه الهدار وابنه نمر الغدار ان يأخذا الف فارس ويلحقوا
الست عدلا ويأتوا بها مكبلة بالقيود هي ومن معها من الشباب فركبوا خيولهم
وساروا مجدين الى ان وصلوا الى عين السباع فوجدوا آثارهم ولم يجدوهم لانهم
سافروا قبل وصول الهدار ونمر الغدار مع العساكر الذين اسرعوا في طريـــق
نجد فنظرت عدلا الى الوراء فرأت العساكر مسرعة نحوهم وعرفت اخاها نمر
الغدار وابن عمها الهدار فعضت على اصبعها وقالت للامير مفلح انظر هذه عساكر
ابي فقد لحقونا ليقبضوا علينا فدعنا نهرب فقال لها انا لا اهرب لاني اذا هربت
فيلحقني العار الى الابد ثم انهم حصنوا حالهم وشدوا خيولهم وقالوا لعدلا اطلعي
انت على هذه الرابية واختفي هناك وانظري حرب بني هلال فقالت الله ينصركم
عليهم ثم انها اخذت جاريتها واختفت بين الصخور ولما وصلت عساكر المـــلك
خطاف بقيادة نمر الغدار وابن عمه الهدار تقدم الامير مفلح وغلامه مسعود ومنصور
وفتحوا في المعسكر سوق مثل الميدان حتى صالت الدماء وتقابل نمر الغدار مع
الامير مفلح وتجاولا في الميدان ساعة زمان ولما ولى النهار رجعت فرسان المـــلك
خطاف وهي في حالة التلف يشكون ما اصابهم فهذا مجروح وهذا مطعون اما الامير
مفلح فانه ذهب للمكان الذي فيه محبوبته عدلا فاستقبلته بالترحاب ثم قالت له
انا اخاف عليك من كثرة الجيش فاعلم بني هلال بواقعة الحال حتى اكون مطمئنة

البال فاستصوب كلامها وكتب الى بني هلال :

يقول الفتى مفلح عما جرى له ... الدهر دولاب علينا مال
أيا غاديا مني على متن ضامر ... اقطع فيافي سهلها وجبال
ادخل على حسن الهلالي ابو علي ... وقبل اياديه احترام وكمال
وقل له يا فارس القوم في الوغا ... بادر بتجهيز الجيش وتعال
ابو زيد ودياب وشيخ الشباب ... والقاضي بدير يا سادة الابطال
مفلح غدا في حالة الضيق والعنا ... وان لم تدركوه بسرعة زال

ثم انه أرسل الكتاب مع غلامه مسعود وسار قاصدا بني هلال وفي الصباح ركب مفلح ونزل الى الميدان فصال وجال وقال اين الفرسان تنزل الى الميدان فنزل اليه الهدار وصاح به اين ابنة عمي عدلا احضرها بالحال قبل ان تذوق الاهوال فقال له مفلح اخرس يا جبان :

ايش انت والف مثلك بالوغا ... اظن عقلك راح منك واندرى
هدار قدامك مفلح يا ردي ... لا بد ما خليك تزور المقبرا
انا آخذ عدلا بسيفي والقنا ... وأدعي فوارسكم تروح مكسرا
لما تجي فرساننا وقرومنا ... ابو زيد والزغبي دياب الاشقرا
وتشوف ابو درغام شيخ شبابنا ... زيدان بوقت الكون لا يرجع ورا
رد الفتى الهدار وناري بالحشا ... يا حيف مثلك ان يكون معثرا
شارت عليك عدلا بشور خايب ... والجيد عمره ما يشاور مرا
الالف والالفين ما أحسب لهم ... والحرب عندي ليس شيء يذكرا
إبكي على عمر انقضى الهنا ... يا حيف عمرك عن قريب يقصرا
وعدلا ترى بعد منك تقهرا ... لأشرب من دمها حتى أسكرا

ثم التقى البطلان كأنهما جبلان واشتغل بينهما ضرب السيف وطعن الرمح اما مفلح فاعتدل على ظهر الحصان وطعن الهدار بالرمح ففطس تحت بطن الجواد فجاء الرمح في عنق الجواد فوقع الهدار على الارض فغار نمر الغدار على مفلح وتقاتلا قتالا حير عقول الفرسان وتمكن مفلح من نمر وضربه بالسيف فاستلقى السيف بالترس فزحل السيف على فخذه وجرحه حتى كاد ان يقطعه ووقع على الارض عندها غار مفلح ومن معه على الاعداء وقتلوا منهم مئة خيال وفي المساء افترقوا عن بعضهم اما مفلح فذهب الى عدلا فقالت له مثلك تكون الرجال يا فارس الصدام وفي الصباح نزل منصور الى الميدان فصال وجال فنزل اليه نمر الغدار فطعنه منصور بعود الزان ظن انه قاتله لكن ضربته راحت خائبة بعد ما كانت صائبة وغار نمر على منصور وسد عليه ابواب الحرب والقتال فاستغاث منصور بالامير مفلح فهجم مفلح على نمر وأخذا في الصدام وهجم الهدار على مفلح ليغدر به فصاح منصور احذر يا مفلح لكن الهدار كان وصل الى مفلح وضربه بالسيف فخلى عنها فقطعت عنق الجواد فوقع مفلح على الارض وغارت عليه الفرسان وغار منصور

يجندل الفرسان وفي هذا الوقت تعكر الجو وهجمت على الميدان فرسان ليس لها عد وفي مقدمتهم زيدان شيخ الشباب وخلصوا الامير مفلح من بين الدشمان وانزلوا بالعدا الذل والهوان فالرؤوس طائرة والدماء جارية اما مسعود فذهب الى الست عدلا وبشرها بقدوم فرسان بني هلال الصناديد فقالت قد رأيتهم فقل لي على اسمائهم فقال الذي راكب الحمرا هو الامير زيدان شيخ الشباب والذي وراءه عكرمة ابن ابو زيد وهذا دياب وذاك مناع وعقل بن هولا ففرحت عدلا بقدومهم وأملت بالنصر . اما قوم الملك خطاف فانهم باتوا تلك الليلة في أوشم حال مما اصابهم من بني هلال وفي الصباح ركب الامير زيدان وصاح بالامراء دونكم وإياهم ونزل الى الميدان والتقى بالهدار والتقى عكرمة بنمر الغدار فهجم زيدان على الهدار فسبقه مخيبر وضرب الهدار بالسيف اطار راسه عن جثته اما زيدان فهجم على نمر واقتلعه من بحر سرجه وخبطه على الارض فصاحت عدلا هذا اخي اتركه يا زيدان ثم هجمت الفرسان من جميع النواحي وشتتوهم في الجبال والوديان فلما وصل الخبر الى الملك الخطاف غضب غضبا شديدا وصاح في وزيره الدرغام قائلا خذ مائتي الف فارس واهجم على هؤلاء العربان وأنا اتبعكم ببقية الفرسان ثم ركبوا الخيول وساروا ثلاثة ايام وفي اليوم الرابع اقبلوا على الشباب فوجدوهم كاسبين غانمين ومعهم نمر اسير فصاحوا عليهم الى اين ذاهبون بعدلا هل ظننتم انكم ناجون منا ومن سيوفنا وهجموا على بني هلال فاستقبلهم زيدان والشباب بضرب السيوف وفي النشاب واشتدت المعارك والمعامع بينهم والتقى الدرغام وزير الخطاف بالامير زيدان وتقاتلا قتالا مريرا ودافعا عن انفسهما دفاعا مجيدا الى المساء افترقا على سلام . وفي الصباح نزل الى الميدان فهد ابن عم الملك فنزل اليه زيدان والتقى البطلان كأنهما جبلان او بحران متلاطمان ومن شدة القتال والضربات المتواليات انكسر سيف فهد اليمن فعند ذلك حمى زيدان الحصان وطعن فهد اليمن بالرمح في حلقه نفذ من قفاه فوقع الى الارض يتخبط بدمه فنزل فارس يقال له نفاذ فقتله زيدان ولم يزل يقتل فارسا بعد فارس حتى قتل عشرين فارسا وبعد ذلك دقت طبول الانفصال وفي الصباح نزل الضرغام الى الميدان فنزل اليه زيدان وصاح به :

انا الفتى زيدان انا شيخ الشباب	فارس الفرسان في يوم القتال
اليوم رأسك من حسامي طائر	وجثتك تلقى على وجه الرمال

فغار عليه الضرغام بقلب اقسى من الصوان وكان الوزير ساحرا ماكرا يدمدم في الكلام ويختفي ولا يبان فما رآه زيدان الا وهو مكتوفا بين يديه فصاحت عدلا بالشباب ان يخلصوا زيدان من الاعتقال وقالت لمفلح اليوم يومك دونك والاعداء ثم غنت حروبي فغار الشباب على الاعداء وفي أولهم الامير مفلح وصاحوا الله اكبر على من طغى وتجبر وتلاطمت الخيل بالخيل ووقع في عساكر اليمن الذل والويل وكان زيدان قد وصل الى السلطان حسن فقراه ثم اعطاه لابي زيد فقراه على جميع

الامراء فلما سمعه الرياشي مفرج ابو مفلح بكى فقال له ابو زيد لماذا تبكي يا مفرج لا تشغل بالك من جهة ولدك مفلح فلن نتركه يحارب وحده ثم صار دياب ينخي الفرسان وينشد الاشعار .

فصار يدافع عن نفسه ولما راى انه ليس له منهم خلاص هرب منهم فلحقه هازم الابطال وكان حصان درغام قد تعب فوقع على الارض فهجموا عليه وأسروه وساقوه الى الملك فقال له ما حملك على قتل العبيد وغيرهم من الفرسان فقال لقد كنت جائعا ومنذ اربعة ايام ما ذقت الطعام فوجدت الرعيان يأكلون فجلست معهم لأسد رمقي من الجوع فضربوني فانتقمت منهم فقال له اين رفيقك الذي كان معك لان العبيد اخذوا منك جوادين فقال درغام ان الجوادين لي لاني سمعت بجواد أصيل اشتريته من بلاد اليمن والآن راجع الى بلادي فقال له الملك لا بد لك من السجن وتذوق فيه العذاب الشديد فقال درغام ومـــاذا تريد مني حتى تطلق سراحي فقال أريد الف مهرة وألف رمح وألف سيف فقبل درغام وكتب رسالة لبني هلال يستنجد بهم ويطلب منهم الخيل والرماح والسيوف بهذه الابيات :

يقول الفتى درغام على ما جرى له	بدمع جرى من مقلة العين ساكب
ألا يا هبوب الريح بلغ رسالتـــي	الى نجد وزور اهلـــي والقرايب
سلم على امي الحزينة وقول لهـــا	تبدل ليل الصفا بليـــل المصايب
وسلم على ابـــو زيد سلامـــــة	وسلم على الزغبي دياب المحـــارب
وسلم علـــى زيدان والـــــدي	شيخ الشباب ومعطـــــي الرغايب
وسلم على حسن الهلالي ابو علـــي	وقل له جهز الجيش وشد الركايب
اتاني محمود كاسب الحمد والثنا	واخبرني عـــــن قصده والمطالب
وصلنا الى بلاد العمور وأرضهـــا	فراح محمـــــــود يجيب الحبايب
نجم السحور ومحمود في رغد وهنا	ودرغام في الحبس ذاق المصايب
دخيل عليكـــم ادركونـــي بسرعة	بليل يشع فيـــه ضـــو الكواكب

ثم طوى الكتاب واعطاه للنجاب فأوصله الى بني هلال فلما قراوه امر السلطان بضرب طبل الرجوج فاجتمعت بنو هلال وحضر الامير زيدان والشباب وصاحوا لعينيك يا ابو ضرغام وركب زيدان بقومه الستين الف أبا زيد في الرمح راحت خائبة وثنى عليه بالسيف اخذها في ترس البولاد فانكسر السيف فثلث عليـــه بالدبوس فخلى عنها فعندها تعدل ابو زيد وهجم على الدرغام وظن انه ظافر بـــه فدمدم الدرغام بكلمات الاختفاء فما رآه ابو زيد وأراد الدرغام ان يمسك ابا زيد فقرأ ابو زيد آيات كريمة فما قدر عليه ثم ان ابو زيد ضرب الدرغام بسيفه البتار فقتله بالحال وهجم بنو هلال وقتلوا الاعادي وفكوا الامير زيدان وركبوا خيولهم.
اما الملك خطاف لما وصلت اليه الاخبار زاد به الهم وجمع أرباب دولته والفرسان مقدار اربعين كرة وكل كرة مائة الف وله وزير اسمه الغطاس وله ولدان واحد اسمه كاسر والثاني اسمه دمار وركبت الفوارس وركب الملك وساروا حتى اشرفوا

على بني هلال وصاحوا فيهم الى اين تغدون يا أنذال وظهر بأول الخيل الملك خطاف ووزيره الفطاس واستعدت بنو هلال للحرب والنضال ووقفت العساكر تجاه بعضها فنزل الفطاس الى الميدان فالتقاه دياب وأنشد :

مقالات الفتى دياب بن غانم	ونار القلب زايدات شعيل
انا اليوم جيتكم في حسامي	على خضرا كالنسيم العليل
فكم درغام ذبحته بسيفي	وكم فارس غدا مني قتيل
انا اسمي دياب بن غانم	اصيد القوم بالسيف الصقيل
فأين تروح يا مسكين مني	وعقلك راح منك يا هبيل

ثم التقى البطلان في قتال شديد ما عليه من مزيد فضربه الفطاس بالرمح فقلب دياب تحت بطن الخضرا وثنى عليه بالسيف اخذه بترس البولاد وثلث عليه بالدبوس فما نال منه مراده فعند ذلك غار عليه دياب وطعنه بعود الزان فجاءت الطعنة في فخذه وثنى عليه بالسيف قطع راسه فنزل اليه كاسر ابن الملك وضرب في فخذه وسال دمه فأسرع دياب ونزل الى الخطاف وظل يحاربه عشرة ايام وفي هذه المدة التحم جرح ابو زيد وزال عنه الالم فنزل الى الخطاف وهو مقهور منه وغضبان عليه وطعنه بالرمح بين بزيه أرداه قتيلا عند لك التحمت الجيوش والعساكر ببعضها وجرت الدماء وكثرت القتلى وبعد جهد جهيد تغلبت بنو هلال على عساكر الملك الخطاف فكسروهم شر كسرة فولوا هاربين فلحقوهم ودخلوا بلادهم واحتلوها فأحضر السلطان حسن نمر الغدار اخو الست عدلا وسلمه الاحكام وأوصاه بالعدل والاحسان ثم أمر السلطان حسن بالرجوع الى الاوطان فنشروا البيارق والرايات وعادوا الى الديار بالفرح والانتصار ثم اقاموا الافراح بعرس الامير مفلح على الست عدلا فذاعت الاخبار وعلم زيد العجاج فتكدر من بني دياب فجرحه ثم ضربه دياب فجاءت الضربة في رأس الجواد فوقع كاسر على الارض فهجم اخوه دمار على دياب فضربه ابو وطفا اطاح راسه عن جثته فنزل ابو زيد الى الميدان وقال لدياب سلمت يداك فارجع انت الان وأنا اكفيك شر هؤلاء الملاعين فعاد دياب من الميدان وصاح ابو زيد هل من مبارز لا يبرز لي كسلان ولا عاجز ثم انشد هذه الابيات :

يقول ابو زيد عما جرى له	انا فارس الهيجا انا الجحجاح
انا ابو زيد الهلالي سلامة	من طول عمري اقبض الارواح

فنزل اليه الملك وطعن أبا زيد بالسنان فخاب أمله ثم ضربه بالسيف فجرحه هلال لانهم لم يدعوه فقال له ولده من الصواب ان نأخذ لهم هدية ونهنئهم ونظهر ودادنا لهم ويكون لنا الحق عليهم فاستصوب ابوه رايه فجهزوا بعض العساكر وساروا ولما وصلوا استقبلوهم بالترحاب والاكرام وسلم زيد العجاج على السلطان

حسن وعلى ابي زيد ودياب وباقي الامراء وهنأوهم بالفرح والانتصار وبعد شهر اتى نمر مع بعض الفرسان وسلم على السلطان حسن وعلى جميع الامراء فضربت النوبات وغنت البنات وعم الفرح والسرور مدة شهر ثم استأذن نمر بالعودة الى بلاده فركب معه زيدان وعجاج وفاضل وعقل ابن هولا وعددا من الجنود وساروا مع نمر وقومه يودعونهم فحلف عليهم بالرجوع الى الديار فودعوهم وعادوا الى الاوطــان .

قصة نجمة السحور

(قال الراوي) بعدما زفوا الامير مفلح على الست عدلا واستراحت بنو هلال من الحروب والاهوال كان الامراء جالسين في الديوان عند السلطان حسن فقال لهم دياب لقد مضى علينا تسعون يوما لم نغز فيها عدوا ولم نحارب واذا تركنا الغزو والجهاد فان الاعداء يغزوننا ويحتلون بلادنا فعلينا ان نتغدى بهم قبل ان يتعشوا بنا فقال السلطان حسن انتم يا بني زغبي لا تطربون الا بسفك الدماء فقال دياب ليس هذا قصدي انما المراد ان نقيم الافراح والليالي الملاح بخطبة امـــير واميرة لتزول عنا الغموم فلماذا اتهمتنا بسفك الدماء على كل حال ان سفك دماء الاعداء الذين يتربصون بنا الدوائر هو فخر لنا فقال ابو زيد يمكننا ان نقيم الافراح بدون حرب او سفك دماء وذلك بأن نخطب سميا بنت السلطان حسن لابني عكرمة ونعمل فرحة كبيرة لها قدر وقيمة وقد خطرت على البال هذه الابيات :

يقول ابو زيد الهلالي سلامـــــة ... يا حسن يـــا سلطان كـل العرب
هذا دياب الخيــل يفرج همنـــا ... ويزيـــل الاحزان عنـــا والكرب
لولا دياب الخيل مـــا ملكنا نجـد ... ولا غنمنا كـــل المواشي والسلب
تسعين يوم صار لنـــا قاعديـن ... لا احد تزوج ولا امـــير خطب
يا ابو علي دعنـــا نقيم الفــراح ... بخطبة سميا لعكرمة احسن نسب
تفرح هلال كبارهـــا وصغارها ... والهدايا تجي من دمشق ومن حلب
ثم ننزل نحن نلعب بالجريـــد ... والفتى زيدان قرم مـــا انغلب
تشبع العربان مــن خير ابو علـــي ... وندق على الاوتار ونحظى بالطرب

فقال السلطان حسن لم اجد من اصاهر احسن من ابنك عكرمة يا ابو زيـد

لانه من خاص الامراء والابطال ثم انهم احضروا القاضي بدير وتمموا خطبة الاميرة سميا للامير عكرمة وكانت سميا من احسن بنات بني هلال فذبحوا الاغنام وأولموا الولائم وبعد ذلك بمدة خرجت فرقة من بني هلال للصيد والقنص منهم موسى ومحمود ولدا دياب وعكرمة ابن الامير ابو زيد فقال موسى لعكرمة يا ابن العم صار لك خاطب سميا مدة طويلة ولماذا لا تأخذها ان كنت لا تأخذها انا آخذها فقال عكرمة نحن نشاورها فان رضيت بك فأعطيك اياها ولكن من يكشف لنا عن البنات هل هن على العين او عدن الى بيوتهن فقام محمود ابن الامير دياب وقال انا أذهب لأرى اين البنات موجودات وشد على الشقرا بنت الخضرا وسار نحو العين فوجد البنات في جنينة السلطان حسن فرأينه وقلن لوطفا هذا اخوك محمـــود فقالت الجارية لنصرخ صوت حروبي وننظر ما يجري فيه من الجهل وصاحت البنـات صوت حروبي فتقدم محمود حتى أقبل على البنات وسلم عليهن وقال للجارية انا دخيلك ان تدبري لي عروسا من هؤلاء البنات فقالت مرحبا بك يا محمود ثم قالت للبنات من منكن تأخذ الامير محمود فما احد اجابها بجواب فقالت الجارية لمحمود من تريد ان تأخذ من البنات فقال محمود اريد سميا فلما سمعت سميا منه هذا الكلام غضبت عليه وصاحت به اذهب من امامي اما تعرف بأني مخطوبة للامـــير عكرمة واذا لم تعجبك واحدة من هذه البنات فاذهب الى بلاد العمور وجيب نجمة السحور بنت الملك صادم لاني سمعت بأنها اجمل بنت من بنات الملوك عند ذلك قال محمود لا بد لي من اخذ نجمة السحور ولو قامت القيامة وسأتزوجها رغما عن كل من يمنعها عني ثم انه ترك البنات واطلق لجواده العنان واجتمع في طريقه بابن عمه درغام ابن الامير زيدان فسلم عليه وحكى له انه ذاهب لاحضار نجمـــة السحور فقال له وما السبب في ذلك الا تعجبك بنت من بنات هلال فقال طلبت سميا فأبت وبهدلتني ودلتني على نجمة السحور وصممت على الذهاب اليها ولو ذقت الاهوال فقال له انا لا أدعك تذهب وحدك وانا سأذهب معك ثم ســـــاروا قاصدين بلاد العمور لاجل نجمة السحور بنت الملك صادم الرجال وكان ابوها قد بنى لها قصرا فريدا بقرب عين الغدير وكان مفروشا بالفرش الثمينة ومحلى باللؤلؤ والمرجان ومعلق بأعلاه اربع طابات من الذهب تنير البر مسافة خمس ساعات وكان ابوها يحبها محبة زائدة لانها بديعة الحسن والجمال وقد سمع بصيتها الملك عنان فركب بعسكره الجرار واتى الى بلاد العمور ليخطب نجمة السحور ولما وصـــل استقبله صادم ووزراؤه باحتفال باهر ثم سلموا على بعضهم وبعد اتمام الضيافة قال عنان لقد جئت راغبا بأن اخطب ابنتك نجمة السحور فأجابه بالسمع والطاعة ثم اخبر ابنته بقدوم الملك عنان وقصده ان يخطبها واوصاها ان تستقبله عندمـــا يأتي الى قصرها ولما اتى الملك عنان خرجت لاستقباله فلما رأته صارت الدنيا في عينيها ظلام من منظر الملك عنان لانه كان اشنع خلق الله راسه كبير عيناه غائرتان في وجهه وقد شاخ وتساقطت اسنانه فلما رأته بهذه الهيئة الكريهة غابت عن الصواب ودخلت الى غرفتها ولازمتها حمى شديدة فلما راتها جاريتها بهذه الحالة

قالت لها يا ستي قولي لابيك لا أريد عنان ان يكون زوجي فقالت ان ابي قاس جدا وقد وعده بي وانا ما كنت اعرف انه بهذه الصورة البشعة وعمره ستون عامـــا وعمري انا عشرون عاما . اما الملك عنان فسأل عن نجمة السحور فقالوا له انها منحرفة الصحة ولكنهم تمموا خطبة عنان على نجمة السحور بالرغم منها وبعد يومين امر الملك عنان بالرحيل لاجل تحضير جهاز العروس اما نجمة السحور فكانت تنام قلقة ملتاعة وكانت ترى في نومها احلاما مزعجة ومرة رات طيرا اتى لقصرها والبسها ريشا فصارت طيرا وذهبت معه ثم اتت طيور تريد الاخذ بالثأر ثم حكت المنـــام لنعمان الرمّال فقال لها ان هذا المنام يدل على بشرى عظيمة لك وان سعدك مقبل عليك فالطير هو فتى جميل الطلعة يهواك ويحبك كثيرا وانت تذهبين معه وتأتي العساكر ويحصل حرب ولكن نحسك ولى واقبل سعدك وكفاك فخرا انك تتخاصين من عنان البشع وبعد ثلاثة ايام يصل فتاك المنتظر ولما ذهب الرمال اشتغل قلب نجمة السحور بالغرام وبعد ثلاثة ايام رات رجلين على العين فقالت لخادمتهـــا خذي الجرة واملئيها ماء واكشفي لي خبر الرجلين اللذين على العين فلبست أفخر ثيابها وتعطرت وتكحلت وصارت كأنها العروس واخذت طاسة وجرة وذهبت للعين وهي تميل كغصن البان فلما رآها محمود قال ما قولك بهذه الجارية يا ضرغام قال انها جارية نجمة السحور فمشى محمود نحوها وسلم عليها قالت ماذا تريد يا ابن الكرام قال أريد شربة ماء فملأت الطاسة وناولته اياها فشرب وحمد المولى فقالت هنيئا يا .... فقال اسمي محمود وانت ما هو اسمك قالت زهر البساتين ثم قالت له على اي شيء تفتش فأنشد :

علـــى مـــا قال محمود الهمـام	وناري بالحشا زادت ضرامـــي
عشر ايام دايـــر فـــي البراري	وسائر فـــي الليالـــي والنهـار
أدور انـــا على نجـــم السحـور	دخيلـــك اخبرينـــي بالتمـــام
دخيـــل الله دلينـــي عليهـــا	اكاد اسوح مـــن شدة هيامـــي

ثم قال يا زهرة اذا اجتمعت بنجمة السحور على يدك اغنيتك بالمال فقالت على الرأس والعين ثم حملت جرتها وذهبت تبشر ستها بقدوم محمود وابن عمه ضرغام فلما وصلت رأت نجمة السحور على وجهها علامة الفرح والسرور فاستبشرت خيرا وسألتها من هما هذان الشابان فقالت لها واحد اسمه محمود وهو الذي يحبك حبا جما والثاني اسمه ضرغام وهو ابن عم محمود فقالت لها ارجعي الى العين واحضريهما حالا فذهبت زهرة الى العين وقالت تفضلوا لعند ستي فقال ضرغام اذهب انت لعند محبوبتك وانا ابقى عند الخيل واظن انك تلتهي عندها وتنساني وانا صار لي ثلاثة ايام ما ذقت الطعام فقال محمود انا اتفق معها على موعد وأجيب لك الطعام ولا اتأخر عنك وذهب محمود مع زهرة فلما وصل محمود استقبلته، نجمة السحور بشوق واحترام وأجلسته على ريش النعام واحضرت له الطعام فأكل

بلذة وفرح وسرور وظل عندها اربعة ايام ونسي ابن عمه درغام الذي كان ينتظره واقبلت عليه رعيان الملك صادم فسقوا المواشي واحضروا الحليب والطعام وجلسوا يأكلون فتوجه نحوهم وسلم عليهم فقالوا ماذا تريد فقال الا تكرمون الضيف ومد يده وأخذ يأكل فقاموا اليه يضربوه عند ذلك سحب سيفه وقتل منهم عـــدة اشخاص وهرب الباقون فرجع درغام الى المائدة واكل الطعام وشرب الحليب حتى شبع أما العبيد فذهبوا الى الملك صادم وهم يصرخون واخبروه عن الفارس الذي فتك فيهم فقال الملك للقائد كامل خذ فرسانك واذهب الى عين الفدير واحضر ذلك الفارس الذي تعدى على العبيد فذهب القائد كامل ومعه فرسانه فلما وصل الى العين رأوا درغام متكئا على الرمح فسأله احد الفرسان هل رأيت من تقاتل مع الرعاة وفتك فيهم فقال انا تقاتلت معهم فقد كنت جائعا ووضعوا الطعام فلمـــا جلست معهم لأسد رمقي من الجوع تكاثروا علي وضربوني فانتقمت منهم فقالوا له لاجل اللقمة ترمي بهم هذه النقمة وهجموا عليه فطعن احدهم بالرمح بين بزيه خرج يلمع من بين كتفيه ثم مال عليهم وقتل منهم عدة رجال والباقون ولوا الادبار ودخلوا على الملك صادم وقالوا له ان ذلك الفارس لا يقهر وقد قتل منا عدة فرسان وما قدرنا عليه فغضب الملك غضبا شديدا وكان له اخ اسمه هازم الابطال لا يخاف الموت فأمره ان يركب بمائة بطل وأن يحضر ذلك الفارس مكتوف اليديـن فركب هازم الابطال بالفرسان وساروا الى عين الفدير فوجدوا درغام راكبا على الحصان فصاحوا به ويلك يا نذل العربان وهجموا عليه من اليمين والشمـــال فالتقاهم بضرب الحسام فتكاثروا عليه فصار يدافع عن نفسه ولما رأى انه ليس له منهم خلاص هرب منهم فلحقه هازم الابطال وكان حصان درغام قد تعب فوقع على الارض فهجموا عليه وأسروه وساقوه الى الملك فقال له ما حملك على قتل العبيد وغيرهم من الرجال فقال لقد كنت جائعا ومنذ اربعة ايام ما ذقت الطعام فوجدت الفرسان الرعيان يأكلون فجلست معهم لأسد رمقي من الجوع فضربوني فانتقمت منهم فقال له اين رفيقك الذي كان معك لان العبيد اخذوا منك جوادين فقال درغام ان الجوادين لي لاني سمعت بجواد أصيل اشتريته من بلاد اليمـن والآن راجع الى بلادي فقال له الملك لا بد لك من السجن وتذوق فيه العذاب الشديد فقال درغام وماذا تريد مني حتى تطلق سراحي فقال أريد الف مهرة والف رمح والف سيف فقبل درغام وكتب رسالة لبني هلال يستنجد بهم ويطلب منهم الخيل والرماح والسيوف بهذه الابيات :

يقول الفتى درغام على ما جرى له — بدمع جرى من مقلة العين ساكب
الا يا هبوب الريـــح بلغ رسالتي — الى نجد وزور اهلـــي والقرايب
سلم على امي الحزينـة وقول لها — تبدل ليل الصفا بليـــل المصايب
وسلم على ابو زيـــد سلامـــة — وسلم على الزغبي ديـاب المحارب
وسلم علـــى زيدان والـــدي — شيخ الشباب ومعطـــي الرغايب
وسلم على حسن الهلالي ابو علـي — وقل له جهز الجيش وشد الركايب
اتاني محمود كاسب الحمد والثنا — وأخبرني عـــن قصـده والمطالب

وصلنا الى بلاد العمور وارضهـــا | فـــراح محمود يجيب الحبايب
نجم السحور ومحمود في رغد وهنا | ودرغام في الحبس ذاق المصايب
دخيل عليكـم ادركوني بسرعـــة | بليل يشع فيـــه ضو الكواكب

ثم طوى الكتاب واعطاه للنجاب فأوصله الى بني هلال فلما قرأوه أمر السلطان بضرب طبل الرجوج فاجتمعت بنو هلال وحضر الامير زيدان والشباب وصاحوا لعينيك يا ابو ضرغام وركب زيدان والشباب وصاحوا لعينيك يا ابو ضرغام وركب زيدان بقومه الستين الف وسبقوا العساكر اما درغام فكان يقاسي العذاب في السجن ويتذكر ايام الهنا والسرور وفجأة دخل عليه نعمان الرمال وسلم عليه وبشره بخلاصه من السجن فشكره درغام واثنى على حسن اهتمامه ثم تركه وذهب لعند نجمة السحور ففتحت له زهر البساتين ودخل فسلم على محمود وعلى نجمة السحور ثم قال لهما ان ضرغام في السجن يقاسي الاهوال فنهض محمود ونظر من النافذة الى جهة الغدير فما وجد ابن عمه ضرغام ولا وجد الخيل ولا عدة الحرب فأنشد يقول :

مقال الفتى محمود عمـــا جـرى | والنار في قلبي يزيـــد لها ضرام
انقطع عزمي وحالـــي كالعـدام | يا ست نجمة مـا بقالي حيل اقوم
آه يـــا درغام لـو كنت حاضر | لأهلـــك الدشمان بحـد الحسام
آه يا سيفي ودرعـي والقنـــا | والحصان يكون فـي راسه اللجام
لكنت أركب على الاعادي ابيدهـم | وأهلك الفرسان في يوم الزحـــام

فقال نعمان الرمال لمحمود ونجمة السحور سآتيكما الليلة بجوادين فكونا على حضر فجهزت نجمة السحور خفيف الحمل غالي الثمن وفي ظلام الليل أحضر الرمال لهما جوادين فركبا وسافرا وأما زهرة البساتين فانها دخلت على نجمة السحور في الصباح فما وجدتها فعرفت انها سافرت مع محمود فأعلمت الملك صادم بأن ابنته نجمة السحور مفقودة فأحضر الرمال وقال له انظر لنا نجمة السحور بأي مكان فبعد ان دمدم فيكتابه قال انها في الطريق الى بلاد نجد مع احد الامراء عند ذلك أمر الملك اخاه هازم الابطال ان يركب بمائة الف خيال ويلحق هـــؤلاء الانذال ويرجع نجمة السحور فركب وركبت معه الفرسان وساروا يجدون السير حتى وصلوا الى جسر كبير فرأوا محمود ونجمة السحور جالسين عند الجسر فصاح هازم الابطال آه يا نذل اين تغدو بنجمة السحور من امام هذه الفرسان وكـــان محمود قد اعتلى على جواده وغار عليهم وضرب فيهم بالحسام فقتل منهم خمسين فارسا وبينما هو في أشد الضيق اذا بصياح قد انعقد في تلك البطاح وهو يقول اتاكم درغام ثم انه غار على الفرسان ونزل عليهم بضرب السنان وغار على هازم الابطال وتقاتلا وتضاربا الى المساء دقت طبول الانفصال فافترقوا عن بعضهم وسأل محمود درغام كيف نجوت من السجن قال ان نعمان الرمال دخل السجن وفكني من

القيود وأخرجني سرا من السجن لخارج البلد واحضر لي جوادا وسلاحا فوعدته بالخير الجزيل وجئت حتى لحقت بالقوم وجرى الذي جرى .

وفي الصباح برز هازم الابطال الى الميدان وطلب مبارزة الفرسان فبرز اليه درغام واخذا في الحرب والصدام وضرب درغام هازم الابطال فراحت خائبة وضربه هازم الابطال فوقعت الضربة على راس الجواد فأبرتها كما يبري الكاتب القلم فوقع درغام على الارض وغار محمود على هازم الابطال وجرى بينهما قتال حير الابطال وكان محمود قد تعب من ملاقاة الرجال فصار يدافع عن نفسه فأحاطت بـه وبدرغام الابطال من كل جانب واذا بزيدان شيخ الشباب وقومه هاجمون علـى الاعداء وصاحوا عليهم صوتا رجت منه الجبال والوديان ونزلوا فيهم ضربا بالسيف وطعنا بالرماح الى المساء انفصلوا عن بعضهم أما زيدان فسأل محمود عن نجمة السحور فقال انها على الرابية فذهبوا اليها واحضروها فسلمت عليهم اما هازم الابطال فكتب الى الملك صادم كتابا قال فيه لحقنا نجمة السحور واردنا ان نقتل محمود فأتانا درغام وبعده اتى زيدان شيخ الشباب وعساكره وجرى بيننا حرب وقتال لم يكن يخطر لنا على بال فأرسل لنا الابطال والشجعان بأسرع وقت وإلا رحنا بحد السيوف ثم ارسل الكتاب الى الملك صادم فلما قراه أقسم ان يركب الى بلاد نجد ويخربها ثم كتب كتابا الى وزيره الغطريف يأمره بالركوب ثم أمر صادم بدق الطبول وتجهيز العساكر فركبوا وركب الملك صادم وساروا يقطعون الفيافـي والقفار وأما هازم الابطال وعساكر بني هلال فانهم جددوا الحـرب والقتال وبرز الامير زيدان الى الميدان فنزل اليه هازم الابطال واقتتلا قتالا يحير الافكار واخذا في كر وفر وقرب وبعد حتى تعب هازم الابطال واراد ان يهرب فما مكنه زيدان ومد يده اليه واقتلعه من على ظهر الحصان كأنه عصفور وخبطه بالارض أدخل طوله بالعرض فلما رات عساكر هازم الابطال ما حل بمقدمهم ولوا الادبار وركنوا الى الفرار وتبعهم الجهال يضربونهم بالسيف الى ان فرقوهم بين الروابي والتلال ثم جمعوا الخيل الشاردة وجمعوا الغنائم والاسلاب ثم وضعـوا الطعام واكلوا وشربوا وباتوا الى الصباح واذا بالغبار قد علا وثار وانكشف عـن فرسان وجيوش لا تعد ولا تحصى وصاحوا بزيدان وقومه اين تغدون ونحن لكم طالبون ارموا سلاحكم وارفعوا ايديكم فلما رآهم زيدان قال لقومه ادركتنـا العساكر فاحموا انتم ظهري ثم حمل وحملت معه الفرسان والابطال والتقت الرجال بالرجال وعظمت الاهوال وجرى الدم وسال وتكردست القتلى مثل التلال وفـي المساء دقوا طبول الانفصال فرجع زيدان وقومه وهم مخضبون بالدماء وقالوا ان لم تأتنا نجدة من بني هلال هلكنا لا محالة لان عساكر اعدائنـا كثيرة لا تعد ولا تحصى فمرادي ان اكتب للسلطان حسن وابو زيد ودياب نعلمهم بهذه الاحوال فكتب هذا القصيد :

قال الفتى زيدان كياد العـدا	النار فـي قلبي تزيد لهابـي
ركبنا الى ارض العمور بجيشنـا	نبغي خلاص اولادنـا الانجـاب

حملنا على الاعداء نريد قتالهـــم وطعناتنا ترمـــي العـــدا بنكاب
قتلنا الامـير هازم وهو كبيرهـــم وقومه راحوا في البراري هـــراب
وثاني الايــام يامـــا قد جـــرى اتانا الملــــك صادم كسبع الغاب
فقومــــوا ادركونـــا بالعجـــــل فان لم تجوا رحنـــا طعن حراب

فلما وصل الكتاب للسلطان حسن قراه على الجميع ثم أمر بدق الطبول فركب ابو زيد وحسن ودياب والقاضي بدير بأربع تسعينات الوف وجدوا بقطع القفار والسهول والاوعار ولما وصلوا لمكان المعارك والمعامع راوا بني هلال في ضيق شديد فهجم ابو زيد ودياب والقاضي بدير بالعساكر والجيوش وحملت الرجال علـــى الرجال والفرسان على الفرسان وعظمت الاهوال والتقى ابو زيد بالملك صادم وهو ينخي الفرسان على الثبات في الحرب والطعان فحمل عليه فأنشد يقول :

علـــــى ما قال صادم في بيوت وناري بالحشا زادت وقــــــادي
اخذتم نجمة السحور بغدركـــــم في جنح ليــــل والعيون رقادي
لا بد أفنـــي جموعكم بمهنـــدي وأرميكــــم بالشر والانكــــاد
رد عليـــــه ابو زيد وقال لــــه انا ابـــو زيـــد قهار الاعــــادي
فلا بد عـــن قتلك وقهــــرك وأفرق جمعكـــم في الفلا والوادي

ثم التقى البطلان كأنهما جبلان وتقاتلا قتالا عظيما والتقت الرجال بالرجـــال وجرى الدم وسال فانحلت عزائم عساكر الملك صادم وكانت قد وصلت عساكـر عنان العظيم الشأن حاكم بلاد الديلم لانه لما بلغه ما جرى على عمه الملك صادم وسبي ابنته نجمة السحور وقتل هازم الابطال اخذ يستعد ليأخذ منهم بالثــأر ويخلص نجمة السحور بالسيف البتار وصار يجد السير حتى التقى بهم وهجم على عساكر بني هلال من اليمين والشمال وانتشل عمه صادم واشتد القتـــال وعظمت الاهوال فكانت وقعة عظيمة قتل فيها كثير من الابطال حتى انكسرت بنو هلال وارتدت الى الوراء وأرجعهم قوم الملك صادم وقوم الملك عنان سبع مراحل وفرح الملك عنان بالنصر ولكنهم لم يتمكنوا من خلاص نجمة السحور لذلك ارسل صادم كتاب تهديد الى بني هلال قال لهم فيه يجب عليكم ان ترموا سلاحكـــم وتستسلموا لقادتنا حتى نرفع عنكم الحرب وأول عمل تقومون به هو ارسال نجمة السحور واذا لم تفعلوا ما نطلب منكم لا نرفع عنكم القتال حتى لا نبقي منكم من يحمل السلام ثم انه أرسل لهم الكتاب فلما قراه السلطان حسن اسودت الدنيا بعينيه فجمع الامراء واستشارهم بهذا الامر فقال ابو زيد الراي عندي ان نكبسهم في الليل من اربع جهات واتفقوا على هذا الراي ثم فرقوا العساكر فأبو زيد مع بني زحلان من الشرق ودياب مع بني زغبي من الغرب وحسن مع بني دريد من الشمال والقاضي بدير مع بني عامر من الجنوب وزيدان يمسك عليهم الطريق حتى لا ينجو منهم احد ثم انهم تفرقوا وكبسوا اعداءهم في ظلام الليل وفتكوا

فيهم فتك الذئاب في الغنم لانهم كانوا غافلين وما هم حاسبين هذا الحساب فنهضوا طالبين القتال وكان ابو زيد يجول في ساحة الميدان ويمدد الفرسان وإذ التقى بالملك صادم فتجاول معه ساعة من الزمن حتى تمكن ابو زيد من خصمه وضربه ضربة شقه نصفين وكان دياب قد التقى بالملك عنان وقد رجح عليه وطعنه بالرمح في صدره خرج يلمع من ظهره ولم تستطع عساكرهم الثبات فولوا هاربين وتبعتهم بنو هلال وقد اخلوا منهم الديار ثم رجعت بنو هلال كاسبين غانمين يهنئون بعضهم بالنصر وبالغنائم وجدوا المسير الى ان اقتربوا من بلاد نجد فرأوا الهوادج والعبيد يسحبونها وفيها النساء والاطفال ومن ورائهم الخيول والفرسان وعليا تصيح اين ابو زيد وبدر النعام والست ريما وعدلا وزين الدار كن يصرخن اين الشباب والفرسان يخلصوننا من الذل والهوان وذلك ان الفطريف وزير الملك صادم أقسم انه لا يبقي من بني هلال لا كبير ولا صغير وهجم على أحياء بني هلال وبطش بهم وأسر نساءهم ولما رأى أمراء بني هلال هذه الاعمال قتلوا العبيد وخلصوا النسوان وكان جيش الوزير متأخرا يجمع الاموال والغنائم وقد وصلت اليهم بنو هلال فنزلوا عليهم بضربات تهد الجبال وقد زغردت النساء والبنات وزادت الفرحات وقد انكسرت عساكر الفطريف شر كسرة فقد حملت عليهم عساكر دياب وعساكر بني زحلان وقوات الامير زيدان والامير محمود والامير درغام واشتبك ضرب السيف بطعن السنان وهلكت الابطال ومات في ذلك اليوم خلق كثير لا يحصى لهم عدد وبينما ابو زيد يجول في الميدان التقى بالوزير الفطريف يفتك بفرسان بني هلال وهو ثابت في القتال ويصيح بعساكره خذوهم على أسنة الرماح فهجم عليه ابن زيد وتقاتل معه قتالا مريرا فما نال منه ما يريد وحملت الرجاله على الرجال وما زال الدم يبذل ونار الحرب تشتعل حتى تضايقت بنو هلال وقاست الاهوال فجعل السلطان حسن يحثهم على القتال بهذه الابيات :

يقف الفتى حسن الهلالي ابو علي	وسيفي يبري رقاب العدا والجماجم
تأسفت على الابطال وما جرى لهم	خلاهم الفطريف يولوا هزايم
يفير على الفرسان يولوا شرايد	فأين شباب هلال اهل العزايم
عتبي على ابو زيد حامي ظعونها	كأنه ولد في سريره نايم

فانطبقت الرجال على الرجال وبذلت بنو هلال الجهود وأظهرت كل شجاعتها وبسالتها وقاتلت قتال الجبابرة وأما ابو زيد فأثر فيه توبيخ حسن له فقاتل وناضل ودافع وكافح مع بني زحلان وكذلك دياب مع بني زغبي فانهم فتكوا بالاعداء فتك الذئاب بالغنم وكذلك الامير محمود وهو يصيح لعينيك يا نجمة السحور والتقى درغام بالفطريف فحمل عليه بضربات تهد الجبال الراسيات وسنحت الفرصة لمحمود فطعن الفطريف في صدره طلع الرمح يلمع من ظهره وكمل عليه دياب قطعه نصفين ولله در الامير حسن وعرندس وعقل وجبر وعكرمة فانهم قتلوا من عساكر الفطريف المئات والالوف وأجبروهم على الفرار وشتتوهم في البراري

والقفار ولما تم الانتصار لبني هلال هنأوا النعمان وأجلسوه ملكا على بلاد سعدا ومسعود وفرضوا عليه الجزية كل عام ثم رجع بنو هلال الى أوطانهم وفرقوا جميع المكاسب والغنائم وأقاموا الافراح والليالي الملاح بتتميم عرس محمود على نجمة السحور وبزفاف سميا بنت السلطان حسن على عكرمة ابن ابو زيد فأمر السلطان حسن بنصب صيوان من الحرير الاخضر محبوك باللؤلؤ والمرجان الاحمر مرفوع على عواميد من الذهب الاصفر وأحضروا الست سميا مزينة بالملابس الفاخرة ومعطرة بالروائح الزكية وأحضروا نجمة السحور بجمال تخجل منه البدور وأحضروا العريسين الى ذلك الصيوان وأجلسوهما وجلس معهما الامراء والسادات وذبحوا النوق والاغنام وحضر زيد العجاج وزيد بن شرهان والقاضي بدير وحضر جميع بني هلال ضيافة الامير ابو زيد والامير دياب وحضر الماضي بن مقرب والملك صادر ملك بلاد النعام وما زالوا في فرح وسرور ورقص وغناء مدة عشرة ايام وقد نحر الامير ابو زيد ودياب خمسة الاف من الفصلان وسبعة الاف من رؤوس الاغنام وكان جمهور من الشباب يلعبون في الدبكة على نغم الدربكة وهم يترنمون بهذه الابيات :

ميجانا عا الميجانا عا الميجانا
شفت انا الريم عالبسطه يبيع
يا حبيبي انني عندك وقيع
ميجانا يا ميجانا يا ميجانا
يا ظريف الطول وقف تا قلك
خايف يا محبوب تروح وتتملك
ميجانا يا ميجانا يا ميجانا

يا ظريف الطول يا عيوني انا
بين الحاجب والغرة نبت الربيع
حطني بجيبك بدال المحرمه
يا ورد مفتح جوات دارنا
رايح الغربة بلادك احسن لك
تعاشر الغير وتسلاني انا
ديري خدك لنذوق طعم الهنا

ثم تقدمت الجازية أم محمد مع البنات وبدأت ترقص وتغني :

هلا بالورد يا يما هلابا
فيا الله منها غصن بان
سبت عقلي بجيدكما للجين
وعقل مثل أوصاف الامين
هلا بالورد يا يما هلابا
غرست الحب منكم في فؤادي
وأنتم كيف ما كنتم مرادي

تعي وحدك ولا تجيبي حدابا
لها الحاظ سببت الخرابا
حلا تذهيبه بدموع عيني
لقد فانت دراريه النجابا
ودمع العين جاري كالسحابا
فلم يثمر سوى ذاك البعاد
على الحالين وصلا واجتنابا

وما زالوا في هناء وسرور وغبطة وحبور مدة اربعين يوما وبعد نهاية العرس اتتهم التحف والهدايا من جميع الجهات ثم طلب الضيوف الاذن من السلطان حسن بالسفر وسافروا الى بلادهم وبعد ذهاب الضيوف اجتمع الامراء عند السلطان حسن وهنأوا الامير عكرمة والامير محمود بكل فرح وسرور .

قصة الملك الزحلان

(قال الراوي) بعد ان تم الفرح بزواج عكرمة بعروسه سميا بنت السلطان حسن وزواج محمود بنجمة السحور استراح بنو هلال من الحروب والقتال مدة من الزمان وكانوا يجبون أموال الجزية من كل البلاد التي تكون تحت حكمهم وقد ارسل السلطان حسن الجباة الى الامير نمر بن الملك خطاف ليحصلوا منه ما استحق عليه من المال وكان الامير نمر قد اتفق مع وزيره والامراء في الديوان ان يمتنع عن دفع الاموال الى بني هلال لانهم اخذوا اخته الست عدلا وقتلوا أباه نمر أما نمر فسافر الى خاله الملك الزحلان فاستقبله بالبشاشة والاكرام ثم سأله عن اموره واحواله فقال له غزانا قوم من نجد بقيادة ابو زيد ودياب وزيدان وقامت الحرب بيننا وبينهم وحصلت مذبحة فينا تشيب الاطفال وقتلوا والدي وسبوا شقيقتي عدلا فغرت عليهم في حصاني لأنتقم لوالدي فألقوا القبض عليّ والآن مرادهم ان يأخذوا الجزية ويعتدوا علينا ويقع بيننا حرب لا تبقي ولا تذر فهل تساعدنا يا خالي بجنود وأبطال تحارب معنا لعلنا ننتصر على بني هلال فلما سمع خاله الزحلان منه هذا الكلام تأثر جدا وقال كيف يجري هذا ولم تعلموني كأني لا قيمة لي او كأني من جملة الاموات ثم قال له كن مرتاح البال فسوف ترى ما أفعل بهؤلاء الانذال لان حديثك كدرني في غاية الكدر والراي عندي ان تذهب اليهم على سبيل الزيارة وعند رجوعك أحضر معك الامير زيدان فتأتي معه الشباب وانا علي الباقي فأسرع نمر الغدار بالسفر الى بني هلال فلما وصل استقبلوه باحتفال مهيب فشكرهم على حسن استقبالهم له ثم دخل الى الديوان وقبل يد السلطان حسن ودعا له بالنصر ثم توجه نمر الغدار مع زيدان لانه ضاف عنده واتت أخته عدلا وسلمت عليه واقام نمر عند بني هلال مقدار شهر وهو في عز

وأمان وبعد ذلك عول على السفر فأمر السلطان حسن ان يركب عدد غفير من العسكر ليودعوه فشكره على هذا الاهتمام وعند ذلك أمر السلطان حسن بأن يودع الامير نمر بالابطال والفرسان فطلع معه زيدان وباقي الرجال مدة عشرة ايام فوصلوا الى ارض نمر الغدار وارادوا الرجوع فحلف عليهم ان يسيروا معه الى الوطن فساروا معه ونالوا خيرا بالضيافة عنده .

بعد ذلك ودعوه وعادوا قاصدين الاوطان فوصلوا الى ارض صعبة المسالك وإذ طلع عليهم عسكر جرار وهم ينادون اين تغدون يا بني هلال من الموت فصاح زيدان بقومه قائلا دونكم وهؤلاء الكلاب فأنتم ابطال بني هلال قد تعودتم على الحرب والقتال ثم انهم ارتدوا عليهم بالسيوف والرماح فوقع بينهم الحرب وكثر الفنا وتطايرت الرؤوس وجرى الدم فلله در بني هلال كم قتلوا من الاعداء الانذال وباتوا تلك الليلة على وجه الرمال بأوشم حال وفي ظلام الليل قسم زيدان رجاله اربع فرق وكبسوا العدو من اربع جهات وعلا الصراخ من كل مكان فانذعر الاعداء وضاقت بهم الاحوال واخذوا يضربون بعضهم تحت غسق الظلام ظانين انهم يضربون الاخصام ثم تركوهم وساروا على غير طريق ولما اشرق الصباح لم يروا احدا من بني هلال فلحقوهم على الآثار فأدركوهم وكان بنو هلال قد ارتاحوا فعند ذلك ارتدوا عليهم وداموا في حرب وصدام فضاق المجال على بني هلال فكتب زيدان كتابا للسلطان حسن طلب منه ان يمده بالابطال والفرسان وأرسله مع غلامه مفتاح أما السلطان حسن وبنو هلال فانهم قلقوا على زيدان ومن معه من الفرسان لطول غيبتهم عن الوطن وإذ دخل الديوان مفتاح وسلمهم الكتاب وهو يبكي ويندب زيدان ومن معه فركبت الفرسان في الحال اما عساكر الزحلان فتكاثرت على بني هلال ونزل هداد ابن الزحلان الى الميدان فنزل اليه زيدان وانصب عليه انصباب السباع وتحاربا الى المساء دقت طبول الانفصال وفي الصباح ركبوا الخيول واصطفت العساكر فنزل زيدان الى الميدان فنزل اليه هداد فانطبق عليه زيدان وطعنه بالرمح جرحه فوقع على الارض فانقضت عساكر الزحلان على زيدان وانطبقت الرجال على الرجال وجرى الدم وسال فكان عجاج وعقل بن هولا يحمون ظهر زيدان وهو ينثر الرؤوس عن الابدان وكان هداد واخوه شعلان ينخون عساكر صخر بن علقم لانهم من الابطال الاشداء وبرز هداد الى الميدان فنزل اليه عكرمة وصار بينهما قتال مرير أما هداد فأصابت ضربته حصان عكرمة فقتلته ووقع عكرمة على الرمال وهجم قومه فاختطفوه في الحال وقدموا له جوادا فركبه وانحمق من هداد وطعنه بالرمح صابه في زنده وجرحه وهجمت الابطال على الابطال وجرى الدم وسال وقد هلك كثير من رجال الزحلان وقلت رجال زيدان وفي الصباح نزل هداد الى الميدان فنزل اليه زيدان ورماه عن الحصان فأدركه شعلان وانتشله من الميدان ورجع به ثم عادوا الى القتال والتقى عجاج بهداد وضربه بسيفه البتار اطاح رأسه على الرمال فنزل شعلان الى الميدان ليأخذ بثأر اخيه هداد فالتقاه عقل ابن هولا وتقاتلا الى المساء وكان الملك الزحلان ارسل جيوشا اخرى فانطبقوا على بني هلال مثل

الوحوش الكاسرة وقتلوا منهم عدة ابطال وفي الصباح برز زيدان الى الميدان فنزل اليه شهران بن بهران وضرب زيدان بعامود من البولاد فقتل جواده ووقع زيدان على الارض فتراكضت اليه الفرسان وخلصوه من الموت وكان شهران يضرب الرجال بالعامود ويرميهم على الرمال فغار عليه ابن هولا وضربه بسيفه البتار اطار راسه عن بدنه وأخذ منه العامود وانقض على الاعداء فأبلاهم بالمصائب وكان لشهران ابن عم يقال له قرضاب مركوبه الافيال وسلاحه عامود من البولاد فنزل بين الصفين ثم غار على زيدان ولم يقدر على الثبات وهجمت بنو هلال على قرضاب ورشقوه بالحراب فما نالوا المنال وأخذ يفرقهم يمين وشمال وخسر بنو هلال خسارة عظيمة وباتوا في ذل وخوف من الدمار وقالوا لقد تأخرت عنا جيوش السلطان حسن وأبو زيد ودياب فان لم يدركونا هلكنا كلنا ولما أشرق الصباح تجدد الحرب والكفاح والتقى زيدان بقرضاب فكان قرضاب ابرع واقوى من زيدان فضربه بعامود البولاد رماه على المهاد فخلصه بنو هلال وكان عقل ابن هولا يعارك شعلان ابن الزحلان فقوي عليه وشده كتاف وقوي منه السواعد والاطراف واسره وما زال الحرب يعمل والرجال تقتل والعساكر تأتي من عند الزحلان بقيادة ملاطم وأرجوان قائلين غدا نقتل بني هلال ونذهب الى نجد نخرب الديار ونسبي النساء ثم جددوا الحرب والكفاح فبرز زيدان الى الميدان فنزل اليه قرضاب فالتقاه زيدان وانشأ يقول :

يقول الفتى زيدان قهار العـــدا	النار فـي قلبي يزيـد شرارهـا
نحنا رجال هلال فـي يوم اللقـا	سباع الكواسر هابين غبارهـا
كم فارسا من حربنـا فوق الثرى	هداد مع شعلان ذاقوا مرارهـا
واليـوم مثلهـم تغدو مائنـا	قوتا لوحش الفـلا واطيارهـا

ثم تعاركا وتضاربا بالسيوف وتطاعنا بالرماح فخاف بنو هلال على زيدان فصاحوا يشجعونه على قتل خصمه قائلين له انه جبان فثارت في راسه نخوة الابطال وضرب قرضاب طير راسه الى السحاب ثم سمعوا صوت دياب يقول ابشروا يا بني هلال فقد اتتكم الابطال ومال على العدا وسقاهم كأس الردى وكان قد وصل السلطان حسن وابو زيد وبقية الامراء وهجموا على الاعداء وكسروهم شر كسرة وهنأوا زيدان على الثبات وطول الحياة ونزل دياب الى الميدان وكان أرجوان قد جمع العساكر واتته النجدات من الزحلان فنزل الى دياب فمد يده دياب واراد ان يقلعه من بحر السرج فكان ثقيلا كالصخر ومد أرجوان يده وقبض دياب ودياب قابض عليه وتصارعا مصارعة الصناديد ثم سقطا معا على الارض وأخذا في الملاكمة وكان الوزير ارجوان قد تعب وضعف عزمه وانحل فصاح بالاعجام عليهم ايها الابطال فلطمه دياب على راسه وكانت وصلت اليه الفوارس فتركه دياب واعتلى على الخضرا بسرعة ورجع من الميدان وبات بنو هلال في عز وانتصار اما ابو زيد فدخل بالليل بين عساكر الاعجام وفي الصباح نزل الى الميدان فنزل اليه عكرمة فطعنه ابو زيد في كعب السنان قلبه عن الحصان فنزل عقل ابن هولا

فغلبه ابو زيد وكتفه وصار يأسر من بني هلال ويعطيهم الى الهنود ويقول لهم لا تقتلوهم بل اربطوهم بالحبال فنزل دياب الى ابو زيد واخذ معه في العراك والصدام ورشق الرماح فحيرا الابطال بالمعارك والقتال ثم نزلا عن الخيل يتصارعان مثل الاسود فعند ذلك دقت طبول الانفصال وحضر ابو زيد امام الوزير أرجوان فقال له من اي طائفة انت من الاعجام فقال له انا من الدخان اتيت انا وأولادي العشرة لنأخذ من بني هلال بالثأر فلما سمع الوزير كلامه شكره على اهتمامه وقال له سأقدمك على العساكر وتكون انت القائد الآمر وقدم له درعا من البولاد وسيفا يبري الاجساد وقدم لاولاده العشرة وقال له قد وكلتك فافعل ما تريد فأخذ مرداح يرتب العساكر الى فرق واقام اولاده قادة عليهم ووصاهم بالصبر والجلاد وان لا ينزل احد الى الميدان سوى الذي أشير اليه بالسنان وعند الصباح برز مرداح فصال وجال فبرز اليه عجاج فأسره مرداح بقوة السلاح وبرز اليه زيدان فتقاتلا بالسيوف وتطاعنا بالرماح الى المساء فافترقا على سلام وكان ابو زيد (مرداح) قد أرسل الى السلطان حسن ان يرسل العساكر ويضعها في طريق الاعجام ويضربوا كل العساكر التي تأتي من هناك لنجدة الوزير أرجوان ففعلوا ذلك أما ابو زيد صاحب الكر والكيد فانه اجتمع بالوزير وتفاوض معه بشأن هذه الحرب واتفقا على تقسيم العساكر الى فرقتين فرقة تحت قيادة الوزير ارجوان وفرقة بقيادة مرداح وأن يجعلوا بني هلال في الوسط ويبيدهم عن اخرهم وأعلم ابو زيد بني هلال سرا بما تم عليه من الاتفاق وسار ابو زيد بعساكره الى الوادي فانطبقت عليهم بنو هلال وارتفعت الاصوات ودارت على قوم مرداح الدائرة وما نجا منهم الا من استطاع الهرب وأخبروا الوزير أرجوان ان مرداح هو ابو زيد وهو الذي دبر هذه المكيدة اما ابو زيد فرجع الى بني هلال فوجدهم في حرب مع أرجوان فشهر الحسام على عساكر أرجوان واستظهرت بنو هلال على الاعجام ورأى الوزير نفسه ذليلا منهارا فأيقن بقرب الهلاك وقال ان ابو زيد اهلك أبطالنا وصرنا ضعفاء فاذا لم ترد لنا النجدات من الملك الزحلان هلكنا جميعا في هذه الفلوات اما الملك الزحلان فانه لما طلب من وزيره ان يمده بالعساكر جمع عددا غفيرا باشراف قادة دهاة فركبوا الخيول والافيال وساروا قاصدين مواقع الحرب والطعان ثم استنجد الملك الزحلان بالدعاس وزير الملك الغضبان وبعبده لانهما من الابطال وكان عراف التقى بقوم زيدان وصاح بهم لقد وقعتم في يدي ايها الانذال وهجم عراف على زيدان وضربه بالحسام فخلا عنها فراحت خائبة وضربه زيدان على هامه القى رأسه قدامه وصاح زيدان بقومه استعدوا للحرب واهجموا هجمات الاسود والموت بعز خير من الحياة بالذل فقالوا ان أرواحنا فدى لبلادنا وأهالينا وهجمت العساكر على العساكر واشتغل السيف والرمح في الاجساد وفيما هم في أشد القتال أقبل الوزير دعاس مع عساكره فوجد ان عساكر الزحلان محصورة ومغلوبة على امرها فأمر عساكره بالهجوم فغاروا على بني هلال فاستقبلوهم بجز الرؤوس وقطع

الاعناق وقتل من الفريقين عساكر لا تحصى .

وفي المساء افترقوا عن بعضهم وبات دعاس مكمودا متأسفا على مصرع عراف اما دياب وأبو زيد فانهم ظلوا يحاربون أرجوان حتى انتصروا وكسروا عساكر أرجوان أشد انكسار وغنم منهم بنو هلال ذخائر وعددا وخيولا ورجعوا الى الامير حسن فشكرهم وقال لهم يجب ان نسير الى زيدان فساروا قاصدين زيدان وسبقهم ابو زيد وبرفقته عشرة الاف من الفرسان اما الوزير أرجوان فالتقى بدعاس فأخبره بما جرى عليه من بني هلال وكيف انهم قتلوا الابطال وما بقي من عسكره الا القليل فتأسف الوزير دعاس وصمم على ان يبيد بني هلال ويقتل زيدان ومن معه من الابطال والفرسان ونزل الى الميدان وطلب مبارزة الفرسان فنزل اليه عجاج وتضاربا بالسيوف والنبال واختلفت بينهما ضربتان قاتلتان كان السابق دعاس فأصابت الضربة راس الجواد فوقع عجاج على الارض فنزل اليه دعاس وكتفه وهجم عليه زيد بن شرهان ليخلص عجاج وضربه بالسيف فخلا عنها وغار على زيد بن شهران وكتفه بعدما اقتلعه من ظهر الجواد فعند ذلك انطبق الرجال على الرجال وكانت وقعة من شر المعارك على بني هلال والتقى دعاس بزيدان فاستقبله بطعنة من الرمح خرقت الزرد ووصلت الى الجسد فحس بالالم وطار من عينيه الشرر وانصب على زيدان كالقضاء النازل وكان بينهما ساعة ترعب الفرسان والشجعان وكان الوزير أرجوان يضرب في بني هلال ويجندل الفرسان على الرمال وفي المساء افترقت الجيوش عن بعضها وبات زيدان بالذل والهوان ولكنه لم ييأس وصاح بقومه اثبتوا يا شباب في القتال ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلوان ان كنتم صادقين وفي الصباح تسابقت الفرسان الى الحرب والطعان وأحاطت قوات الملك الزحلان ببني هلال فخافوا على انفسهم وارادوا ان يهربوا فما وجدوا لهم طريقا ينفذون منه فضاق بهم الحال وأيقنوا بالهلال وطلبوا الفرج من القادر الجبار إله الناس وشددوا عزائمهم وقاتلوا قتال المستميت وثبتوا في الميدان الى نصف النهار وكانت قد وصلت بنو هلال الكرام فبدأوا يجزون الرقاب ويطعنون الصدور فأذاقوا الاعداء الذل والنكال وخلصوا العجاج وزيد بن شرهان من الاسر . اما الذين انهزموا من عساكر الوزير أرجوان فانهم وصلوا الى الزحلان ونعوا اليه مصرع ولده هداد وأسر شملان وهلاك الفرسان فقام وقعد وارغى وازبد وقال انا احكم على عشر كرات من الفرسان تقهرني طائفة قليلة من بني هلال وتقتل ولدي وفي الحال لبس درعا ثقيلا وتقلد بسيف صقيل ورمح طويل وحمل معه قوسا ونشابا وحرابا وركب جواده الاشهب وركب معه عدد غفير من الفرسان وخفقت فوقه الرايات وكان له غلام اسمه ظهران لم تقهره الابطال فقال له اسبقني بعشرة الاف من رجالك واضربوا بني هلال الضربة القاضية . أما الوزير دعاس والوزير أرجوان فانهما لما وصلت اليهما قوات بني هلال خففا الضغط عن الامير زيدان وقاتل ابو زيد قتالا أشد وكان قد أقبل عليهم دياب والامير حسن وبنو هلال والتقى دياب بالوزير أرجوان فأنشد دياب يقول :

يقول ابو وطفا الفتى الوثـــاب	انا الامير دياب حذاف الرقـــاب
لا بد ما افني جميـــع رجالكـــم	وأقطع لراسك مـــن قبل الغيـاب

ثم انه غار على ارجوان وطعنه بالسنان ارداه قتيلا ثم انطبقت العساكر على بعضها وقام الحرب على قدم وساق فخسرت الاعجام وولوا الادبار والتقى ابو زيد بالوزير دعاس واخذا في المعارك والصدام ودز الرمح وضرب الحسام وظلا في قتال الى المساء دقت طبول الانفصال فافترقوا عن بعضهم الى الصباح وعادوا للحرب والكفاح فخسرت الاعجام اكثر جنودها فانغبن دعاس ونزل الى الميدان وصاح ابرزوا فارس لفارس واتركوا العساكر الباقية تأخذ راحتها فنزل اليه ابو زيـد وهدده بقوله :

يقول ابو زيد الهلالـــي سلامـــة	لي قلب اقسى من حد القواضب
أكر على الاعدا اذا قـــام سوقها	اخلي الـــدم عالثرى دوم ساكب
ولا بد هذا اليوم تبقى فـــي هفا	تموت وما يدري فيـــك صاحب
وعدلا اخذناها لنحـــو بلادنـــا	ومن اجلها كانت رجالـــي تحارب
وخنتم بنا لا بد نهلـــك جموعكم	عليكم تنوح الاهل ثـــم النوادب

ثم انه هجم على الوزير مثل الاسد والتقى البطلان كأنهما جبلان ولما تقطعت بينهما السيوف وتكسرت الرماح تكامشا بالايدي فتقابضا على ظهور الخيل حتى قل منهما الحيل فوقعا على الارض وهما متقابضان ولما دقت طبول الانفصال افترقا على سلام وفي الصباح تجدد الكفاح فنزل ابو زيد للميدان فنزل اليـــه داعس فاستقبله ابو زيد بضرب السيف على هامه اطاح راسه قدامه وعند ذلك هجمت الابطال على الابطال والفرسان على الفرسان وجرى الدم وسال وحل في عساكر العجم الدمار . اما دياب فركب بالليل مع اخيه زيدان وبني زغبي الشجعـــان وساروا قاصدين الزحلان لانه اتاهم خبر ان الزحلان ارسل ظهران بعشرة الاف فارس ليقضوا على بني هلال فالتقوا بهم بسهل واسع فنزل ظهران الى ساحة الميدان وعليه درع لا تعمل فيه السيوف فطلب مبارزة الفرسان فنزل اليه فارس فقبضه ظهران وقذفه في الجو فصار يبرم في الهواء كالدولاب فلما رآه دياب اسرع اليه واستلقاه على ظهر الخضرا واخرجه من الميدان واركبه جواده وارتد الى ظهران وأخذ معه في الحرب والقتال فأراد ان يقبض على دياب ويرميه في السحاب ومد يده ليقبض عليه فضربه دياب بالحسام على صدره فوقعت الضربة على درع البولاد فلم يبلغ منه المراد ثم انه طعنه بالسنان فانكسر الرمح فحينئذ رمى نفسه عليه وتكمش به ليرميه على الارض فوقعا معا واخذا بالمصارعة امام الفرسان وخاف بنو هلال على دياب وكان زيدان قد رجع الى وعيه فأمر الفرسان بالهجوم على الاعداء فغاروا عليهم وقام ضرب السيوف وطارت الرؤوس عن الابدان ووقعت الاعجام في الذل والخسران فقتل اكثرهم وهرب الباقون وكان الامير دياب في العراك مع

ظهران وقد وصل الملك الزحلان بجيوشه ورد بني هلال عن الاعجام وفي المساء افترق دياب عن ظهران وابتعدت العساكر عن بعضها اما ظهران فقد واجه الملك الزحلان فسأله عن بني هلال فقال له اقبلت للميدان فجاءني زيدان فتحاربت معه ساعة من الزمان ثم قبضت عليه واقتلعته من على ظهر الحصان ورميته على الرمال فأقبل رفيقه راكب على خضرا تسبق هبوب الريح تحاربت انا وإياه ساعة اغلبه وساعة يغلبني حتى ضاقت نفوسنا الى المساء افترقنا عن بعضنا ولكنهم ابطال وعندهم صبر وجلد على القتال فقد قتلوا اولادك والوزير ارجوان والوزير دعاس وجندلوا الابطال فلما سمع هذا الكلام حلف ان يبيد بني هلال وما يخلي منهم انسان . اما ابو زيد والسلطان حسن فقد هجموا على الاعجام وشتتوهم في البراري وكسبوا منهم ذخائر كثيرة وتبعوا دياب في تلك الشعاب وأقبل عليهم صادر من بلاد النعام ومعه الابطال فسلم عليهم سلام الاشتياق وكان يدفع الجزية والخراج لبني هلال ويمدهم بالجنود لان بني هلال ساعدوه في حربه مع صور ابن زرد كذلك اتى الزحلان وساعد بني هلال على قتال الزحلان اما ظهران فنزل الى الميدان وطلب مبارزة الفرسان فبرز اليه الامير زيدان وقلبه ملآن من الغيظ على ظهران فضربه بعود الزان اصابه في كتفه ووقع على الارض والرمح مشكوك فيه فهجم ابن عمه كاسر العدا ليخلصه فخاف دياب ان يبقى ظهران حيا فأسرع وجز رأسه بالحسام فصاح كاسر الرجال بالهجوم على الاعداء وانطبق على بني هلال وردهم الى الوراء اما دياب فأخذ درع ظهران ولبسه وغار على الاعداء كالاسد وجعل القتلى تلول تلول حتى وصل الى الامير زيدان ففرق عنه الصفوف عند ذلك نزل الزحلان الى الميدان وغار على الامير زيدان ففرق عنه الصفوف عند ذلك نزل الزحلان الى الميدان وغار على الامير دياب من الوراء وأخذه اسيرا وقاده ذليلا حقيرا وقال له اليوم اخر ايامك وسلمه الى رجاله ورجع الى المعركة يجز الرؤوس عن الابدان وأقبلت عساكر صادر مع بني هلال وبذلك انفرجت بنو زغبي والشباب واخذوا يفتكون بالاعداء فتك الذئاب بالغنم واحتدمت المعارك بشدة الى المساء افترقوا عند اشتداد الظلام فسأل ابو زيد اين دياب ؟ فأخبروه انه اسير مع مائة من الامراء والفرسان فاحمرت عيناه وصاح كيف جرى هذا المصاب ثم انه أحضر عقل بن هولا وعشرة من الصناديد وصبغهم بلون العبيد والبسهم لبس الاعاجم وسار بهم في الظلام حتى قربوا من عساكر الاعداء فأعطى كل واحد منهم قضبانا من البنج وسار كل واحد منهم في فرقة من الفرق ودخلوا بين الاعجام فجال ابو زيد وجماعته بين عساكر الزحلان وهم يظنون انهم من الاصدقاء ومشوا الى السجن في شدة الظلام فبنج ابو زيد الحراس وفك دياب ومن معه من القيود والتقى ابو زيد بنمر الغدار فقتله وأخذ منه الدرع والبسه الى دياب ثم قتل كاسر العدا وأخذ درعه ورجعوا الى الخيام فشكره دياب وفرحت بنو هلال بخلاصهم من الاسر ولما عرف الزحلان بأعمال ابي زيد تكدر وتنغص عيشه وتمرمر وبكى على ابن اخته نمر الغدار وعلى كاسر العدا ولما اشرق الصباح نزل الزحلان الى الميدان وطلب مبارزة الفرسان فنزل اليه السلطان حسن وكان من الجبابرة العظام

الذين تعودوا ضرب الحسام وانشد يقول :

يقول الفتى حسن الهلالي	الحرب والندى من الولايم
لا بد ما اسقيك كأس الردى	يبقى دمك على الثرى عايم
نحنا تعودنا على ذر القنا	سيوفنا تبري رقاب وجماجم
ايام سعدك ابوابها أقفلت	والنحس اتاك وصار لازم

فانطبق عليه الزحلان بدون كلام وتعاركا وتقاتلا حتى كلت منهما الزنود فأشار حسن الى قومه بالهجوم فانحدفت عساكر بني هلال على عساكر الاعجام واذاقوهم كأس الحمام وتكردست القتلى وغرقت أرجل الخيل بالدماء وهجم الامير ابو زيد على الزحلان ليساعد السلطان حسن عليه فترك الزحلان حربه مع السلطان حسن والتفت الى ابو زيد وتقاتل معه قتالا مريرا وكاد يتغلب عليه فلما رآه دياب يرجح على ابو زيد هجم عليه كالاسد الرئبال وضربه بالحسام قطعيده ووقع طرف السيف على ابي زيد فجرحه ووقع على الارض فتسابقت اليه بنو هلال وسحبوه من الميدان يضمدون جرحه وتأسف دياب لما حصل لابي زيد وأراد ان يكمل على الزحلان فلما رآه فقد ولى هاربا والدماء تسيل من زنده المقطوع اما ابو زيد فكان مغمى عليه فلما افاق سألهم ماذا جرى فقالوا له ان دياب خاف عليك من الزحلان فهجم عليه وقطع يده وكنت انت والزحلان في أشد القتال والالتحام فبعد أن انقطعت يد الزحلان اصابك طرف السيف فجرحك والحمد لله على سلامتك وفي الصباح انحمق الزحلان من قطع يده ونزل الى الميدان فنزل اليه دياب وكلما سدد اليه الضرب يختفي الزحلان ثم يعود ويقاتل دياب ويضربه بالحسام فيحتمي دياب بترس البولاد الى ان انكسر السيف في يد الزحلان فخاف على نفسه وأراد ان يختفي ويزوغ من دياب فما مكنه بل ضربه بالسيف قطعه هو والجواد عند ذلك هجمت بنو هلال على الاعاجم وذبحوهم كالاغنام عند ذلك صاحوا وطلبوا الامان والقوا السلاح فانكفت بنو هلال عن الحرب واستلموا سلاح الاعاجم وساروا الى بلاد الزحلان وغنموا الاموال والتحف غالية الاثمان وأرسلوا الاخبار الى البلاد التي كان يحكمها الزحلان وأجبروهم على الطاعة وأقاموا عليهم ملكا من بني هلال يحصل لهم الخراج كل عام ثم رجعوا الى نجد فاستقبلتهم النساء بالرقص والغناء ثم ودعهم الملك صادر ورجع الى بلاده بعد ان حملوه هدايا كثيرة واموالا غزيرة وعفوه من الخراج ورجعوا الى ما كانوا عليه من الافراح وإحياء الليالي الملاح .

قصة طير زيدان

(قال الراوي) بعد ان انتصر بنو هلال على الملك الزحلان واقاموا الافراح واحيوا الليالي الملاح وكانت الايام ايام عيد ، وداير بينهم لعب الجريد وإلا مقبل عليهم خيال اسمه مفلح السقار وعلى يده طير جميل اسمه الاسيري فتقدم الى زيدان وسلم عليه وقال له ان الامير همام حاكم بلاد الشيخ والارض البيضاء أرسل لك هذه الهدية فأخذ زيدان منه الطير فرآه من احسن الطيور وريشه ملون بأحسن الالوان ففرح به زيدان غاية الفرح وفرق الخلع على الشباب واعطى مفلح السقار عشرة رؤوس من الخيل الجياد ومائة ناقة لاجل الامير همام الذي اهداه الطير فأخذ مفلح الهدايا وعاد الى بلاده وصار زيدان يركب كل يوم للصيد والقنص ويصيد كثيرا من الطيور والحجلان والغزلان بواسطة هذا الطير وفي يوم من الايام وهم سائرون في البر رأوا ناقة شاردة فأرسل زيدان طيره خلفها وغارت الخيول وراءه فلما وصلوا اليه وجدوه قد ذبح الناقة من الوريد الى الوريد فتعجبوا من عمل الطير الغريب وبعد ايام خرج زيدان الى الصيد ومعه مئتان من الشباب فرأوا سربا من الغزلان فأطلق زيدان الطير على الغزلان ثم أطلقوا الخيل وراءه وفتشوا عليه فما وجدوا له اثرا فانقهر زيدان عليه وكأن صاعقة من السماء نزلت عليه وأقسم انه لا يعود الى نجد حتى يجد الطير المكنى بالاسيري وظلوا يفتشون عليه مدة اربعة ايام في كل مكان فما رأوه ولا سمعوا عنه أي خبر عند ذلك اجبروا زيدان على الرجوع الى الاوطان فقالا لا حول ولا قوة الا بالله ورجعوا الى نجد وبقي زيدان لا يأكل ولا يشرب فقال له السلطان حسن كف عن الزعل يا زيدان والدنيا مليانـــة طيور فاقتني غيره وتسلى به ولعل الله سبحانه وتعالى يرد عليك طيرك فقال زيدان لقد تولعت كثيرا بهذا الطير وحزني على فقده كبير واني مستعد ان

ادفع لمن يأتيني به الف ناقة واعطيه مهري وما يريد لانه سلطان الطيور عيونه مثل البرق صياد ماهر وقد ذبح الناقة مثل بني آدم عند ذلك أمر السلطان حسن الامير دياب ومناع ان يأخذوا معهما الجنود والعساكر ويفتشوا على الطير بكل البلاد ويردوه الى زيدان فقال دياب لابي زيد اني ارى همتك باردة أما تريد السفر معنا قال له ان الدهر خوان وليست المغامرة محمودة وينبغي على الانسان ان لا يقدم على عمل حتى يستشير من هو اعلم منه فقال السلطان حسن وما هو رأيك يا ابا زيد بهذا الامر قال ابو زيد من اين جاء الطير اجاب زيدان من بلاد الشيخ من عند همام وهو من عند منيف حاكم نهر البارود والارض البيضاء فقال ابو زيد ليركب مناع وجبر المزيد ومرشد ومخيبر وحسن وعقل ابن هولا ويأخذوا خمسمائة شاب من الذين عليهم الاعتماد ويجدوا السير الى بلاد همام ولا احد منهم يذهب الى منيف بل همام يبعث من يدور عليه في تلك البلاد واوصيكم ان لا تدخلوا من حدود خيبر وهم اربعة ملوك منهم الملك المشهور حاكم بلاد الشحوط والملك منصور حاكم الجزاير والملك رعد ابن حنظل حاكم بلاد خيبر وهؤلاء المذكورين عندهم كرات الوف من الابطال فقال السلطان حسن لنرسل معهم من يعرف الطرق السليمة ويدلهم عليها حتى لا يذهبوا الى البلاد التي قلت عنها فنجري أمور واحوال نحن في غنى عنها فتقدم بدر بن غانم وعقل بن هولا وقالا نحن نذهب معهم فشكرتهم الامراء وركبوا على الخيل فراح زيدان يكتب الى همام عن الطير وختم الكتاب بهذا القصيد :

قال زيدان ابن غانم في مقام	نار قلبي بالحشا زادت شعال
ضاع مني الطير مدري ايـن راح	بحثت عنه في الفيافي والقفار
أريني جودك يـا زين الملاح	في رجوع الطير من فوق التلال

ثم طوى الكتاب وارسله الى الهمام مع بدر فركبوا وساروا يجدون السير حتى اشرفوا على بلاد همام فلما دخل بدر الى الديوان نهض همام قائما واستقبله استقبالا لائقا وأجلسه على يمينه وتقدم غلام زيدان واعطى الكتاب لهمام فتأسف على فقدان طير زيدان وأمر بركوب العساكر وبالمسير الى بلاد منيف وقال همام الى بدر ابقوا انتم هنا الى ان اعود اليكم ثم ركب مع جماعته وساروا الى بلاد منيف ولما وقعت العين على العين سلموا على بعضهم سلام الاحباب اذا كانوا غياب واكرمهم غاية الاكرام وانزلهم في اعز مكان ثم قال همام لقد اتى الينا امير من أمراء بني هلال اسمه بدر ابن غانم وقال ان الطير الذي ارسلته له فقد منه فقال له منيف اكراما لكم سنفتش عليه بأربع اقاليم الارض وفي كل البلاد والآن انا مشغول البال بخصوص الوزير مبشع اتى الى بلادنا وطلب ذخيرة وارسلناها له مع ولدي مبلغ وبعد قليل يحضر ولدي ونركب وندور على الطير فقال همام لمنيف بارك الله فيكم واقبل مبلغ وسلم على همام ومن معه ثم سأله والده منيف عن الوزير مبشع وعن مقدرته فقال انه سلطان ودولته عظيمة وعنده طير ليس له نظير سمعت

ان غلامنا عنقا لقطه من البرية واعطاه للوزير مبشع فقال منيف ان الطير الذي ذكرته هو سبب مجيء همام لزيارتنا وهو طير زيدان قد ضاع منه منذ ايام فعلينا ان نطلبه منه بالمعروف فان ابى نخبر بني هلال وسار منيف ومعه مئة فارس الى الوزير مبشع فترحب بهم فقال له همام ان الطير الذي اتى به غلامنا عنقا هو طير حسن سلطان بني هلال الذين فتحوا البلاد وانتصروا على سائر الملوك فالامل ان ترده لهم فلما سمع مبشع ذلك الكلام قال له اتخوفني بعساكر بني هلال وسوف اريك ما افعل بهؤلاء الانذال ثم القى القبض على منيف وابنه مبلغ وعلى همـــام ووضعهم في السجن وارسل قومه ليصادروا ارزاق منيف فوصل الخبر الى الاميرة نجلا فأمرت بالرحيل هي وقومها فلما وصل قوم الوزير ما رأوا لهم اثرا .

اما شباب بني هلال الذين هم مع بدر وهم مناع وعقل ابن هولا ومرشد بن دياب ومخيبر بن ابو زيد وحسن المزيدي والشباب البالغ عددهم مائتين فقال لهم مناع هيا بنا نسير الى همام لان غيبته قد طالت فركبوا الخيول ولم يعلموا بدرا وساروا فراوا في طريقهم نجلا مع حريم منيف فقالت لهم ان منيف وهمام ومبلغ ذهبوا لعند الوزير مبشع ليأخذوا منه الطير فألقى القبض عليهم وسجنهم فلما سمع شباب بني هلال ذلك الخبر هاجوا وماجوا وقالوا لها ابشري بالخبر وبخلاصهم من الاسر والعذاب واخذ مناع يكتب الى بدر يعلمه بالامر الواقع قال له ان همام ومنيف ومبلغ ذهبوا ليأخذوا الطير من الوزير فألقى القبض عليهم وسجنهم وهم بأوشم حال ثم أرسل الكتاب الى بدر فلما قرأه تنغص عيشه فقال له الشبـــاب وجماعة همام ما الخبر ؟ فأخبرهم بما جرى فحينئذ هاج القوم وعلت الضجات فقال لهم بدر الخيل يا ركابها والعدا يا طلابها ثم ان بدر أرسل يعلم بني هـــلال بهذا القصيد :

يقول الفتى بدر الامين بما جـــرى	ونيران قلبـــي زايدات شعـــال
أيا غاديـــا مني على متن ضامـــر	الى حسن سلطــــان كـل هــلال
لمـــا ركبنا مـــن حمى نجد يا ملـــك	وحزنـــا قرى سهلهـــا وجبـــال
وصلنا الى نزل الامير همام الفتـــى	فعاد يسألنا عـــن قوم هــلال
فقلت طير زيدان ضاع واختفـــى	وطلب بـــلاده يـــا امير بالحـــال
وجانـــا الرياحي بدر ابـــن غانم	قاصد بلادنـــا وصحبتـــه جهال
يا امير ابو مبلغ فكـــن مساعـــد	واجمع رجالك بالعجـــل للنزال
قالوا الطير عنـــد مبشع اميرهم	فراحوا لعنده يضربـــوا الامثـــال
طلبوا منـــه طير الهلالي ابو علـــي	فحط الوفـــد فـــي قيود ثقـــال
وارسل الى منيف ليخرب بـــلاده	فهربت عيالـــه الى بين التـــلال
ابو زيد يـــا كاسب البر والثنـــا	اقبـــل الينا بجملـــة الابطـــال

ثم ان بدر ارسل الكتاب الى بني هلال فقراه السلطان حسن على الامراء ثم ان ابا زيد صاح الخيل يا ركابها وقال دياب هبوا يا فرسان الوغى وضربت الطبول وصارت العرب تهوج وتموج وركب دياب في بني زغبي ورياح وركب ابو زيد ببني

زحلان وصاح زيدان بالجهال ان يركبوا فقال ابو زيد للقاضي بدير ابق انت هنا مع السلطان حسن لحمى الاوطان ثم انهم شدوا مائة هودج للنساء ومعهن الجازية ليشجعوا الجنود والعساكر وكتب ابو زيد كتابا الى زيد العجاج وزيد شرهان ان يسيروا الى وادي غيلان فلما قراه زيد العجاج وزيد ابن شرهان دقت الطبول وركبت الفرسان وساروا حتى التقوا ببني هلال . اما الامير مناع وجماعته فأرسلوا كتابا الى مشبع وطلبوا منه الطير والذين في السجن فلما قرأ الكتاب قال للرسول قل لهم ما عندي جواب غير السيف القرضاب فعاد الرسول واخبرهم فركبوا جيادهم وأمروا الوزير مبشع اخاه صبرة بالركوب فركبت الفرسان وطلبوا ساحة الميدان وبرز صبرة وطلب مبارزة الفرسان فبرز اليه مناع والتقى البطلان كأنهما جبلان وحان عليهما الحين وزعق فوقهما غراب البين وصاحت الجهال على مناع اليوم يومك يا سبع الرجال فانتخى مناع وقال لخصمه ما بقي لك خلاص من يدي وهجم صبرة على مناع واطلق عليه عود الزان فزاغ عنها مناع فراحت خائبة فضربه بالسيف اخذها بترس البولاد فنزلت على رقبة الجواد برتها كما يبري الكاتب القلم فوقع مناع على الارض ففار عليه الشباب واركبوه جوادا فأراد ان يجدد الصراع مع صبرة لكن سبقه عقل ابن هولا وصار بينه وبين صبرة قتال ونضال مدة اربع ساعات فقوي عقل على صبرة وضربه بالسيف على هامه القى رأسه قدامه فلما رآه قومه قتيلا هربوا وحكوا للمبشع عن مصرع اخيه صبرة فقال لاخيه حداف ابرز الى الميدان وخذ بثأر اخيك فانحدر حداف الى الميدان فنزل اليه حسن المزيدي وأخذا في الكر والفر وعلت بينهما الصرخات وهاج الشباب وهلهلت البنات وغار حسن المزيدي على حداف وضربه بعود الزان بين البزين خرج يلمع من بين اللوحتين والتقت الرجال بالرجال ووقع بينهم حرب يقصف الاعمار الى المساء افترقوا عن بعضهم فدفن مبشع اخويه ثم أمر بطلا يقال له غواص ان ينزل الى الميدان فنزل وصال وجال ففار عليه مناع وضربه بالحسام فشقه نصفين وما زال مناع يقتل الفرسان حتى قتل خمسين فارسا ولما رجع من الميدان شكرته الاميرة نجلا وأثنت عليه وثاني الايام نزل مبشع الى الميدان فالتقاه الامير مناع فأشار مبشع يقول :

مبشع قال من قلب حزين	وزندي صار كالصخر المتين
بغيتم يا رجال على رجالي	قتلتم اخوتي وكذا رجالي
وهمام ابن عامر في حمانا	فيا ويل من يبغي لقانا
فسافر بالعسكر الى بلدكم	بحد السيف نمحي خبركم
أتاري الطير غاية طلبكم	خسئتم والفنى منكم تداني
انا مناع منكس كل عالي	رجوت الله أحظى بالامالي
فقوموا خيبرية يا نذالى	لكم مني يمينا في يمين
لأدعي أرضكم يا قوم قفرا	ونأخذ للنسا وكل عذرا
ومن حفر الى انسان حفرة	يقع في بحور الماكرينا

فلما فرغ مناع من كلامه انطبقا على بعضهما البعض مثـــل السباع الكواسر فانكسرت السيوف وتقصفت الرماح فتكامشا على ظهور الخيل ثم وقعا علـــى الارض وغارت قوم مناع الى الميدان واعطوه جوادا وكذلك الوزير قدموا له جواده وأشار مبشع لقومه بالهجوم فغاروا على بني هلال وغار مبشع على مناع وضربـه بالسيف اخذها بترس البولاد فنزلت على يده جرحته وطمع مبشع في الجهال وهجم عليهم واذا بخيل اقبلت بقيادة بدر بن غانم الرياحي ووراءه عسكر الامير همام والشباب فصاح بدر الله أكبر على من طغى وتجبر وقاتلوا قتال الجبابرة حتى أرجعوا الخيبرية الى الوراء أما الوزير مبشع فربط منيف وولده على ظهر الجمل وانزلوهما الى الميدان وهما مكتفان وأما نجلا أم مبلغ لما رأت ولدها نزلت وراء الابطال ومعها عشرون بنتا فلما راى مبلغ امه بكى وانشد يقول :

يا من عليك الجبريا سامع الدعـا	يا من أرجع يوسف الى يعقـــوب
أيا غاديا مني خذ لي رسالـــــة	الى نجد العديـــة قبـــل غروب
سلم على حسن الهلالي ابو علـــي	وأبو زيـــد سلامي له محسوب
واهدي سلامي للشبـــاب جميعهم	سلام معطر ومزخرف المكتـــوب

فلما فرغ مبلغ من كلامه سارت امه لعند دياب وصاحت بصوت حروبي ورمت نفسها من على الجمل الى الارض ولطمت نفسها وحثت بالتراب على وجههـــا وصارت تنخي الشباب فتقدم بدر وضرب قائد الجمل وفك مبلغ من على ظهر الجمل وأركبه جوادا وسلمه لأمه وعاد الى الميدان أبلاهم بالذل والهوان ثـــم صاح اين الوزير ينزل الى الحرب والطعن والضرب فانحدر مبشع والتقى البطلان وتقاتلا بالسيوف وتطاعنا بالرماح وهز بدر بيده عود الزان حتى التوى الكعب الى السنان وأطلقه على الوزير فخرق صدره ونفذ من ظهره فلما رأوه قومه قتيلا ولوا الادبار وركنوا الى الفرار فتبعتهم عساكر بني هلال وشتتوهم في البراري والقفار ثم جمعوا الخيل والعدد . أما الامير همام فقد عمل لهم ضيافة عظيمة ثم أمر بدر بالركوب فقال له منيف ايها السيد أتقطع ذنب الافعى وتبقي رأسها وتخلي سبيلها لقد قتلت الوزير ونحن في بلاده فأين نذهب من رعد بن حنظل لسوف يأتي الينا يقتلنا ويسبي نساءنا وينهب أموالنا فقال بدر للعساكر خذوا راحتكم الان حتى تضع الحرب أوزارها اما الذين انهزموا من القتال فوصلوا لعند الملك رعد بن حنظل وأخبروه عن مصرع الوزير فصاح على الفرسان وكان تحت يده الملك المنصور والملك المشهور فركب الملوك الثلاثة وعساكرهم وساروا الى بلاد الامير منيف فلما وصلوا رتب الملك المشهور العساكر وبرز الى الميدان فبرز اليه الامير بدر بن غانم والتقى البطلان واستمرا في القتال مدة ساعتين ثم افترقا على سلام وانطبقت عساكر الملوك على بدر والجهال بضرب مثل زخ المطر وكانت قد وصلت فرسان بني هلال بقيادة الامير زيدان شيخ الشباب الذي هجم على الملك رعد ولطمه لطمة تهد الجبال فالتقاه المشهور بقلب اقوى من الصوان فراح زيدان يهد عليه بهذه الابيات :

يقول الفتى زيدان ولد غانم ... ولي قلب اقوى من حجر صوان
انا مرعب الفرسان في ساحة الوغا ... انا حامي الاظعان والنسوان
وسيفي لرقاب العدو قاطع ... واليوم شكالي وقال عطشان
ويا ما قتلنا قروما على الثرى ... هدمنا منازلهم على السكان

ثم التقى البطلان كأنهما جبلان متلاطمان وتقاتلا حتى كلّ تحتهما الجوادان ثم قفز الامير زيدان وضرب الملك مشهور بسيفه البتار شقه الى نصف قامته فبرز اليه ثان وثالث فقتلهما وما زال يقتل كل من يبرز اليه حتى قتل خمسين فارسا وكان قد دب الظلام فرجع زيدان من الميدان وفي الصباح نزل عكرمة فبرز اليه طعان ابن الملك مشهور وصار بينهما كر وفر وأخذ ورد وضربه عكرمة على هامه حط رأسه قدامه فنزل اخوه زغمان فألحقه فيه والتقت الرجال بالرجال وجرى الدم وسال والتقى الملك منصور بالامير زيدان والامير عكرمة والتحمت الابطال ببعضهما وكان زيد العجاج قد وصل بعساكره مع زيد بن شرهان ووراءهم ابو زيد والامير دياب والفرسان بعدد الرمال اما زيدان فهجم على الملك مشهور وطعنه بالرمح في صدره خرج يلمع من ظهره والتقت الرجال بالرجال وكثرت المعارك والملاحم وسالت الدماء وكثرت القتلى والتقى الملك منصور بزيد العجاج فأنشد هذه الابيات:

يقول زيد العجاج الفاضل ... انا مبيد الجيش يوم طراد
سلطان كل هلال ابو مرعي ... سعده على كل الفوارس زاد
قيدوم طعن هلال يوم الوغا ... ابو مخيبر قاهر الفرسان والاعناد
وأما الفتى الزغبي دياب بن غانم ... حاكم على زغبي الكرام أمجاد
والفتى زيدان شيخ الشباب ... ستين الف عزوته كلها أسياد
لا بد نقتلكم ونأخذ مالكم ... وسيوفنا تبري الرقاب عن الاجساد
ونأخذ منكم الزينات بالقنا ... وأيام النصر عندنا أعياد

فلما فرغ زيد العجاج من كلامه غار على الملك منصور فخاف الملك رعد على منصور وغار على بني هلال وصار يجز الرقاب فقطع عليه ابو زيد ودياب طريقه وحصروه في الوسيط ونزلوا عليه ضرب مثل لذع النار وأطلق زيد العجان عنان الجواد وغار على الملك منصور وطعنه بالرمح في صدره أرداه قتيلا فغار رعد على زيد العجاج وضربه على طاسة البولاد فنزل السيف على كتفه وجرحه فهجم عليه ابو زيد وقال له خذها من يد ابو شيبان وطعنه بالرمح في صدره خرج يلمع من ظهره فلما رات عساكره مصرعه ولوا هاربين فتبعتهم بنو هلال حتى ادخلوهم بلادهم وما يزال السيف يعمل فيهم حتى طلبوا الامان وارشدوهم لمكان الطير فوجدوه بعيدا عنهم مسافة عشرة ايام وعنده الف فارس تحفظه فقتلوهم واخذوا الطير واعطوه الى زيدان وصار الملك منيف سلطانا على بلاد خيبر وجعلوا هماما وزيره ورتبوا عليهما الجزية كل عام وعادوا الى نجد بالغنائم والاموال فاستقبلهم السلطان حسن والقاضي بدير وبقية الامراء وهنؤوهم بالسلامة ودخلوا الاحياء في عراضات وأفراح وفرق زيدان عليهم الخلع الثمينة ابتهاجا برجوع الطير وداموا في ارغد عيش وانعم بال .

قصة الست صبحا محبوبة عقل بن هولا

(قال الراوي) بعد ان انتصر بنو هلال على الاعجام وارجعوا الطير لزيدان واقاموا الافراح والليالي الملاح كانت تلك الليالي جافة بالنسبة لغيرها والسبب في ذلك انه ليس فيها حب ولا غرام ولا عروس ولا عريس ولا زواج ولا نكاح فاشتاق الشباب الى اقامة أفراح يكون فيها رقص وغناء وخطبة وزواج ولكن من هو السيد الذي سيأخذ فتاة الزمان ونادرة العصر والاوان وتشاور الجهال فيما بينهم فوقع نظرهم على عقل بن هولا فارس الفرسان البطل الذي لا يقهر وقالوا له أما عنّ على بالك الزواج أما سمعت ببنت من بنات الملوك تكون فتاة أحلامك فقال لقد سمعت ببنت فائقة الحسن والجمال ولكن سبب تأخيري عن جلبها والزواج بها هو انني لا أريد ان ارمي بني هلال في حرب ضروس تأكل اللحم وتشرب الدم وتفتك بالشباب والفرسان فصاح الشباب نحن فداك وارواحنا بين يديك فقل لنا من هي حتى نغزو اباها ونأتي بها ولو كانت في قبة الفلك ثم حلفوه بالسلطان حسن وبأعز احبائه ان يقول لهم عن اسمها واسم أبيها فأجاب هي صبحا بنت الملك البرهمان فقد قال لي من رآها انها تصلح لي لانه لا يوجد مثلها في الدنيا فأحببتها ومال قلبي اليها ميلا عظيما وكنت اسهر الليالي وانا افكر فيها ولكني كنت اكتم الحب في قلبي ولا اظهره لاحد حتى لوالدتي وقد رأيت صبحا مرارا في نومي وغنيت امامها الاشعار الغرامية فأحبتني حبا جما وهامت بي حتى الجنون فقالوا له بما انك رأيتها فصفها لنا لنرى انها تصلح لك كما تقول ام لا تصلح فأنشد يقول :

عقل ابن هولا ابتدى في نظام ... عاللي رأيته بنومي عا تمام
صبحا زادت بالحسن عا كل الملا ... وفاقت عالبشر من انثى وغلام
يا إله العرش يا رب الفلق ... بت طول الليل غالبني القلق

شفت نهدها الزين من تحت الحلق — متل بيض الوز او بيض النعـــام
طولها يـــا ربع كفصن الجريــــد — في مكان الحرب او لعب الجريـد
كـم دعت والله مثلـــي فقيــد — راح ومـــا تهنى بعيش ومنــــام
جبينها قنديـــل مـــن بعد المغيب — والحواجب نون كاتبهـــم لبيب
والانـــف ماضي كما سيف الرهيب — يبري عنق العدو بـــري الحسام
خدوهـــا كالورد مالـو نظيــر — صدرها بستاننزهـــه للبصيـــر
بطنهـــا للفـوى طـــي الحريـر — قتيلها مالو دوى يشفـــي الغرام
عنقها يشبه الـــى عنق الغـــزال — ريقها يشفي العليل مـــن الخيـــال
من رآهـــا عاف اهله والعيـــال — بنيته صبحـــا وعلى الدنيا السلام

فلما فرغ عقل من وصف محبوبته صاح الشباب الى الخيل ايها الفرسان فقال عقل لا لزوم الى ركوبكم لاني سأذهب وحدي اولا وارى صبحا ان كانت تحبني وتأتي معي وهل يرضى ابوها ان يزوجني اياها او يمنعها عني ثم قال لغلامه شد لنا الخيل فذهب الغلام وشد على الخيل ثم ركب هو وغلامه وسارا الى ان وصلا الى عين ماء أم غيلان فنزلا يستريحان ثم اكلا وشربا فقال عقل اغلِ لنا القهوة حتى اطلع على هذا التل الأشرف على الطريق فصعد عقل على التل فرأى رجلا في زي درويش فسلم عليه فرد السلام وسأله الى اين يا وجه العرب فقال له انا عقل بن هولا من بلاد نجد العدية ثم جلس هو والدرويش يتحادثان وكان عقل له عدة ايام ما غفل ولا نام فشعر بالحاجة الى النوم فاتكى قليلا فنفل ونام ورأى نفسه عند صبحا في قصرها يتمتع بالنظر اليها وهي تسأله عن بلاده وأهله اما غلام عقل فقد أحضر له القهوة فرآه يغط في نومه ويشير بيديه فقال له الدرويش هل لسيدك عادة ان يحكي بنومه فقال ليس له عادة فلما افاق عقل من نومه سأله الدرويش عما رأى في نومه فقال :

يقول الفتى عقل بن هولا عانقـــا — بدمع جرى فوق الخدود تقطـــير
ونار الاسى جوا حشاي وقودهـــا — لها في الضماير والضلوع سعير
رايت منام شفت منـــــه عجايب — دخلت قصر صبحـــا من بكـــير
وهي على فراش الحرير قاعـــدة — والوجه يآضي مثـــل بدر منير
فقالت لي من اي القبائل يا فتـــى — وما الذي جابـــك لقصري يا مير
فقلت لها نجد العديـــة بلادنـــا — واسمي عقل بن هولا بلا تنكـــير

فلما فرغ عقل من كلامه قال له الدرويش خيرا رايت وستبلغ مرادك ان شاء الله فقام عقل هو وغلامه مسرور وودع الدرويش وسارا حتى وصلا الى عين مرج الزهور فنزلا على العين اما الست صبحا فقالت لجاريتها ندى خذي الجـــواد واذهبي الى العين وانظري من هناك فقالت لها يا ستي اخاف ان يكون هناك رجال فقالت لها خايفة على حسنك وجمالك اذهبي حالا فركبت الجواد وذهبت الى العين وسألت عقل من انتما وما تريدان فقال عقل انا من نجد واسمي عقل ابن هولا وأبي بدر بن غانم وعمي دياب وزيدان وخالي السلطان حسن وانت ما هو اسمك قالت

ندى وانا جارية الست صبحا بنت الملك البرهمان عند ذلك فرح وأمل بنوال مبتغاه وقال لها اذهبي الى ستك وقولي لها وجدت على العين شابا جميلا قال انه يحبك ويهواك فطيبت خاطره وعادت راكبة على الجواد فلما دخلت على سيدتها قالت لها يوجد على العين فتى جميل الطلعة بخدود وردية اسمه عقل ابن هولا من بلاد نجد وقال انه يحبك ويهواك ومراده يتمتع برؤياك. فقالت لها كنت أحضريه معك حتى اراه فعادت ندا وأحضرته الى القصر فاستقبلته صبحا بشوق واجلسته امامها تتمتع بشبابه وجماله وفتوته ثم قالت له انا احبك وأهواك اكثر مما تحبني وتهواني ولكني خائفة عليك من ابي البرهمان فقال لها لا تخافي فاني أكيد الاعادي بسيفي ورمحي وأخلي دماءهم تجري كالانهار فقومي اذهبي معي الى بلادنا وهناك نتزوج فقالت الاحسن ان تطلبني من ابي فان امتنع نبقى ندبر امرنا فقال لها رأيك مناسب وسأطلبك من ابيك ولما اراد الذهاب تقدمت اليه وعانقته فقال لها ابتعدي عني واصبري حتى نتزوج فان من يبيع جنة عرضها السموات والارض بقيراط من اللذة لقليل المعرفة بالساحة فضحكت من كلامه وقالت له ولكني لا أريد غيرك فقال لها الى اللقاء وعاد الى العين وفي الصباح دخل ديوان الملك البرهمان فسلم عليه فترحب به وأمر له بالجلوس ثم سأله عن اسمه وهل له حاجة يروم قضاءها فقال له انا الامير عقل بن هولا من بلاد نجد العدية ابي بدر بن غانم وخالي حسن سلطان بني هتل جئت أتشرف بخطبة الانسة صبحا كريمتكم فهل تتكرمون علي بأن تكون عروسة لي فلما سمع الملك هذا الكلام ظهر الغضب في وجهه وعبس ولكنه كظم غيظه ثم قال له لقد سبقك الكثيرون الى طلبها مني واني الى الان لم أعتمد على احد لزواجها منه وعلى كل حال ارى ان تفتش لك على فتاة غيرها فقال عقل تعجبني صراحتك يا مولاي وأسأل الله ان يوفقكم لفتى يكون كفؤا لها ثم استأذن من جلالة الملك بالذهاب فأذن له فذهب وهو مصمم على اخذ صبحا مهما كلفه ذلك وذهب الى قصر صبحا وقال لها ان اباها امتنع من اعطائها له وقد ظهر الغضب على محياه ثم قال لها نحن متفقان على الزواج وسنتزوج بالرغم من كل معارض ثم ودعها وذهب الى العين وصار هو وغلامه يختفيان بالنهار ويشلحان المارين بالليل فشاع الخبر في الهند بأن اثنين رابطين على العين يشلحان الناس فوصل خبرهما للملك فصاح بولده فهد قائلا خذ معك مئة فارس واذهب الى مرج الزهور تجد اثنين غريبين كتفهما واحضرهما الي فأخذ فهد مئة فارس وتوجه الى مرج الزهور فوجد عقل بن هولا امامه فصاح به فهد من انت ايها الرجل وماذا تريد من المارين حتى تعتدي عليهم وتسلب أموالهم فقال له انا عقل بن هولا من بلاد نجد فارجع عن قتالي قبل ان أجعلك قطعتين بهذا السيف وقد أعذر من أنذر عند ذلك هجم عليه فهد والتقى البطلان في ساحة الميدان وتقاتلا قتالا عظيما وكان عقل أفرس من فهد وأعلم بمواقع الضرب فقوي عليه وضربه بالسيف على هامه حط رأسه قدامه ومال على الخيل ابلاها بالذل والويل فوصل الخبر الى البرهمان فغضب غضبا شديدا وامر وزيره غيلان ان يركب على ادهم ويقتل الفارسين

الموجودين في مرج الزهور او يأسرهما فأسرع الوزير بتجهيز حملة من الابطـال وركبوا وتوجهوا الى مرج الزهور اما زيدان شيخ الشباب فسأل هل اتانا خبر من عقل ابن هولا وماذا جرى معه فقد انشغل بالنا عليه فقالوا لم يأتنا منه جواب فأنشـد :

يقول الفتى زيدان انا ولد غانـم انا مهلك الاعداء يوم الوقايـع
ترى يا قوم تاري وسط قلبـي وعقلي على عقل صار ضايـع
فان كان بضيق نركب نجيبـه على خيـل تشبـه للزوابـع
نقتـل عدانـا وننصر ولدنـا ونهدم قصور عاليـات مواقـع
ومـن يموت منـا فهذا يومـه يوم الوغـى واجب علينا نسارع

فقال عكرمة عندنا خبر انه سافر الى الهند لاجل محبوبته صبحا بنت الملـك البرهمان ولا نعرف ما حصل معه عند ذلك صاحت الشباب هيا الى الهند اركبوا يا أبطال لنرى ما حل بعقل بن هولا فركبوا وساروا الى ان وصلوا الى مـرج الزهور فرأوا عقل وغلامه متهيئين للقتال وكان الوزير غيلان قد وصل بعساكره فأطلق عكرمة الغارة على الاعداء فصدمه الوزير بقلب لا يهاب وتقاتلا بالسيوف وتطاعنا بالرماح وحان عليهم الحين وزاد عكرمة على الوزير غيلان وضربه بالسيف على هامه حط راسه قدامه ومال مع بني هلال على عساكر الوزير فقتلوا كثيرا منهم وهرب الباقون فوصل الخبر للملك بمصرع الوزير غيلان فجن جنونه وقام وصار يمشي في الديوان وهو في غضب شديد وأمر بدق الطبول واجتماع الجيوش والعساكر ثم سار بهم الى الميدان فنزل اليه زيدان والتقيا في حرب وصدام وقتال وخصام الى ان قوي البرهمان على زيدان ورماه عن الحصان واراد ان يأسره ففار الشباب على البرهمان وقومه بضرب السيوف وطعن الرماح وتمكنوا من انقاذ زيدان وشالوه وأركبوه على جواد وعندها حميت المعركة واحتدم القتال وجرى الدم من أعناق الفرسان الى المساء دقت طبول الانفصال فتفرقوا عن بعضهم اما ابو زيد فقال للسلطان حسن يجب علينا ان نعزز قوات الامير زيدان بجيوش كثيرة حتى نضمن النصر ونقهر الاعداء فأمر السلطان حسن بركوب الخيل بقيادة الامير ابو زيد فركبوا وجدوا في المسير الى بلاد الهند ولما وصلوا لمرج الزهور رأوا المعارك على قدم وساق والقتال بين الفريقين على أشده فهجم ابو زيد مع العساكر على البرهمان في حومة الميدان وتقاتلا قتالا عظيما حير عقول الفرسان الى المساء افترقا على سلام وفي الصباح نزل البرهمان الى الميدان فنزل اليه دياب حذاف الرقاب فراح البرهمان يهدده بهذه الابيات :

يقول البرهمان ولـد علقـم أبيـات حماسة مثـل بركـان
على ما جرى فينـا وما اصابنـا أمر مدلهـم وحرب طول الزمان
ضاقت عليك الارض يا دياب والفلا لأدعيك مرمـي على الثرى منهان
وبعدك ابو زيد الهلالـي أشيلو وسلطانكم أرميـه بالاحـزان

وآخذ عطور الجيد وآخذ غيرهـــا
واسبي بنـــات كأنها الغـــزلان

رد الفتى الزغبي دياب بن غانـــم
انا وحق الذي كـــون الاكـــوان

لأفعل فيكـــم فعال الزيـــر بالوغى
وأمحـــي بسيفي رقـــاب الفرسان

وأقطع راسك وآخذ الروح منـــك
وارميـــك فوق الثرى عدمـــان

فلما تفرغ دياب من كلامه التقى هو والبرهمان في حرب الى المساء فضرب بينهم طبل الانفصال فعادا الى محلهما وفي الصباح نزل البرهمان الى الميدان وطلب مبارزة الفرسان فنزل اليه حسن بن سرحان فبدأ البرهمـــان يحذر حســـن بهذه الابيات :

يقول البرهمان وليـــد علقـــم
لازم اشبحـــك بأربع شباحـــي

لأرويـــك الاهوال يا بن شمـــا
وراسك من حسامي الان طاحـــي

ابو زيد الهلالـــي ذاق حربـــي
دعيته طـــير مقصوص الجنـــاح

وانت اليـــوم آتـــي تحاربنـــي
فلازم اجعلـــك قتيل رماحـــي

واهفيكـــم بسيفي يـــا هلالي
وادعي نساكـــم تبكـــي نواحي

رد عليه ابـــو علي وقال لـــه
كلامـــك يشبه قول المزاحـــي

انا المعروف ابو مرعي في كفاحي
شرق وغرب مـــع كل النواحـــي

فاثبت للقـــا يا ابن علقـــم
لأرويـــك طعن سني ورماحـــي

وآخذ بنتـــك صبحا لابن هـــولا
وادعي لحمكـــم اكـــل الشواحي

وآخذ لأموالـــك مع المواشـــي
واغنم خيلكـــم مـــع السلاح

فلما فرغ حسن من كلامه التقى البطلان كأنهما جبلان وتقاتلا وتضاربا ساعة من الزمان واذا السلطان حسن ضرب البرهمان فأصاب راس الجواد براها كمـــا يبري الكاتب القلم فوقع البرهمان على الارض فغار قومه عليه وخلصوه وأعطـــوه جوادا ومال الفريقان على بعضهم ولا يزال الحرب عاقدا الى ان دب الظلام فضرب طبل الانفصال فعادوا الى أمكنتهم اما قوم حسن فسألوه عن حرب البرهمان فأنشد هذه الابيات :

يقول الفتى حسن الهلالي ابو علي
امرا جرى لي يشيب الاطفـــال

تكاونت انا وياه في حومة الوغـــا
ورميته على الثرى بقوة الابطـــال

وردت أميل عليه بالسيف أضربه
اجوني فوارس مدرعـــه ورجال

خدوه منـــي غصب يا ابو مخيبر
وشالوه علـــى خيـــال اصال

ابو زيد يـــا حبوب يا كاسب الثنا
أيا من الى خيل العدا قتـــال

ودياب كم بالكون لك فعل ماهـــر
يا راعي الهمات يـــا مفضـــال

أيا دياب مالـــه غيرك مخاصـــم
وطعناتـــه مثـــل لظـــا وشعال

فان كان فيكم عزم شدوا واركبوا
لنسلم مـــن الشدات والاهـــوال

اخاف يغلبنـــا ويسبي عيالنـــا
ويجعل دمانـــا عالثرى سيـــال

عند ذلك هاج دياب وماج كأنه بحر عجاج وقال انا خصمه وغدا أنزل اليه وفي

الصباح دقت طبول الحرب والكفاح فنزل البرهمان الى الميدان فبرز اليه دياب
واشتغل بينهما القتال الى العصر عند ذلك ضربه دياب بالسيف على هامه حط رأسه
قدامه ومالوا على الخيل أبلوها بالذل والويل ثم لموا الخيول الشاردة ومالوا الى
القصر وأخذوا الست صبحا مع الغنائم وعادوا الى نجد العدية وطلع اهلهم الى
لقاهم في يوم ينعد من الاعمار ثم اقاموا الافراح وزفوا عقل على الست صبحـا
ودامت الافراح اربعين يوما فدخل عقل على صبحا وتملا بحسنها وجمالها وعاشوا
في اطيب عيش .

قصة الملك الصمصام

(قال الراوي) كان الملك الصمصام بن خيبر حاكم بلاد النيروز يعبد الاصنام وكانت عساكره عشرين كرة من الفرسان والعساكر اما ابنه خيبر فكان فارسا مر المذاق وله ابن اخر يسمى مروان له وزير اسمه برصوم وله اخ يقال له الدمام فكان الصمصام يعتمد على هؤلاء الاربعة فرسان وكان متزوجا بأربعين بنتا من بنات الملوك يأخذهن بالقوة والاقتدار وكان يوجد ملك في بلاد الحقطان اسمه ابو الفتوح له ولد يقال له الهشام فهؤلاء تحاربوا مع بني هلال فانكسروا وانطفت أخبارهم وملكت بنو هلال ديارهم وكان ابو الفتوح عم الملك الصمصام وفي يوم من الايام دخل على الصمصام شاعر فسأله من اين قدومك يا شاعر فأجاب من بلاد الحقطان فقال له كيف اهلنا وحال البلاد فأنشد يخبره عما جرى في تلك البلاد .

يقول الاديب مزيد عما جرى له ... بدمع جرى من مقلة العين سايل
يا حيف دار العز تخلى من اهلها ... وتبكي على رجال الوغا والفضايل
أما ولد عمك هشام يا حسرتي ... هجمت عليه عساكر هلال بالمعاول
قتلوا الملك هشام راح مجندل ... نهبوا بلاد الهند وخيل الاصايل
ابو زيد والزغبي دياب ابن غانم ... قروم هلال لهم كل المراجل

فلما سمع الصمصام هذه الاخبار غضب غضبا شديدا وقال سوف أبيد بني هلال عن بكرة ابيهم فقال للدمام ابن اخيه وابن عمه النعمان ووزيره برصوم يجب عليكم ان تركبوا بالعساكر والجنود وتغزوا بني هلال وتأخذوا منهم بالثأر فقد قتلوا عمي ابو الفتوح وملكوا بلاده وسبوا نسائه وبناته فقالوا له ارسل أطلب منهم عشر المال فان أرسلوه كان خيرا وإلا نركب عليهم ونضربهم ضربة قاضية لاخذ الثأر فقال

لقد تكلمتم بالصواب فكتب هذه الابيات وارسلها الى بني هلال :

قال صمصام ابن خيبر الفتـــى حاكـــم بـــلاد نيروز البهيـــا
ابو الفتـــوح قتلتـــوه افتراء دعيتوه علـــى الغبرا هفيـــا
اخذتـــم رزقـــه وسبيتـم عياله وملكتـم بلاده شرقـــا وغربيـا
وقتلتـــم الملـك هشام بعـــده ابـــو حايم كـــان برجـا قويا
فيا دياب ارسل لنا الف مهـــرا مـــن الخيل الاصايـــل بالسويا
يا ابو زيد ارسل لنا سيوفـــا وعـــود الـــزان الفين وميـــا
وهاتوا عشر ما تملـــك يداكـــم من المـــال والمواشـــي البريـــا
وهاتـــوا لنـــا الزينات وريمـــا وكـــل بنت مـــن فروع زكيـــا
وهاتوا وطفا بنت ابـــو موســـى لها وجـــه كما الشمس المضيـــا
ان خالفتـــم قولي يا هلالـــي اتاكـــم الويـــل والفنى جليـــا

(قال الراوي) ان بني هلال كانوا قد جددوا الافراح واحيوا الليالي الملاح بعرس عقل ابن هولا وكانوا يرقصون ويغنون أما عقل فكان يغني لصبحا بهذه الكلمات :

يـــا صبحا هاتـــي الصينيـــة صبـــي الشاي لكـــي وليـــا
والهـــوى يصبحـــا طـــاب يصبحـــا طاب يصبحـــا طـــاب
يـــا صبحا هاتـــي الكتـــاره تانـــدق علـــى الاوتـــاره
يصبحـــا العمـــر سيكـــاره والهـــوى يصبحـــا طـــاب
يصبحا طاب يصبحا طاب

فبينما بني هلال في فرح وابتهاج اذ اتاهم كتاب من الملك الصمصام فلمـا قرأه السلطان حسن اعطاه لابو زيد فقراه على الجميع فقال دياب انا أرسل له الجواب فكتب يقول له ايها الملك الصمصام وصل كتابك ولما قرأناه فرحنا غايـة الفرح لانك طلبت فيه الاموال والبنات والخيل الاصايل والمواشي فكل ما ذكرته موجود عندنا ومنتظرين قدومك بالجيوش والعساكر لنعطيك ما طلبت فاسرع بالمجيء يا قليل العقل والادب يا حمار في صورة انسان اسرع لنبري عنقك بالحسام ونفني عساكرك بحرب لا تبقي ولا تذر ثم ختموا الكتاب واعطوه للرسول فلما وصـــل الكتاب للملك الصمصام قرأه فتغيرت سحنته وازرق واحمر واصفر وقال انا لا أرجع عن بني هلال حتى اصليهم بالنار وابري رقابهم بالبتـــار ثم كتب المكاتيب وفرقها على بلاد نيروز وبلاد النقيع من اربعة اقاليم وارسل يستنجد في حنا ملك ريم المداين وبوزيره شمعون وكانت بلاد جزائر البحور تحت حكمه وبعد مضـــي عشرين يوما اقبلت العساكر من جميع الجهات من هنود وعابدين الاصنام واقبل الريم حنا في قومه فأضافهم الصمصام ورغبهم في شن الغارات على بني هـــلال ثم ضربت الطبول وركبت الفرسان ظهور الخيل بكرات والوف قاصدين بلاد نجد العدية فوصلت أخبارهم الى بني هلال فصاح السلطان حسن بالامراء والابطال قائلا لهم هذه الوقعة ما لها الا السيف والشجاعة والبطولة والتضحية والخدعة والحذر

من مكر العدو ثم أمر بضرب الطبول فرجت الجبال والوديان واجتمعت بنو هلال مثل الجراد المنتشر وصاحوا الى الخيل يا ركابها والى العدا يا طلابها عليهم ايها الابطال قبل ان يصلوا الى الديار واضربوهم قبل ان يستريحوا من مشاق الاسفار فركب السلطان حسن وركبت خلفه اربع تسعينات الوف وسبقهم زيدان بستين الفا من كل بطل وفارس وما بقي في الديار غير النساء والرعاة فصاحت بهم الجازية أما تخافون على نسائكم ومواشيكم الم تعتبروا بما جرى عليكم من الحروب فيما مضى فقالوا لها من تريدين ان يبقى في البلاد قالت عكرمة ومرشد وكل واحد عنده خمسون الفا فقالوا لزيدان ان الجازية طلبت عكرمة ابن ابو زيد ومرشد بن دياب ان لا يغادروا البلاد مع كل واحد خمسون الفا فقال ان عكرمة مفتاح الحرب ونحن لا نذهب بدونه ولكن يبقى هنا فايد ومرشد مع كل واحد خمسون الفا واتفقوا على ذلك ثم سارت بنو هلال الى اخر نجد أما الملك الصمصام فأرسل جاسوسا اسمه رومان لينظر أحوال بني هلال فسار يجد السير حتى أشرف على بني هلال ودخل الى صيوان السلطان حسن مع الناس وظل ثلاثة ايام يتنسم الاخبار . أما ابو زيد فرأى في نومه ثعبانا دخل بلادهم وصار يضرب الواحد يجعله رماد فصار ابو زيد يدور بين الناس لعله يعرف من يتجسس عليهم حتى اشتبه بالجاسوس رومان فقال له كيف حال سيدك الصمصام والريم حنا والعساكر أما بعثك الصمصام تأخذ له الاخبار فقال له الله يسامحك يا ابو زيد انا رجل من ارض الحجاز وحجيت سبع حجج تجعلني عابد أصنام فكشف عليه ابو زيد فاذا هو افرنجي فقال دياب لازم نطهره فأحضر ابو زيد سكينا ماضية وقطع اذنيه وخلاهم معلقين على خديه واكثر له الجروحات في جسده وقال له قل لسيدك ان يسرع الينا .

فذهب رومان مسرعا الى الصمصام وهو على اخر نفس ووقع في الديوان فأتى الطبيب وضمد له الجراح فلما ردت روحه اليه قال كلهم استعدوا للقتال وبقي في نجد مرشد بن دياب وفايد ابن بدير مع كل واحد خمسون الفا فقال الصمصام للريم حنا خذ فرسانك واكبس نجد واجعلهم فرقتين فرقة للمواشي وفرقة للعيال حتى يقع الصوت على النزل فتركب فرسانهم ولا يبقى غير الحريم اكبسهم مع الصباح وأنا أخادعهم بالكلام حتى تجيني أخبارهم فركب الريم حنا ووزيره شمعون وركبت الفرسان اربع كرات وساروا بغير طريق الى ان وصلوا الى الحدود فأرسل الريم حنا وزيره بكرتين قائلا له اربط قرب النجع حتى يندب الصوت ونركب نحن حتى يصلوا الينا وانتم اضربوا النجع واسلبوا المال والعيال فسار شمعون لقرب النجع أما الريم حنا فساق المواشي والاغنام فلما وقع الصوت ركبوا الخيول وساروا الى المواشي وردوها وصاحوا الى اين تذهبون وقد اتتكم الابطال ولطموا سابق الخيل والتحم القتال وطارت الرؤوس عن الابدان فصاح حنا بقومه يشجعهم وانطبق على القوم وفرقهم يمين وشمال كل هذا يجري بين الرعيان وبين عساكر الصمصام .

فلما وصل الخبر الى مرشد وفايد ركب فايد بعساكره وبقي مرشد بجنوده لانهما عرفا ان العدو يخدعهم اما حنا فنزل الى الميدان وطلب مبارزة الفرسان فنزل اليه عجاج السيار والتقى البطلان كأنهما اسدان كاسران وحكم ضرب حنا على جواد عجاج فوقع هو والجواد على الارض فأدركه قومه وشالوه اما الرعاة والعبيد فما تحملوا هذه الحرب وصاروا يطلبون الفرج من الله عز وجل وكان فايد بن بدير قد وصل بفرسانه وهم يهللون الله أكبر على من طغى وتجبر وراوا الرعيان والعبيد في حالة التلف فغارت العساكر على الاعجام وجندلوهم بالسيوف والرماح والتقى حنا بالامير فايد وتقاتلا قتالا حير الافكار وتكامشوا على ظهور الخيـــل وانطبق فايد على حنا وضربه بسيفه القرضاب فجاء السيف على زند حنا جرحه ثم طبقت الرجال على الرجال وعاد السيف يعمل والرمح يخرق في الصـــدور وغاصت الخيل بالدماء فصرخ حنا بفايد وغار عليه وأراد ان يخطفه من على ظهر الجواد فسبقه فايد بالسيف على هامه حط راسه قدامه فلما راى قومه مـــا جرى بملكهم داروا رؤوس الخيل الى الوراء وارادوا الهرب فصاح فايد سدوا عليهم الدروب وامحوهم عن اخرهم فسدوا عليهم الطرق ومالوا عليهم بالضرب والقتل والذبح وما سلم منهم الا فئة قليلة استطاعت الهرب وعادوا يلموا المكاسب والخيل الشاردة اما الوزير شمعون فكان قد أرسل جاسوسا يكشف له أخبار بني هلال في البلاد فلما عاد اليه قال له البشرى ايها الوزير فقال ما تقول فأجاب صيدة ثمينة فقد رأيت القوم يركبون ويذهبون لقتال حنا ولم يبق في البلاد غير النساء والاطفال فسار شمعون بعساكره ليحتل المدن وينهب الاموال اما مرشد ابن دياب فقد أرسل الف خيال تحافظ على البلاد والعيال من اربع جهات فلما صار الهجوم على أحياء بني هلال ظهرت فرسان بني هلال مثل النار من جميع الجهات اما الجازية والبنات فركبن الهوادج على الجمال وصرن يشجعن بني هلال ويرفعن أصواتهن بالزغاريد وانطبق الفريقان على بعضهم والتقت الرجال بالرجال وعظم النزال وجرت الدماء من الاعناق ووقفت جمال الظعن وعطور الجيد وفتنة وصحن بمرشد مثلك تكون الابطال يا قاهر الاعداء اليوم يومك فحمل على الاعداء حملة الاسود وصارت وقعة عظيمة والتقى الوزير شمعون بالامير مرشد وتقاتـــلا قتال الجبابرة وضرب شمعون مرشد بالسيف اخذها بترس البولاد وثنى عليـــه بالرمح غطس تحت بطن الجواد واعتدل مرشد على جواده وصاح بشمعون اين تفدو من بين أبطال بني هلال ثم طسه بالسيف على عنقه اطار راسه من بين كتفيـــه والتحمت الرجال ببعضها فالسيوف تلمع والزنود تقطع والرقاب تخلع والخيل تخوض في الدماء اما قوم شمعون فانهم ذاقوا كاس المنون ولم يجدوا امامهم الا الهرب وسارت بنو هلال وراءهم في الطلب وصاح فايد من قدام وأعطاهم الحامي بضرب السيف البتار ومرشد من وراءهم يطعنون ظهورهم بالنبال وما سلم منهم الا كل طويل عمر وتحته حصان سريع في الهرب وغنم بنو هلال أموالا لا تعد ولا تحصى ولما وصل الخبر لعند حسن وأبو زيد ودياب فرحوا بالنصر اما الملـــك

الصمصام فأمر بالركوب فركبت الفرسان وضربت الطبول وركبت بنو هـــلال واصطفت الصفوف وترتبت المئات والالوف فانحدر عكرمة الى الميـدان وطلب مبارزة الفرسان فنزل اليه خيبر ابن الصمصام فأخذا في الكر والفر أما الامير مرشد وفايد لما رجعوا لنجد قال مرشد لفايد النجع صار بأمان وأنا رايح لعند الشباب فصاحت الجازية شدوا الهوادج حتى نسير مع مرشد فركبت الجازية وعليـــا ووطفا وجمال الظعن وعطور الجيد وريما مع مائة بنت من خواص بنات هلال وركب مرشد بألفي خيال وساروا الى بني هلال وكان عكرمة وخيبر في قتال شديد وضرب ما عليه من مزيد وكان الامير مرشد قد وصل ووراءه البنات ودخل في صفوف بني هلال وأشرفوا على الميدان فلما رات عليا ابنها عكرمة بالميدان صاحت صوت حروبي وقالت مثلك تكون الفرسان لانك ما تهاب من الابطال ففاب عكرمة عـن الصواب وغار على خيبر وطسه على هامه فتدحرج رأسه قدامه فلما رأى الملـك مصرع ولده غار على القوم يجز الرقاب فانتخت الابطال وكثر الطعان فالخيول غائرة والرؤوس والدماء جارية ولله در الامير ابو زيد والامير دياب حداف الرقاب فانهما غاروا على الاعداء وفتكوا فيهم فتك الذئاب بالغنم وأما القاضي بدير والامير زيدان وعكرمة ومرشد فصاحوا بالجهال والعساكر عليهم ايها الشباب وصاروا يأخذون القوم بالسيوف ويجعلونهم أكوام أكوام واظلمت الدنيا من كثرة الغبار وقتل من الفريقين رجال كثيرون والتقى الامير ابو زيد بالملك الصمصام وانطبقا على بعضهما البعض وداموا في كر وفر والتقت الفرسان بالفرسان وعلا الصياح وزلغطت البنات وعلت الصيحات وداموا في حرب وقتال الى المساء ودقت طبول الانفصال فانفصلوا عن بعضهم واجتمع الصمصام بابن اخيه الدمدام وابن عمه الملك مروان ووزيره برصوم قال للدمدام خذ خمس كرات واكبس القوم من الشرق وقال لمروان خذ خمس كرات واكبس الاعداء من الغرب وقال لبرصوم اكبس القوم من الجنوب وأنا أكبس القوم من الشمال وركبوا في الليل الدامس وساروا أما ابو زيد فكان قد أرسل رجلا يتجسس أخبار العدو وعاد الرجل مسرعا نحو ابو زيد وحكى له عما صمم عليه الصمصام وأنه سيكبس بني هلال من اربع جهات فعرف ابو زيد ما دبر الصمصام من المكر والخداع فقال حسن هذه حيلة خبيثة عند ذلك قـــال ابو زيد لدياب اركب بقومك وسر ناحية الشرق لان فيها الدمدام وهو فارس مر المذاق ماله غيرك أما الامير حسن اذا اراد يركب لجهة الغرب فيلتقي بالملك مروان ثم قال لبدير اركب بقومك لناحية الجنوب وفيها الوزير برسوم وأنا اتجه بقومي للشمال أقاتل الصمصام وأما زيدان وعكرمة والجهال فيبقوا عند النساء فركبوا كما تقرر وكل واحد طلب خصمه فلما أصبح الصباح طبقت العساكر والجيوش من جميع الجهات والتقت الابطال بالابطال فما عدت تسمع الا دوي الطبول وصهيل الخيول وهارت ساعة تحير العقول وتقصف الاعمار فقال عكرمة لزيدان خذ معك ثلاثين الفا وساعد السلطان حسن ونحن لا ندع احدا يقرب نحو النساء فقسم زيدان الجهال الى قسمين اخذ النصف وغار نحو السلطان حسن وزيدان لحـق القاضي بدير يلاقيه على حالة يرثى لها من كثرة ما جاهد وناضل فغار زيدان على

الاعداء مثل الشهاب وحمل من جانب وزيدان من جانب فالسيف عمال والرمــح شلال وسنحت الفرصة لبدير فطعن برسوم بالرمح في صدره خرج يلمع من ظهره وفتك زيدان بالعساكر ودخل بينهم مثل السبع الكاسر وفي المساء افترقوا عن الحرب والقتال فقتل من رجال الوزير نحو مائة الف خيال والباقون ولوا هاربين الى ان وصلوا لعند الصمصام واخبروه عن قتل وزيره فغضب غضبا شديدا وأما بدير وزيدان لموا المكاسب والمغانم وأما مروان فانحدر الى الميدان وطلب مبارزة الفرسان فنزل اليه السلطان حسن وصدمه صدمة عنيفة فثبت أمامه وتقاتــلا بالسلاح وتقاربا وتباعدا ولما طال بينهما القتال التقت الفرسان بالفرسان وجرت الدماء وثبت الشجاع وهرب الجبان ودارت على بني هلال الدائرة وصاروا بحالة الضيق ولو لم يدركهم الامير عكرمة لولثوا الادبار وركنوا الى الفرار وصاح عكرمة بالاعداء اين تذهبون قد احاط بكم البلاء وغار على الخيل أبلاهم بالذل والويــل وهجمت الجهال مثل الاسود الكاسرة وكان السلطان حسن يتقاتــــل مع مروان متكامشين على ظهور الخيل فغاب عكرمة عن الصواب وقال لا ينبغي للسلطان ان يحارب ويقاتل ثم انه اسرع الى مروان وضربه بالسيف على وسطه قسمه نصفين ومالوا على الاعداء حتى بقي الدم يسيل كالماء فالرؤوس طائرة والدماء فائرة ودارت على قوم مروان الدائرة فولثوا الادبار وركنوا الى الهرب والفرار ولحقتهم بنو هلال حتى شتتوهم بتلك القفار وجمعوا الخيل الشاردة ولموا المكاسب والغنائم وعادوا فرحين مستبشرين حتى اشرفوا على عساكر زيدان والامير فايد وعكرمة ووصلوا الى الميدان الذي يحارب فيه ابو زيد فوجدوه متكامش مع الملك الصمصام فصاح الامراء على ابو زيد قائلين مثلك تكون الفرسان وزلغطت النسوان وحمي الميدان وهجم زيدان وهجمت وراءه العساكر وانطبقوا على الاعداء وجرى الدم وسال وقتل من الطرفين خلق كثير وفي الصباح برز الصمصام للميدان وطلب مبارزة الفرسان فنزل اليه ابو زيد وأنشد يهدده بهذه الابيات :

قــال ابــو زيــد الهلالــي	فارســا عنــد القتــال
ملــك صمصام يــا ملعبـــج	انتبــه واثبــت قبالــي
جيت لنــا بالعساكــر	مــا لهــا اول من آخــر
مثــل مــوج البحــر زاخــر	فاض مــن اربــع مجــال
تريــد اخــذ التــار منــا	خــاب فالــك ثــم ظنــا
شــوف هالرمــح المحنــا	حربتــه دومــا تلالــي
اثبــت أمامــي للقــا	زال همــي والشقــا
أكيــد صمصام مــا بقــي	تنظــر بــلادك والعيــال
قــم وادي عشر مالــك	لا تضيــع انت حالــك
مــن حسامي مــا بقالــك	تعــرف يمين او شمــال

ثم التقى البطلان وتحاربا وتقاتلا وصاحت الجازية وعليا وجمال الظعن بأصوات رقيقة قائلات مثلك تكون الفرسان يا راعي هلال ونحن نشهد لك بالشجاعــة

والبطولة فخاف الصمصام ان يزيد عليه ابو زيد في القوة وشدة الباس فضرب ابو زيد بالسيف اخذها بترس البولاد وثنى عليه بالرمح غطس تحت بطن الحمرا وثلث عليه بالدبوس خلا عنه عند ذلك هجم عليه ابو زيد مثل النمر وضربه بالدبوس غطس الصمصام تحت الجواد ثم اعتدل وولى هاربا نحو قومه فرماه ابو زيد بحربة ماضية في ظهره نفذت من صدره عند ذلك صاحت بنو هلال الله أكبر وهجموا على قوم الصمصام يجزون الرؤوس عن الابدان وأتى الامير دياب وقومه الانجاب وغلامه سعيد حامل راس الملك الدمدام على سنان الرمح ومكتفين خمسمئة اسير من الاعداء وغاروا على قوم الصمصام وقطعوا عليهم الدروب وفتكوا فيهم فتك الذئاب بالغنم فمن استطاع الهرب نفذ بروحه اما الباقون فرموا السلاح وطلبوا الامان فأسروهم وحطوهم مع اسرى دياب ثم لموا الغنائم والخيل الشاردة واجتمعوا مع بعضهم يتصافحون ويهنئون بعضهم بالسلامة والنصر ثم اطلقوا الاسرى مقابل فكاكهم بالاموال وعادوا الى بلادهم كاسبين غانمين .

قصة ورد الروض

(قال الراوي) بعد ان انتصر بنو هلال على الملك الصمصام استراحوا من الحروب والاهوال وصاروا ينصبون البرجاس ويتسابقون على الخيل يلعبون بالجريد وفي يوم من الايام كان الشباب مجتمعين عند الامير زيدان فصاروا يتحادثون عن الحروب التي خاضوها وعن بنات الملوك التي اتوا بها وصار كل واحد يفتخر بنفسه بأنه جلب محبوبته بالقوة والبطولة والثبات على الاهوال والمشاق وكان بينهم شاب اسمه نصير بن منقد فلما سمع كلام الشباب عن جهادهم وبطولتهم خجل خجلا عظيما لانه ما عمل شيئا يفتخر به فقال في نفسه هل انا جبان حتى لا استطيع ان أعمل كما عمل رفقائي وافتخر مثلهم بأني جلبت بنت احد الملوك بشجاعتي وبطولتي وحركته نخوته ومروءته ولعب به الهوى وصار يتمنى ان يسمع ببنت ملك تكون آية في الجمال ليتزوجها اما بالرضا من ابيها او بالقوة والشجاعة وفي احدى الليالي خرج يتنزه في ضوء القمر وهو مشغول الفكر عند بنات الملوك فأي بنت تكون من نصيبه يا ترى ثم انه انشد هذه الابيات :

يقول الفتى نصير من الم الجوى	ونار الهوى بين الضلوع لهاب
غرامي بقلبي الى من ابيحه	ولا يباح الهوى الا الى الاحباب
أيا ريح خبرني أيا ريح دلني	هل هي بأرض الشرق ام من الاغراب
وان كان حولها الف فارس	افنيهم بضرب الرمح والقرضاب
لا بد ان أصطاد بكفي بديعة	ما حظي بها جبر ولا ابن دياب

ولما كان ينشد هذه الابيات سمعه ابوه منقد قال لزوجته انا خائف على ولدنا نصير فقد سمعته يغني على هواه ويتمنى ان يجلب فتاة كما فعل غيره من الشباب

ولولا خوفي عليه لقلت له عن فتاة لا يوجد لها نظير في الدنيا كأنها حورية سمح لها رضوان بالخروج من الجنة فسألته زوجته عن اسمها واسم ابيها فقال هي ورد الروض بنت الملك غضنفر صاحب بلاد حماه فقالت له ولماذا تخاف على ابنك فدعه يذهب اليها ويأت بها ومن عادة الشباب ان يتعاونوا ويصلوا الحرب لاجل فتى واحد فقال لها ومن يضمن ذلك ربما يقولون لماذا تهور وخاطر بنفسه ، فيه ولا فينا كلنا فسكتت ثم ذهبت لعند ابنها نصير لتراه فقد خافت عليه من شدة الغرام اكثر مما تخاف عليه من الحرب والصدام فسمعته يناجي القمر ويطلب منه ان يدله على محبوبته وجعل يغني :

يا قمر السما اخبرني اين اخوك	حتى أزيد في مدحك وثناك
انا اسير في البر منفرد	واصطاد ريم الفلا بالأشراك
أصطاد ريم كالبدر حسنه	لو كان في ارض الروم والاتراك

فسمع صوت امه تناديه فسكت وتقدم نحوها وقال نعم يا والدتي فقالت له ما بك يا بني قل لي ولا تخفي عني شيئا فقد سمعتك تناجي القمر فما تريد منه قال يا أماه كل يوم عندما يجتمع الشباب كل واحد يفتخر بنفسه وأنا اكون بينهم مثل الجبان ولو كنت أعرف بنتا تليق بي وافتخر بها بين الشباب لاتيت بها مهما كلفني الامر فأشفقت عليه وقالت له ان ورد الروض بنت الملك غضنفر بأرض حماه هي اجمل فتاة في الوجود خدها يزري بالورود عنقها ابيض محلى بالجواهر صدرها جنة رضوان ثدياها بيض النعام وهي توافقك تماما وتفتخر بها على اولاد الملوك فلما سمع منها هذا الكلام سر سرورا عظيما وقبل يد امه وقال لها سأذهب اليها لأراها وأخطبها من ابيها فان ابى فيكون مصيره كمصير كل من يتمسك ببنته ويمنعها عمن تحبه ويحبها ثم قال لأمه اذا مضى علي شهران ولم يأتكم خبر عني فاخبري عقل ابن هولا عن قصتي فقالت له اذهب فأنا لا اخاف عليك وفقك الله لنيل مبتغاك . عند ذلك تقلد بسلاحه واخذ معه كل ما يحتاجه بسفره وركب جواده وأخذ معه غلامه بلال وسارا معا يقطعان البراري والقفار الى ان وصلا لقرب مدينة حماه فنزلا عن الجوادين وجلسا يأكلان ثم ارتكى نصير قليلا ونام وغلامه يحرسه ولما افاق من نومه نام الغلام فجعل نصير يفكر كيف يعمل ليرى ورد الروض فرأى ثلاثة قادمين على الطريق ومع كل واحد منهم ربابة فعلم انهم شعراء فسلم عليهم وسألهم الى اين ذاهبون قالوا اننا ذاهبون الى الملك غضنفر نمدحه وننال منه العطاء ثم نذهب الى قصر ورد الروض ونمدحها ثم نوصف لها شباب بني هلال فتشتاق لرؤياهم وتتمنى ان يكون فتى احلامها احد ابطالهم فقال نصير بما انكم تعرفونها فقولوا لي عن أوصافها على التمام بدون مبالغة فارتجل الشاعر نصار هذه الابيات يوصف بها ورد الروض كما رآها :

يقول الفتى نصار والقول صادق	شاعر قدير دوم ينظم الاشعار
أدخل انا عند الملوك جميعا	أمدحهم والمدح عندي كار

وفي كل عام أزور الملــك غضنفر أقبض منه عطا زايــد المقــدار
وما بعده نزور بنتــه الفريــدة محاسنهــا تسلب العقــل والافكار
ورد الروض احلى بنت للغــوى لهــا وجه يشبــه الاقمــار
لها شعر مثال الليل اسود لونــه اذا وقفت على آلارض عشر أشبار
جبينها يضوي كما النور في الدجا وتحته قوسين مرسومة على البيكار
وعيونها كما عيـون الفهد لكنهــا نواعس ذوابــل تسلب الاعمــار
وخدود كالتفــاح صافي ولونهــا أبيض ومن فوق البياض احمــرار
وعمرها ما حطت خطوط وحمـرة سبحان ربــي الخالــق الستــار
خايف عليك تشوفها يا مير مــرة تسوح وتختفي بسهلهــا واقفار

فلما سمع نصير أوصاف ورد الروض زاد عشقه وهواه والاذن تعشق قبــل العين وقال للشاعر يمكنك ان تكون واسطة اتصال بيني وبينها حتى اجتمع بها وأراها ولك مني ما تريد فقال له مرحبا بك اخلع ثيابك وارتد ثياب شاعر واحمل ربابة فتمدح الملك ثم تذهب لعند ورد الروض وتمدحها فتراها وتراك فشلح نصير ثيابه وتزيى بزي شاعر وحمل الرباب وترك جواده عند الغلام وساروا حتى دخلوا على الملك الغضنفر فسلموا عليه فأمر لهم بالجلوس فجلسوا ومدحوا الملك ولما جاء دور نصير عدل الربابة وارتجل هذه الابيات :

يقول نصير الشاعر والله عالــم اتيت نحــوك يــا ملك قاصــد
اتيت نحــوك أريد مكارمــك فمــن يقصد حماك نال المحامــد
اريد مهرة يا امــير مسلسلــة كريمة اصيلــة من خيول المطارد
عسى تسمح بهــا وتجبر خاطري يا ليت عمرك على أعمار الخلق زايد

فلما فرغ نصير من كلامه قال له الملك انزل الى اسطبل الخيل واختر لك جوادا او مهرة اصيلة وبعدما انتهوا من ضيافة الملك قصدوا ورد الروض ودخلوا غرفة الضيوف اما الامير نصير فصارت عيونه تضرب الى الباب وهو لا يصدق ان يراها ويقول في باله هل اراها وأنظر جمالها وانشق روائحها الزكية وصار قلبه يخفق مثل جناح الطير وفجأة دخلت ورد الروض وكأنها القمر في ليلة اربعة عشر عليها ثياب من الملس الناعم وفي عنقها عقد جوهر ومعها ثلاث جواري وأدارت نظرها بالضيوف فرات نصير جميل الصورة بهي الطلعة صبوح الوجه ما رات طول عمرها اجمل منه لا من بنات ولا من شباب وحست ان قلبها تكهرب وانجذب نحوه ورأته يحدق النظر اليها ويكاد يلتهمها التهاما ودليل العشق والهيام لائح على وجهه فالتفتت الى الشاعر نصار وقالت له انا اقول بأن رفيقك امير وليس بشاعر فقل لي الحقيقة هل هو مرعي الذي اشتهر بالحسن والجمال وإلا عقل ابن هولا قل لي ولا تخفي عني شيئا فان كان اميرا وابن امير فاني اكون زوجته فوقف نصار بين يديها وقال لها انه من أمراء بني هلال اجتمعنا به في الطريق واحب ان يرافقنا فأتينا به معنا فان رضيت عنه تكوني جبرت خاطرنا وإلا فسامحينا حتى نرحل

فقالت اهلا وسهلا ومرحبا بكل أما الامير نصير لما راى حسنها وجمالها ثم رضاءها عليه وانها تحبه كما يحبها انشأ يقول :

يقول الفتى نصير من قوم أكـارم	النار فـي قلبي تزيد ضرايـــم
اردت ان أسمـــع بذكر صبيـة	ظريفــة عفيفة مـن خيار العوالم
تفوق ريما بالجمال وسعد الرجـا	ونجمة السحور وبدر النعايـــم
فوصفت لـــي أمي كـل محاسنك	فصرت سايح فـي البراري وهايم
وجينا ليم ابـــوك حتى نمدحـــه	وطلبت مهرة تسبق ريـح النسايم
فلا بد آخذك رغما عـــن العـدا	ويجتمع شملنـــا ونقضي اللــوازم

فلما سمعت ورد الروض ما قال نصير انشرح صدرها وزال عنها الهم وقالت انا موافقة ان تكون زوجي فدبر الامر بمعرفتك فقال لها نسافر بعد ثلاثـــة ايام فاجمعي ما يخصك من خفيف الحمل وغالي الثمن فقبلت ما قال لها ثم ودعتهم وعادت الى غرفتها وارادت ان تنام فما قدرت وكيف ينام العاشق والحبيب قريب منها ونائم في قصرها وصارت في أفكار ثم صارت تترنم بهذا القصيد :

نار قلبي مـــن يقدر يطفيهـــا	لهيبا اشعـــل مهجتي اليوم كاويها
فؤادي اشتعل بالهوى لمـــا رأى	شابا ظريفا صفات الحسن حاويها
له قامة مثل الرشاوي رقيقـــة	وحبيبتـــه مـا في احد حواليها
يا ليتـــه يكون عنـدي أضمـــه	ويبقي الليالـــي معـــي يمضيها

وفجأة سمعت نقرة على الباب فخافت ان يكون سمعها احد ثم قالت فـي نفسها لا بد ان يكون حبيب القلب قد اتى وقامت وهي شبه عارية وفتحت الباب واذا هو حبيبها نصير ففرحت به غاية الفرح واذا به يعانقها وهي تعانقه فقالت له كيف حضرت الى هنا أما خفت ان يراك احد فقال لقد قلقت وجفاني النوم وانا افكر بك وألهج بذكرك فقلت ان كانت سهرانة مثلي أدخل لعندها ونتسلى معا وان كانت نائمة أرجع الى فراشي ووقفت على الباب فسمعت غناءك العذب وتمتعت بصوتك الحنون وطرقت الباب ففتحت لي واني أسهر معك ولا أدنو منك حتى نكتب الكتاب فقالت وأنا كذلك ولكني لا أريد ان تكون بعيدا عني وأحب ان تبقى بجانبي ليـلا ونهارا . وكان للملك غضنفر وزير اسمه حنظلة وله ولد اسمه الهدار من الفرسان الصناديد فأحب الوزير ان يخطب ورد الروض لابنه وكانت ورد الروض تبغضه لبشاعة منظره فلما رأى الوزير الشعراء ورأى معهم نصير تمعن فيه فما خفي أمره ولما سمع قوله للملك أريد مهرة تكون اصيلة عرف المعنى وقال ان صدق ظني يكون هذا امير ومراده يخطب بنت الملك لذلك قال للملك هذا ليس شاعرا وان المهرة التي يريدها هي فتاة عذراء لا يريد غيرها ولو اعطيته ملكك كله وكان الوزير اهدى جارية للملك لتخدم ورد الروض وأوصى الجارية ان تخبره بكل ما تفعل ورد الروض وبكل من يأتي لعندها فسمعت الجارية طرقا على الباب فنظرت فاذا الطارق الامير

نصير وفتحت له ورد الروض ودخل وبقي الباب مفتوحا فراتهما يتعانقان فانسلت من مكانها وذهبت بسرعة الى بيت الوزير فقالت له رأيت بنت الملك تعانق الشب وهو الان في غرفتها فسار الوزير والجارية معه الى قصر الملك وقال له تعالى انظر بنتك والشاعر في غرفتها فلما سمع الملك هذا الكلام غضب ونهض قائما ولبس ثيابه وأخذ سيفه وخرج وهو لا يعرف طريقه ولما دخل غرفة ورد الروض صاح بها يا خائنة لا بد من قتلكما معا ، فمن هذا النائم عندك وسحب السيف وأراد ان يضربهما معا فهبت ورد الروض مذعورة قائلة ماذا عملت يا ابي حتى تقتلني ولما نهضت من فراشها انكشف الغطاء عن النائمة جنبها فرآها الملك فاذا هي فتاة وليس رجلا كما قال الوزير والتفت الى الوزير وقال له يا فاسق اين الرجل الذي قلت عنه انه في غرفة ابنتي فارتعب الوزير وقال ان هذه الجارية قالت لي ذلك الكلام فقال له انظر هذه جاريتها نائمة عندها تسليها وتخيط لها الثياب فقالت الجارية اني نظرته بعيني دخل عندها ونام معها فخافت على حبيبها نصير وصارت تكذب الوزير وتقول لابيها ان الوزير كذاب منافق يريد ان ينتقم مني ويرميني بالتهم الباطلة لاني لم اقبل ان اتزوج بابنه وانت تعرفني يا ابي عفيفة. اما الملك فتذكر ان الوزير خطبها لابنه فرفضته وعمل هذه الحيلة لينتقم منها فقال للوزير انك اتهمت بنتي وازعجتني من منامي في الليل فأنت تستحق العقاب الصارم اما الان فاني أعفو عنك فقال الوزير ان الحق على هذه الجارية هي التي اخبرتني .

(قال الراوي) ان الامير نصير كان موجودا في غرفة ورد الروض ولما ذهبت الجارية لتخبر الوزير شعر بها الشاعر نصار فعرف انها ذاهبة تفضح ورد الروض عند الوزير او عند ابيها فأيقظ نصير وورد الروض وقال لهما ان الجارية انسلت من غرفتها وربما ذهبت لتفضحكما فلما سمعت ورد الروض هذا الكلام خطرت في بالها الجارية فذهبت لغرفتها فلم تجدها فتأكدت من الخبر وقالت للشعراء ولمحبوبها نصير ناموا انتم في غرفتكم وكأنكم ليس لكم علم بشيء وانا انيم جاريتي عندي واخلص نفسي فذهبوا لغرفتهم واقفلوا الباب وناموا ونامت ورد الروض هي والجارية التي تمشطها وتكتم أسرارها ولما حضر الملك والوزير وجدهما نائمين ثم ان الملك غضنفر نزل لينظر اذا كان الشاعر هو الامير نصير من بني هلال وهل قصده يخطف ورد الروض كما قال الوزير وطرقوا الباب على الشعراء ففتح الشاعر الباب ورأى الملك والوزير فقال لهما خير ان شاء الله كيف زرتم عبدكم في هذا الليل فقال له الملك ايها الشاعر اللبيب قل لي الصحيح هل هذا ابن عمك او هو امير من أمراء بني هلال فقال له لا تسمع كلام الوشاة يا مولاي فهذا وحيد امه وابيه وليس من بني هلال واقسم لك على ذلك فقال الوزير ان الشاعر يكذب فاحبس الشعراء عندك لئلا يهربوا وأرسل جاسوسا لبني هلال يسأل عن نصير الشاعر عند ذلك امر الملك بوضع الشعراء بمكان وحدهم ويقدمون لهم ما يحتاجون ومنعوهم من الذهاب لاي مكان حتى يعرف حقيقة الامر وفي الصباح ارسل جاسوسا ماهرا لبني هلال يفتش عن الامير نصير يتنسم الاخبار فذهب الجاسوس

اما الشاعر الذي كان بصفة خادم فانه بقي في الغرفة وما احد افتكر فيه فقالت له ورد الروض كيف تركوك قال ان الامير نصير لبس ثيابي وأنا لبست ثياب خادم فما اعتنوا بي فقالت قصدي اكتب مكتوبا الى بني هلال فقال اكتبي فكتبت رسالة الى بني هلال فأخذها الشاعر وذهب للمكان الذي فيه الشعراء فسمح له الحارس بالدخول لانه خادمهم فقال للامير نصير اكتب كتابا الى بني هلال فكتب هـذه الرسالة :

يقول نصير ابن منقد بما جرى له ... ونيران قلبي زايدات وقيد
ونار الهوى كل ما اقول تنطفي ... تضرم بأحشاء المحب وتزيد
انا كنت قبل اليوم لا ادري الهوى ... فحل بي وخلاني بلا ترشيد
سمعت بورد الروض بنت غضنفر ... ملك حماه فارسا وعنيد
دخلت على الملك غضنفر مدحته ... فظن اني شاعر بالتأكيد
لمحت ورد الروض كالبدر في الدجا ... من فاز بها طول عمره سعيد
اخذوني الى حبس وصرت بضيقه ... حتى يعرفني غضنفر الصنديد
وأرسل يفتش أن كان هذا مؤكد ... يعود يقتلني وأصير فقيد
أيا عزوتي يا هلال انجدوني ... ولا تتركوني للعدا ان أبيد
ابو زيد يا حامي الحمى يوم الوغا ... ودياب مثل سباع البر والبيد
زيدان ابو درغام شيخ شبابنا ... وعكرمة ومخيبر وجبران مزيد
الله اكبر اذا كرت أولاد هولا ... نصر وعقل الفارس الصنديد
انا عقل انجدني وخبر رفاقي ... نصير في الاسر قاسي الهم والتنكيد

ثم طوى الكتاب وأعطاه للشاعر فذهب الشاعر الى غلام نصير وأعطاه المكاتيب فركب الجواد وسار الى نجد أما الامير منقد ابو نصير فسأل زوجته اين ولدنا نصير فحكت له انه سافر ليأتي بورد الروض فقال لها ويلك قد رميت ولدنا في بحر ليس له قرار ولا بد ان يقع في الاخطار ويذوق أشد العذاب والآن اسرعي واخبري عقل ابن هولا لعله يلحقه وتضطر بنو هلال ان تخلصهما معا فأرسلت خبرا الى عقل ان يحضر فلما اتى اخبرته بأن ولدها سافر الى حماه لاجل ورد الروض ثم بكت امامه وجعلت تنخيه فقال لها لا تبكي فأنا الحقه في الحال ثم انه ذهب وأخبر نصر وعكرمة ومرشد وقال لهم اركبوا معي فركبوا معه في الحال يقطعون البراري والآكام حتى وصلوا الى عين ماء باردة فنزلوا يستريحون وإلا رأوا العبد بلال فعرفهم وسلم عليهم وشرح لهم واقعة الحال فقالوا له اسرع واعط الكتابين للامير زيدان وقل له اننا اصلينا نار الحرب ثم ركبوا خيولهم وساروا الى حماه فقال عقل انا اريد ان أخلص نصير في هذا الليل قبل ان يعرفونا ويقتلوه فأرسل غلامه يتجسس ويعرف المكان الذي محبوسين فيه الشعراء فدار الغلام في البلد فرأى قصرا كبيرا ورأى جارية فسلم عليها وسألها لمن هذا القصر فقالت لورد الروض بنت الملك فقال لها اخبريها سرا بأني أريد مقابلتها فذهبت وقالت لسيدتها ان غلاما غريبا يطلب ان يراك فقالت لها ادخليه حالا فأتت به فسلم عليها وقال انا

غلام عقل بن هولا فقالت اهلا وسهلا اين هو ؟ فقال هو خارج المدينة ومعه عكرمة ونصر ومرشد ومرادهم يخلصوا نصير ويأخذوكما معا فقالت لا لزوم لذلك وانـــا أعمل حيلة واهرب انا والامير نصير قل لهم ينتظروننا حتى نخرج ونركب كلنا سوا فعاد الغلام الى عقل واخبره بما قالت ورد الروض . اما الشاعر الذي كان يذهب الى نصير بصفة خادم فقالت له اذهب الى الامير نصير والبس ثيابه واعطه ثيابك فيخرج بها وانت اجلس مكانه ففعل الشاعر كما قالت له ونجحت الحيلة وخرج نصير من سجنه واتى الى ورد الروض فحكت له عن وجود عقل ورفاقه ففرح غاية الفرح وقال مرادي اولا ان نخلص الشعراء من الحبس قبل ان يقتلوهم فأخذ خنجرا وذهب الى السجن فضرب الحارس بالخنجر قتله واخذ المفتاح وفتح الباب وقال لهم اسرعوا فحملوا حوائجهم ومشوا معه ولما وصلوا الى القصر وجدوا ورد الروض أحضرت كل ما يلزمها من خفيف الحمل وغالي الثمن ثم ساروا الى المكان الذي فيه الامير عقل ورفقاه فسلموا على بعضهم ثم ركبوا وسافروا . اما الملك غضنفر فنزل الى الديوان فأتاه الخبر بأن الحارس الذي يحرس الشعراء مقتول والشعراء هربوا فطار صوابه ثم اتاه خبر ان ورد الروض غير موجودة فعظم عليه الامر ولام نفسه لانه لم يقتل نصير الذي يتصف بصفة الشعراء ثم قال للوزيـــر الحق معك اما الوزير فانه ارتجل هذه الابيات :

يقول الوزير حنظلة ابـــن صبرا	ياما لقيت من الزمان عجايب
هذه بنتك خانت ابوهـــا وأهلهـا	وراحت مع نصير والعرض سايب
راحت الى ارض الهلالي ابو علـــي	امير بلاد نجـد وكـل الاعارب
ابو زيد سحار مكار علمه واسـع	يولد سباع البر من بطون العقارب
وأما دياب فارس هـلال جميعا	حامي حماة البيض يوم المضارب
زيدان ابو درغام شيـخ شبابهـم	ستين الف ما فيهم قط شايب
ان طعتني ارسل حالا عساكـرك	جيب بنتـك واطفـي اللهايب
اقتلها واقتلهـم امحـي اثرهـم	وخلي دماهـم على الارض كاسب

أما الغضنفر فكان له ابن عم اسمه ابو عيطة قال له خذ معك عشرة الاف فارس وسر في طريق نجد واحضر بنتي ورد الروض ومن معها لأحرقهم بالنار فركب من ساعته مع عشرة الاف فارس وجد السير . اما عقل ورفقاؤه فقـد قطعوا مسافة طويلة ثم نزلوا بمكان واسع وفيه اشجار كثيرة ووضعوا مائـدة الطعام فأكلوا وشربوا وانبسطوا وناموا وفي الصباح اعتلوا ظهور الخيل والتفتوا خلفهم فراوا الغبار قد ثار فصاح عقل هذ خيل الملك غضنفر وصلت عند ذلـك أطلعوا ورد الروض على رابية وأخفوها هناك اما الشعراء فابتعدوا عن المكـــان وأرادوا ان يقصدوا بني هلال يخبروهم بأحوال الحرب لعلهم يأتون بجيوشهـــم وعساكرهم ولما اقبلت فرسان الملك غضنفر امرهم ابو عطيـة ان يدوروا حول الشباب ويأخذوهم على رؤوس الحراب فحملوا عليهم وتقاتلوا قتالا مريرا وقـام الحرب واشتغل الضرب وصار عقل يأخذ الخيل كراديس كراديس وعكرمة جعـل

القتلى فوق بعضها البعض اما نصر فخلى الدماء تتدفق من الاعناق والامير نصير ابلاهم بالذل والويل ثم افترقوا عن بعضهم وفي الصباح تجدد الحرب والكفاح ورأى ابو عطية ان اكثر فرسانه قد قتلوا فصاح بقومه عار عليكم خمسة فرسان تفعل بكم هذه الافعال ثم كتب مكتوبا الى حماه يخبر الملك بما صار في العساكر ثم اعطى المكتوب الى ساع يوصله للملك ثم رجعوا الى الحرب والطعان وانتصب بين الفريقين الميدان وتدفقت الدماء كالغدران وصبغت الفرسان بلون الارجوان وقد قتل كثير من الابطال وغار عقل من جهة وعكرمة من جهة ونصر ومرشد دخلوا في قلب المعركة ونصير خلف الجميع يحمي الطريق خوفا من ان يصل احد الى ورد الروض والتقى عقل بأبو عطية وصاح عليه وتقاتلا ساعة من الزمان ثم ضربه عقل بسيفه فأرداه قتيلا ثم هرب الباقون فلحقهم الشباب وانزلوا بهم العذاب ثم لموا الخيول والاسلاب فاستقبلتهم ورد الروض بالزغاريد والغناء ثم حملوا وساروا الى بلادهم وركبت ورد الروض في هودجها وكان دليلهم الشاعر نصار فمال عن الطريق فتبعوه وهم لا يعرفون ولما طلعت الشمس رأوا حالهم في براري وسهول واسعة فسألوا الشاعر فقال لهم هذه الطريق أوفق لنا فنرتاح بها من الحروب والقتال فلا يظن الاعداء اننا اتينا من هنا وكل الدروب توصل الى الطاحون اما الملك وهو جالس في الديوان اذ دخل عليه مرسال ابو عطية وأعطاه الكتاب ففضه وقراه فاسودت الدنيا في عينيه وازرق لونه واصفر وقال لوزيره حنظلة خمسة اولاد من بني هلال تكسر عساكرنا وجنودنا ولكن لا بد لي من الزحف على نجد فاقتل الفرسان وأيتم الاطفال ثم قال للوزير اجمع العساكر واركب في الصباح مع ولدك وسيروا الى نجد وخلصوا ابو عطية والذين معه فاجتمعت العساكر من جميع الجهات وسمعوا ضجة فرأوا عساكر ابو عطية المنهزمين قد عادوا بأسوأ حال وأخبروه بقتل ابن عمه وتشتت الباقين فعظم عليه الامر وركبوا في الحال يلحقون شباب بني هلال وكان عدد عساكره عشر كرات وركب الوزير حنظلة وابنه الهدار وسافروا على طريق نجد فوصلوا الى الارض التي صارت المعارك فيها فرأوا القتلى ورأوا ابو عطية جسدا بلا رأس فأمر الملك بدفنهم ثم ساروا الى ان وصلوا للمكان الذي سار منه بنو هلال فوقف الوزير حنظلة وقال اظن ان بني هلال هربوا من هنا فقال الملك اذن ننقسم الى قسمين قسم يسير فيه ابنك الهدار خلف بني هلال وقسم اسير فيه انا وعساكري على الطريق العام والملتقى قرب الحجاز فانقسموا الى قسمين وساروا . اما الغلام الذي اخذ مكتوب ورد الروض ومكتوب نصير فانه اوصلهما الى بني هلال وسلمهما للسلطان حسن فأعطاهما لابي زيد فقراهما على الجميع وبعد ان فرغ من قراءة المكتوبين قال الامير دياب انا اركب واسير ببني زغبي فقال ابو زيد ليذهب الامير زيدان ويباشر الحرب فان احتاج لعساكر رحلنا كلنا فقال زيدان انا لا اسافر حتى آخذ اخبار عكرمة وعقل ونصر ومرشد فأخاف ان يقعوا في مصيبة وانا مشغول بالحرب لا أقدر ان اساعدهم عند ذلك قال العبد بلال اعلموا ان هؤلاء الاربعة رأيتهم ذاهبين الى حماه ليساعدوا الامير نصير

وقالوا اي قل للامير زيدان يصلي الحرب فعندها نهض الامير دياب وانشد :

يقول ابو موسى دياب ابن غانـــم	قـــد شاب راسي من نزول البوايق
ولي سيـف يقطع البولاد حـــده	قديم مدخر نصلته مـــن الصواعق
انا ابوك يـا وطفا اذا الخيل اقبلت	أمزقها والغبـــار بالجـو لاحـــق
فما عاد بدهـــا اهمال يـــا جماعة	يا أبطال الوغى في المغارب والمشارق

فقال الامير حسن والله يا سادات ما تأتي النكبات الا من تحت راس البنات وصار من اللازم ان نحارب الان ونبقي في البلاد خمسين الف فارس عشرة من عساكري وعشرة من عساكر الامير بدر وعشرة من بني زغبي وعشرة من شبـــاب زيدان ويبقى الامير بدر بن غانم والامير عرندس ونحن نسافر على بركة الرحمان وفي الحال انتخبوا خمسين الف فارس وابقوهم في البلاد ثم ركبت بنو هـــلال ورفعت الاعلام وساروا قاصدين مدينة حماه فوصلوا الى ارض واسعة فنزلـــوا ليرتاحوا وإلا راوا الغبار قد علا وثار وانكشف عن فرسان وابطال بعدد الرمـــل وكانوا قوم الملك غضنفر فنزلوا ونصبوا الخيام ودقت طبول الحرب وبرز للميدان فارس اسمه ابو عين فبرز اليه الامير مناع وتجاول معه ثم ضربه بالسيف القاه قتيلا ثم برز اليه اخر فقتله ولما امسى المساء كان قتل عشرة فرسان وفي الصباح هجمت الفرسان على بعضها وعظمت الاهوال وهجم ابو زيد كالصاعقة وصار الدم يجري كالسواقي وعند المساء دقت طبول الانفصال فرجعوا عن الحرب والطعان . يرجع الكلام الى الشباب ظلوا سائرين حتى وصلوا الى نجد وبعثوا بالبشائر ودخلوا بعراضة عظيمة واستقبلتهم الجازية والبنات بالزغاريد والغناء واخذن ورد الروض وعانقنها وترحبن بها واستقبل الامير بدر اولاده وسلم عليهم وارسل الامير عرندس غلاما من غلمانه يخبر السلطان حسن بقدوم الشباب مع ورد الروض واقامـــوا الافراح واحيوا الليالي الملاح وفجأة طلت الفرسان وبانت عساكر حماه بقيادة الهدار ابن الوزير فصاح الامير بدر الخيل يا ركابها والعدا يا طلابها . لأن الهدار سار في الطريق خلف الشباب فما قدر يلحقهم لان الارض كانت موعرة وصعبة المسالـك فلما وصلوا ارسلوا جاسوسا يجس الاخبار فدخل الجاسوس الى نجد ودار فيها وعرف أن فرسانها غائبون فعاد واخبر الهدار فقال لا بد انهم يتلاقوا مع الملك في الطريق وانا غدا صباحا أهجم على الحلة فأنهبها واغنم نسوانها وبناتها وعند الصباح ركب وتقدم الى نجد وقبل ان يصل اليها خرجت الفرسان من كل ناحية وحملوا على بعضهم وغنى السيف في الصدور والرقاب وغار الامير عقل ونصير ومرشد وعكرمة وعرندس على عساكر الملك وبطشوا بهم وبقي الحرب عاقد والدم دافق الى المساء دقت طبول الانفصال وبات بنو هلال في هم ونكد وفي الصباح تجـــدد الحرب والكفاح فقال بدر لازم نبرز اليهم فارس لفارس ونقتل الهدار فمتى قتلناه تهرب العساكر ونبطش بهم وفي اليوم الثاني برز عكرمة الى الميدان فبرز اليــــه الهدار وانطبق الفارسان على بعضهما كأنهما اسدان كاسران وشخصت نحوهمـــا العيون واختلفت بينهما طعنتان قاطعتان اما طعنة عكرمة فراحت خائبة واما طعنة

الهدار فأصابت فخذ الامير عكرمة جرحته ولكنه أظهر الجلد واذا بالامير مرشد انحدف على الهدار واشتد بينهما القتال الى ان شك الامير مرشد الهدار بعود الزان ففطس تحت بطن الجواد فراحت خائبة وضربه الهدار بالدبوس مؤخر الحصان ووقع مرشد الى الارض فأسرع الامير عقل بن هولا ورد الهدار عن مرشد بضرب مثل لهيب النار فصاحت الجازية تنخي الابطال هي والبنات فلما رآهن عقل راخيات الشعور كاشفات الوجوه تحركت فيه نخوة الرجال واشار يقول :

صاح عقل الخيل ابن بدر بلا خفا ... ردوا البراقع وغطوا بدور التمام
ردوا براقعكم وامسحوا عيونكم ... وابدلوا البكا يا بنات بالابتسام
عقل انا ونصر ابن والدي ... وبدر ابوي وعمي ابو غنام
ويوم الذي جاءت لي امراة منقد ... تقول ابني عاد بالحب منضام
فزيت بالحال واخذت رفاقتي ... ورجعت الى حماه وديرة الشام
رحلنا ورد الروض معنا غنيمة ... ما لها مثيل بالترك والاعجام
لحقنا ابو عطية ومعه فوارس ... هجمنا عليهم بالضارم الصمصام
قتلنا او عطية وبددت شمله ... وذبحنا عساكره كذبح الاغنام
وعدنا وعاد النصر يخدم ركابنا ... وسرنا الى نجد على خير وسلام
وبعدها جاءنا الهدار غاير ... ومعه عساكر لا تحصيها الاقلام
فيا خالتي ردي البنات وارجعي ... انا حامي الزينات انا الدرغام
انا لا بد ان عانني ربي وخالقي ... لأقتل الهدار في هذا الحسام
وافني عساكره أشتت شملهم ... واجعل مقابرهم بطون الهوام

عند ذلك اخذت البنات ورجعت الى الصيوان ولما اشرقت الشمس خرجت الفرسان تستعد للحرب والطعان وجاءت الجازية ومعها البنات وصارت تنخي دياب:

اليوم يوم الحرب غنوا يا بنات ... وانظروا عقل حامي المحصنات
عقل من فوق ادهم راكب ... سيفه بيده بالدشمان ضارب
يا دمع عيني على الخدين ساكب ... لا يمسحه غير عقل المكرمات
يا عقل انظر بنت خالك ... وبنت عمك وبنت هلالك
مثل البدور راكبين قبالك ... ينادوا اليوم يومك يا ابن السادات
انظر وطفا ونجمة ثم ريما ... جمال الظعن والمارية الفهيما
بدر النعام وفتنة وسليما ... دموعهن فوق الخدود جاريات
عقل انا اخت الهلالي ... والبنات كما البدور تلالي
يا حيف العدا تنظر جمالي ... انت ونصير تحموا الزينات
ونصر من خلفك مثل فهد ... يغير على العدو ما يخاف احد
ومرشد يا عيوني ان راح يهد ... تقول رجال العدا راحت شتات

ولما فرغت الجازية من كلامها زادت النخوة والمروءة عند دياب ونوى على قتل الهدار وكان قد هجم على بني هلال وقتل عدة رجال وأراد ان يرجع الى ساحة الميدان واذا بعقل صدمه صدمة جبار واخذ معه في القتال والصدام ودار بينهما الاخذ والرد والقرب والبعد والكر والفر حتى تقصفت بيدهما الرماح وخافت

الجازية على عقل فساقت هودجها ومن خلفها البنات دالعات فازعـــات وزلفطت زلفوطة النصر بصوتها الحنون فلما فرغت الجازية والبنات من الزلاغيط تقدمت فرسان بني هلال ودبت النخوة في رأس دياب وصاح بخصمه صوت ارتجت له الوديان وضربه بالسيف على كتفه شقه لدكة لباسه فوقع قتيلا فصاحت البنات لا شلت يداك يا فارس الزمان ثم هجمت الابطال والفرسان واختلطوا ببعضهم البعض وكانت وقعة عظيمة وكان عقل يقتل الفرسان ويدحرج الرؤوس عن الابدان فولت قوم الاعداء وطلبوا النجاة فتبعوهم وفرقوهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمـــة وعادوا كاسبين غانمين وقامت الافراح وعادوا مسرورين بهذا النصر العظيم .

اما الامير حسن وشباب نجد فانهم تقاتلوا مع الاعداء عدة ايام وكان الملـــك غضنفر من الفرسان المعدودين وقد وقف في وجه بني هلال ثم وصلت اليـــه العساكر التي هربت من نجد وكانت مع الهدار واخبروه بما جرى على ابن الوزير فطار صوابه وتكدر وبكى الوزير حنظلة وصار يلطم خدوده ثم ركب الملك غضنفر وبرز الى ساحة الميدان وطلب مبارزة الفرسان فبرز اليه الامير ابو زيد وهجم عليه الغضنفر واشتد بينهما الطعن والصدام الى المساء دقت طبول الانفصال فافترقوا على سلام وعند الصباح نزل دياب الى الميدان ولعب الخضرا فنزل اليه الغضنفر وتحاربا وتقاتلا حتى كلت منهما السواعد وبقي القتال عاقدا والريق جامدا الى قرب العصر فأطلق الملك السنان على الامير دياب فما اصابه عندها أطلق دياب الرمح على الغضنفر فخرق صدره طلع يلمع من ظهره فلما رأى ابو زيد مصرع الغضنفر هجم على قومه وهجم الامير حسن وزيدان وهجمت الفرسان ودار بينهم القتال وصار قوم الغضنفر بويل عظيم وشر جسيم وعندما أقبل الليل تفرقوا وتشردوا فـــي البراري والقفار تاركين جمالهم وأغنامهم ورجع بنو هلال في حظ وافراح وعند الصباح اجتمع الامير حسن ببني هلال وقال لهم صار واجب علينا ان نرجع الى الاوطان ثم انهم ركبوا ورجعوا يتسابقون على خيولهم وقبل ان يصلوا الى بني هلال وصل خبرهم الى عرندس وبدر وباقي الشباب فخرجوا لاستقبالهـــم وخرجت النسوان بالدفوف والمزاهر وبشروا السلطان حسن فقال الحمد لله على السلامة وصار من اللازم ان نهتم بعرس الامير نصير وأقاموا الافراح وذبحوا الاغنام وعملوا الولائم مدة سبعة ايام ودخل الامير نصير على ورد الروض وعاشا في هناء وسرور وملذات وحبور وانجبا بنين وبنات وداموا في بسط وانشراح .

قصة نرجس الروض

(قال الراوي) بينما بنو هلال في بسط وانشراح واقامة الافراح بعرس الامير نصير على ورد الروض اذ دخل عليهم ساحر وعليه هيأة السفر الطويل فترحبوا به واجلسوه وبعد ان اكرموه قال له زيدان هات لنا شيئا من العابك السحرية فأتى ببعض اشياء تحير العقول فقال عرندس ان هذهالالعاب معروفة ويعمل ابو زيد مثلها وازود فقال الساحر وما هو ابو زيد انه لا يعرف شيئا بالنسبة لما اعرفه انا انظروا هذا خيط ورماه على عرندس فاذا هو حية ملفوفة على رقبة عرندس فارتعب منها عرندس ويبست يداه فضحكوا عليه فقال زيدان لا تؤاخذ عرندس وخلصه من الحية قبل ان يختنق فأشار الى الحية فعادت خيطا وتحركت يداه واخذ الخيط يتأمله فرآه خيطا ثم اخرج الساحر علبة نشوق فسألوه ما هذا ؟ فقال دواء للرشح فأخذوا منه وصاروا يشمونه ثم انقلبوا في الارض كالاموات أما عكرمة فما اصابه شيء لانه لم يشم منه وسحب السيف وأراد ان يقتل الساحر فيبست يده وجمدت رجلاه في الارض وقال له الساحر ترفع يدك عليّ يا ولد وانا يا ما حملتك على كتفي وانت صغير وما نيمت هؤلاء الشباب الا لاجل غرضك واشار بيده نحو عكرمة فتحركت يده ووقع منها السيف وانطلقت رجلاه وقال له ولكن من انت حتى حملتني وانا صغير فقال له انا اسمي بدران وخالي ابو زيد وهو الذي علمني هذه اللعب ولكني زدت عليه وقد سمعت في بعض الايـــام بالماضي بن مقرب انه كريم ويجود على الشعراء فسرت عدة ايام واذا انا على ساحل بحر ورأيت قاربا فخرج جماعة واخذوني اسيرا ورموني في القارب ثم نقلوني الى مركب كبير وفيه اسرى كثيرون باعوا منهم والباقي اخذهم الملك علقم صاحب قلعة البهرجان وبلاد الكيمان وكان لهذا الملك بنت ليس لها نظير في الجمال وكان يحبها

ابوها ووضعها في قصر خاص بها فطلبت بنت الملك الست نرجس الروض من والدها اسير لاجل الخدمة فاختاروني لخدمتها فلما رايتها كنت في بلاء واحزان فصرت في سرور وأمان وصرت عندها من افضل الخدم وسلمتني المصروف وجعلت لي غرفة خاصة بي وكنت أحفظ سورا من القرآن الكريم فكنت في بعض الاوقات اتلو هذه السور فدخلت علي وانا اقرأ فنهضت قائما فقالت لا بأس عليك فاني كنت أسمعك تقرأ فما هذا الكلام الذي تقوله فقلت لها هذا كلام رب العالمين خالق الكون والناس أجمعين فقالت اريد منك ان تقرأ أمامي جهرا فصرت أقرأ امامها فرأيتها تنسر من القراءة وينشرح صدرها ثم سألتني عن بلدي وأهلي فأخبرتها اني من نجد وحكيت لها عن نساء بني هلال وعن الشباب والفرسان وعن عاداتهم ودياناتهم ثم علمتها الصلاة والصوم وبعضا من آداب الاسلام فأسلمت وصرت اطبخ لها الحمام المحشي بالرز والبهارات وعملت لها حلويات ومعجنات وما عادت تأكل الا من طبخي وكان لها بنت عم اسمها زهر الازهار اتت تزورها ومعها جارية وكأنهما حوريتان من الحور العين ولكن رأيت نرجس احلى منهما وأجمل بكثير ثم احضرت الآلات وضربت عليها البنات انغاما تقول ان القصر يرقص من الطرب وقامت نرجس وصارت ترقص والبنتان تغنيان الى الصباح وفي اليوم الثاني قالت لي أعد علي ذكر بنات نجد وشبابها فذكرت لها اشياء كثيرة ومدحتك لها يا عكرمة مدحا بليغا حتى مالت اليك وتمنت ان تراك ثم قالت لي انت سبب اسلامي وأريد منك ان تسير الى نجد وتعود ومعك عكرمة حبيبي . ثم امرت القبطان بالسفر وقالت له سر به الى ما يريد فودعتها ونزلنا في المركب وسافرنا ثم دخلت الى بلد زيد العجاج وأرسلت كتابا الى الست نرجس مع القبطان ثم اتيت اليكم وهذه صحة الاخبار فقال عكرمة مرادي ان أذهب الى نرجس الروض وآخذها زوجة لي ولكن من يكون رفيقي في هذا السفر فقال ما لها غير عقل بن هولا فقال عكرمة غدا نستشيره ثم فيق الساحر الشباب النائمين وذهبوا لبيوتهم وفي الصباح حكى عكرمة لعقل عما جرى له وقال انت تكون رفيقي في هذا السفر فقبل عقيل ان يسافر معه . أما نرجس الروض فلما فارقها بدران لم يعد لها اصطبار من شدة الغرام فبكت ونزلت دموعها على خديها ولما رآها ابوها تبكي سألها عما بها فقالت له كنت أقرأ فشعرت كأني في زيارة للقدس الشريف فمرادي ان أزور القدس واتمتع بأنوارها فقال لها غدا أرسل معك اخاك صبر ومعه ستون الفا يحفظونك الى أن تزوري وترجعي بأمان ثم امر ابنه ان يأخذ اخته الى القدس الشريف فأحضروا الذخائر والمؤن في المركب ونزلت الفرسان وكانت نرجس قد احضرت لوازمها ونزلت في المركب فودعهما ابوها وسار المركب يمخر عباب الماء الى ان وصلوا لمدينة حيفا فربطوا المركب وطلعت نرجس وأخوها ونصبوا لهما صيوانا لاجل الراحة وكان قد سمع بجمال نرجس ملك من ملوك المجوس اسمه شهلب فأرسل وزيرا من وزرائه اسمه نفر ارسله الى الملك يطلب منه نرجس فامتنع ابوها وأرجعه بالخيبة فرجع وقال للملك لقد امتنع من زواجها وهي قد سافرت في زيارة الى القدس

الشريف ومعها ستون الفا يحرسونها عند ذلك صاح شهلب على نسيم ابن اخته وقال له خذ مائة الف بطل واحضر نرجس الروض بالقوة والحرب والقتال فقـال سمعا وطاعة واخذ الجنود والعساكر وساروا الى ان وصلوا لمدينة حيفا فأرسل جاسوسا يجس الاخبار فذهب الجاسوس وعاد وقال لنسيم انهم غافلون فأسرع نسيم وكبس عليهم في الليل والتقت الفرسان بالفرسان وهجموا كالذئاب الكاسرة ودارت بينهم الحرب بضراوة وصبر ابن علقم وقتل منهم الف فارس وصاح بهم صيحة دوت لها الجبال والوديان وانطبق يمينا وشمالا يجندل الفرسان وما زال في ضرب وطعان حتى كثر جيش الملك شهلب على جيش صبر وحل بهم البلاء وبكت نرجس وخافت ان يأخذها المجوس ولا زال قومها وقوم نسيم في حرب طاحنة وزاد الحرب عليهم فتراجعوا عن اماكنهم فلما رات ذلك نرجس كتبت كتابا واعطته الى غلامها (سريع) وقالت له أوصله الى بني هلال فأخذ الكتاب وسار يقطـع السهول والاوعار حتى وصل لعين ماء وكان عندها عقل وعكرمة فلما رآه عقل ابن هولا وهو مسرع سأله الى اين ذاهب وما هو اسمك قال اسمي سريع وانا ذاهب الى بني هلال في مهمة مستعجلة فأرجو ان لا تؤخروني عن المسير فقال له عقل نحن من بني هلال فهل معك كتاب قال نعم وناولهما الكتاب واذا هو يحتوي على خصلة شعر مثل الحرير وقصيدة من نرجس الروض هذا نصها :

تقول فتاة الحي نرجس الحزينـــه … دمع عيني على خـــدي غـــزار
ايا امير جـــد السير بلا بطـــا … اقطع فيافـــي في البر ليل ونهار
سلم على حسن الهلالي ابو علـــي … وقيعة عنـــدك يا معز الجـــار
وسلم على ابو زيد الهلالي سلامـــه … ابو زيد انت على الحرب صبـــار
وسلم على الفتى ديـــاب بن غانـــم … فارس الفرسان هـــا المغـــوار
وقيعة على زيدان شيـــخ الشباب … بيـــوم الوغا مـــا ظن مثله صـــار
وسلم على الجهال جملة وقلهـــم … الاجواد عنـــد العدو مـــا تحتـــار
وفي قصد المجوس أن يملكونـــي … لانـــي على ديـــن النبي المختـــار

وبعد ان قرا الكتاب اعطاه الى غلامه وامره ان يوصله الى نجد ثم ركبوا مع سريع وساروا . اما الامير صبر فرتب قومه وأمرهم بالاستعداد للقتال فدارت بينهما الحرب وبدأوا بقطع الاعناق وبتر الايدي وخرق الصدور وصاح صبر فيهم صوت مرعب وجندل الاقران والفرسان وما زالوا في حرب وصدام حتى كـل (صبر) وتفرقت عساكره في القفار من كثرة الاعداء فحار صبر في أمره ولكنه صاح بقومه اثبتوا على حرب أعدائكم فما سمعوا منه بل ولوا الادبار فلحقهم خوفا من العطب وكان عقل وعكرمة وسريع سائرين فراوا قوم الست نرجس هاربين وفرسان شهلب لهم تابعين عند ذلك انحدروا على ريشة القوم وضربوهم وابلوهم بالويل ومالوا فيهم بضرب الشواكر الى المساء افترقوا عن بعضهم اما صبر فاستبشر خيرا وفرح فرحا عظيما وتقدم من البطلين وعانقهما وقبلهما وشكرهما ثم سألهما عن سبب مجيئهما الى هذه البلاد فأعلموه بكل ما جرى وجاءت نرجس وشكرتهما

وقالت لهما خلصتماني من الاعداء فقال عكرمة نحن جئنا لاجلك فكوني براحة بال فالهم عنك زال ولا بد ان يأتي زيدان ومعه الفرسان ومن بعده يأتي ابو زيد ودياب تحته الخضرا مثل الغزال فلما اصبح الصباح ركب نسيم وقومه وركب عكرمة وعقل ونزلوا الى الميدان وانحدر نسيم الى الميدان وطلب مبارزة الفرسان فانحدر اليه عكرمة وانشد هذه الابيات :

يقول الفتى عكرمـــة عما جرا لـــه	ورمحي فـي صدور العدا طعـــان
ان كان شهلب طغـــاك بجهلــــه	لتأخـــذ نرجس ست النســـوان
اثبت امامي يــا نسيم وشوفنـــي	انا عكرمـــة ابـــن ابو شيبـــان

ثم التقى البطلان كأنهما جبلان وتقاتلا قتالا عظيما وما نال احدهما من الاخر شيئا وجاء خبر الى صبر ان الملك شهلب الغدار محاصر ابوه وعندما سمع صبر ونرجس هذه الاخبار خافوا على ابيهم واحتاروا ما يعملون فقال لهم عقل وعكرمة لا بد ما نهلك اعداءكم فاطمئنوا ولا تخافوا . اما زيدان والجبان كانوا في الديوان وإذ دخل العبد واعطى كتاب الى السلطان واذا به خصلة شعر وقصيدة وهـــو مرسل من نرجس الروض فقراه على العموم واذ دخلت الجازية رات الوجـــوه متغيرة فقالت ما الخبر يا شباب ؟ فأعطوها الكتاب وخصلة الشعر فقراته ثم قالت ما بالكم ساكتين قالوا انت صاحبة راي حسن ونحن دائما نستشيرك في المسائل المهمة فما هو رايك فقالت ارسلوا كتابا الى زيد العجاج ونحن نستعد من الان ثم التفتت فرأت موسى بن دياب فقالت له انت تقول دائما خليني لوقت الضيق والآن خذ هذا الكتاب الى زيد العجاج وكتب الامير حسن كتابا فلما اخذ المكاتيب ركب وسار ثم قالت للامير زيدان هيا بلا اهمال فنهض واعتلى على الحصان وركبت معه الجهال ودقت الطبول ودق ابو زيد طبلة اما بدران لما فهم الكتاب طلبوه ما وجدوه وركب دياب وبنو زغبي وركبت الزينات ظهور الجمال وساروا يقطعون البراري والقفار ولما وصل موسى لزيد العجاج اعطاه الكتاب فلما قراه سأل موسى هل ركب الامراء قال له نعم ركبوا ودقوا الطبول اما فاضل ابن زيد العجاج فرأى الهمـــة باردة فأقام الضجة وصاح بالشباب دقوا الطبول واركبوا خيولكم وركب معهـــم بستين الفا اما عقل وعكرمة فصاروا يغيروا كل يوم على نسيم وكان أعلم خاله الملك شهاب عن بني هلال فلما اتاه المرسال صار في اسوأ حال وأرسل مئة الف مقاتل وكان قد ارسل المراكب وحاصر علقم اما نسيم فكان يحارب عقل وعكرمة فلا يقدر عليهما ثم التقت الفرسان بالفرسان وعميت الابصــــار وغاصت الجهال بين المجوس وفتكوا فيهم فتكا ذريعا وسمعوا صوت الطبول تدق واذا هي طبول بني هلال بقيادة الامير زيدان فوجدوا القوم في الحرب والكفاح فأرخوا لخيولهم العنان الى ان ادركوا الفرسان وصاح زيدان صوت ارعب الفرسان وعمل بعساكر المجوس الحسام البتار وصاح احملوا عليهم فطبقت الفرسان على الفرسان حتى جرى الدم كالسواقي وعند المساء دقت طبول الانفصال فافترقوا عن بعضهم واصطف الشباب حول الامير زيدان ودار بينهم الكـــلام ودخلت الست نرجس وقدمت لهم شراب

الليمون والسكر ثم قالت لزيدان اريد ان يكون عكرمة زوجي ويبقى يحفظني مـن الاعداء فقال له ان نرجس تريدك‌ان تكون عندها في الصيوان وهي خائفة عليك من غدرات الزمان فكيف تقول ، حط يدك بيدها واقراوا الفاتحة ثم دخلت هي وعكرمة وجلسوا على فراش الحرير والسيف بينهما ودار ظهره ونام وفي الصباح أمـر زيدان بدق الطبول فقال زيدان لعقل وعكرمة وصبر احفظوا انتم نرجس ونحـن نحارب ثم ركبوا الخيول وسحبوا السيوف اما نسيح لما رجع من الميدان بات في غم واحزان وفي اسوأ حال ولكن اتاه كتاب يقول فيه ان عمه ارسل له مائة الف خيال فزال عن قلبه الهم وفي الصباح ضربت طبوله وانحدر بقومه الى الميدان فنزل زيدان الى الميدان وطلب الفرسان فنزل اليه نسيم والتقى البطلان كأنهمـا أسدان وغار عليه زيدان وحك الركاب بالركاب وضربه بالدبوس على رأسه طبق الخوذة لحد أضراسه فوقع نسيم على الارض فارتمى عليه زيدان وكتفه وهجمت الفرسان على بعضها والتحمت الطائفتان وتقطعت الرقاب وبترت الايدي ووقعت الخيل بفرسانها وصارت معركة هائلة انتصر فيها زيدان والشباب وتركوا رجال نسيم في اسوأ حال وجال الامير عقل بين فرسان نسيم يقطع الرؤوس وهو يقول اليوم يوم المنية اليوم يعرف الشجاع من الجبان اما قوم نسيم فولـوا هاربين وزيدان والشباب لاحقينهم بضرب يقصف الاعمار حتى أدخلوهم الخيام واخذ عقل وعكرمة نسيم وهو مكتف وعاد بنو هلال واجتمعوا في الصيوان وأتاهـم الزاد والحلويات فأكلوا وانبسطوا وقد اتتهم الاخبار عن مجيء الامير فاضل فاستقبلوه وسلموا عليه ثم عادوا الى الصيوان اما الملك شهاب فأتته الاخبار ان نسيم في الاغلال وقد انكسر جيشه فقال شهاب لعبد خان وعبد نار اعملا حيلة على نرجس وهاتوها وفكوا نسيم من الاسر ثم أمر بالركوب فركبت الفرسان وكان عددهـم خمس كرات ودقت الطبول وساروا ليأخذوا بالثأر اما قوم نسيم المنهزمين فقـد التقوا بالوزير فأخبروه بما صار اما عبد دخان فوصل الى نسيم وفكه من القيود وحمله وسار به الى الوزير وصحاه وأما عبد نار فدخل على الست نرجس فرآها نائمة وجنبها عكرمة فحملها وانسل بها فلما افاقت من نومها رات عبد نار امامها أما بدران فانه سار بالليل ليرى الملك شهاب في اي مكان فرأى عبد دخان حامل نسيم ووضعه عند الوزير وتركه وسار فصاح به بدان قف يا ابن اللئام فلم يقف فضربه بحجر من الصوان فتح ثغرة في صدره فشهق ومات ورجع بدران امـا عكرمة فنهض في الصباح فلم يجد نرجس فأعلم بدران بأن نرجس مخطوفة فقال بدران لفاضل وعقل ان يركبوا ويفتشوا على نرجس فركب عكرمة وبدران وعقل وفاضل وساروا يفتشون عليها فوصل بدران الى شط البحر فرأى نرجس مربوطة ومرمية على الشاطىء بانتظار مركب يأخذها ففكها بدران وأردفها خلفه ورجع بها الى المنزل وفي ثاني الايام تجدد الحرب وذلك ان عساكر شهلب قد وصلت ودقت الطبول فصاح زيدان بالشباب وصار ينخي الفرسان واصطفت الصفوف وترتبت المئات والالوف فبرز الى الميدان فاضل ابن زيد العجاج فنزل اليه الوزير فطعنه في صدره أرداه قتيلا وبرز اليه فارس اخر فألحقه بالاول ولم يزل يقتل فارس بعد

فارس حتى قتل ستين فارسا عند ذلك حملت العساكر على بعضها وجرت الدماء من الاعناق والتقىٰ شهلب بالامير زيدان وامتشق دبوسا من البولاد وضرب به زيدان طبق الخوذة على راسه فوقع زيدان على الارض فهجمت بنو هلال وانقذوه من الهلاك واركبوه على جواد وهجم فاضل من الامام وعقل وعكرمة من اليمين فعند ذلك حملت العساكر على العساكر اما نرجس فصارت تبكي وتشجع لفرسان وقد قتل من بني هلال عدة أبطال وتأخروا عن الميدان وما بقي فيه الا عقل ونصر ومرشد وعكرمة وفاضل ومناع وجبر ومخيبر وزيدان وصبر الا والغبار على وأقبلت عساكر مثل البحر الزاخر واقبل الامراء والسادات وخلفهم اربع تسعينات الوف بقيادة ابو زيد ودياب فصاح ابو زيد بالفرسان وأطلق العنان للحمرا وحمل دياب وبنو زغبي فكان هجوم ابو زيد وقومه على اليمين وهجم دياب على الشمال وطبقت الاربع تسعينات على الاعداء وانقض ابو زيد على شهلب وصاح فيه اليوم تنظر فعل الرجال وتقاتلا قتالا عنيفا مخيفا وهجمت الفرسان على بعضها البعض وصارت الرؤوس تتساقط مثل ورق الشجر ايام الخريف وفي المساء دقت طبول الانفصال فافترق الجيشان وكان بنو هلال أركزوا الصواوين وبنوا الخيام وجلسوا حول السلطان حسن وحضر ابو زيد ودياب وزيدان وحضر صبر اخو نرجس وعانقهم وسلم عليهم وفرح بقدومهم وحضرت الجازية ومعها نرجس وتقدمت نرجس وقبلت يد السلطان حسن فبشرها بالسلامة وباتوا الى الصباح فضربت طبول الحرب واصطفت الصفوف ونزل شهلب الى الميدان فصال وجال وطلب مبارزة الفرسان فنزل اليه ابو زيد وصاح فيه قائلا هذا اليوم اخر ايامك وكان قد وصل زيد بن شرهان مع عساكره وجنوده وحملوا على الاعداء وحملت معهم بنو هلال وطبقوا على العساكر مثل البحور الزواخر فلما رأى شهلب ما حل بقومه ترك ابو زيد وصار يشجع رجاله على الثبات وهجم على بني عقيل يضرب فيهم بالحسام وكان ابو زيد له بالمرصاد فضربه بسيفه البتار فوقع الى الارض قطعتين فلما رأى قومه مصرع ملكهم ضعفت قواهم فولوا هاربين وبنو هلال لهم تابعين حتى أفنوهم وبعدها عملوا يوما عظيما وافراحا عامة من غناء ورقص ودبكة وبرجاس مدة اربعة ايام وأراد الملك علقم ان يأخذ ابنه صبر وبنته نرجس فقالوا له انها أسلمت وخطبت الامير عكرمة ومرادنا ان نزفها اليه فتكدر لما سمع هذا الخبر وسأل نرجس هل ترجع الى وطنها ام تذهب مع بنو هلال وتتزوج عكرمة فأطرقت براسها حياء وخجلا فعرف ابوها انها تحب عكرمة فبارك لهما بالرغم منه ثم ودعهم ورجع الى بلاده اما بني هلال لما وصلوا الى بلادهم كتبوا كتاب نرجس على عكرمة واقاموا الافراح ودخل عليها الهناء والسرور .

قصة الست لميا

(قال الراوي) بعد ان تزوج الامير عكرمة بنرجس الروض وقعدت بنو هلال في فرح وسرور وغبطة وحبور كان يوجد ملك من الملوك العظام يقال له حماد بن غلاب حاكم بلاد جعفر وهو من المجوس وعنده عساكر وأقوام يكل عن وصفها اللسان له بنت اسمها لميا وهي من الفتيات المتألقات والمتأنقات وفضلا عن حسنها وجمالها وقدها واعتدالها فقد كانت شفوقة رحيمة لا ترد سائلا بدون عطاء وكانت تتكرم وتجود على الجمعيات الخيرية لتربية اطفال الفقراء من اي ملة كانت فذاع صيتها وأحبها الجمهور حبا جما وصارت تأتيها الخطاب من جميع الجهات يطلبونها من ابيها فيقول لهم لقد خطبها ابن عمها الملك هطال الحاكم على نهر الزيق وتلك الاطلال وبعد ايام ارسل الملك هطال وزراءه وبعض العساكر الى بلاد عمه ليزفوا له بنت عمه اليه حاملين معهم الجهاز فلما علمت بذلك الست لميا تنغص عيشها لان ابن عمها كان كبير السن ظالما مؤذيا بخيلا يعبد المال والنار فاختلت بأمها وقالت لها انا لا اريده الموت افضل منه فقالت لها وكيف قبلت به وكتبنا الكتاب فماذا نقول لابيك قالت ما كنت مطلعة على أحواله الشائنة وبخله وظلمه وعمره يزيد عن عمري عشرين عاما فقالت لها هذا نصيبك فاصبري الا تخافي غضب ابيك فقالت لها سأتزوجه بالرغم مني ارضاء لأبي ففرحت امها برضائها وظنت انها قبلت به ولكن الست لميا ذهبت الى غرفتها وجلست تفكر كيف تتخلص من ابن عمها وكانت قد سمعت عن بني هلال وقرأت قصصهم وكيف حكموا البلاد واطاعت لهم جميع العباد وعن شبابهم وما خصهم الله من الحسن والجمال وكانت تعرف شاعرا يمدح الملوك والامراء لينال منهم الجوائز الحسان فحكت له قصتها وقالت له انا اعطيك ما تريد فخلصني من هذه الوقعة ولو كان في فتى من بني هلال فقال لها انا كنت

ناويا على السفر الى نجد والآن سأذهب لأجلك واضرب عصفورين بحجر .

وبالحال ركب ناقته وسافر الى نجد ودخل على بني هلال وصار يمدح الامراء وينال الجوائز فكان يرى اكثر الشباب متزوجين ودار بين الفتيان فراى فتى جميل الطلعة وعرف انه غير متزوج فضاف عنده وصار يوصف له البنات الفاتنات ثم وصف له الست لميا بنت الملك حماد وقال له هذه اجمل وأحلى من كل الفتيات التي وصفتهن لك فقال أعد علي وصفها فقال حبا وكرامة :

قال الفتى المسمى مروان	ابيات شعر كامل الاوزان
ألا يا مير زيان ابشر بلميا	بنت الفتى حماد سلطان
كل من شافها قال يا سلام	مثل البدر نور الاكوان
الشعر أسود والعيون نواعس	وخدود ورد والشدي رمان
وريقها يشفي العليل رضابه	والعنق يشبه عنق غزلان
لو شفت بطنها بسرة معطرة	بالمسك والعبر والعطر شان
فروح يا امير انظر جمالها	كم فتى في حبها غدا ولهان
هذا القول مختصر يا مير الملا	خايف أكمله يصيبك جنان

فلما انتهى الشاعر من وصف الست لميا زاد بالامير زيان الغرام فقال له مروان ان كنت تريدها فاسرع وخذها لان ابن عمها طالبها وهي لا تريده وانا أذهب معك واساعدك وامدحك عندها وارغبها فيك فقال له سأذهب اليها مصطحبا معي ابن عمي علي ابن السلطان حسن واقول لبني هلال يلحقونا بالحال ثم انه أكرم الشاعر فشكره وسافر ليبشر الست لميا بمحبوبها المنتظر ولما وصل اليها بشرها بأنه اجتمع بفتى من خيرة شباب بني هلال ومدحها امامه فأحبها حبا جما وعن قريب يكون عندها فأكرمت الشاعر وصرفته . اما وزير الملك هطال فقال لوالدة لميا اسرعوا بتجهيز لمياء فقالت له انتظر حتى تأتي ببدلاتها من عند الخياطات وصارت الست لميا مرة تعمل حالها مريضة ومرة نسيت تروح لعند الخياطة وكل يوم تخلق الاعذار التي لم تكن تخطر على بال ولما طال المطال نفد صبر الوزير وقال الان اريد لميا بأي صورة كانت بلا ملابس بلا خياطة بلا زينة وحالا أمر النساء بأن يزينوها ويركبوها في الهودج فدخلت عليها امها وبعض الماشطات فزينوها واحسن قماش لبسوها ثم ركبوها الهودج وساروا بها بسرور وأفراح وهي تبكي وطلع ابوها وقومه فودعوها ولما وصلوا الى عين البها ووادي الملتها نزلوا في ذلك المكان ليرتاحوا اما الامير زيان فاجتمع بعلي ابن السلطان حسن وقال له من يوم الذي اتى الشاعر مروان لعندنا ومدح لي الست لميا ما نمت ولا ذقت الطعام من شدة الحب والهيام ولوعات الغرام فحالا شدوا الخيل واعتلوا عليها واخذوا معهم العبد يخدمهم وساروا ليلا ونهارا حتى وصلوا الى عين البها ووادي الملتهى فرأوا وزير الملك هطال وجماعته ومعهم عروس راكبة بالهودج قالوا هذه هي الست لميا فقال زيان وما العمل فقال ما عندنا الا السيف ثم هجموا على القوم هجمة الذئب على الغنم ووقعت الصيحات وعلت الضجات وصاح الوزير بزيان قائلا ماذا تريدون منا

فقال له زيان اتركوا الست لميا واسلموا بأرواحكم فما كان من كاسر الخيل الا وضرب زيان بالسيف التقاها بترس البولاد راحت خائبة اما زيان فهز بيده عود الزان وطعنه فيه بين بزيه خرج من ظهره فوقع قتيلا ومالوا على بقية القوم روحوهم شرايد وكسبوا أموالهم وخيلهم وجمالهم واخذوا الست لميا وعادوا قاصدين بلادهم . أما المنهزمون فانهم دخلوا على الهطال بحالة يرثى لها وحكوا له عما جرى معهم فقال لوزيره علقم اركب وخذ معك الفي فارس وجيب لنا لميا ومن معها بدون امهال فأخذ الوزير الفرسان وساروا قاصدين يجيبوا لميا اما زيان وعلي فسلموا على لميا ففرحت بهم اذ خلصوها من الظلم ثم ركبوا الخيول وساروا مدة ثلاثة ايام واذا الخيل تسرع في أثرهم فصاحت لميا ادركتنا الخيل وهذا الوزير علقم قد اتى بالعساكر فقال للعبد خذ لميا وابتعد بها عنا واحرسها من العدوان وانحدر علي وزيان الى حومة الميدان وصدموا الخيل صدمة هائلة فقال لهم الوزير اعطونا الست لميا واسلموا بأرواحكم وعليكم الامان فقالوا ما عندنا الا السيف والرمح وانطبقوا على بعضهم في اخذ ورد وقرب وبعد وسنحت الفرصة لزيان فضرب الوزير علقم على هامه حط راسه قدامه ثم انقض على القوم من اليمين وعلي من الشمال في ضرب السيف وطعن الرمح خلوهم يهربوا ولما وصلوا لعند الملك هطال حكوا له عن مصرع الوزير وبعض الجنود فصار في حساب وامور صعاب فأرسل لعمه ابو لميا يقول له ان لميا اخذوها بنو هلال وقتلوا الوزير كاسر والوزير علقم وعساكرهم عدا الذين هربوا فحين وصول كتابي هذا اليكم جهزوا العساكر والجيوش واركبوا وسيروا الى نجد ونحن كذلك نجهز عساكرنا وجنودنا ونسير الى نجد ونهجم نحن وانتم على بني هلال نخرب ديارهم ونغنم أموالهم ونسبي نساءهم فأخذ العبد الكتاب واوصله الى الملك حماد فلما قراه وعرف ان بنته خطفها بنو هلال كاد ان يجن وصاح الويل لبني هلال سنسحقهم سحقا وحالا امر بتجهيز الجيوش والعساكر وساروا قاصدين نجد اما الامير زيان وابن عمه علي لما قتلوا علقما ورجاله اخذوا خيلهم وأسلابهم ورجعوا الى بلادهم نجد مجدين السير حتى وصلوا الى برج يقال له المعلق فقالوا لنحاصر هنا قبل ان يدركونا في الطريق ويقتلونا ويأخذوا لميا فاذا كنا في هذا البرج وانكسرنا نحاصر فيه ونرسل لقومنا ان يدركونا فدخلوا الى البرج ثم ان الامير زيان كتب الى بني هلال كتابا قال فيه سلامي على السلطان حسن وعلى ابي زيد ودياب وزيدان وباقي الامراء والشباب وبعد فان الشاعر مروان قد مدح امامي الست لميا فعشقتها على السماع وحرمت النوم ولذيذ الطعام ولذلك سافرت الى بلاد العجم ومعي ابن عمي علي ابن السلطان حسن وتعرفت على لميا واتفقنا معا على السفر لنجد وسافرنا بعد حروب ومشقات والآن نحن محصورون في برج المعلق على الطريق فاذا لم تدركونا بالجنود والعساكر وتفكوا عنا الحصار فانا اما نستسلم للاعداء فيذبحوننا واما ان نموت جوعا وعطشا فالبدار البدار يا اهل الشهامة والمروءة والسلام عليكم .

ثم اعطى الكتاب الى العبد مرجان فأخذه وجد في السير الى أن وصل لبني هلال وأعطاه للامير ابو زيد وقراه على الجماهير فهاجوا وماجوا اما حسن فطار عقله

على ولده علي واما الليث الكندي ابو زيان فكاد يجن على ولده زيان بستين الفا من الشباب وركبوا وسبقوا الجميع وساروا مجدّين حتى اقبلوا على برج المعلق فراوا الاعداء عاملين حصار حول البرج فصاح الامير زيدان بصوت كالرعد القاصف ارجعوا عنهم ايها الانذال وهجموا على الاعداء هجوم الذئاب على الغنم وقلبوا الميامن على المياسر وازعجوا القوم وفعلوا افعالا ما جرت في التاريخ لانهم فاجأوهم بضرب السيف وطعن الرمح بسرعة عجيبة فأبعدوهم عن البرج وزلغطت الست لميا فرحا لانهم كانوا على اخر نفس والسبب في مجيء الاعداء ومحاصرتهم البرج هو ان الملك حماد أرسل وزيره جندع ان يركب بالعساكر ويقتل لميا ومن معها فحضروا وتقاتلوا معهم ولكنهم لم يستطيعوا دخول البرج ولما أجلاهم زيدان عن البرج صاح الوزير جندع بفرسانه استعدوا لنهجم عليهم ونبيدهم عن آخرهم فالحرب سجال يوم علينا ويوم لنا ونحن لولا المفاجأة لما تأخرنا وكنا انتصرنا فنحن اكثر عددا وأقوى ساعدا وامضى سلاحا وبعد ان شجعهم وبشرهم بالنصر نزل الى الميدان وطلب مبارزة الفرسان فنزل اليه زيدان والتقى البطلان كأنهما اسدان كاسران واعتدل زيدان على ظهر الجواد وطعنه بعود الزان في صدره خرج من ظهره وغارت شباب بني هلال على الدشمان ونزلوا بهم ضرب مثل لدغ النار فولت قوم الوزير هاربين وغنم بنو هلال المكاسب والاموال اما قوم الوزير جندع المنهزمين وصلوا الى بلادهم وأخبروا الملك حماد عن انكسارهم وعن مصرع الوزير فجمع قومه من جميع البلاد واستنجدوا بعمه الملك الدهمان وكان في نهر الريف بأطراف العجم قال له ان بني هلال سبوا بنتي لميا وقتلوا وزيري جندع واكثر من خمسة ألاف جندي وقد جهزت الان حملة من جنودنا البواسل لارجاع لميا او قتلها فحين وصول كتابي هذا اليكم ارسلوا لنا قوات تساعدنا على حرب بني هلال والملتقى عند برج المعلق ثم أرسل الكتاب الى ابن عمه الدهقان فلما وصل الكتاب اليه قراه ثم قال لوزيره اقراه فقراه وزيره برصوم فقال له ابن عمك فزعان من بني هلال ثم كتب الكتاب وأرسله الى الملك حماد بأن الملتقى يكون عند برج المعلق كما تريدون وركب الملك حماد بعساكره وركب الدهقان بجيوشه وطلعوا يجدوا السير حتى أقبلوا على برج المعلق واصطفت الصفوف وترتبت المئات والالوف وبرز الى الميدان برصوم وزير الدهقان فنزل اليه عكرمة فتقاتلا وتضاربا قتالا شديدا وقدحت حوافر الخيل النار وهم في هذا الحال هجمت عساكر الدهقان وعساكر حماد على بني هلال وداموا في حرب وقتال مدة عشرة ايام الى ان تعبت بنو هلال وصاروا في اسوأ حال وخافوا ان يتغلب عليهم الاعداء . اما السلطان حسن فأمر بتجهيز الجيوش والحقها بعساكر زيدان فضربوا الطبول وركبت العساكر من جميع الجهات بقيادة السلطان حسن وأبي زيد ودياب والقاضي بدير وساروا مجدّين حتى وصلوا الى البرج المعلق وجدوا الاعداء محاوطين بني هلال ونازلين عليهم ضرب من جميع الجهات فهجم السلطان حسن بجنوده من اليمين والقاضي بدير بعساكره من الشمال وأبو زيد ودياب في الوسط وعملوا دائرة على الاعداء ونزلوا فيهم ضرب بزنود قوية وسيوف مجلية وخف الضغط على زيدان وعساكره فارتدوا على

الاعداء يذبحون فيهم ذبح الغنم وانتقموا منهم اعظم انتقام والتقى الملك حماد بالسلطان حسن وضربه بالسيف فتلقى الضربة بترس البولاد راحت خائبة فخاف الامير غانم على السلطان حسن وهجم على الملك حماد وطعنه بعود الزان في صدره خرج يلمع من ظهره والتقى الملك هطال خطيب الست لميا بالامير ابو زيد وتحاربا وتضاربا الى ان كدهم العرق وكل خصم على خصمه قد انطبق وعندها صاحت الجازية أم محمد من ظهر الهودج هي وعليا يا ما لك عوايد يا ابو زيد وغنوا البنات صوت حروبي فانقض ابو زيد على الهطال وطسه بالسيف على هامه القى رأسه قدامه وطبقت بنو هلال على الاعجام يذبحون فيهم ذبح الجزارين بالغنم ولما وصل الخبر الى الملك الدهقان حاكم العجم بقتل الملك حماد دق الطبول وجمع قومه وسار بمئة الف مقاتل الى ان ادرك الاعجام وهم مولين الادبار فصاح فيهم لا تخافوا ارجعوا ونزل الى الميدان وصاح اين الفرسان فنزل اليه دياب ابن غانم فتقاتلا مثل السباع الكواسر وهجم زيدان على الدهقان وضربه بالسيف فتلقاها بطارقة البولاد فانكسر سيف زيدان وأراد الدهقان ان يضرب زيدان فكان دياب له بالمرصاد ومنعه عن زيدان وكان قد امسى المساء فدقت طبول الانفصال وافترقوا عن بعضهم وفي الصباح انحدر الدهقان الى الميدان فانحدر اليه ابو زيد وانطبقا على بعضهما انطباق الليالي على الايام وصار بينهما حرب شديد يفك الزرد النضيد انجرح ابو زيد على أثره وأدركه دياب بسرعة البرق فترك الدهقان ابو زيد والتفت لدياب واخذا في الحرب والصدام وضرب الدهقان دياب فجرحه في فخذه ودقت طبول الانفصال وفي الصباح نزل اليه السلطان حسن والقاضي بدير وزيدان وبقية الشباب وصاروا يبارزونه ثم يهربون ويتراجعون ولم يزل يضرب في بني هلال حتى ردهم الى الوراء عندها تقدمت الست لميا واشارت تشجع بني هلال بهذه الابيات :

تقول فتاة الحي لميا الحزينة	بدمع جرى فوق الخدود سجايم
رماني الهوى في حب امير منتخب	هد القوى بعد تلك العزايم
تغربت عن وطني وذابت مهجتي	وانفتل كاسر واخوه علاقم
سمع ابي حماد فلم رجاله	وارسل الى الدهقان لم العوالم
وتلملموا الاعجام جونا جميعا	واتى الهطال من اجلي يلاطم
ابو زيد سلامة يا كاسب الثنا	انده الى الزغبي دياب ابن غانم
واجمعوا يا قوم كل أبطالكم	وافتكوا بالعدا خلوهم هزايم

فهاجت الرجال وصاحوا لا بد ما نقتل الدهقان وشالوا عليه فرد غاره وداموا في حرب وقتال ونزلوا عليه في ضرب يهد الجبال ولله در دياب فانه طعنه بالرمح في صدره خرج يلمع من ظهره وانطبق بنو هلال على الاعجام فولوا هاربين وغنمت بنو هلال غنائم عظيمة ورجعوا الى نجد فاستقبلتهم البنات بالافراح والرقص والغناء وادخلوا الامير زيان على محبوبته الست لميا بعد الاحتفال بكتب الكتاب فاحتظى بالحسن والجمال والقد والاعتدال .

قصة الست حسنا

(قال الراوي) بعدما ادخلوا الامير زيان على الست لميا وهم في هناء وأفـراح اذا بثلاثة شعراء دخلوا الى الديوان وسلموا على السلطان حسن وعلى الامـــراء الجالسين حوله ثم جلسوا ينشدون الاشعار البليغة على جميع الانغام حتى صار الديوان يرقص طربا فانسر السلطان وأعطاهم حتى أرضاهم ثم داروا على الامراء يمدحونهم وينالون الجوائز الحسان ولما ضافوا عند حسن ابن مزيد سألهم عن احسن بنت سمعوا بها فقالوا له أحسن بنت هي الست حسنا بنت الملك راشد بن جارح في بلاد الصين فأنشد يوصفها ويقول :

جرحت فؤادي حينما خطرت علـى ... قلبي فأصبحت روحي لهـــا فـــدا
الشعر منهـا مثـل ليـل حالـــك ... يحكي غرابا فـــي المزارع أسـودا
والوجه منها مثـل بدر طالـــع ... وجبينـــا يزري سنـــاه الفرقـدا
وعيونها كعيـــون ظبـــي شارد ... فكـأن فيهـــا صارما ومهنـــدا
وخدودها ورد الربيـــع اذا زهـا ... تفـــاح لونـــه أحمر ومـــوردا
والصدر مثـــل لوح فـي يد كاتب ... والثدي رمان في صدرها قديـــدا
ان فزت منهـا يا امـير بنظـــرة ... هـــام الفؤاد بحبهـــا وتـــوددا

فلما سمع حسن وصف حسنا لعب به العشق والغرام ثم انه اكرم الشعراء وصرفهم ولما نام اهله تقلد الرمح والحسام وركب جواده وسار في البراري حتى اشرف على رياض مفتحة الاكام تزهو فيها الاثمار وتجري تحتها الانهار وتغرد على أغصانها البلابل والاطيار فنزل حسن في ذلك الروض الانيق وبعد ان استراح قليلا

سار يقطع القفار فخرج عليه سبع عظيم الخلقة فكشر عن أنيابه وهجم عليه فاستل الحسام وضربه بقلب لا يهاب فكانت ضربته ووثبة الاسد بوقت واحد فسقط السيف بين عينيه وشقه الى فخذيه فمات فحينئذ جدد السير في البراري والتلال فرأى الامير زيدان ومعه عشرة الاف فارس مسلحين وكانوا يجبون الاموال من الملوك الذين تحت حكمهم فسلم عليهم وفرح بلقياهم فأمر زيدان العساكر ان تنزل في تلك الارض وسأل زيدان حسن عن سبب سيره وحده في تلك البراري والشعاب فأخبره بما جرى عليه من العشق والغرام وقد قاسيت الاهوال في هذا السفر وخرج عليّ أسد يلتهمني فأعانني الله عليه فقتلته بالسيف ومات ولا أعرف كيف أصل وحدي لبلاد الصين وكيف استطيع ان اجيب محبوبتي حسنا واحظى بجمالها النادر فقال له زيدان لا تهتم بهذا الشأن فأرواحنا بين يديك ثم ركبوا جيادهم وساروا طالبين بلاد الصين فلما وصلوا نزلوا في احدى الرياض يستريحون من عناء السفر اما حسن وزيدان فتركا الجنود والعساكر فدخلا الى البلاد وهما حائران ورأوا جارية فسأل حسن أتعرفين قصر الست حسنا فقالت نعم وأنا خادمتها فقال زيدان لحسن اذهب الى حسنا واخطبها فان قبلت فاتفق معها على وقت معين للسفر ولا تطول واحسب حساب تقلبات الدهر وسار الى قصر الست حسنا ودخل قصرها فلما رأته استقبلته بابتسامة عذبة وسألته عن شأنه وما يريد فقال لقد سمعت بحسنك وجمالك فأحببتك حبا لا مزيد عليه وجئت من بلاد نجد لاجلك انت فهل تقبلين بي زوجا سعيدا لك فقالت اني سعيدة جدا اذا حصلت على فتى مثلك واني مطيعة لك كيفما تريد فقال لها اذن يمكنك ان تذهبي معي ونسافر مع رفقائي الذين ينتظرون عودتي وانت بصحبتي حينئذ قامت ولبست لبس الرجال وتقلدت بالسلاح وسارا معا ومعها خادمتها بهجة الايام راكبين على الخيل فاجتمعوا بالامير زيدان والامراء والفرسان وجدوا في المسير قاصدين بلاد نجد أما الملك راشد ابو حسنا لما وصل اليه الخبر باختفاء بنته حسنا شعر بضرب أشد من ضرب الحسام وأمر ولديه نمر التمساح وغدار الملاح ان يلحقا بني هلال ويخرجا منهم الارواح فقالا له وكيف عرفت انها هربت مع بني هلال فقال لهما من عشرين عاما الى الان ما فقدت بنت من بنات الملوك الا بسبب بني هلال الملاعين هيا أسرعوا واذبحوهم ذبح الفراريج فاجتمعت العساكر ولحقوا بني هلال بقيادة نمر التمساح وغدار الملاح واسرعوا بسيرهم مثل البرق وأدركوهم في بعض السهول فلما رأوهم بنو هلال أخفوا الست حسنا مع بعض الجنود لانها مرتدية ملابس الرجال واشهروا السيوف والرماح وصاحوا بصوت واحد الله أكبر واستقبلوا الاعداء بضرب يفتت الجماد واشتبكت الفرسان بالفرسان وجرى الدم من الصدور والاعناق وتوسط غدار الملاح الميدان وصاح اين الفرسان فهجم عليه زيدان وجرى بينهما حرب لا تبقي ولا تذر نضال وكفاح وطعن رماح ورأى مخيبر قتال زيدان مع غدار الملاح فصاح بزيدان اتركه لي فأنا اخرق صدره برمحي واهجم أنت على الاعداء ثم تقدم مخيبر وضربه بعود الزان اخذها بترس البولاد

راحت خائبة ثم تماسك الفارسان واخذا بضرب يهز الجبال ولما طال بينهما المطال هجم عكرمة على غدار ليساعد مخيبر وضربه بالسيف على عنقه طير راسه فلما رأى نمر التمساح مصرع اخيه غدار هجم على بني هلال وهجمت معه الفرسان وجرى الدم وسال وتقطعت الايدي والاعناق وفي المساء دقت طبول الانفصال فافترقوا عن بعضهم البعض فكتب نمر التمساح الى ابيه كتابا ذكر فيه مصرع اخيه غدار وطلب منه ارسال الجنود بسرعة لان اكثر الجنود قتلت في ساحة الميدان فأخذ الرسول الكتاب وأوصله الى الملك جارح فلما قرأه صاح واولداه واعسكراه وزاد غيظه وبلاه واحمرت عيناه وفي الحال أمر بجمع العساكر والفرسان وكتب الى اخيه نادر حاكم بلاد المراتع ان يسبقه الى بني هلال ويشغل فيهم طعن الرماح وضرب النصال .

فأخذ الرسول الكتاب وأوصله الى نادر حاكم بلاد المراتع فلما قرأه زاد به الهم والتنكيد ثم جمع العساكر والفرسان وأمر بالركوب وساروا يجدون الترحال اما نمر التمساح فانه واصل الحرب والطعن والضرب وكان الملك راشد قد وصل الى ساحة القتال وبعده وصل الملك جارح وصاح اين الفرسان وأين الشباب لا ينزل لي عاجز ولا كسلان فهجمت عليه الفرسان من كل جهة ومكان فما كنت ترى الا رؤوسا طائرة وفرسانا غائرة وخيولا داشرة اما حسن بن مزيد فقد هاج وماج وجعل يقطع الاوداج وكانت قد وصلت عساكر ابو زيد ودياب فهجموا على عساكر الاعداء وابلوهم بالذل والنكال وهجم دياب الى وسط المجال وفتك بالاعداء فتكا ذريعا وغار دياب على الوزير وضربه بسيفه على هامه حط رأسه قدامه وانحدر الملك راشد الى الميدان فنزل اليه ابو زيد ليث الفرسان وصدمه صدمة جبـارة والتقى البطلان كأنهما جبلان وأخذا في الصد والرد فهز ابو زيد عود الزان وطعن الملك راشد في صدره خرج يلمع من ظهره فلما رأى قومه مصرعه ولوا الادبـار وركنوا الى الفرار فتبعتهم بنو هلال يضربونهم بالبتار حتى أفنوهم ورجعوا بغاية السرور والابتهاج ونالوا المكاسب والمغانم وسافروا الى بلادهم نجد فلما قربوا منها رأوا خيلا وجمالا وعبيدا وجوارا ونساء وسمعوا صياح الغلمان فصاح ابو زيـد واحسرتاه عليكم يا رجال هذه عساكر نادر اخو راشد غيروا عليهم واذبحوهم ذبح العصافير واطفوا أخبارهم فأطلقت بنو هلال الاعنة وقوموا الاسنة فمزقوا الكتائب واظهروا العجائب لان الملك نادر لما اتاه الكتاب سار الى بلاد نجد راسا وهجموا على بني هلال اما ابو زيد والفرسان فقاتلوا قتالا شديدا وسمع صوت بنت عمه عليا تقول اين انت يا ابو زيد وسمع صياح الجازية والبنات فطيب خاطرهن وهجم على الامراء والعساكر وهجم معه دياب حداف الرقاب واشتغل ضرب السيف وطعن الرماح والتقى ابو زيد بالملك نادر فصاح به وأرعبه وأتعبه وسد عليه طرقـه واقتلعه من على ظهر جواده ورماه الى الارض فعندها هاجت فرسان الملك واندفعت على ابي زيد فالتقاهم دياب وبنو زغبي وطعنوا صدور الرجال وتقدم ابو زيد الى الملك نادر وضربه بالسيف جرحه في كتفه وجاء ابو القمصان كمل عليه بنبلـة

قتلته في الحال وحمل ابو زيد على الاعداء عملة منكرة ونثر الجماجم وما زال هو وذياب وعساكرهم يمزقون الاعداء حتى افنوهم وهرب الباقون ثم عادوا جميعا الى الاوطان مستبشرين بالنصر والسلامة فانشرحت خواطرهم وزالت عنهم الاتراح ثم عقدوا مجلسا من الفضلاء وكتبوا كتاب حسن ابن مزيد على الست حسنا فبات يرشف بروض حسنها الزاهر ويستنير من بدر جمالها الباهر وعاش في هنـــاء وسرور وغبطة وحبور .

قصة الملكة شمس

(قال الراوي) بينما كان أمراء بني هلال مجتمعين في صيوان الامير حسن اقبل عليهم ثلاثة شعراء فمدحوا السلطان بقصائد بليغة فأنعم عليهم ووهبهم مالا جزيلا واما دياب فأخذ الشاعر مروان وأضافه عنده وسأله عما شاهده في سفره من العجائب والغرائب فوصف له الملوك والابطال والبنات الى ان ذكر له الملكة شمس الضحى بنت الملك مشرف ملك بلاد الشرق فتعلق قلب دياب بشمس وقال له صف لي هذه الفتاة فقال على الرأس والعين :

يقول الفتى مروان عما جـــرى له ... مداح الملوك والرجـــال الاماجـــد
نحن نجول الارض شرقـــا ومغربا ... نعرف أمور الناس ثـــم العوايـــد
في طول عمري ما عيونـــي شاهدت ... كشمس الضحـــى بعيون ونواهـــد
شمس الضحى بدر منور في الدجا ... تضوي كما الشمس بين الفراقـــد
لها شعر مثل الليـــل فوق كتفهـــا ... وخد بلون الورد والريـــق بـــارد
لها عنق عنق الريـــم واحلـــى ... تحاكي غزال البر ان كـــان شـــارد
فما شاهدت عيني مثـــل جمالهـــا ... ولا مثلها حوت ملوك وأماجـــد
تليق الى الزغبي ديـــاب ابن غانـــم ... حظية فاقصدهـــا تنال المقاصـــد

ثم قال الشاعر لدياب ان اباها بطل كرار يحكم على كثير من البلدان وقـــد بنى لبنته شمس قصرا عالي الاركان بغاية الاتقان وحوله بساتين الخوخ والتفاح والرمان وانواع الزهور وكل يوم تنزل الى البستان مع جواريها وبعد المساء تسهر مع ابيها ولا احد يقدر ان يراها فقال دياب لا بد لي من المسير اليها وآخذها رغما عن ابيها ثم انه أكرم الشاعر وسمح له بالذهاب ثم اعتلى دياب الخضرا بعدما

حمل السلاح وسار طالبا محبوبته شمس في بلاد الشرق ولما وصل لقرب البلد نزل بالقرب من بئر ماء وجلس يأكل ويستريح اما الملكة شمس فرات مناما افزعها رأت رجالا دخلوا بلادها يريدون اخذها من ابيها فأبى وجرد العساكر وغار على العدا وصارت حروب واهوال فانتصر الاعداء على ابيها فحارت في هذه الامور وأخذت تفكر في ذلك الامير الذي سيأخذها بالرغم من ابيها ثم قالت لا بد ان يأتي هذا الامير ليراني فقالت لخادمتها اذهبي الى البئر وانظري اذا رأيت عنده غرباء فاسأليهم عن مقصدهم أسرعي .

ذهبت الخادمة لتملأ جرتها فرأت عند البئر رجلا حلو الشمائل وعليه من السلاح والملبوس ما يذهل العقول فتقدمت اليه وسلمت عليه فرد عليها السلام فسألته عن بلاده وعن قصده ومراده فأجابها انه من بني هلال ثم سألها عن الملكة شمس فقالت انا خادمتها وهي صاحبة هذا القصر ثم ودعته بلطف وعادت لمولاتها فقالت لها لقد شاهدت على العين شابا كأنه البدر في كماله فسألته عن بلاده فقال من بني هلال وقال اسمي دياب بن غانم وقد سألني عنك ويظهر عليه انه يحبك ويهواك فقالت لها اذهبي واحضريه حتى اراه فقالت سمعا وطاعة وذهبت الى الامير دياب وقالت له ان مولاتي شمس تريد ان تقابلك في هذا المساء في البستان فأجاب دعوتها وقال عند غياب الشمس اكون عندكم وسار الى البستان فوجد الجارية هند تنتظره فأدخلته الى البستان فاستقبلته السيدة شمس زينة النسوان بكل ترحاب وسلمت عليه سلام الاحباب واجلسته بجانبها وقالت له قد تشرفنا يا ابن الاعيان وحضر الطعام والشراب فأكلوا وانبسطوا ثم تبادلا كلمات الحب والغرام الى الصباح . أما البستاني لما رأى سيدته سهرت مع هذا الرجل الى الصباح حكمت عنده الغيرة فأعلم أباها بهذه السهرة فاحمرت عيناه وقال من هذا الذي تجرأ على بنتي وسهر معها طول الليل أما خاف من سطوتي ثم توجه مع بعض الرجال فدخلوا الى الدار فرأوا الامير دياب نائما فكتفوه وشدوا يديه بالمرس فانتبه مذعورا وضرب الملك ابنته كفا رماها الى الارض وأراد ان يقتلها فما هان على رجاله ان يقتلها وربما يندم فمنعوه من ذلك ثم اخذوا دياب للمحاكمة والعساكر تشتمه وتضربه وهو مكتف لا يدري ما يعمل حتى ادخلوه الى الديوان فصاح به الملك كيف دخلت الى بلادنا وتجرأت فدخلت قصر بنتي ايها النذل الخائن فأجاب انا رجل غريب وقد أوصلني الى هنا سوء حظي وقلة المال وحيث اني فقير الحال ترجيت الآنسة اظن انها ابنتكم ان تجد لي محلا امضي فيه ليلتي فقال له مشرف انت كاذب انت تخفي عنا بلادك خذوه الان الى السجن ليذوق مر العذاب فوضعوه في السجن وقيدوه بالاغلال فبكى على حاله فبعد العز والفخر يهوى الى الحضيض بالذل والحبس مع اللصوص والمجرمين وبعد يومين تمكنت شمس من الوصول اليه بالحيلة فأرسلت وراء السجان وامرته يتلطف مع السجين وكانت ترسل اليه الطعام مع جاريتها هند اما الملك مشرف فجاءته الاخبار ان عسكرا جرارا حاصر المدينة وقد نصبوا الرايات والاعلام والخيم وذلك ان الملك غرغور

صاحب بلاد الكافور سمع ببنت الملك شمس وانها اجمل فتاة في العالم فأرسل وزيره سميا الى ابيها الملك مشرف وحمله الجواهر والاموال وقال اطلب لي بنته شمس فان قبل فادفع له كل ما معك من التحف والاموال واحضرها لي بالحال وان ابى فحاربه بثلاثين الف صميدع واقتل اباها ولا تعود الا وهي معك فأخذ الوزير العساكر وسار بهم ولما وصل الى بلاد الملك مشرف أرسل له اربعة فرسان ومعهم كتاب يشرح فيه الاسباب فلما دخلوا الى الديوان سلموا عليه وأعطوه الكتاب فلما قرأه لاحت على وجهه علامة الغضب ثم أمر بقطع رؤوس ثلاثة منهم اما الرابع فشرم أذنيه وأكثر له الجروح وطرده قائلا له ما عندي بنات ما عندي الا السيف وقطع الرقاب فلما وصل الرسول الى الوزير والدماء تسيل من جروحه أحضروا له الطبيب فضمد جراحه فلما صحي سأله عن رفاقه فقال قتلهم المشرف وقال لي ما عندي بنات وما عندي الا السيف وقطع الرقاب عند ذلك أمر عساكره بالاستعداد للحرب فركبت العساكر واصطفت الفرسان وتحضرت للضرب والطعان وكان الملك مشرف قد استعد للحرب ونزل الى الميدان فبرز اليه الوزير سميا والتقى البطلان كأنهما اسدان وما زالا في قتال ونزال الى ان انجرح الملك مشرف في فخذه وأسرع رجاله وشالوه من المعركة وهجمت الابطال على الابطال وتقطعت الرؤوس وبترت الايدي وسالت الدماء وانجلى الموقف عن تراجع عساكر الملك مشرف والتجأوا داخل الاسوار اما الملك مشرف فضمد له الطبيب جرحه ثم اجتمع الملك مع الوزراء والقادة يتشاورون في دفع هذا الخطر الجسيم عنهم فقال الوزير بدر كنا نسمع عن بني هلال انهم ابطال في الحروب والمعارك وان الواحد منهم يدحر جيشا بكامله فاذا كان هذا السجين من بني هلال فأخرجوه واجعلوه قائدا على العساكر والجنود فوافق الجميع على هذا الرأي وأمر الملك ان يخرجوه من السجن فذهب الوزير بدر بنفسه الى السجن واخرجه منه فشكره الامير دياب فقال له الوزير ان الملك الفرغور أرسل جيوشه وعساكره وحاصروا المدينة ومرادهم يأخذوا الملكة شمس بالرغم منها ومن ابيها فصاح دياب خسئوا ورب الكعبة واني سوف اهلكهم اكراما لك وللملك ولشمس ثم انطلقا معا الى الديوان فترحب به الملك مشرف وأمر له بالجلوس فجلس ثم قال للملك ابشر ايها الملك بالانتصار على الاعداء ودحرهم فقال له لقد جعلناك قائدا على عموم العساكر تدبر أمور الحرب برأيك وسيفك وعندما طلعت الشمس اصطفت الصفوف وبرز الامير دياب فنزل اليه الوزير وهجما على بعضهما وتطاعنا بالرماح وتضاربا بالسيوف فانحطت قوة الوزير فطعنه دياب طعنة في صدره خرجت من ظهره ثم هجموا على عساكر الوزير وأبلوهم بالذل والتعتير فولوا هاربين والى النجاة طالبين وتشتتوا في الصحاري والجبال والوديان وعادوا الى ملكهم نادبين ورجع دياب وجماعته ظافرين منصورين غانمين فاستقبله الملك وعانقه وقال له مثلك فلتكن الابطال وهنأوا الملك بالسلامة والنصر على الاعداء . اما بني هلال فقد مضى عشرة ايام ما رأوا دياب وتساءلوا اين هو وماذا جرى له فصار اهله يبكون عليه وبكت بنته حتى غشي

عليها من حزنها على ابيها فقال لهم ابو زيد انا اؤكد لكم ان ديـــاب حي يرزق واصبروا يوم او يومين لعله يأتينا منه جواب او خبر فصبروا ولكنهم لم يناموا الليل وهم يقولون اين الامير دياب وبعد يومين اتاهم كتاب من الامير دياب يطلب منهم النجدة والعساكر وقال انه يحارب مع الملك مشرف في بلاد الشرق فلما قرأوا الكتاب أمر السلطان حسن بمساعدة دياب فجهز ابو زيد وزيدان الجيـــوش والعساكر لمعاونة الامير دياب في الحرب والكفاح وسار ابو زيد وزيدان امام العساكر متوجهين نحو الشرق واما قوم الملك الفرغور المنهزمون فانهم وصلوا الى الملك الفرغور وأخبروه عن مصرع الوزير واندحار جيشه فعظم عليه الامر وقال انا اذهب بذاتي لمقاتلة هؤلاء اللئام ثم امر بدق الطبول فاجتمعت العساكر وركبوا الخيول وركب الملك امام الجميع وساروا يقطعون البراري والاكام الى ان وصلوا لمدينة الملك مشرف وأحاطوا بها من كل جانب فقال دياب للملك المشرف لا يهمك كثرة الجيوش فعليك انت ان تقدم الاسلحة والذخائر وسيكون النصر حليفنا ان شاء الله فشكره الملك واطمأن قليلا ووعده بالجميل ان أتم وعده ثم قال له ان كفيتنا شر هــــذا الظالم فاني أزوجك ابنتي شمس أما الملك الفرغور فقد حشد الجيوش والعساكر واقتحم الميدان وصاح لا يبرز لي احد الا الملك مشرف فسبقه دياب ونزل الى الميدان فتصادما وصاحا على بعضهما صياح العقبان وتقاتلا قتال الذئاب حتى انجرح دياب وحينئذ التقت القوم بالقوم يقتتلون بالسيوف والخناجر فظهرت على قوم مشرف علامات الذل والانكسار وكانت قد وصلت قوات ابو زيد فأخذوا يطعنون الاعداء في الصدور ويبترون الايدي ويقطعون الرؤوس وبهذا الهجوم الصاعق ردوا قوات الملك غرغور عن دياب وعساكر الملك المشرف وصاروا ينثرون رؤوسهم نثرا وما زالوا في انتصار الى ان امسى المساء فدقت طبول الانفصال فتوجهوا لعنـد الملك المشرف واكرم وفدهم ووعدهم بالجميل وتتميم قصدهم فشكروه واثنوا على اعماله اما الامير ابو زيد فوعدهم واكد لهم انه لا بد ان يقتل الملك الغرور باذن الله وعند الصباح نزل الملك الغرور وهو عابس فنزل اليه ابو زيد وصاح فيه ويلك يا ابن الاوغاد انا ابو زيد قطاع الرقاب ثم هجم عليه فاستلقاه بقوة قلب وثبات وتقاتلا قتالا عنيفا حتى انجرح ابو زيد وهجمت العساكر على بعضها وهجم زيدان بستين الفا من الشجعان من جهة الشمال وكبس الامير دياب خيام الملك الغرور بعساكر الملك المشرف من الشرق وامر ابو زيد بني الزحلان ان يهجموا دفعة واحدة فـي قلب المعركة فهجموا وبدأوا بقطع الاعناق وخرق الصدور وبهذا الهجوم الكاسح من جميع الجهات احرز بنو هلال النصر وكانت وقعة عظيمة ومعركة جسيمة فلله در ابو زيد ودياب فانهما نكسا الرايات وبذلا غاية الجهد في القتال حتى أجلت عساكر الغرور عن تلك الاماكن وثبت الملك الغرور يقاتل فهجم عليه الامير دياب بقلب لا يهاب وضربه بالسيف على عنقه اطار رأسه ووقع قتيلا يتخبط بدمه ثم لحقـــوا عساكر الغرور وقتلوا منهم الآلاف والباقون تشتتوا في البراري والوديان ودخلوا بنو هلال سراية الملك الغرور فأخذوا تاجه وصولجانه وأمواله وجواهره فأعطوا

الصولجان للامير حسن والتاج للملك مشرف وقدموا قسما كبيرا من الامـــوال والتحف مهرا للملكة شمس ثم وضعوا القائد منجد ملكا على بلاد البلور مكان الملك الغرور بشرط ان يدفع الجزية كل عام الى الملك مشرف ثم عادوا راجعين الى بلاد مشرف بالغنائم والاموال وضافوا عنده عدة ايام ثم استأذنوا منه بالرجوع الـــى الاوطان فجهز الملك بنته شمس بالحلي والجواهر الثمينة وكتبوا كتاب الامير دياب على الملكة شمس وأقاموا الافراح والليالي الملاح .

اما بنو هلال فعادوا الى بلادهم فاستقبلوهم بالزغاريد والدبكة والرقص ودخل دياب على الملكة شمس فاحتظى بحسنها وجمالها وطاب له الزمان واتته الهدايـــا من كل مكان .

قصة الامير بدران

(قال الراوي) كان في بني هلال أخوان اسم الاول زيد الخيل واسم الثاني عمار وكان زيد الخيل اخذ شيحا اخت ابو زيد ورزق منها غلاما سماه بدران وكان لعمار بنت اسمها حُسن فلما دنت وفاة زيد الخيل صار يوصي اخاه ان تربى ابني بدران مثل ولدك ومتى كبر زوجه بنتك حُسن وقد تركت لكم أموالا لا تفنى ثم قال لابنه بدران اسمع كلام عمك يا ولدي ولا تخالفه ثم قال الوداع وشهق شهقة وفارقت روحه جسده فغسلوه وكفنوه وصلوا عليه وواروه التراب أما عمار فحاز على جميع أموال بدران ابن اخيه وشغله برعي المواشي وكان بدران قد تعلق قلبه ببنت عمه حُسن وهي أحبته حبا عذريا وكان بدران يصبر على جور عمه وظلمه وهو يرعى المواشي وكان مخيبر ابن ابو زيد يذهب الى البرية فيجتمع بالامير بدران يرعى المواشي فكان يعلمه ابواب الحرب والقتال فصار بدران بطلا ماهرا وكان في بني هلال شاعر يتعاطى الشعر تجارة فيمدح الملوك والامراء ويربح منهم الاموال فقصد مرة الملك روق سلطان وادي العباس فدخل الشاعر سلوم عليه وصار يمدحه بالقصائد الحسان فقال له دعنا من هذه القصائد فانها تتكرر على مسامعي يوميا من الشعراء وأريد ان تدلني على فتاة عمرها لا يزيد على ١٦ سنة وتكون آية في الحسن والبهاء جميلة القد موردة الخد فقال الشاعر :

درت عامر وزغبي وريا ... وزحلان ومن بعده وهب
كل قوم هلال شفت بناتهم ... خلقت المولى تعالى عجب
بنت عمار حسن ريم الفلا ... زينة الهندام مرفوعة النسب
الشفايف كالعقيق أحمر يليق ... الضفاير حرير وأحلى من الذهب

والبطـــن طـــي الحريـــر والين انعـــم من ريش النعام عز الطلب
بنت كاملـــة ومكملـــة للغـــوى مـــن حواهـــا زال همه والتعب

***

قـــال روق الشريف بن ترجـــم النار في قلبـــي يزيـــد لها لهيب
مـــن اجلها ابذل اموالـــي كلهـــا واخطب بنت عمـــار المنتسب
ورغب ابوهـــا بالمال وادهشـــه وانت يـــا سلوم كون لهـــا سبب
أعطيـــك مـــا تريـــد وتشتهـــي عطـــا مـــا صار مـــن ترك وعـــرب

فلما فرغ الشاعر وروق الشريف من الشعر والنظام اكرم الشاعر حتى ارضاه فشكره الشاعر ثم جهزوا ما يلزمهم للسفر وساروا يقطعون البراري والقفار فلما وصلوا استقبلوهم استقبالا فخما ونزلوا عند السلطان حسن فذبح لهم الاغنام واكرمهم واخرج الملك روق الهدايا ووزعها على الامراء ثم طلب من السلطان حسن بنت عمار وهي الست حُسن اما ابو زيد فما هان عليه لان البنت حسن لها ابن عم اسمه بدران وكان عمه دائما يقول له سأزوجك بنتي وشغله طول عمره راعي وهو يحبها وهي تحبه فلهذا الامر ترك ابو زيد المجلس وذهب دون ان يتكلم فعرف السلطان حسن والامراء ان أبا زيد ليس له خاطر في زواج البنت لروق اكراما لابن اخته عند ذلك قال السلطان حسن لروق الشريف ان ما كانت حُسُن يكون غيرها فقال روق انا لا أريد غيرها فقال دياب يعني عمار راح يلاقي احســـــن من روق الشريف فأرسلوا خلف عمار فلما حضر قال له السلطان حسن ان روق الشريف يريد بنتك حُسن تكون زوجة له وهو دافع لك أموالا كثيرة وخيلا وجمالا اكثر مما يخطر ببالك فقبل عمار طمعا بالمال وحرم ابن اخيه بدران وجفاه وكتبوا الكتـــاب وأرسلوا الاموال والتحف الى بيت عمار فسألت حُسن من اين هذا فقالوا لها هذا مهرك من روق الشريف وقد كتبوا كتابك عليه فلما سمعت هذا الكلام بكت وذهبت لعند بدران فرآها تبكي فسألها هل احد أهانك فقالت له خطبني روق القريشي وكتبوا الكتاب بدون ان يشاوروني فقال لها وما العمل قالت اذهب الى زيدان ومخيبر وموسى بن دياب واحكي لهم عن مال ابيك وخدمتك لعمك كراعي خمسةعشر عاما وقل لهم انا أريد بنت عمي ولا أطلع عنها فذهب لعند زيدان وقبل يده فقال له اهلا بشيخ الرعيان فبكى بدران وقال ان عمي عمار اخذ أموال ابي وشغلني راعيا والآن زوج بنته حسن لروق القرشي وانا جئت قاصدا اليكم لتقضوا لي حاجتي برد أموالي وابنة عمي حسن تكون زوجتي وكنت قاصدا كل امير في بيته والحمد لله الذي رأيتكم مجتمعين عند الامير زيدان ثم انشد هذه الابيات :

يقول الفتى بدران من الم الجـــوى ونيران قلبي زايـــدات سعـــير
زيدان يـــا مير يـــا كاسب الثنـــا قـــوم بنا فـــي جنح الظـــلام نسير
ونغزو ديار عقيل ننهب أموالهـــم وننهب خيولهـــم وعالمواشي نغـــير

مخيبر حشمتنـــا وموسى عقيدنـــا وزيدان قيـــدوم لنـــا وكبـــير
وأنتم سباع البر فريدون بالوغـــا لكـم صيت عنـد العالم شهـــير
ومن يقصد الاجواد ما يعود خايب ويـــزول عنـــه الهم والتكديـــر

فقالوا له همك زال يا بدران ونحن نرضي عمك ونقنعه فقال زيدان يريد بدران ان تغزوا معه فصاحوا على فرد لسان اليوم يوم الجهاد ثم لبسوا دروعهم وتسلحوا وركبوا الخيل وأخذوا العبيد ليسوقوا المواشي وقصدوا يغزون بني عقيل فلما اشرفوا على مواشي زيد العجاج سارحة بعيدا عن البيوت فرحوا فرحا شديدا وغاروا على الجمال والمواشي وساقوها بالرماح فصاح الرعاة الينا الينا فسمـــع صياحهم سبعون فارسا فأتوا الى الرعاة وسألوهم ما جرى عليهم فقالوا قد اتى سبع شباب مسلحين وساقوا الجمال والمواشي فلحقهم الفرسان فرأوا اربعة من الفرسان واقفين لهم بالمرصاد ليمنعوهم من الوصول الى الجمال والمواشي فتقدم شعلان بن فاضل نحو الشباب وقال لزيدان أهذا انت يا زيدان أما تستحي تعمل اعمال اللصوص أتحسب ان مال عقيل داشر فصاح فيه زيد إخرس الغزو للشباب والابطال فان كنت بطلا فرد المال ثم التقى البطلان بنضال وكفاح مدة ساعتين ثم اعتدل زيدان وضرب شعلان بالسيف على هامه حط راسه قدامه ولما رأى بنو عقيل مصرع اميرهم هجموا على زيدان وهجم نصار اخو شعلان فالتقاهم زيدان ومخيبر وموسى وبدران فلما حمي القتال صاح الامير بدران كرمال عيون الست حسن وهجم على نصار وشكه بالرمح في خاصرته قتله بالحال ومالوا على الباقي بضرب يقصف الاعمار حتى أفنوهم عن اخرهم وعادوا الى بلادهم وقبل ان يدخلوا قالوا لنسأل ابو زيد ان كان معنا نأخذ العروس حسن لابن عمها بدران وان كان ضدنا فيمكن ما نقدر نأخذها فكتب الامير مخيبر الى ابيه يقول سلامي على والدي الحبيب ابو زيد اعلم يا والدي انه قد اتانا الفتى بدران وهو يبكي وقال اتيتك دخيل وأريد منك ومن زيدان ان تشفوا علتي مع موسى وأولاد سوحان وطلب منا ان نغزو ارض زيد ابن فاضل ونهجم عليهم ونغنم مواشيهم وخايف على بنت عمه يأخذها روق القرشي فسرنا معه وعملنا غارة وسقنا الجمال والمواشي فهجم علينا سبعون فارسا بقيادة شعلان ونصار اولاد فاضل فأبدناهم جميعا والآن قل لنا اين نحط الجمال والمواشي وكتب موسى الى ابيه مثل كتاب مخيبر وكتب زيدان كتابا الى كل الامراء يحمسهم ويشجعهم ضد روق لانه غريب عنهم وبدران لا يترك بنت عمه حتى يقتل روق او هو يقتل ثم ارسلوا المكاتيب مع العبد بلال وقالوا له اعطهم الى ابي زيد وحسن ودياب والقاضي بدير وهات لنا الجواب بالعجل فأوصل المكاتيب الى الديوان فرآهم مجموعين فأعطاهم المكاتيب وانتظر الجواب فلما قرأوها قال السلطان حسن ما هو رأيك يا ابو زيد فقال ابو زيد انا أرسل اجيبهم يقبلوا يدك وتحاكمهم فان كانوا مخطئين نجازيهم فكتب لهم ابو زيد كتابا وطلبهم ان يحضروا الى الديوان وعليهم الامان قبل المحاكمة وأنا كفيلكم فلما وصل اليهم الكتاب فرحوا لان ابا زيد معهم فركبوا وساروا فاستقبلهم ابو زيد وطيب خاطرهم ثم قال لهم

ان صفح عنكم السلطان ودياب كان خيرا وإلا فغيروا على مواشيهم وانهبواها امـا دياب فقال البنت لابن عمها فانهضوا نستقبل ابو زيد فقام السلطان حسن والامراء واستقبلوا ابو زيد وترحبوا به فقال ابو زيد قد احضرت معي الشباب الذي تقولون عنهم عاصيون فاما ان تحاكموهم واما ان تعفوا عنهم بدون محاكمة فقال حسن قد عفونا عنهم اكراما لك يا ابا زيد ثم انفض الديوان وذهب كل واحد في حـال سبيله وأما الشباب فقالوا لابي زيد نريد البنت فقال لهم اذبحوا الف رأس غنم وكثروا الرز والسمن واعزموا حسن ودياب والقاضي وروق وكل العساكر وبعد الضيافة يكون الكلام فأحضروا كل شيء كما قال لهم ابو زيد اما ابو زيد فذهب الى الديوان وجلس بجانب السلطان وبعد قليل اتى بدران وقبل يد السلطان حسن وقال له انت وقومك في ضيافتي وخالي او زيد وقومه ودياب والقاضي بديـر والملك روق وعساكرهم في ضيافتي وذلك في دار خالي ابو زيد فساروا جميعا لبيت ابو زيد فأكرمهم غاية الاكرام وجلسوا يتناولون الطعام وبعد الطعام قال روق لحسن لقد طال الزمان فأعطوني البنت حتى أذهب لبلادي فقال عمار ابو العروس حاضر وأراد ان يجهزها ويعطيها لروق فمسك زيدان عمار ورماه لباب الصيوان وصاح به ألا تستحي تخلص البنت من ابن عمها ثم التفت الى روق وقال اترك البنت لابن عمها وأنتم في ضيافته وبنت عمه حسن لا تريد غيره فقال روق ان بدران رجل كريم وقد انفق في هذه الحفلة والعزيمة أموالا كثيرة واني أبارك له في ابنة عمه وكل ما جلبته معي من الاموال والهدايا فهي لهما وعندنا بنات لا تعد ولا تحصى والحمد لله الذي رأيتكم سالمين غانمين اما حسن فقال لروق لا يمكن ان تذهب بدون عروس واني أزوجك ابنتي تاج الملوك فقبل منه وشكر فضلـه وكتبوا الكتاب وأعطاها ابوها الشيء الكثير وركبوها فـي الهودج وركب روق وجماعته وودعوا السلطان حسن وأمراء بني هلال وسافروا أما ابو زيد فقـال للسلطان حسن هذا عمار موجود وبدران يريد بنت عمه فقال حسن يا عمار هذا ابن اخيك بدران يريد بنتك حسن وقد قدم لك مال ابوه ومال روق صار لـه ولحسن وهذا شيء لا بد عنه فمتى تكتب الكتاب فقال عمار حتى اشاور امها فقال ابو زيد سود الله وجهك من بين الرجال يا أوسخ العربان يا نكل أكلت مال بدران الذي خلفه له ابوه وشغلته راعي ١٥ سنة وأخذت مال روق الذي وهبه لبدران وتريد ان تشاور زوجتك فقال له حسن دعه يشاور زوجته لنعرف على من يكون الحق فذهب عمار وشاور زوجته فقالت له انا لا أزوجها الا ان يدفع مهرهـا فرس زيد العجاج وأرادت أن ترميه في داهية وتخلص منه فذهب عمار وقال لهم ان مهرها فرس زيد العجاج فسحبوا عليه الخناجر وارادوا ان يقطعوه فصاح بهم بدران ابتعدوا عنه انا مستعد اجيب فرس زيد العجاج مهرا لبنت عمي وبالحال سافر الى بلد زيد العجاج واختفى وفي الليل الدامس اتى نحو الفرس فوجد عندها اربعين عبدا يحرسونها وهي مقيدة بالجنازير فما قدر يأخذها وفي الصباح دار بين البيوت وصار يطلب الصدقة والاحسان فأخذوه لعند الدراويش وأتى زيـد العجاج لعند الفقراء يزورهم ويكرمهم فتقدم بدران وقبل يده فقال له من اين انت

قال من الخليل فقال مرحبا بك وصار بدران يتحين الفرص ليرى الفرس بدون قيد فاشتبه الحراس به وكمشوه وسلموه لزيد العجاج فسأله ماذا تعمل هنا هل تريد ان تأخذ احدى الخيول فقال معاذ الله ان اقوم بهذا العمل وانما انا اتفـــرج واتنزه فقال للعبيد اتركوه الان ولكن احذروا منه وراقبوه حتى نقبض عليه وهـــو متلبس بجريمته فتركوه وبعد ايام صار فرح ابن زيد العجاج والتهى النـــاس بالسحجة والدبكة والغناء والرقص ابتهاجا بعرس ابن زيد العجاج اما بدران فانسل الى محل الفرس فرآها دون قيد ففك المقود ووضع عدتها عليها وركبها واراد ان يهرب فيها الا وامراة زيد العجاج مسكت لجام الفرس قال لها مـــن انت قالت رايتك من النافذة تدخل على الفرس فأسرعت اليك واني امنعك من الذهاب بها فانزل عن الفرس واسلم بروحك قبل ان أجمع عليك الشباب فيقتلونك فقال لا بد لي عن الفرس ولو جاءني مائة فارس فابتعدي عن الفرس حتى لا تدوسك فقالت انزل عن الفرس وأنا أخلي زيد العجاج يتكرم عليك ويعطيك اياها بالجودة وعليك امان الله ورسوله فنزل عن الفرس وربطها فقالت له ما هي قصتك احكي لي عنها لانك من مدة قتلت رجالنا وأخذت مواشينا واليوم مرادك تأخذ الفرس فحكى لها حكايته من اولها لآخرها فقالت له انت استجير بابني فاضل وهو يحميك فذهب لفاضل وحكى له حكايته وقال له انا تركت الفرس لاجل والدتك وانا مستجير بك ان تحميني وتعطيني الفرس فوعده فاضل بذلك وحلف له بشرفه انه يحميـــه ويساعده فلما وصل الخبر لزيد العجاج وعرف انه هو الذي غزاهم وقتل رجالهم ونهب مواشيهم أمر بقتله فمنعه فاضل وقال انا أمنته واذا كان احد له عنده ثأر فهذا الميدان فليأخذ ثأره بالحرب والقتال فقال زيد العجاج أقتلك وأقتله فقالت أم فاضل ما هي عادتك هذه الافعال انت كريم وأنا ما لي غير فاضل عند ذلك عفا عن فاضل وبدران وأعطاهم منديل الامان وأمر باعطاء الفرس لبدران بعدتها فأعطوه الفرس بعدتها واعطاه سيفه وألف دينار واعطته ام فاضل صيغة وحلي لاجـــل محبوبته حسن فحمل الهدايا على الجمل وركب الفرس وودعهم وطلع من البلد راى زيد العجاج واقف له بالدرب فقال لبدران اسألك بالله هل طلب عمك راسي مع الفرس فان كان طلب منك راسي فاسحب سيفك واقطعه فنزل بدران عـــن الفرس وقبل يدي زيد العجاج وقال له فتحت ثغرة في الكرم ما احد يقدر يسدها ليوم القيامة فقال له اذهب يا بدران الى عمك ومهما طلب منك تعال خذه منا ولو كان ابني فاضل فقال له ان طلب مني شيئا فاني أسحب روحه من بين جنبيه ثم ودعه وسافر الى ان وصل الى نجد فدخل الى بيت خاله ابو زيد وقال له هذه الفرس بعدتها وهذه صيغة العروس والحلي وهذه الهدايا محملة على الجمل ثم حكى له عن كرم زيد العجاج وابنه فاضل فتعجب ابو زيد من كرم زيد العجاج وفي الصباح اخذ ابو زيد بدران وذهب به الى ديوان السلطان حسن وحكى له ابو زيد عن رحلة بدران مفصلا فتعجب حسن من كرم زيد العجاج ومروءته فأرسلوا خلف عمار فلما حضر قالوا له هذه الفرس بعدتها وهذه الصيغة والحلي والهدايا فقال عمار البنت لا يصلح لها الا ابن عمها بدران فعقد القاضي العقد ودام الفرح شهرا كاملا ودخل بدران على بنت عمه حسن وداموا في فرح وسرور وغبطة وحبور .

قصة نجم الوضاح

(قال الراوي) لقد حضر حفلة عرس بدران كل الشباب الا زيدان فقالوا ما هو السبب يا ترى فقالوا انه مريض وطالع له دمل ما وجدوا له دواء فأرسل السلطان خلف زيدان فحضر فسأله عن ابنه فقال لم نعرف دواء يشفيه من الدمل فأشار عليهم ابو زيد ان يأخذوه الى جبال الزاوية ليزور النبي ايوب لعل الله يشفيه فعملوا لولده سريرا وضعوه فيه وركب زيدان وركبت معه الفرسان ثم ودعوهم وسافروا وجدوا في قطع القفار فلما وصلوا الى بلاد النعمان استقبلوهم احسن استقبال ودخل زيدان وجماعته الى مدينة المعرة فقالوا للامير فهد مرادنا نزور النبي أيوب فالامل ان ترسلوا خبرا الى امير البلاد سلقنطاس ليعطينا الاذن حتى نذهب الى جبل الزاوية فكتب الى صديقه في البارة قال له ان احد امراء بني هلال مراده يزور البلاد فالامل ان تسمحوا له ولرجاله بزيارة الاماكن التي يريدها ولكم الشكر وأرسل المكتوب مع نجاب فأوصله الى الامير سلقنطاس فلما قراه اخذ النجاب وسار الى الدرقيس فاستقبله باحتفال باهر فقال له سلقنطاس ان الامير زيدان من بني هلال مراده يزور هذه البلاد فالامل ان تسمحوا له ولرفقائه ان يزوروا الاماكن التي يريدونها وان عملوا شيئا أو تعدوا على احد اقطعوا رؤوسهم فقال الدرقيس هؤلاء قوم ما همهم الا الحرب والقتال وياما هفوا ممالك ودول فابن الهراس والنعمان والبردويل وأبو الفتاح وغيرهم كثيرون فهل تريد ان تخرب بلادنا وتسبى نساؤنا وتقتل رجالنا وان كنت تكفلهم فدعهم يتجلوا وان كان زاروا ثم عادوا الى بلادهم فقد كفينا شرهم .

عند ذلك أرسل سلقنطاس كتابا الى فهد قال له دعهم يتجولون ويزورون أينما ارادوا على شرط ان لا يتقاتلوا مع احد ولا يسحبوا سيوفا ولا اسلحة فلما وصل الكتاب الى زيدان أمر العسكر بالركوب فركبوا وركب فهد وصقر وساروا الى

البارة فاستقبلهم سلقنطاس وترحب بهم وانزلهم في دار الضيافة اما نجم الوضاح بنت الملك الدرقيس اخذت البنات الى البستان وعملن نزهة وسيران قطفن الورود والزهور وسرن من مكان الى مكان حتى وصلن الى عين النبي ايوب اما زيــدان ورفقاؤه فركبوا قاصدين النبي أيوب فلما وصلوا ذبحوا الذبائح وعملوا وليمــة للجميع وبعد ذلك ذهب عكرمة ومعه جملة من الشباب الى العين الجديدة فلما رأوا البنات دهشوا فقال عقل ابن هولا ان احسن بنت من هذه البنات لاخي نصر وأشار الى نجم الوضاح ثم تقدم نحو البنات وقال هل عندكن شربة ماء فقالت له العجوز تشرب حجرة تكسر سنانك العشرة فصاح فيها عكرمة يا ملعونة الاب والجد فضربها وقال للشباب كل واحد يأخذ بنت فغاروا عليهن واخذوهن وصعدوا بهن الى الجبل فأسرع اليهم زيدان وصاح بهم ايها المغرورون ما هذه الاعمال فقال عكرمة ما ربحنا غير هذه البنات فقال زيدان رحنا بلاش فبعد ان اكرمونا بدانا نأخذ بناتهم فقال له الحق على البنات لانهن ما عملن السيران الا في وجود الجهال فقال زيدان كونوا رجالا وقت الحرب وكان عند الدرقيس عبد يسمى هزاع فرأى ما حل بالبنات فصاح فيهم اتركوا البنات والا حلت بكم الويلات فتقدم اليه عقل وضربه بالدبوس أرداه قتيلا وكان الدرصيب في السرايا والدرقيس في الحرم فلما وصل الخبر للرصيب ركب وركبت معه الابطال وهجم على شباب بني هلال فاستقبلــه زيدان بالحرب والقتال فكأنهما أسدان كاسران او ذئبان مفترسان الى المســاء افترقا على سلام وفي الصباح انحدر الدرصيب الى الميدان فبرز له الامير زيدان فضربه الدرصيب اصاب عنق الجواد فوقع زيدان على الارض وأسرع اليه الجهال وانقذوه من الموت ونزل اليه عكرمة فتطاعنا بالرماح وتضاربا بالسيوف ثم هجمت عليهم الفرسان من جميع الجهات وتكاثروا على الشباب فتركوا البنات وهربوا وفي الصباح اجتمعوا وقالوا هذا اكبر عار علينا اما نجمة الوضاح فأحبت بني هلال وفي اليوم الثاني لما راتهم مجتمعين صارت تغني لهم وتنخيهم فدبت الحماسة والنخوة في رؤوس الشباب وغاروا على القوم ونزل الدرصيب الى الميدان فصاح زيــدان لعينيك يا نجمة الوضاح وضرب الدرصيب شقه نصفين وكل واحد هجم على اثنين او ثلاثة وقتلوهم والتقى نصر بذئب القفار ومسكه من طوقه فصاحت به نجمــة الوضاح هذا اخي اعفوا عنه وهرب المنكسرون الى الملك الدرقيس وأعلموه بما جرى فقام ولبس درعه وحمل السلاح وركب الجواد ودق الطبل اما بنو هلال فقالوا لبعضهم ان زيدان والشباب طولوا الغيبة يمكن واقعين في حرب مع العدو فدقوا الطبول واجتمعت الفرسان من سائر الجهات وركبوا ظهور الخيل وساروا قاصدين جبل الزاوية اما الدرقيس فركب بعساكره وهجم على الشباب بطعن مثل لذع النار وعلم على الجميع وما قدروا عليه فقال له وزيره اذا كنا نقابلهم فارسا لفارس فلا يبقى عندنا فرسان فاهجموا عليهم هجمة واحدة فهجموا عليهم وتعبت الجهال وتجرحت وكانت بنو هلال قد وصلت الى قلب المعركة يتقدمهم ابو زيد فصاح بعكرمة الاجدر بكم ان تهزوا خصوركم عند الرقص مع البنات وتتركوا الحــرب

لغيركم وذمة العرب ان لم ترد هذه العساكر وحدك يا عكرمة لأعدمك الحياة ففار عكرمة على القوم يجز الرؤوس وقال لدياب الحق زيدان لئلا احد يغدره ففار دياب على الصفوف وهجم ابو زيد وقومه على الجنود والعساكر وردوهم الى الوراء والتقى ابو زيد بالدرقيس وتقاتل معه فانكسر سيف ابو زيد فخاف عليه دياب وهجم على الدرقيس وخلص ابو زيد من بين يديه أما سلقنطاس فذهب بجيش الى نجد وكبس الاهالي بالليل وأسر السلطان حسن والقاضي بدير وجملة أمراء وساق المواشي وسار وكان زيد بن شرهان مع عساكره في الصيد فلما راى الاعتداء على بني هلال هجموا على سلقنطاس ولكنهم انغلبوا على أمرهم واسرهم وحطهم مع الاسرى فلما وصل الخبر لابي زيد بكى وبكى معه الامراء ثم ان ابا زيد لبس أخضر بأخضر ودهن لحيته وكحل عيونه وأخذ عكازا وكتبا مسيحية ويهودية وسار الى ان وصل لسلقنطاس وقال انا الراهب بركات من بلاد هيجا وعلجا فالراهب الذي يحكم على جميع الرهبان قال بدها تصير ضيقة على درقين وعلى سلقنطاس فأرسلني اليكم لأساعدكم وبقي ابو زيد يقرأ باللغة العبرانية مدة ثلاثة ايام حتى حير عقولهم ثم احتال عليهم فخلص الاسرى كلهم بعدما قتل سلقنطاس ومال على القوم افناهم وشتت شملهم ثم ساروا لعند دياب وساعدوه على الحرب والقتال وقتلوا الدرقيس وانتصروا ثم اركبوا نجم الوضاح على هودج ورجعوا الى نجد وعقدوا عقد الامير نصر على نجمة الوضاح ودامت الافراح والليالي الملاح .

قصة الماضي بن مقرب

كان الماضي مقرب ساكنا في نجد عند بني هلال وكان فارسا شجاعا وبطلا مغوارا وهو معروف بالكرم مثل حاتم طي فلما تزوج نصر ابن هولا نجمة الوضاح اهداهما مالا جزيلا وتحفا لا تقدر بثمن وكان السلطان حسن يحبه ويمدحه ان غاب وان حضر ففار دياب منه وبدأ يرمي الفساد بينه وبين السلطان حسن فوقعت العداوة بينهما فأخذ الماضي رجاله ومواشيه واموالة وسافر الى بلاد الصعيد فسمع به الملك المظفر ملك البلاد فاستقبله احسن استقبال وسمح له ان تسرح مواشيه في المراعي ثم سأله عن سبب مغادرته نجد فحكى له عن العداوة التي حصلت بينه وبين السلطان ثم قال مرادي ان اسكن في جوارك الى ان يريد المولى ما يشاء قال اهلا وسهلا وعلى الرحب والسعة وكان للملك المظفر بنت اسمها سعدا لم يكن اجمل منها في عصرها فزوجه بها واقام الماضي عنده مدة في أرغد عيش واهناه الى ان مات المظفر فتولى الماضي مكانه واستولى على أملاكه ومواشيه وصار يوهب ويعطي فأحبته الرعية وصارت تقصد الفقراء والشعراء فيرجعون شاكرين حامدين فأتاه في احد الايام ثلاثة شعراء من اليمن سيف ، وسفيان ، وسفر . فترحب بهم وأكرمهم فمدحوه بقصائد بليغة فأعطى كل واحد مئة جمل ومئة دينار وجوادا وبذلة قيمة فشكروه شكرا جزيلا ثم عادوا الى بلادهم ثم سافروا الى نجد ليمدحوا السلطان حسن فلما دخلوا عليه سألهم من اي البلاد انتم قالوا من اليمن قال اهلا وسهلا بكم فمدحوه بقصائد ممتازة فقال لهم ابشروا بالعطاء مع الضيافة ثم أمر لهم كل واحد بخمسين جملا وخمسين دينارا فامتنعوا عن اخذها فقال حسن لماذا رفضتم هذا العطاء هل اعطاكم احد اكثر من هذا العطاء فقال سيف

الشاعر :

انت امير ابن امير مجرب سلطان نجد وفارس الاعراب
وصيتك وصل للسند بالكرم عطاك زايد ما عليه حساب
مالك نظير في البلاد جميعها ملجأ اليتامى وبغية الطلاب
واكرم منك الماضي بن مقرب فذاك ما مثله في الورى وهاب
اعطانا عطايا الف ناقة ومثلها دراهم وسيوف مع عبيد وثياب

فقال حسن الحمد لله الذي فضلت علينا ابن عمنا وما فضلت علينا واحدا غريبا عنا فقال دياب لا تصدق كلام الشاعر يا حسن فانه يستحق التأديب لاحتقاره بعطاياك فأمر حسن بتأديبهم وحبسهم فقال ابو زيد انهم لا يستحقون ذلك لان الماضي أكرم منا جميعا فقال حسن وأنت تفضل الماضي علي ايضا فقال له ابو زيد اذا مدحك الشاعر ماذا تعطيه قال اعطيه مالا وجمالا فقال له واذا طلب زوجتك فهل تعطيه اياها فقال حسن الانسان يسلم بروحه ولا يسلم بأهله وعرضه فقال ابو زيد انا أراهن على ان الماضي يجود بزوجته اذا طلبها منه الشاعر فقال دياب هذا لا يمكن ابدا فقال ابو زيد انتظروا قليلا وغاب ساعة وعاد فاذا لحيته بيضاء وثيابه عتيقة وحاملا ربابة على كتفه وهو بصفة شاعر قديم فما احد عرفه فصار يمدح الامراء واحدا واحدا فقال هل يعرفني الماضي بهذه الصورة وبهذا المديح فقالوا نحن ما عرفناك فلا يمكن للماضي ان يعرفك فقال انا أجيب زوجة الماضي هبة منه في هذا الزي ثم ودعهم وسافر الى بلاد الصعيد ووقف خارج الديوان الى ان انفض المجلس وقام الماضي وسار الى بيته وابو زيد خلفه الى ان عرف القصر الذي ينام فيه فجاءه بنصف الليل وهو نائم وطرق عليه الباب ففتح له وقال من هذا فرأى الشاعر زوجة الماضي نائمة في تخت مرصع بالدر والجواهر وصفاته تبهر النواظر فقال له انا شاعر واخذ يدق على الرباب ويغني عليها انغاما شجية اطربت الماضي ولكنه قال له انك اتيتنا في الليل وازعجتنا ورأيت زوجتي في تختها وهذا لا يجوز بدين من الاديان فقال له هذا زي بلادنا ودائما عندنا الرجال تختلط مع النساء وانا زرت السلطان حسن وهو نائم مع زوجته فما كسر بخاطري فقال انت تكذب فهذا ابن عمي وانا اعرفه واعرف شهامته وغيرته على زوجته فاذهب الان وتعال بالنهار في الديوان واراد ان يطرده فقفز ابو زيد ودنا من سعدا زوجة الماضي يستجير بها من ظلم زوجها بهذه الابيات :

يقول الاديب الذي لسعدا التجا النار في قلبي تهب وتلعجا
الماضي اليوم يريد يطردني شريد وانا دخيلك صرت يا سعد الرجا
امر بطردي واذيتي يا حسرتي يا لهفتي يا لوعتي
تركت اهلي وسائر رفقتي واتيت اليكم اتدحرجا
طمعت انا بجودكم وفضلكم وقفت عن الفراش وشفتكم
وجلست بينكم وبقربكم وصرت انظم للكلام واهرجا!
لما نظرني زاد غيظه والحمق وبعينه يا ست نحوي قد رمق

حسيت ان القلب منـــي احتــرق | اراد فـــي حربتـــه قلبي يبعجــا
انا عتيقــــك عدت من دون المــلا | دمعي غدا علـــى خدي مسبـــلا
ربي يبلغـــك الى دار العـــلا | ادعـو لك في الصباح وفي الدجــا

عند ذلك حنت عليه زوجة الماضي وقالت يا ابن عمي اكراما لخاطري ان تصفح عنه وتكرمه فقال له الماضي اذهب وعليك الامان فقال انا ضيفك وما اكرمتني وانا مرادي أمدحك وأشكر فضلك أينما ذهبت عند الملوك والامراء وغيرهم فأتـــى الماضي بصرة مال وأعطاها للشاعر فقال له انا لا اريد مالا فقال له فما تريد قل ولا تخف قال اذا طلبت منك شيئا عزيزا عليك اخشى ان لا تجود علي به فقال الماضي اقسم لك اني اعطيك ما تطلب اذا كان ذلك باستطاعتي فقال له أريد ان تتكرم علي بزوجتك سعدا فلما سمعت سعدا طلب الشاعر هبت من تختها مذعورة وصاحت فيه هل انت مجنون حتى تطلب زوجة الماضي الا تخشى غضبه فقال لها الماضي هوني عليك فاني أقسمت ان اعطيه طلبه وقد كنت لي فأصبحت له وقد وهبتك له فقالت للشاعر ردني الى زوجي وخذ مائة ناقة ومائة فرس أصيلة وهذه الصرة فيها الف دينار وخذ ما تريد ولا تفرق بيني وبين زوجي فضحك الشاعر فقالت له ولماذا تضحك فقال والله لو اعطيتني مال قارون وسائر كنوز الارض فلا أسمح بشعرة منك فهيئي نفسك حتى نسافر فقال لها الماضي خذي جاريتك معك فصارت تبكي وتقول كيف أفارق اولادي وارحل فأوصيكم بهم خيرا فأعطاها الماضي الف دينا وقال لها اصرفيهم على الشاعر ولا تنسي ان ترسلي الشاعر كل عام حتى أكرمه لأجلك ثم قدم جوادا اصيلا للشاعر واركب سعدا في هودج وقدم له عشرين عبدا من الابطال على خيل أصايل فقال له وما أعمل في العبيد فقال ليحرسوك من قطاع الطريق لاني اخاف ان يأخذوا منك سعدا فلا تبقى لي ولا لك فقال الشاعر :

انا فارس الفرسان قهـــار العدا | انا حامي الزينات قـــرم مخاصـم
انا الف والفين وحـــدي أكيدهـم | ويغدون مني فـي البراري هزايـــم
ويشهــــد لي الهلالي ابـــو علـــي | ويشهد لي ديـاب قطاع الجماجـم
وان كنت لا تصـــدق لمقالتـــــي | جـــرد قومك وجـــرب من يقاوم
وسعدا زوجتـــك تعود لبيتهـــــا | والمال ايضــــا اذا كنت نــــادم

وكان حاضرا بين العبيد عبد جبار اسمه جوهر المغوار حقد على الشاعر من اعماله وغروره فصاح بالشاعر ويلك يا عبد السوء لو أمرني سيدي الماضي لضربت عنقك بهذا السيف فقال الماضي للشاعر اذهب واحتفظ بغنيمتك واسلم بروحـك فغضب الشاعر وقال انا أهرب من عبد زربول لا قيمة له وانا مسامح بدمي من يقدر ان يقتلني انت او هو فقال الماضي انا لا أقاتل ضيفي ولكن تقاتل انت مع العبد والقوي منكما يقتل خصمه عند ذلك هجم العبد جوهر المغوار على الشاعر وطعنه بالرمح فخلا الشاعر بمهارته عن الرمح وضرب العبد بالحسام اطاح راسه ثم صاح بالماضي جرب نفسك معي بالقتال حتى تعرف اني أصلح لزوجتك ام لا أصلح لها وان لم تبارزني فخذ زوجتك عني فنفـــذ صبر الماضي وانحدر اليـه

كالنمر ودار بينهما القتال الى ان كلت منهما السواعد فخاف العبيد على الماضي وهجموا على الشاعر فصاح فيهم الماضي ارجعوا عنه قبل ان يرمي رقابكم لاني اعرف نفسي بأنه لا يقدر علي احد في الميدان الا ابو زيد ودياب اولاد عمي ولكن ما دامت النساء تحبل وتلد فما على وجه الارض فارس ثم انه ترك الشاعر وقدم له الهودج وقال له حقا انك بطل ولا تنس ان تزورنا كل عام فلما اخذ الشاعر زوجة الماضي سمع بكاءها وهي في الهودج فقال لها لماذا تبكي قالت على وقعتي معك يا انحس الشعراء فقال لها انا احسن من زوجك الماضي انا ابو زيد امير بني زحلان فقالت له :

ابو زيد امير ابن امير مجرب	وسلطان زحلان بالتوكيد
وما انت تشبه الى عبده عبده	وانت نذل بين الرجال بليد
رد ابو زيد الهلالي سلامة	اني امير وفارس صنديد
انا سلطان بني زحلان بالوغا	واني منسوب لست وسيد
وجيت انا بزي شاعر لعندكم	طلبتك من بعلك سلما بالايد
واعطي واوهب كل يوم وليلة	خيل ومال وخدم مع عبيد

فقالت له اسمع مني وردني لاهلي واكسب الاجر والثواب فقال لها انا مرادي تربي لي اولادي فقالت كم ولد عندك قال لها ١٨ ولدا لاني تزوجت ست نساء وكل واحدة لها ثلاثة اولاد ونسائي كلهن توفين فقالت كيف ماتت نساؤك وما مت انت فقال حتى اراك وأتمتع بجمالك الباهر ولما وصلوا رأت سعدا المواشي والجمال والرعيان فقالت لمن هذا فقال كل هذا لي ثم قال للرعيان اذهبوا الى السلطان حسن وقولوا له قد اتى ابو زيد ومعه زوجة الماضي وبعد قليل رأت سعدا الجيوش والعساكر سائرون والطبول تدق والافراح شملت الجميع فقالت سعدا للشاعر اظن ان ابن عمي حسن قد جهز جيوشه للحرب قال كلا وانما هذا احتفال لاستقبالنا فقالت يا ليت عزرائيل يأخذك فلما قربوا منهم نزلوا من على ظهور الخيل وسلموا على الشاعر ابو زيد وفي أولهم حسن ودياب والقاضي بدير وزيدان شيخ الشباب وبقي ابو زيد راكبا فقالت سعدا في بالها ان له قدرا وقيمة واقبلت عليها النساء والبنات يترحبن بها وساروا الى بيت ابي زيد بالدفوف والنوبات فاستقبلتها امراة ابي زيد وقبلتها واجلستها على سرير مرصع بالدر والجوهر وقالت لها يا ميـة مرحبا انت اغلى ضيفة عندنا وليس لابي زيد فيك اي حاجة وانما حصل نقاش وجدال بين الامراء من جهة كرم زوجك الماضي فقال ابو زيد لا يوجد اكرم منه حتى اذا طلب الشاعر منه زوجته سعدا فانه يطلع عنها ويهبها له فما صدقوا ابا زيد واستغربوا من الماضي هذا الكرم فقال ابو زيد انا اثبت لكم ذلك وغير زيه وارتدى ملابس شاعر وحمل الراية وسافر واتى بك فأثبت حجته بأنه لا يوجد اكرم من الماضي وبعد ان تزوري عندنا ما تطيب لك الزيارة ترجعين الى زوجك واولادك بالسلامة فقالت لها وهذا الشاعر هو ابو زيد اجابت نعم هو ابو زيد فلطمت سعدا وجهها وتأسفت على ما صدر منها بحق ابي زيد ثم قالت كيف يمكنني ان

أقابله وقد شتمته وأسمعته كلام لا يرضيه ولما دخل ابو زيد نهضت سعدا وقبلت يده وهي تبكي فقال لها ولماذا البكاء قالت لا تؤاخذني على ما فرط مني من الكلام الذي يجرح شعورك فقال انا نسيت كل شيء ثم ذهب ابو زيد للصيوان فاستقبلوه بالاكرام وأنشد السلطان حسن هذه الابيات :

قال الفتى حسن الهلالي ابو علـي	انا بأمـري يـا كرام محتـار
كـم لك يا سلامة مـن عجايب	وأحـوال قضيتها بـلا اضرار
فأخبرنـي يا امير بما قـد جـرى	وكيف جبت سعدا وكيـف صار

فقال ابو زيد دخلت على الماضي في بيته ليلا فطرقت باب غرفته ففتحتها فرايت زوجته نائمة بتختها فقال لي ما تريد ايها الرجل فعدلت الربابة وصرت امدحه بأشعار بليغة فقال لي تعال غدا على الديوان فأكرمك بمال يرضيك فقلت له انا لا أريد مالا فقال وما تريد قلت أريد ان تهبني زوجتك سعدا فقال لي ابشر ايها الشاعر بسعدا وجواريها فبكت سعدا وقالت لي خذ عوضا عني الف ناقة والف دينار وخذ ما تريد فأبيت وأركبها زوجها في هودج وقال لي بارك الله لك فيها واعطاها الف دينار وقال لي تعال كل سنة وخذ الف دينار عند ذلك احضر حسن الشعراء واعطى كل واحد منهم الف دينار واما حسن فأرسل الحريم عزموا سعدا زوجة الماضي فأكرموها وفرحوا بها وصار الامراء يعزمونها ويقيمون لها الافراح والليالي الملاح ثم استأذنت من السلطان حسن وقالت قد اشتقت لاولادي فاسمحوا لي بالذهاب فقال ابو زيد انا لا اذهب معها لاني اخجل من مقابلة الماضي فليذهب دياب فقال دياب للسلطان اكتب رسالة الى الماضي فكتب حسن يقول سلامي على الماضي بن مقرب وبعد فقد اتاكم ابو زيد بصفة شاعر وطلب منكم سعدا حرمكم فجدتم عليه بها فاصفح عنه لانه سبب لكم الانزعاج والآن قد أرجعنا لكم سعدا مع الامير دياب وفي الختام تقبلوا منا فائق التحية والسلام فأخذ دياب المكتـوب وأركبوا سعدا في هودجها وسار دياب معها مصطحبا معه الفي فارس فودعـوا حسن والامراء وساروا يقطعون البراري والقفار ومعهم الهدايا فلما قربوا مـن الصعيد رأتهم الرعيان فأخبروا الماضي فبعث وزيرا بمائة فارس يكشف له الخبر فراى دياب وزوجة الماضي فرجع يبشر الماضي برجوع زوجته والامير دياب فظن ان السلطان حسن قتل الشاعر وارجع سعدا لزوجها ثم انه ركب واستقبل دياب واخذه لدار الضيافة فسلمه المكتوب فلما قراه فرح فرحا عظيما وقال الحمد لله الذي بقي عرضنا في أمان ثم سافر دياب الى نجد وبلغ الجميع سلام الماضـي وأثنى عليه وعلى كرمه .

تمت سيرة بني هلال بالتمام والكمال

يسرّ دار الكتب الشعبيّة للطباعة والنشر بأن تقدّم روائع القصص الشعبي التاريخي بحلّةٍ جيّدةٍ وطباعةٍ فاخرةٍ وأسعارٍ زهيدةٍ ، وقد صدر منها الكتب التالية :

قصّة عنترة

قصّة الزير سالم

تغريبة بني هلال

سيرة الملك سيف بن ذي يزن

سيرة بني هلال

مطبعة منير

بغداد . شارع المتنبي هـ ٤١٦٥٢٤٧